

مُعَانِي الْقُرْآنِ وَاعْرَابُهُ

لِلنَّجَّاحِ

أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ السَّرِيِّ

المتوفى سنة ٣١١ هـ

شَرَحَ وَتَحْقِيقَ

دكتور عبد الجليل عبده ملبى

الجزء الثاني

عالم الكتب

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

الطبعة الأولى

١٩٨٨-١٤٠٨ هـ م

مُعَانِي الْقُرْآنِ وَالْعَرَبِ



ببيروت - المزرعة، بناية الإيتمان - الطابق الأول - صرب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - بريقيا: نابعلبي - فلكس: ٢٣٣٩٠



سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله - عز وجل - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ :
ابتداءً الله السورة بالموعظة . أخبر بما يوجب أنه واحد وأن حقه
عز وجل - أن يتقى فقال :

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ :
يعني من آدم عليه السلام ، وإنما قيل في اللغة واحدة لأن لفظ النفس
مؤنث ، ومعناها مذكر في هذا الموضع^(١) ، ولو قيل من نفس واحد لجاز .

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ :
حواء خلقت من ضلعٍ من أضلاع آدم ، وبث الله جميع خلق الناس
منها .

ومعنى «بث» نشر ، يقال : بث الله الخلق ، وقال - عز وجل -
﴿كَالْفَرَّاشِ الْمُبْثُوثِ﴾^(٢) ، فهذا يدل على بث . وبعض العرب يقول أبث الله
الخلق ، ويقال بثتكَ سري وأبثتكَ سري .

وقوله - عز وجل - ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ :

(١) لأن المراد بها آدم .

(٢) القارة ١٠١ - ٤ .

بالتشديد، فالأصل تتساءلون. وأدغمت التاء في السين لقرب مكان هذه من هذه. ومن قرأ بالتخفيف فالأصل تتساءلون، إلا أن التاء الثانية حذفت لاجتماع التائين، وذلك يُستقل في اللَّفْظ فوق الحذف استخفاً، لأن الكلام غير مُلبس.

ومعنى ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾: تَطْلُبُونَ حُقُوقَكُمْ بِهِ.

﴿وَالْأَرْحَامَ﴾:

القراءة الجيدة نصب الأرحام. المعنى واتقوا الأرحام أن تقطعوها، فأما الجرُّ في الأرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطراب شعر، وخطأ أيضاً في أمر الدين عظيم، لأن النبي ﷺ قال: لا تحلفوا بأبائكم. فكيف يكون تتساءلون به وبالرحم على ذا؟^(١).

رأيت أبا إسحق إسماعيل بن إسحق يذهب إلى أن الحلف بغير الله أمر عظيم، وأن ذلك خاص لله - عز وجل - على ما أتت به الرواية.

فأما العربية فإجماع النحويين أنه يَقْبَحُ أَنْ يُنسَقَ باسم ظاهر على اسم مضمَر في حال الجرِّ إلا بإظهار الجار، يَسْتَقْبَحُ النحويون: مررت به وزيد، وبك وزيد^(٢)، إلا مع إظهار الخافض حتى يقولوا بك وبزيد، فقال بعضهم: لأن المخفوض حرف مُتَّصِلٌ غير منفصل، فكأنه كالتنوين في الاسم، فقبح أن يعطف باسم يَقُومُ بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه. وقد فسر المازي هذا تفسيراً مُقْنِعاً فقال: الثاني في العطف شريك للأول^(٣)، فإن كان الأول يصلح شريكاً

(١) أي كيف يعطف الأرحام على لفظ الجلالة فيكون مقسماً به، أي انكم يسأل بعضكم بعضاً مستحلفاً إياه بالله، فكيف يجوز أن يستحلفه بالرحم وهو أمر منهى عنه. إذن لا يجوز أن تخرج الآية على ذلك، بل تنصب الأرحام مفعولاً لاتقوا.

(٢) هو ممنوع لا يجوز.

(٣) المعطوف شريك للمعطوف عليه في تسلط العامل عليهما، فإن جاز جعل المعطوف معطوفاً عليه صح الكلام، وإلا لم يصح.

للثاني^(١)، وإلا لم يصلح أن يكون الثاني شريكاً له. قال: فكما لا تقول مررت
بزيد و«ك» فكذلك لا يجوز مررت بك وزيد.

وقد جاز ذلك في الشعر، أنشد سيبويه:

فاليوم قرّبت تهجّونا وتشتّمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب^(٢)

وقوله: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾:

أي أعطوهم أموالهم إذا أنستم منهم رشداً، وإنما يسمّون يتامى - بعد
أن يؤنس منهم الرشد، وقد زال عنهم اسم يتامى - بالاسم الأول الذي كان
لهم، وقد كان يُقال في النبي ﷺ يتيم أبي طالب^(٣).

وقوله - عز وجل - : ﴿وَلَا تَبَدُّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ﴾:

الطيب مالكم، والخيث مال اليتيم وغيره مما ليس لكم، فلا تأكلوا مال
اليتيم بدلاً من مالكم، وكذلك لا تأكلوا (أيضاً)^(٤) أموالهم إلى أموالكم.

أي لا تُضيفوا أموالهم في الأكل إلى أموالكم، أي إن احتجتم إليها
فليس لكم أن تأكلوها مع أموالكم.

﴿إِنَّهُ كَانَ حُبّاً كَبِيراً﴾:

(١) جواب الشرط محذوف لوضوحه - أي صح العطف.

(٢) البيت للأعشى، وينسب لعمر بن معد يكرب، ولخفاف بن ثُدْبَة، ولغيرهم. وقربت من
التقريب في السير، وهو الإسراع. أي أسرع إلى شتمنا وهجونا في زمن سيئ فلا عجب
منكما، والشاهد فيه عطف الأيام على الكاف. والبيت من شواهد النحو الشائعة في باب الجر،
وانظر ابن يعيش ٣ - ٧٩، والكامل ٢ - ٣٩ (تجارية) ومن شواهد سيبويه، وعد من الخمسين.

(٣) كان يسمى بهذا حتى بعد أن كبر وزالت عنه صفة اليتيم.

(٤) ب فقط.

والحوبُ: الإثم العظيم، والحوبُ فعلُ الرَّجُل^(١)، تقول: حاب حوباً كقولك قد خان حوباً^(٢).

وقوله عز وجل:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

قال مجاهد: إن تحرَّجتم أن تتركوا ولاية اليتامى إيماناً وتصديقاً فكذلك تحرَّجوا من الزنا، وقال غيره: وإن خِفْتُمْ أَلَّا تعدلوا في أمر النساء فانكحوا ما ذكر الله عز وجل، وقال بعض المفسرين قولاً ثالثاً، قال أهل البصرة من أهل العربية: يقول ذلك المفسرُ - قال إنهم كانوا يتزوجون العُشْرَ مِنَ الْيَتَامَى ونحو ذلك رغبةً في مالهِنَّ فقال الله - جلَّ وعزَّ - وإن خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى أي في نكاح اليتامى، ودل عليه^(٣). فانكحوا. كذلك قال أبو العباس محمد ابن يزيد، وهو مذهب أهل النظر من أهل التفسير.

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرِبَاعًا﴾:

لم يقل من طاب والسوجه في الآدميين أن يقال مَنْ، وفي الصفات وأسماء الأجناس أن يقال «ما». تقول: ما عندك؟ فيقول فرسٌ وطيبٌ، فالمعنى فانكحوا الطيب الحلال^(٤) على هذه العِدة التي وصفت^(٥)، لأن ليس كلُّ النساء طيباً، قال - عز وجل - : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي

(١) «حوب» يطلق على المصدر وعلى العمل.

(٢) خان حوباً أثم.

(٣) على المحذوف وهو كلمة نكاح.

(٤) أي انكحوا الأصناف التي تطيب وتحل لكم من النساء، فما هنا معبرة عن أجناس وصفات. وما

تستعمل لأنواع من يعقل.

(٥) أي عدد أقصاه أربع نساء.

أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ، وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ... ﴿١﴾ فَلَيْسَ مِمَّنْ ذَكَرَ مَا يَطِيبُ^(٢).

وقوله - عز وجل - ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾:

بدل من ﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾ ومعناه اثنين اثنين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، إلا أنه لا ينصرف^(٣) لجهتين لا أعلم أن أحداً من النحويين ذكرهما، وهي أنه اجتمع فيه علتان أنه معدول عن اثنين اثنين، وثلاث ثلاث، وأنه عدل عن تأنيث.

قال أصحابنا انه اجتمع فيه علتان أنه عدل عن تأنيث، وأنه نكرة، والنكرة أصل للأسماء، بهذا كان ينبغي أن نخففه^(٤). لأن النكرة تخفف ولا تعد فرعاً.

وقال غيرهم هو معرفة وهذا محال لأنه صفة للنكرة، قال الله - جل وعز -: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾^(٥). فهذا محال أن يكون أولي أجنحة الثلاثة والأربعة وإنما معناه أولي أجنحة ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة^(٦).

قال الشاعر: ^(٧)

(١) سورة النساء - ٢٣.

(٢) ليس بينهن من توصف بالطيب أو الصلاح للزواج.

(٣) جمهور النحويين البصريين على أنه مبني على الفتح في الكلمتين.

(٤) نمنعه الصرف.

(٥) سورة فاطر الآية ١.

(٦) فهي حال أو صفة، وفي كليهما لا تكون معرفة.

(٧) ساعدة بن جؤية يرثى ولده أبا سفيان، وأول القصيد:

ألا بات من حولي نياماً ورقد وعادوني حزني الذي يتجدد

والشاهد في البيت ورود مثنى وموحد خبراً. وتبغى أصله تبتغى حذفت منه إحدى التاءين، =

ولكنما أهلى بوادٍ أنيسه ذئابٌ تبغى الناسَ مثنى وموحدٌ
فإن قال قائل من الرافضة: (١) إنه قد أحل لنا تسع، لأن قوله: «مثنى
وثلاث ورُباع» يراد به تسع، قيل هذا يبطل من جهات، أحدها في اللغة أن
مثنى لا يصلح إلا لاثنتين اثنتين على التفريق.

ومنها أنه يصير أعشى (٢) كلام. لو قال قائل في موضع تسعة أعطيك
اثنتين وثلاثة وأربعة يريد تسعة، قيل تسعة تغنيك عن هذا، لأن تسعة وضعت
لهذا العدد كله، أعني من واحد إلى تسعة.

وبعد فيكون - على قولهم - من تزوج أقل من تسع أو واحدة فعاص (٣)
لأنه إذا كان الذي أبيع له تسعاً أو واحدة فليس لنا سبيل إلى اثنتين. لأنه إذا
أمرك من تجب عليك طاعته فقال أدخل هذا المسجد في اليوم تسعاً أو
واحدة، فدخلت غير هاتين اللتين حدّدهما لك من المرات فقد عصيته.

هذا قول لا يُعرج على مثله. ولكنّا ذكرناه ليُعلم المسلمون أن أهل هذه
المقالة مُباينون لأهل الإسلام في اعتقادهم، ويعتقدون في ذلك ما لا يشتهبه (٤)
على أحد من الخطأ.

= يقال تبغى الشيء إذا ابتغاه وطلبه. أي إن ابنه بوادٍ موحش به ذئاب كاسرة جماعات وأفراداً.
ولو كان إذ مات دفن مع أهله لهان خطبه بعض الهوان.
وساعدة من شعراء هذيل جاهلي مجيد شعره مليء بالغريب والمعاني الغامضة، ويصلح
للاستشهاد به في النحو واللغة.
والبيت في ديوان الهذليين ١ - ٢٧٧، والعيني ٤ - ٣٥٠ والقرطبي ٥ - ١٦، وابن يعين ٨ -
٥٧، وشواهد المغني ٣١٧.

(١) الرافضة فرقة من الشيعة سميت بذلك لأنها رفضت رأي زيد بن علي بن الحسين في صحة
خلافة أبي بكر وعمر: وانشقوا عليه. أما الزيدية فيفضلون علياً ولكنهم لا يتكرونها صحة خلافة
من قبله لأنهم يجيزون إمامة المفضل! انظر ضحى الإسلام ج ٣ / ١٣٦، ٢٧٥.
(٢) أضعف كلام وأوهنه تركيباً.
(٣) أي فهو عاص.

(٤) لا يلتبس.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾:

(فمعناه) ذلك أَقْرَبُ أَلَّا تَجُورُوا. وقيل في التفسير: أَلَّا تَمِيلُوا، ومعنى تميلوا تجوروا. فأما من قال: أَلَّا تَعُولُوا: أَلَّا تَكْثُرَ عِيَالُكُمْ، فزعم جميع أهل اللغة أَنَّ هذا خطأ، لأن الواحدة تعول^(١)، وإباحة كل ما ملكت اليمين أزيد في العيال من أربع، ولم يكن في العدد في النكاح حدًّا حين^(٢) نزلت هذه الآية.

والدليل على أنهم كانوا يرغبون في التزويج من اليتامى [لمالهنَّ] أنهم كانوا لا يبالون أَلَّا يَعْدِلُوا في أمرهم^(٣)، وقوله^(٤) - عز وجل - ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ، وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ﴾:

فالمعنى: وإن خفتم ألا تقسطوا في نكاح يتامى فأنكحوا الطيب الذي قد أحلَّ لكم من غيرهنَّ، والمعنى إن أمتم الجور في اليتامى فأنكحوا منهنَّ كهذه العدة، لأن النساء تشتمل على اليتامى وغيرهن.

وقوله: ﴿وَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾:

يقال هو صَدَاقُ المرأة، وَصُدُقَةُ المرأة، وَصُدُقَةُ المرأة. وَصَدَاقُ المرأة، مفتوح أولها، والذي في القرآن جمعُ صَدُقَةٍ. ومن قال صُدُقَةٌ قال صُدُقَاتِهِنَّ، كما يقول غُرْفَةٌ وَغُرُفَاتٌ، ويجوز صُدُقَاتِهِنَّ، وَصُدُقَاتِهِنَّ. بضم الصاد وفتح

(١) في الأصل يعولها، والمراد يكثر عيالها.

(٢) ط حتى نزلت هذه الآية، أي آية ﴿فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾. فهي التي حددت عدد الزوجات.

(٣) لا يعطونهن حقوقهن وتأكلون مالهن أيضاً.

(٤) أي وهذا دليل أيضاً. الأولى أن يكون التقدير في أمرهن، ويستفهم أن طمعهم كان حيفاً على الزوجات وأخوة الزوجات اليتامى.

الدال . ويجوز صُدَّقَاتِهِنَّ ، ولا تقرأنَّ من هذا إلا ما قد قرئ به لأن القراءة سنة لا ينبغي أن يقرأ فيها بكل ما يجيزه النحويون ، وإن تتبع فالذي روي من المشهور في القراءة أجود عند النحويين ، فيجتمع في القراءة بما قد روى الأتباع وإثبات ما هو أقوى في الحجة : إن شاء الله .

ومعنى قوله : ﴿نَحْلَةٌ﴾ :

فيه غير قول ، قال بعضهم فريضة ، وقال بعضهم ديانة ، تقول : فلان يتحلل كذا وكذا ، أي يدين به ، وقال بعضهم هي نحلة من الله لهن أن جعل على الرجال الصداق ، ولم يجعل على المرأة شيئاً من الغرم ، فتلك نحلة من الله للنساء يقال - نحلت الرجل والمرأة - إذا وهبت له - نحلة ونحلاً ويقال : قد نحل جسم فلان ونحل إذا دق^(١) . والنحل جائز أن تكون سميت نحلاً ، لأن الله جل ثناؤه نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها .

وقوله - جل وعز - ﴿فَإِنْ طُبِّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ :
أي عن شيء من الصداق .

و «لكم» خطاب للأزواج ، وقال بعضهم للأولياء ههنا . و «نفساً» منصوب على التمييز لأنه إذا قال : طُبِّنَ لكم ، لم يعلم في أي صنف وقع الطيب ، المعنى : فإن طابت أنفسهن بذلك .

وقد شرحناه قبل هذا المكان شرحاً وافياً^(٢) .

وقوله : ﴿فَكُلُّوْهُ هِنِيئًا مَرِيئًا﴾ :

يقال : هنائي الطعام ومرائي . وقال بعضهم : يقال مع هنائي مرائي ، فإذا لم تذكر هنائي قلت أمرائي بالآلف . وهذا حقيقته أن مرائي تبينت أنه

(١) بوزن علم ونصر في ما ضيه ومضارعه .

(٢) انظر ص ٣١٩ ج ١

سينهضم وأحمد مغبته، فإذا قلت أُمُرَانِي الطعام فتأويله أنه قد انهضم وحُمدت مغبته.

فإن قال قائل: إنما قيل: ﴿فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ فكيف يجوز أن يقبل الرجل المهر كله، وإنما قيل له منه.؟ فالجواب في ذلك أن «منه» ههنا للجنس^(١) لما قال عز وجل -: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾^(٢). فلم نُؤمر أن نجتنب بعض الأوثان، ولكن المعنى اجتنبوا الرجس الذي هو وثن. أي فكلوا الشيء الذي هو مهر.

وقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾:

قال بعضهم: السفهاء النساء والصبيان، وقال بعضهم: السفهاء اليتامى، والسفهاء يدل على أنه لا يعني به النساء وحدهن، لأن النساء أكثر ما يستعمل فيهن جمع سفهية [وهو] سفاهة، ويجوز سفهاء، كما يقال فقيرة وفقراء.

وقال بعضهم: معناه لا تهبوا للسفهاء، أموالكم، وهذا عندي - والله أعلم - غير جائز. كذلك قال أصحابنا البصريون بل السفهية أحق بالهبة لتعذر الكسب عليه، ولو مُنعنا من الهبة لهم لما جاز أن نُورثهم، وإنما معنى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾، لا تُؤْتُوا السفهاء أموالهم، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ وقوله: ﴿فَإِنْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾، وإنما قيل أموالكم لأن معناه الشيء الذي به قوام أمركم، كما قال الله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣) ولم يكن الرجل منهم يقتل نفسه،

(١) بيانية.

(٢) سورة الحج آية ٣٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٨٥.

ولكن كان بعضهم يقتل بعضاً، أي تقتلون الجنس الذي هو جنسكم.
وقرئت «اللاتي جعل الله لكم قياماً»، وقيماً. يقال: هذا قوام الأمر وملاكه.

المعنى: التي جعلها الله تقيمكم فتقومون بها قياماً، فهو راجع إلى هذا^(١)، والمعنى جعلها الله قيمة الأشياء فيها يقوم أمركم.

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾:

أي: علموهم - مع إطعامكم إياهم، وكسوتكم إياهم - أمر دينهم...
وقوله - عز وجل -: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾:

معناه: اختبروا اليتامى.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾:

معنى: «آنستم»: عَلِمْتُمْ، ومعنى «الرُّشد»: الطريقة المستقيمة التي تَقُونُ معها بأنهم يحفظون أموالهم، فاذفَعُوا إِلَيْهِمْ أموالهم.

﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا﴾:
أي مُبادرة كبرهم.

قال بعضهم لا تأكلوها إسرافاً، لا تأثَّلُوا منها^(٢)، وكلوا القوت على قدر نفعكم إياهم في توليكم عليهم.

وقال بعضهم:

معنى: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

أي يأكل قرضاً ولا يأخذ من مال اليتيم شيئاً، لأنَّ المعروف أن يأكل

(١) فهي إذن مفعول مطلق، وواضح أنها مفعول ثان لجعل.

(٢) لا تثروا: لا تأخذوا للثراء والغنى بل للكفاية.

الإنسان ماله، ولا يأكل مال غيره قال: والدليل على ذلك قوله: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾.

وقوله: عز وجل: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾.

كانت العرب لا تُورثُ إلا من طاعن بالرِّمَاحِ وزاد عن المال وحاز الغنيمة، فأعلم الله - عز وجل - أن حق الميراث على ما ذكر من الفرض.

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ ومعها بنات لها تُوفِّي أبوهنَّ وهوزوجها، وقد همَّ عما البنات بأخذ المال فتزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ الآية.

فقال العُمان: يا رسول الله أيرث من لا يُطاعن بالرِّمَاحِ ولا يزود عن المال ولا يحوزُ الغنيمة؟ فقال ﷺ: أعطيا البنات الثلثين، وأعطيا الزوجة - وهي أمهن - الثُّمن، وما بقي فلكما، فقالا: فمن يتولى القيام بأمرهما؟ فأمرهما النبي ﷺ أن يتوليا ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾:

هذا منصوب على الحال، المعنى لهؤلاء أنصبه على ما ذكرناها في حال الفرض، وهذا كلام مؤكَّد^(١) لأن قوله - جل ثناؤه - ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ معناه: إن ذلك مفروض لهنَّ.

وقوله - عز وجل -: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾:

[أي]. فاعطوهم منه.

(١) حال مؤكدة، لأن معناها معروف من قبل.

قال الحسن رحمة الله عليه، والنَّخَعِي (١): أدركنا الناس وهم يَقْسِمُونَ عَلَى الْقَرَابَاتِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْيَتَامَى مِنَ الْعَيْنِ، يَغْنِيَانِ الْوَرَقَ، وَالذَّهَبَ، فَإِذَا قُسِمَ الْوَرَقُ وَالذَّهَبُ وَصَارَتِ الْقِسْمَةُ إِلَى الْأَرْضَيْنِ وَالرَّقِيقِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، قَالُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا. كَانُوا يَقُولُونَ لَهُمْ: بورك فيكم.

وقال قوم: نَسَخَ الْأَمْرَ لِلْمَسَاكِينِ وَمَنْ ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْفَرَضُ فِي الْقِسْمَةِ، وَإِبَاحَةُ الثَّلَاثِ لِلْمَيِّتِ يَجْعَلُهُ حَيْثُ شَاءَ (٢).

قال أبو إسحق وقد أجمعوا أن الأمر بالقسمة من الميراث للقرابة والمساكين واليتامى قد أمر بهما، ولم يجمعوا على نسخها، والأمر في ذلك على ما أجمع عليه، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾.

الكلام في ذُرِّيَّةٍ بضم الذال، ويجوز ذُرِّيَّةٌ، - بكسر الذال، وقد قرئ بهما، إلا أن الضم أجود وهي منسوبة إلى الذر، وهي فُعْلِيَّةٌ منه (٣).

ويجوز أن يكون أصلها ذُرُورَةٌ، ولكن الراء أبدلت ياءً، وأدغمت الواو فيها (٤)، فأما الكسر في الذال فلكسر الراء كما قالوا في عُتَّى: عَتَّى.

وضِعَافٌ جمع ضعيف وضعيفة، كما تقول ظريف وظراف وخبيث

(١) النخعي هو إبراهيم بن يزيد، يكنى أبا عمران - من مدحج، من مشهوري التابعين والصلحاء وحفاظ الحديث، وكان له مذهب فقهي ينسب إليه، وكان من أعداء الحجاج واختفى منه ومات في اختفائه سنة ٩٦ هـ، وقال عنه الشعبي إذ علم بموته: ما ترك بعده مثله، وله ترجمة في الحلية ٤ - ٢١٩، وفي طبقات القراء ١ - ٢٩ وأحاديثه في كثير من كتب التاريخ.

(٢) يباح للمريض الفاني أن يهب من ماله أو يوصي منه فيما لا يزيد على الثلث.

(٣) انظر ص ٣٩٩ ج ١ تفسير ذرية بعضها من بعض.

(٤) أي بعد قلبها ياء.

وخبث. وإن قيل ضِعْفًا جاز، تقول ضعيف وضِعْفًا^(١).

قيل: ومعنى^(٢) الآية أنهم كانوا يُوصون بأموالهم على قَدَرِ أهوائهم، ويتركون ضعفة ذراريهم وأولادهم فأمرهم الله - عز وجل - أن يُوصُوا لهم، وأن يُجْزُوا ذلك من سداد. وقيل: قيل^(٣) لَهُمْ هَذَا بسببِ اليتامى. فوعظُوا في توليتهم اليتامى بأن يفعلوا كما يحبون أن يفعل بأولادهم من بعدهم.

وكلا القولين جائزٌ حسن، إلا أن تسمية الفرائض قد نسَخَ ذلك بما جعل من الأقسام للأولاد وذوي العصبة^(٤).

ثم خَوْفُ الله عز وجل وغلَطَ في أمر اليتامى وأوعَدَ فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

(يُقرأ)^(٥) «وَسَيُصْلَوْنَ».

في هذا - أعني في قوله «. يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى» - دليل أن مال اليتيم إن أُخِذَ منه على قدر القيام له ولم يتجاوز ذلك [جاز].

بل يستظهر فيه إن أمكن ألا يُقرب البتة لشدة الوعيد فيه، بأن لا يؤكل منه إلا قرضاً، وإن أُخِذَ الْقَصْدُ وَقَدَرُ الْحَاجَةِ على قَدَرِ نَفْعِهِ فلا بأس إن شاء الله^(٦).

(١) في الأصل كما يقال وفي ك - كما تقول.

(٢) ب وقيل في معنى الآية.

(٣) ط وإنما قيل.

(٤) تقديرها بتعيين حق كل ذي فرض أو عصبة من التركة.

(٥) ب فقط.

(٦) جملة فلا بأس هي جواب الشرط في إن أخذ منه، ولطول الكلام زدنا كلمة - جاز.

وقوله - عز وجل - ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ .

معنى «يُوصِيكُمُ» : يفرض عليكم ، لأن الوصية من الله - عز وجل - فرض ، والدليل على ذلك قوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾^(١) .

وهذا من المحكم علينا .

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ :

المعنى : يستقر^(٢) للذكر مثل حظ الأنثيين ، له الثلثان وللأنثى الثلث .

﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلَاثَا مَا تَرَكَ، وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ :

يجوز واحدةً وواحدةً ههنا ، وقد قرئ بهما جميعاً إلا أن النصب عندي أجود بكثير ، لأن قوله : ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ قد بين أن المعنى فإن كان الأولاد نساءً ، وكذلك ، وإن كانت المولودة واحدةً .

فلذلك اخترنا النصب ، وعليه أكثر القراءة .

فإن قال قائل إنما ذكر لنا ما فوق الثنتين وذكرنا واحدة فلم أعطيت البنات الثلثين فسوي بين الثنتين والجماعة؟ فقد قال الناس في هذا غير قول :

قال بعضهم : أعطيت البنات الثلثين بدليل لا تُفرض لهما مسمى^(٣) ، والدليل [هو] قوله : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ، إِنْ امْرَأُ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾^(٤) .

(١) سورة الأنعام : ١٥١ .

(٢) قدر فعلاً لتأثره بالمذهب الكوفي .

(٣) بدليل استتاجي لا يعين النص فيه نصيباً .

(٤) سورة النساء : ١٧٦ .

فقد صار للأخت النصف كما أنَّ للابنة النصف، ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ﴾^(١) فأعطيت البنتان الثلثين كما أُعْطِيَتِ الأختان، وأُعْطِيَتِ جملة الأخوات الثلثين قياساً على ما ذكر الله - عز وجل - في جملة البنات، وأعلم الله في مكان آخر أنَّ حظَّ الابنتين وما فوقَهُمَا حَظٌّ وَاحِدٌ في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ، وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ، فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾.

فدلت هذه الآية أنَّ حَظَّ الجماعة إذا كان الميراث مسمى حظ واحدة، وهذا أيضاً في العربية كذا قياسه لأن منزلة الاثنتين^(٢) من الثلاث^(٣) كمنزلة الثلاث من الأربع فالاثنتان جمع كما أنَّ الثلاث جمع، وصَلَاةُ الاثْنَيْنِ وَصَلَاةُ الاثْنَيْنِ جَمَاعَةٌ، والاثنتان يحجبان كما تحجب الجماعة. فهذا بين واضح.

وهذا جعله الله في كتابه يدل بعضه على بعض تفقيهاً لِلْمُسْلِمِينَ وتعليماً، ليعلموا فيما يحزبُهُمْ^(٤) من الأمور على هذه الأدلة.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد، وكذا قال إسماعيل بن إسحق - «أنه قال»^(٥): في الآية نفسها دليل أنَّ للبنتين الثلثين، لأنه إذا قال: للذكر مثل حَظِّ الأنثيين، وكان أوَّلُ العدد^(٦) ذكراً وأنثى، فللذكر الثلثان وللأنثى الثلث، فقد بان من هذا أنَّ للبنتين الثلثين^(٧)، والله قد أعلم أنَّ ما فوق الثنتين لهما الثلثان.

(١) أي بالقياس. (٢) ب الثنتين.

(٣) في الأصل من الثلاثة.

(٤) يحزبهم يههم، وفي ط يحزبهم وهو تحريف.

(٥) كذا في جميع الأصول.

(٦) أي أقل العدد.

(٧) لأن الواحدة لها الثلث.

وجميع هذه الأقوال التي ذكرنا حسن جميل بين، فأما ما ذُكر عن ابن عباس من أن البنتين بمنزلة البنت فهذا لا أحسبه صحيحاً عن ابن عباس وهو يَسْتَحِيلُ في القياس^(١) لأن منزلة الاثنين منزلة الجمع، فالواحد خارج عن الاثنين.

ويقال ثلث ورُبُع وسُدُس، ويجوز تخفيف هذه الأشياء لِثِقَلِ الضَّمِّ، فيقال ثلث ورُبُع وسُدُس. ومن زعم أن الأصل فيه التخفيف وأنه ثَقُلَ فخطأ، لأن الكلام موضوع على الإيجاز والتخفيف^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَأَبَوَاتُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ، فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرَثَهُ أَبَوَاهُ فَلَأُمُّهُ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأُمُّهُ السُّدُسُ﴾.

فالأم لها في الميراث تسمية من جهتين، تسمية السدس مع الولد، وتسمية السُدُس مع الأخوة، وتسمية الثلث إن لم يكن له ولد^(٣).

والأب يرث من جهة التسمية السدس، ويرث بعد التسمية على جهة التعصيب.

والأم يحجبها الأخوة عن الثلث فترث معهم السُدُس.

قال أبو إسحاق: ونذكر من كل شيء من هذا مسألة، إذ كان أصل الفرائض في الأموال والموارث في هذه السورة.

فإن مات رجل أو امرأة فخلفا أبوين، فللأم الثلث، والثلاثان الباقيان للأب. بهذا جاء التنزيل وعليه اجتمعت الأمة. فإن خلف الميت ولداً وكان

(١) في قواعد الميراث، والنصوص السابقة.

(٢) ط الأحاد. يريد أن الكلام لا يثقل بعد وضعه بل يخفف لكثرة الاستعمال.

(٣) فرض، أي لها فرض مع الأخوة وفرض مع أولاد الميت.

ذكرا فللأم السدس وللأب السدس، وما بقي فللابن، فإن خَلَفَ بنتاً وأبوين،
فللبنت النصف وللأم السدس، وما بقي للأب، يأخذ الأب سدساً بحق
التسمية، ويأخذ السدس الآخر بحق التعصيب.

فإن خَلَفَ الميت - وكانت امرأة - زوجاً وأبوين، فللزوجة النصف وللأم
ثلث ما بقي وللأب ثلثا ما بقي، وهو ثلث أصل المال.

وقد ذكر عن ابن عباس أنه كان يعطي الأم الثلث من جميع المال،
ويعطي الأب السدس. فيفضل الأم على الأب في هذا الموضع. والإجماع
على خلاف ما روي عنه.

وقال الذين احتجوا مع الإجماع^(١): لو أعلَمْنَا الله - عز وجل - أن المال
بين الأب والأم ولم يسم لكل واحد لوجب أن نقسمه بينهما نصفين، فلما
أعلَمْنَا الله - عز وجل - أن للأم الثلث علمنا أن للأب الثلثين، فلما دخل على
الأب والأم داخل أخذ نصف المال، دخل النقص عليهما جميعاً، فوجب أن
يكون الميراث للأبوين إنما هو النصف، فصار للأم ثلث النصف، وللأب ثلثا
النصف^(٢).

وقيل في الاحتجاج في هذا قول آخر:

قال بعضهم: إنما قيل: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾
ولم يرثه ههنا أبواه فقط، بل ورثه أبواه وورثه مع الأبوين غير الأبوين، فرجع
ميراث الأم إلى ثلث ما بقي^(٣).

(١) الذين على غير رأي ابن عباس.

(٢) أعطي الذكر مثل حظ الأنثيين، والأب في القياس السابق لضعفها.

(٣) حق الأم الثلث ما لم يكن هناك ولد أو إخوة. والأخوة هنا ردها إلى السدس ولم يأخذوا شيئاً.
فجعل هذا السدس لهم.

(٣) من أدلى للميت بجهة تحجبه تلك الجهة، والأخوة صلتهم الأبوان فلا يأخذون معهما.

وقال أصحاب هذا الاحتجاج: كيف تفضّل الأم على الأب^(١) والأخوة يمنعون الأم الثلث فيقتصر بها على السُدس، ويوفر الباقي^(٢) على الأب. فيأخذ الأب خمسة أسداس، وتأخذ الأم سُدساً.

فإن توفي رجلٌ أو امرأة، وخلف إخوة ثلاثة فما فوق، وأماً وأباً أخذت الأم السدس وأخذ الأب الباقي. هذا إجماع.

وقد روي عن ابن عباس في هذا شيء شاذ:

رَوَوْا أَنَّهُ كَانَ يُعْطِي الْإِخْوَةَ هَذَا السُّدْسَ الَّذِي مَنَعَ الْأَخَوَةَ الْأُمَّ أَنْ تَأْخُذَهُ، فَكَانَ يُعْطِي الْأُمَّ السُّدْسَ، وَالْإِخْوَةَ السُّدْسَ. وَيُعْطِي الْأَبَ الثَّلْثِينَ. وَهَذَا لَا يَقُولُهُ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ. وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْفُقَهَاءُ الْأَمْسَارُ أَنَّ الْأَخَوَةَ لَا يَأْخُذُونَ مَعَ الْأَبَوَيْنِ^(٣).

فإن توفي رجلٌ وخلف أخوين وأبوين، فقد أجمع الفقهاء أن الأخوين يحجبان الأم عن الثلث، إلا ابن عباس فإنه كان لا يحجب بأخوين. وحقته أن الله - عز وجل - قال: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدْسُ﴾^(٤). وقال جميع أهل اللغة إن الأخوين جماعة، كما أن الإخوة جماعة، لأنك إذا جمعت واحداً إلى واحد فهما جماعة، ويقال لهما إخوة.

وحكى سيبويه أن العرب تقول: قد وضعوا رحالهما، يُريدون رحلَيْهما، وما كان الشيء منه واحداً فتشيتُه جمع، لأن الأصل هو الجمع، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾^(٥).

وقال: ﴿لِأَبَوَيْهِ﴾ لأن كل واحد منهما قد ولد.

(١) في الأصل: على أب.

(٢) في الأصل: السدس.

(٣) أي أن الثلث للأم إن لم يكن للميت ولد. وهنا له ولد.

(٤) وهم هنا اثنان لا جماعة.

(٥) سورة التحريم آية ٤.

والأصل في «أم» أن يقال «أَبَّة»^(١)، ولكن استُغْنِيَ عنها بأم. وأبوان تشنية أب، وأبة، وكذلك لو ثبتت ابناً وابنة، - ولم تخفِ اللبس - قلت: ابنان. ﴿فَلَامَهُ﴾:

تقرأ بضم الهمزة وهي أكثر القراءات، وتقرأ بالكسر «فَلَامَهُ»، فأما إذا كان قبل الهمزة غير كسرٍ، فالضَّمُّ لا غيرٌ، مثل قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾^(٢) لا يجوز وإمَّه، وكذلك قوله: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾^(٣)، وإنما جاز «لِإِمَّه»^(٤)، [و] ﴿فِي إِمَّهَارَسُولًا﴾^(٥) بالكسر، لأن قبل الهمزة كسرة، فاستثقلوا الضمة بعد الكسرة، وليس في كلام العرب مثل: «فَعُل» بكسر الفاء وضمَّ العين، فلما اختلطت اللام بالاسم^(٦) شُبَّهَ بالكلمة الواحدة، فأبدل من الضمة كسرة. ومن قال: ﴿فَلَامَهُ﴾ - بضم الهمزة. أتى بها على أصلها، على أن اللام تقديرها تقدير الانفصال.

وقوله عز وجل: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾:

أي إن هذه الأنصبة إنما تجب بعد قضاء الدين، وإنفاذ وصية الميت في ثلثه.

فإن قال قائل: فلم قال أَوْ دَيْنٍ، وهلا كان «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا وَدَيْنٍ»، فالجواب في هذا أن «أو» تأتي للإباحة^(٧)، فتأتي لواحد واحدٍ على

(١) مؤنث أب.

(٢) سورة المؤمنون ٥٠.

(٣) سورة المجادلة ٢.

(٤) من الآية فلأمه الثلث.

(٥) سورة القصص ٥٩: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا﴾.

(٦) انصلت لام الجربأم.

(٧) سبق أنه يطلق الإباحة على التنوين - راجع الآية ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ص ٩٤ ج ١.

أنفراد، وتضم الجماعة فيقال جالس الحسن أو الشعبي، والمعنى كل واحد من هؤلاء أهل أن يجالس، فإن جالست الحسن فأنت مصيب^(١)، ولو قلت جالس الرجلين فجالست واحداً منهما وتركت الآخر كنت غير متبع ما أمرت به.

فلو كان «من بعد وصية يوصي بها وذین»^(٢) احتمال اللفظ أن يكون هذا إذا اجتمعت الوصية والدين، فإذا انفردا كان حكم آخر، فإذا كانت «أو» دلّت على أن أحدهما إن كان. فالميراث بعده، وكذلك إن كانا كلاهما^(٣)

وقوله - عز وجل -: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾:

في هذا غير قول:

أما التفسير فإنه يروى أن الابن إن كان أرفع درجةً من أبيه في الجنة سأل أن يرفع إليه أبوه فيرفع، وكذلك الأب إن كان أرفع درجةً من ابنه سأل أن يرفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعاً.

أي إن الله - عز وجل - قد فرض الفرائض على ما هي عنده حكمة، ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع في الدنيا، فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

أي عليم بما يصلح خلقه - حكيم فيما فرض من هذه الأموال وغيرها.
وقوله: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾.

(١) أي وإن جالست الشعبي فأنت مصيب، وإن جالستهما فأنت مصيب

(٢) أي لو كان التعبير هو هذه الجملة.

(٣) إن وجدا.

منصوب على التوكيد والحال من . . . ولأَبَوَيْهِ . . . [أي] ولهؤلاء الورثة ما ذكرنا مفروضاً. ففريضة مؤكدة لقوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾.

ومعنى ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾: فيه ثلاثة أقوال:

قال سيبويه: كَانَ القوم شاهداً علماً وحكمة ومغفرة وتفضلاً، فقليل لهم إِنَّ اللَّهَ كان كذلك ولم يزل، أي لم يزل على ما شاهدتم.

وقال الحسن: كان عليماً بالأشياء قبل خلقها، حكيماً فيما يقدر تدبيره منها.

وقال بعضهم: الخبر عن الله في هذه الأشياء بالمُضِيِّ، كالخبر بالاستقبال والحال، لأن الأشياء عند الله في حال واحدة، ما مضى وما يكون وما هو كائن.

والقولان الأولان هما الصحيحان لأن العرب خوطبت بما تعقل، ونزل القرآن بلغتها فما أشبه من التفسير كلامها فهو أصح، إذ كان القرآن بلغتها نزل.

وقال بعضهم: الأب تجب عليه النفقة للابن إذا كان محتاجاً إلى ذلك، وكذلك الأب تجب نفقته على الابن^(١) إذا كان محتاجاً إلى ذلك، فهما في النفع في هذا الباب لا يدرى أيهما أقرب نفعاً.

والقول الأول هو الذي عليه أهل التفسير . .

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾:

يقرأ يُورث ويُورث . . بفتح الراء وكسرها . . فمن قرأ يُورث - بالكسر - [فكلالة] . . مفعول، ومن قرأ «يُورث» فكلالة منصوب على الحال.

زعم أهل اللغة أن الكلالة من قولك «تكلمه النسب، أي لم يكن الذي

(١) تجب له النفقة على ابنه.

يَرُثُهُ ابْنَهُ وَلَا أَبَاهُ. والكلالة سوى الولدِ والوالدِ^(١)، والدليل على أن الأب ليس بكلالة قول الشاعر:

فإن أبا المرءٍ أحمى له ومولى الكلالة لا يغضبُ^(٢)
وإنما هو كالإكليل الذي على الرأس. وإنما استدلَّ على أن الكلالة ههنا الإخوة للأم دون الأب بما ذكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين^(٣) وأن للإخوة كل المال، فعلم ههنا لما جُعِلَ للواحد السُدُسُ، وللأختين الثلث، ولم يَزَادُوا على الثلث شيئاً ما كانوا، عُلِمَ أنه يعني بهم الإخوة للأم.
فإن ماتت امرأةٌ وخلفت زوجاً وأمّاً وإخوةً للأم فللزوجة النصف^(٤) وللأم السدس، وللإخوة من الأم الثلث.

فإن خلفت زوجاً وأمّاً وإخوةً لأبٍ وأمٍّ وإخوةً للأم فإن هذه المسألة يسميها بعضهم المسألة المشتركة، وبعضهم يسميها الحمارية. قال بعضهم: إن الثلث الذي بقي للإخوة للأم دون الإخوة للأب والأم، لأن لهؤلاء الذين للأم تسمية وهي الثلث وليس للإخوة للأب والأم تسمية، فأعطيناهم الثلث.
كما أنه لو مات رجلٌ وخلف أخوين للأم، وخلف مائة أخ لأبٍ وأمٍّ لأعطي الأخوان للأم الثلث وأعطي المائة الثلثين، فقد صار الإخوة للأم يفضلون في الأنصبة الإخوة للأب والأم الأشقاء.
وقال بعضهم: الأم واجدة^(٥).

(١) كذا قال الفراء - الكلالة ما سوى الولد والوالد.

(٢) أي أبو المرء أغضب له إذا ظلم، ومولى الكلالة وهم الأخوة والأعمام وسائر القرباء لا يغضبون من أجله غضب الوالد. (اللسان كلل).

(٣) ط بأن ذكرت في آخر... بأن للأختين.

(٤) في الأصل الربع وهو خطأ.

(٥) الأشقاء والذين للأم أهمهم واحدة: فلا ينبغي أن يفضل الذين للأم فقط. وقد احتكم قوم لهم مثل هذه الحالة - إلى عمر بن الخطاب، وقال أحد الأشقاء: هب أن أبانا كان حماراً أو حجراً. فنقض لهم بالشركة ومن هنا أخذت المسألة هذا الاسم.

وسموا الحمارية بأن قالوا: هَبْ أَبَاهُمْ كَانَ حِمَاراً واشتركوا بينهم،
فسميت المشتركة.

وقوله عز وجل: غَيْرَ مُضَارٍ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ.

غير منصوب على الحال. المعنى يوصي بها غير مضار، فمنع الله
عز وجل من الضرر في الوصية. وروي عن أبي هريرة: من ضار في وصية
ألقاه الله في واد من جهنم أو من نار، فالضرار راجع في الوصية إلى
الميراث.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

أي عليم ما دبر من هذه الفرائض، حلیم عَمَّنْ عصاه بأن أخره وقبل
توبته.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾.

أي الأمكنة التي لا ينبغي أن تتجاوز.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

أي يقيم حدوده على ما حد.

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

أي يدخلهم مقدرين الخلود فيها، والحال يستقبل بها، تقول: مررت به
معه بازٍ صائداً به غداً، أي مقدر الصيد به غداً.

﴿وَمَنْ يُعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾.

أي يجاوز ما حده الله وأمر به.

﴿يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا﴾.

خالداً من نعت النار، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال أي يدخله
مقدراً له الخلود فيها.

وقوله جل وعز: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾.

الفاحشة الزنا، والتي يُجْمَعُ اللاتِي، واللواتي، قال الشاعر: (١)
من اللواتي والتي واللاتي زَعَمَنْ أَنِّي كَبَرْتُ لِدَاتِي
ويجمع اللاتي بإثبات الياء ويُحذف الياء، قال الشاعر:

من اللاءِ لم يحججن يبغيْنَ حِسْبَةً ولكن ليقتلن البريء المغفلاً (٢)
﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾.

أي من المسلمين.

﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

هذا كان الفرض في الزنا قبل أن ينزل الجلد، ويأمر النبي - ﷺ -
بالرَّجْم، فكان يُحبَس الزانيان أبداً.

وقال بعضهم: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ هو الحد الذي نسخ التخليد
في الحبس والأذى.

﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا﴾.

(١) لا يعرف القائل، ولكن البيت من شواهد النحو الشائعة يريد أنه أصبح من غير سنهن. والبيت في اللسان (لتي)، والقرطبي ٥ - ٨، ومجاز أبي عبيدة ١ - ١١٩ ومقدمة «الشعر والشعراء» ٣٥ ط ليدن.

(٢) من شعر العرجي كما في الأغاني ١٩ - ٢١٦، ٢١٧، وفي زهر الآداب ح ١ - ٢١٠ للحرث المخزومي، وهو مستبعد، وكلا الشاعرين من شعراء الغزل. أما الحرث فهو ابن خالد ابن هشام بن العاصي وجده كان رقا لأبي لهب لأنه غلبه في قمار - وقتل يوم بدر. وكان الحرث يهوى عائشة بنت طلحة وله فيها أشعار.

وأما العرجي فهو عبد الله بن عمرو حفيد عثمان بن عفان - رضي الله عنه كان يسكن عرج الطائف فلقب به، كان من الفرسان الشجعان ولكنه كان مشغولاً باللهو والصيد، ونحا منحى عمر بن أبي ربيعة في مجونه.

قال بعضهم: كان الحبس للثيبين، والأذى للبكرتين، يوبخان، فيقال لهما زنيتما وفجرتما وانتهكتما حرمت الله، وقال بعضهم: نسخ الأذى لهما مع الحبس، وقال بعضهم: الأذى لا ينبغي أن يكون منسوخاً عنهما إلا أن يتوبا، وإن قوله عز وجل: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١). هو من التوبيخ لهما بأن يفضحا على رؤوس الملأ.

أما ما سلف مما كان في أمر الفاجرين فقد استغنى عنه إلا أن الفائدة فيه أن الشهادة لم تزل في الزنا شهادة أربعة نفر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾.

ليس معناه أنهم يعملون سوء وهم جهال، غير مُمَيِّزِينَ فإن من لا عقل له ولا تمييز لا حدَّ عليه، وإنما معنى بجهالة أنهم في اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية جهال. فليس ذلك الجهل مسقطاً عنهم العذاب. لو كان كذلك لم يعذب أحدٌ ولكنه جهل في الاختيار.

ومعنى ﴿يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ يتوقفون قبل الموت، لأن ما بين الإنسان وبين الموت قريب، فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾: - إنما لم تكن له التوبة، لأنه تاب في وقت لا يمكن الإقلاع بالتصرف فيما يحقق التوبة^(٢).

﴿أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

أي مؤلماً موجعاً، والمؤلم الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ.

(١) سورة النور آية ٢.

(٢) تتحقق التوبة بالإقلاع عن الإثم والشخص قادر على ارتكابه، وعند حضور الموت لا يستطيع الشخص ذلك.

وقوله - عز وجل - :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾.

معناه تكرهوهن على التزويج بكم^(١).

وهذه نزلت لأنهم كانوا إذا مات زوج المرأة ولَّه ولَدٌ من غيرها ضَرَبَ ابنه عليها حجاباً، وقال: أنا أحقُّ بها، فتزوجها على العقد الذي كان عقده^(٢) أبوه من تزوجها ليرثها ما ورثت من أبيه^(٣)، فأعلم الله - عز وجل - أن ذلك حرام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾.

هؤلاء غير أولئك.

حرم الله أن تُعْضَلَ المرأة، ومعنى تعضل تحبس عن التزوج. كان الرجل منهم إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حَبَسَهَا لتفتدى منه، فأعلم الله عز وجل - أن ذلك لا يحل.

و«تعضلوهن» يصلح أن يكون نَصَباً ويصلح أن يكون جزماً. أما النصب فعلى: أن لا يحل لكم أن تَرِثُوا النِّسَاءَ وَلَا أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ، ويصلح أن يكون جزماً على النَّهْيِ.

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾.

والفاحشة الزنا.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

أي بالنصفة في المبيت والنفقة، والإجمال في القول.

(١) (ط) لكم عقداً لنفسه.

(٢) أي لا يعقد عليها عقداً لنفسه اكتفا بعقد أبيه.

(٣) ط عن أبيه.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾.

معناه إذا أردتم تخلية المرأة، إذا أراد^(١) الرجل^(٢) أن يستبدل مكانها ولم تُردْ، هذا شَدَّدَ اللَّهُ فيه بقوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾.

﴿وَأْتَيْتُمُ إِيَّاهُنَّ قَنَاطِرًا [فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا]﴾.

القنطار المال العظيم، وقد بينا ما قاله الناس فيه في سورة آل عمران^(٣).

وقوله - عز وجل: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾.

فحرم الله الأخذ من المهر على جهة الإضرار بقوله: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

والبهتان الباطل الذي يُتَحَيَّرُ من بُطلانه، وبهتان حال موضوعة في موضع المصدر^(٤)، المعنى أَتَأْخُذُونَهُ مُبَاهِتِينَ وَآثِمِينَ.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾.

الإفضاء أصله الغشيان، وقال بعضهم إذا خلا فقد أفضى، غشي أو لم يغش.

﴿وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

(١) (ب) أراد الرجل أن يستبدل مكانها أو لم يرد.

(٢) ط أراد أن يستبدل الرجل.

(٣) انظر ص ٣٨٢ - ٣٨٣ الآية: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾.

(٤) كونها تمييزاً أوضح ولا حاجة فيه لتأويلها بمشتق - أي تأخذونه على جهة البهتان. أو هو مفعول لأجله.

قال بعضهم: هو عقد المهر، وقال بعضهم: الميثاق الغليظ قوله: ﴿فَامْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾^(١) و[قوله] ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾^(٢) والتسريح بإحسان لا يكون بأن تأخذ منها مهرها. هذا تسريح بإساءة لا بإحسان.

وقوله - جلّ وعزّ - ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾. المعنى: لا تنكحوا كما كان من قبلكم ينكح ما نكح أبوه، فهذا معنى ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾.

المعنى إلا ما قد سلف فإنه كان فاحشةً، أي زناً ومفتناً. والمقت أشد البغض. ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

أي وبشّ طريقاً. «أي ذلك الطريق بشّ طريقاً»^(٣).

فالمعنى أنهم أعلموا أن ذلك في الجاهلية كان يقال له مقت، وكان المولود عليه يقال له المقتي. فأعلموا أن هذا الذي حرم عليهم لم يزل منكراً في قلوبهم ممقوتاً عندهم.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد: جائز أن تكون «كان» زائدة، فالمعنى على هذا: إنه فاحشة ومقت، وأنشد في ذلك قول الشاعر:^(٤)

(١) سورة البقرة - ٢٢٩.

(٢) ط هذا التسريح.

(٣) ليست في ط.

(٤) البيت للفرزدق بمدح هشام بن عبد الملك من قصيدة في ديوانه - ٢٣٧ - ومن شواهد النحو الشائعة، وهو في الخزانة ٤ - ٣٧ وشواهد المغني ٢٣٦، واللسان «كون» والقرطبي ١١ - ١٠٢، والمعني ١ - ٤٢ وتوضيح ابن هشام.

فكيف إذا حللتُ بدار قومٍ وجيرانٍ لنا كانوا كرامٍ
قال أبو إسحق: هذا غلط من أبي العباس، لأنَّ «كان» لو كانت زائدة
لم تنصب خبرها. والدليل على هذا البيت الذي أنشده:
وجيران لنا كانوا كرام
ولم يقل: كانوا كراماً^(١).

وقوله: -جلٌ وعزٌّ-: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ
وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾.

هذا يسمى التحريم المبهم، وكثيرٌ من أهل العلم لا يفرق في المبهم
وغير المبهم تفريقاً مقنعاً، وإنما كان يسمى هذا المبهم من المحرمات لأنه لا
يحل بوجه ولا سبب، والأحقُّ به ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ
الرَّضَاعَةِ﴾: والرضاعة قد أدخلت هذه المحرمات في الإبهام.
﴿وَأُمَّهَاتُ نَسَائِكُمْ﴾.

قد اختلف الناس في هذه فجعلها بعضهم مبهمة وجعلها بعضهم غير
مبهمة. فالذي جعلها مبهمة قال إنَّ الرجل إذا تزوج المرأة حرمت عليه أمُّها
دخل بها أو لم يدخل بها. واحتج بأنَّ ﴿اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ إنما هو متصل
بالربائب^(٢).

وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَأُمَّهَاتُ نَسَائِكُمْ﴾ من المبهمة^(٣).

(١) كان في الآية «كان فاحشة» نصبت خبرها، فهي ليست زائدة، أما في البيت فلم تنصب خبراً،
فهي زائدة، والذي عليه النحويون هو أن في البيت تقديمًا وتأخيراً فقط. ولا زيادة، والتقدير:
وجيران كرام كانوا لنا. أي هم ليسوا جيراناً الآن..

(٢) أي هو قيد في الربائب لا غير.

(٣) من المتشابه الذي لم يعرف معناه.

﴿وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نَسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: ﴿اللاتي دخلتم بهنَّ﴾ نعت للنساء اللواتي هن أمهات الرباب لا غير، قال: والدليل على ذلك إجماع الناس أن الريبة تحل إذا لم يُدخل بأمها، وأن من أجاز أن يكون قوله: ﴿من نسائكُمُ اللَّاتِي دخلتم بهنَّ﴾ هو لأمهات نسائكُم، يكون المعنى [على تقديره] وأمّهات نسائكُم من نسائكُم اللاتي دخلتم بهنَّ.

فيخرج أن يكون اللاتي دخلتم بهنَّ لأمهات الرباب.

والدليل على أن ما قاله أبو العباس هو الصحيح أن الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحداً. لا يميز النحويون: مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات، على أن تكون الظريفات نعتاً لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء. والذين قالوا بهذا القول أعني الذين جعلوا أمهات نسائك بمنزلة قوله: ﴿من نسائكُم اللاتي دخلتم بهنَّ﴾ إنما يجوز لهم أن يكون منصوباً على «أعني» فيكون المعنى أعني اللاتي دخلتم بهنَّ، وأن يكون ﴿وأمهاتُ نسائكُم﴾ تمام هذه التحريمات المبهمة، ويكون الرباب هن اللاتي يحلن إذا لم يُدخل بأمهاتهنَّ قط دون أمهات نسائكُم هو الجيد البالغ.

فأما الريبة فبنت امرأة الرجل من غيره، ومعناها مربوبة^(١)، لأن الرجل هو يربُّها، ويجوز أن تسمى ربيبة لأنه تولى تربيتها، كانت في حجره أولم تكن تربت في حجره، لأن الرجل إذا تزوج بأمها سمي ربيبتها، والعرب تسمي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه، فيقولون: هذا مقتول وهذا ذبيح، أي قد وقع بهم ذلك. وهذا قاتل أي قد قتل، وهذه أضحية آل فلان لما قد

(١) مرباة - يربها زوج أمها.

ضَحَّوْا بِهِ، وكذلك هذه قُتُوْبَةٌ، وهذه حلوبة، أي ما يقتب ويُحلب^(١).

وقوله: ﴿وَجَلَّأْتُ أَبْنَاءَكُمْ﴾.

جمع حليلة وهي امرأة ابن الرجل، لا تحل للأب، وهي من المبهمات^(٢) وحليلة بمعنى مُحَلَّة. مشتق من الحلال.

﴿وَأِنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾.

«أَنْ»^(٣) في موضع رفع، المعنى حرمت هذه الأشياء والجمع بين الأختين.

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

المعنى سوى ما قد سلف فإنه مغفور لكم.

وقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

القراءة بالفتح. قد أُجْمِعَ^(٤) على الفتح في هذه، لأن معناها اللاتي أُحْصِنَ بالأزواج. ولو قرئت والمُحْصَنَاتُ لجاز، لأنَّهُنَّ يُحْصِنُ فزوجهن بأن يتزوجن. وقد قرئت التي سوى هذه «المُحْصَنَاتِ» و«وَالْمُحْصَنَاتِ».

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

أي إِنْ مَلَكَ الرجلُ محصنة في بلاد الشرك فله أن يطأها، إِلَّا أَنْ جَمِيعُ الوطءِ لَا يَكُونُ فِي مَلَكَ الْيَمِينِ إِلَّا عَنِ اسْتِبْرَاءٍ، وقد قال بعضهم: إِنْ الرَّجُلُ إِذَا مَلَكَ جَارِيَةً وَكَانَتْ مَتَزَوِّجَةً فَبَيْعُهَا وَمَلَكَهَا قَدْ أَحَلَّ فَرْجَهَا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ

(١) ناقة مقتوية. وضع عليها القتب، وحلوبة تحلب ومثله: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءُ﴾، أي محملة أو مركوبة فهي فعول بمعنى مفعول ولهذا دخلتها الناء.

(٢) لا ينبغي أن تكون مبهمة. لأن حليلة الولد تحل له بالعقد الصحيح وتحرم على أبيه به.

(٣) من ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾.

(٤) ط هذا قد أجمع. والمراد فتح الصاد.

أُخْصِنَتْ فِي بِلَادِ الشَّرْكِ، وَالتَّفْسِيرُ عَلَى مَا وَصَفْنَا فِي ذَوَاتِ الْأَزْوَاجِ فِي الشَّرْكِ.

وقوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

منصوب على التوكيد محمول على المعنى، لأن معنى قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾: كتب الله عليكم هذا كتاباً كما قال الشاعر:

وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالٍ

لأن معنى رُضْتُ أَذَلَّتْ^(١).

وقد يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر، ويكون ﴿عليكم﴾ مفسراً له، فيكون المعنى الزموا كتاب الله. ولا يجوز أن يكون منصوباً بـعليكم، لأن قولك: عَلَيْكَ زَيْدًا، ليس له نَاصِبٌ متصرف فيجوز تقديم منصوبه^(٢)، وقول الشاعر:

يَا أَيُّهَا الْمَاتِحُ دَلْوِي دُونْكَ إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ^(٣)

يجوز أن يكون «دلوي» في موضع نصب بإضمار خُذْ دَلْوِي، ولا يجوز على أن يكون دُونْكَ دلوي لما شرحناه.

(١) من مطولة امرئ القيس التي أولها: أَلَا أَنْعَمُ صَبَاحاً أَيُّهَا الطُّلَلُ الْبَالِي وَمُصَدَّرُ الْبَيْتِ:

وَعَجْنَا إِلَى الْحَسَنِ وَرَقَ حَدِيثَنَا

وَالْبَيْتُ مِنَ الشَّوَاهِدِ الشَّائِعَةِ وَهُوَ فِي الدِّيْوَانِ ١٥٣ مِنَ السِّتَةِ.

(٢) أي ليس ناصبة متصرفاً حتى يجوز تقدمه عليه.

(٣) ينسب لرجل من بني أسيد بن عمرو من تميم، ويروى أيها، ويأياها، والماتح من المبح، وهو أن ينزل الرجل البئر فيملأ الدلو، ثم يرفعه شخص آخر، ويروى الماتح من المتح وهو نزع الماء.

انظر الخزانة ٣- ١٧، ومعاني القرآن ١ - ٢٦٠، وشرح التبريزي لديوان الحماسة ٢٧٠ ط ليون.

ويجوز أن يكون «دَلُوي» في موضع رفع، والمعنى هذا دلوي دونكا.
ويجوز أن يكون ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ رفعاً على معنى هذا فرض الله عليكم، كما قال جلّ وعزّ: ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ﴾^(١).
وقوله: ﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾.
وَأَحِلَّ أَيضاً يُقرآن جميعاً، ومعنى ما وراء ذلكم، ما بعد ذلكم، أي ما بعد هذه الأشياء التي حرمت حلال، على ما شرع الله، إلا أن السنة قد حرمت تزوّج المرأة على عمتها، وكذلك تزوجها على خالتها، ولم يقل الله - عز وجل -: لا أحرم عليكم غير هذا، وقال عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾^(٢).

وَأَتَوْهُمْ أَنَّ الْخَالَةَ كَالْوَالِدَةِ، وَأَنَّ الْعَمَّةَ كَالْوَالِدِ، لأن الوالد في وجوب الحق كالوالدة، وتزوجها على عمتها وخالتها من أعظم العقوق.

وقوله عز وجل: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾.
نصب وإن شئت رفع^(٣).

المعنى أجل لكم أن تبتغوا مُحْصِنِينَ غير مُسَافِحِينَ.

أي عاقدین التزويج غير مسافحين. أي غير زناة، والمسافح والمسافحة الزانيان غير المُتَمَتِّعِينَ مِنَ الزَّنا، فإذا كانت تزني بواحد فهي ذات خدن.

فحرم الله الزنا على الجهات كلها، على السفاح وعلى اتخاذ الصديق..

وَالْإِحْصَانُ إِحْصَانُ الْفَرْجِ وَهُوَ إِعْقَافُهُ، يقال امرأة حَصَانٌ بينة الحصن،

(١) سورة الأحقاف آية ٣٥.

(٢) سورة الحشر آية ٧.

(٣) الفعل «أجل» استوفى مفعوله، وهو «ما وراء ذلكم». فالمصدر «ما» منصوب أو بدل من نائب الفاعل.

وفرس حصان بينة (التحصن)^(١) والتحصين وبناء حصين بين الحصانة. ولو قيل في كله الحصانة لكان بإجماع.

والسفاح في الزنا اشتق من قولهم سفحت الشيء إذا صببته، وأمر الزنا سفاح لأنه جارٍ على غير عقد، كأنه بمنزلة السفوح الذي لا يجسه شيء. وقوله: ﴿فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة﴾.

هذه آية قد غلط فيها قوم غلطاً عظيماً جداً لجهلهم باللغة. وذلك أنهم ذهبوا إلى أن قوله: ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ من المتعة التي قد أجمع أهل الفقه أنها حرام.

وإنما معنى قوله: ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ أي فما نكحتموه، على الشريطة التي جرت في الآية، آية الأحصان: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ﴾، أي عاقدين التزويج الذي جرى ذكره.

﴿فاتوهن أجورهن فريضة﴾.

أي مهورهن، فإن استمتع بالدخول بها أعطى المهر تاماً، وإن استمتع بعقد النكاح أتى نصف المهر.

والمَتَاعُ في اللغة كل ما انتفع به، فهو متاع. وقوله عز وجل، في غير هذا الموضع: ﴿ومتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسَعِّفِ قَدْرَهُ﴾^(٢) ليس بمعنى زَوَّجُوهُنَّ الْمُتَّعَ، إنما المعنى أعطوهن ما يَسْتَمْتِعْنَ به، وكذلك قوله: ﴿للمطلقات متاع بالمعروف﴾^(٣). ومن زعم أن قوله: ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ المتعة التي هي الشرط في التمتع الذي تعمله الرافضة فقد أخطأ خطأ عظيماً، لأن الآية واضحة بينة.

(١) ليست في ط.

(٢) سورة البقرة آية ٢٤١.

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٦.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ
الْفَرِضَةِ﴾.

أي لا إثم عليكم في أن تهب المرأة للرجل مهرها، أو يهب الرجل
للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب إلا لمن دخل بها.
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

أي عليماً بما يصلح أمر العباد - حكيماً فيما فرض لهم من عقد النكاح
الذي حفظت به الأموال والأنساب.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ
الْمُؤْمِنَاتِ﴾.

المحصنات هن الحرائر، وقيل أيضاً العفائف، وقد قال بعض أصحابنا:
إنهن الحرائر خاصة. وزعم من قال إنهن العفائف: حُرِّمَ على الناس أن
يتزوجوا بغير العفيفة، وليس ينبغي للإنسان أن يتزوج بغير عفيفة، واحتج قائل
هذا القول بأن قوله عز وجل: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرَكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا
يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) منسوخ، وأن قوله:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾^(٢): يصلح أن يكون يتزوج الرجل من أحب
من النساء.

والدليل على أن المحصنات هن العفائف قوله: ﴿ومريم ابنة عمران
التي أحصنت فرجها﴾^(٣) أي أعقَّت فرجها.

(١) سورة النور آية ٣.

(٢) سورة النور آية ٣٢.

(٣) سورة التحريم ١٢.

والطَّوْلُ: القدرة على المهر. فقلوه: ﴿ومن لم يستطع منكم طَوْلاً﴾، أي من لم يقدر على مهر الحرة، يقال: قد طال فلان على فلان طَوْلاً، أي كان له فضل عليه في القدرة، وقد طال الشيء يطول طَوْلاً، وأطلته إطالةً، وقد طال طَوَّلَكَ وَطَّيَّلَكَ، وطَّيَّلَكَ أي طالت مدتك، قال الشاعر: (١)

إِنَّا مَحْيُوكَ فَاَسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلُّ وَإِنْ بَلَغَتْ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ
والطَّوْلُ الحبل، وقال الشاعر:

(تعرض المَهْرَةُ بالطَّوْل) (٢)

اللام مشددة للقافية.

وقوله عز وجل: ﴿فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾.

الفتيات المملوكات، العرب تقول للأمة فتاة، وللعبد فتى أي من لم يقدر أن يتزوج الحرة جازله أن يتزوج المملوكة إذا خاف على نفسه الفجور.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾.

أي اعملوا على ظاهركم في الإيمان، فإنكم متعبدون بما ظهر من بعضكم لبعض.

وقوله - عز وجل - ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

(١) القطامي. اللسان (طول). وهو عمير بن شيم بن عمرو بن عباد بن بكر من تغلب شاعر مشهور فحل ولكنه مقل - كان نصرانياً فأسلم. (انظر اللسان - (طول)، وروايته به الطول، وانظر شواهد المغني ٢٢٣. المطبعة البهية.

(٢) لمنظور بن مرثد الأسدي، وفي (ب): في الطول. وقبلة:

تعرضت لي بمكان حل تعرض المَهْرَةُ بالطول

تعرضاً لم نأل عن قتلى

فشدد للضرورة، انظر الخزانة ٥٨٦/٣، معاني الفراء ٢٦٢/١ - واللسان (قتل) - وابن يعيش ٨٢/٩، ٤٦/١٠، ومعه أبيات أخرى.

قيل في الحَسَبِ أي كلكم ولد آدم، ويجوز أن يكون قوله:

﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ دينكم واحد لأنه ذكر ههنا المؤمنات من العبيد، وإنما قيل لهم ذلك لأن العرب كانت تطعن في الأنساب، وتفخر بالأحساب وتعير بالهَجَنَةِ، كانوا يُسمُّون ابن الأَمة الهَجِين، فأعلم الله - عز وجل - أن أمر العبيد وغيرهم مستوفى الإيمان، وإنما كره^(١) التزويج بالأمة إذا وُجدَ إلى الحرة سبيل، لأن ولد الحر من الأمة يصيرون رقيقاً، ولأن الأمة مستخدمة ممتنة لكثير عشرة الرجال، وذلك شاق على الزوج، فلذلك كره تزويج الحر بالأمة. فأما المفاخرة بالأحساب والتعير بالأنساب فمن أمر الجاهلية.

يروى عن النبي ﷺ أنه قال: ثلاث من أمر الجاهلية، الطعن في الأنساب، والمفاخرة بالأحساب، والاستقواء بالأنواء. ولن تُترك في الإسلام^(٢).

وقوله: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾.

أمر الله أن تنكح بإذن مولاها.

وقوله: ﴿فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ﴾.

وتقرأ ﴿أَحْصَيْتُمْ﴾ بضم الألف.

﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾.

أي عليهن نصف الحد، والحد مائة جلدة على الحر والحرة غير المُحْصَنَيْنِ، وعلى المحصنين الرجم، إلا أن الرجم قتل، والقتل لا ينصف له، فإنما عليهن نصف الشيء الذي له نصف وهو الجلد.

(١) كره وحرّم.

(٢) من الأشياء التي تتجه النفوس إليها ولهذا فإن بعض المسلمين يتبعها رغم تحريمها أو «لن تترك» أي لن يسمح الإسلام ببقائها.

وقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾.

أي تزوج الإماء جائز لمن خاف العنت، والعنت في اللغة المشقة الشديدة. يقال من ذلك: أكمة عنوت إذا كانت شاقة.

قال أبو العباس: ﴿العنت﴾ ههنا الهلاك^(١)، وقال غيره: معناه. ذلك لمن خشي أن تحمله الشهوة على الزنا، فيلقى الإثم العظيم في الآخرة والحد في الدنيا، وقال بعضهم معناه أن يعشق الأمة، وليس في الآية عشق، ولكن ذا العشق يلقي عنتاً.

وقوله: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

أي الصبر خير لكم لما وصفنا من أن الولد يصيرون عبيداً.

وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ﴾.

قال الكوفيون معنى اللام معنى أن، وأردت، وأمرت، تطلبان المستقبل، لا يجوز أن تقول: أردت أن قمْتُ، ولا أمرت أن قمْتُ، ولم يقولوا لم لا يجوز ذلك. وهذا غلط أن تكون لام الجر تقوم مقام «أن» وتؤدي معناها، لأن ما كان في معنى أن دخلت عليه اللام. تقول: جئت لكي تفعل كذا وكذا، وجئت لكي تفعل كذا وكذا. وكذلك اللام في قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ﴾ كاللام في كي.

المعنى: أراده الله عز وجل للتبيين لكم، أنشد أهل اللغة:

أردت لكيما لا ترى لي عبرةً ومن ذا الذي يعطي الكمال فيكمل^(٢)

(١) سبق تفسير العنت ج ١ ص ٢٩٤ في الآية ﴿ولو شاء الله لأعتكم﴾.

(٢) قال الفراء هو لأبي ثروان. يقول: إنك تريدني خالياً من الخطأ والعثرات، ولم يعط أحد

الكمال، ويروي «تراني تشيرتي»، وروي في الخزانة لكيما أن.

انظر الخزانة ٣- ٥٨٦، ومعاني الفراء ١- ٢٦٢، وشواهد الهمع ٢- ٥ وشواهد المغني

وأنشدنا محمد بن يزيد المبرد:

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس، والوفود شهود^(١)

فأدخل هذه اللام على «كي»، ولو كانت بمعنى أن لم تدخل اللام عليها، وكذلك أردت لأن تقوم، وأمرت لأن أكون مطيعاً. وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّوْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٢) أي إن كنتم عابرتكم للرؤيا، وكذلك قوله - عز وجل - أيضاً: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾^(٣). أي الذين هم رهبتهم لرئهم.

وقوله: ﴿وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

أي يدلكم على طاعته كما دل الأنبياء والذين اتبعوهم من قبلكم، ومعنى سنن [الذين من قبلكم]، أي طرق الذين [من قبلكم] وقد بينا ذلك فيما سلف من الكتاب^(٤).

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾.

أي يدلكم بطاعته على ما يكون سبباً لتوبتكم التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم.

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري. كان ملك الروم قد أرسل إلى معاوية رجلاً طويلاً مسرف الطول. يتحداه أن يكون لديه مثله، فأرسل معاوية إلى قيس، فخلع قيس سراويله وقال للرومي ألبسه، فلبسه فبلغ ثدييه، وضحك منه الناس، ولام قيساً قومه في خلع سراويله، فأنشد هذا الشعر. انظر القصة والشعر كاملاً في الكامل للمبرد ح ١ - ٣١٨ ط التجارية.

(٢) والمعنى أردت أن أشهد الوفود ان سراويلي لها كل هذا الطول فلا يماري أحد بعد ذلك في أني طلت الرومي. ورجال الأدب يفخرون بهذه القصة. . . وبعض منهم يغمزها.

(٢) سورة يوسف - ٤٣.

(٣) سورة الأعراف ١٥٤.

(٤) راجع الآية: ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ ص ٤٧٠ ج ١.

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

أي أن تعدلوا عن القصد.

وقوله: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾.

أي يستميله هواه.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾.

فحرم الله - جل وعز - المال إلا أن يوجد على السبل التي ذكر من الفرائض في الموارث والمهور والتسري والبيع والصدقات التي ذكر وجوها.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾.

المعنى: إلا أن تكون الأموال تجارة، ومن قرأ إلا أن تكون تجارة فمعناه إلا أن تقع تجارة^(١).

﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ، وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

فأعلم أن التجارة تصح برضا البيع^(٢) والمشتري.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾.

أي ومن يأكلها ويقتل النفس - لأن قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، أي لا يقتل بعضكم بعضاً، فمن فعل ذلك عدواناً وظلماً:

معنى العُدوان أن يعدوا ما أمر به، والظلم أن يضع الشيء في غير موضعه.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾.

﴿وَنُصْلِيهِ نَارًا﴾. وعد الله - جل وعز - على أكل الأموال ظلماً وعلى القتال النار.

(١) أي «كان» تامة وتجارة فاعل.

(٢) البيع: البائع.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

أي سهلاً، يقال قد يَسَرَ الشيءُ فهو يسير إذا سهل، وقد عَسَرَ الشيءُ وعَسِرَ إذا لم يسهل فهو عسير.

وقوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾.

تجنبوا تركوا نهائياً، والكبائر حقيقتها أنها كل ما وعد الله عليه النار نحو القتل والزنا والسَّرَقِ وأكل مال اليتيم.

ويروى عن ابن عباس: الكبائر إلى أن تكون سبعين أقرب منها إلى أن تكون سبعاً^(١). قال بعضهم: الكبائر من أول سورة النساء إلى رأس الثلاثين^(٢). والكبائر ما كَبُرَ وعظم من الذنوب.

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾.

الاسم على أَذْخَلْتُ^(٣)، ومن قال: «مَدْخَلًا» بفتح الميم، فهو مبني على دخل مَدْخَلًا، يعني به ههنا الجنة.

وقوله - جَلَّ وعَزَّ - ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

قيل: لا ينبغي أن يتمنى الرجل مال غيره ومنزله غيره، فإن ذلك هو الحسد، ولكن ليقول: اللهم إني أسألك من فَضْلِكَ، وقيل إن أم سلمة قالت: لَيْتَنَّا كُنَّا رجالاً فجاهدنا وغزونا وكان لنا ثواب الرجال.

وقال بعضهم: قال الرجال لَيْتَنَّا فَضَّلْنَا في الآخرة على النساء كما فَضَّلْنَا في الدنيا.

(١) أي انها كثيرة غير محصورة.

(٢) أي ان أشد الكبائر ما يتعلق بأكل مال اليتامى، وما شملته هذه الايات المذكور في أوائل سورة النساء من أول ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ حتى نهاية الآية الثلاثين وهي هذه الآية ﴿... إِنْ تَجْتَنِبُوا ...﴾.

(٣) كلمة مدخل مضمومة الميم لأنها من رباعي هو أدخل، وهو يناسب ويدخلكم.

وهذا كله يرجع إلى تمني الإنسان ما لغيره .

وقوله - عز وجل - ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ .

أي جعلنا الميراث لمن هو مولى الميت ، والمولى كل من يليك ، وكل من والاك فهو مولى لك في المحبة . والمولى مولى نعمة نحو مولى العبد^(١) . والمولى العبد إذا عتق^(٢) .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ﴾ .

هؤلاء كانوا في الجاهلية . كان الرجل الذليل يأتي الرجل العزيز فيعاقده ، أي يحالفه ، ويقول له أنا ابنك ترثني وأرثك ، حرمتي حرمتك ، ودمي دمك ، وثأري ثأرك ، وأمر الله - عز وجل - بالوفاء لهم . وقيل إن ذلك أمر به قبل تسمية الموارث ، وقيل أيضاً أمر أن يوفى لهم بعقدهم الذي كان في الجاهلية ، ولا يعقد المسلمون مثل ذلك ، وقال بعضهم الذي يعقد على الموالاة ، ويجب أن يجعل له نصيب في المال يذهب إلى أن ذلك من الثلث الذي هو للميت^(٣) . وإجماع الفقهاء أنه لا ميراث لغير من وُصف من الآباء والأبناء ، وذوي العصبه والموالي والأزواج .

وقوله عز وجل : ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ .

الرجل قيم على المرأة فيما يجب لها عليه ، فأما غير ذلك فلا ، ويقال هذا قيم المرأة وقوامها قال الشاعر :^(٤)

(١) مولى العبد ، سيده ومالكه . وكلمه المولى تنطق على العبد والسيد . ومولى النعمة موليتها ومانحها .

(٢) عتق فعل لازم ، يقال عتق العبد وأعتقه سيده ، وفي الأصول عتق - وهو خطأ .

(٣) أي هه وصية ، للميت أن يوصي قبل موته من ماله فيما لا يزيد على الثلث . وفي (ب) يعاقد .

(٤) هو الأحوص ، الأغاني ج ٤ - ٢٤٧ والخصائص ١٢٨/٢ ، وهو محمد بن عاصم بن ثابت من شعراء الأنصار . محمد في الغرر والفخر والمدائح وله مع الوليد قصص معروفة . إذ نفاه إلى

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ قِيَمِهَا يَفِرُّ مِنِّي بِهَا وَاتَّبِعْ

جعل الله عز وجل ذلك للرجال لفضلهم في العلم، والتميز، ولإنفاقهم أموالهم في المهور وأقوات النساء.

وقوله عز وجل: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾.

أي قِيَمَاتٌ بحقوق أزواجهن.

﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾.

تأويله - والله أعلم - بالشيء الذي يحفظ أمر الله ودين الله ويحتمل أن يكون على معنى بحفظ^(١) الله، أي بأن يحفظن الله، وهو راجع إلى أمر الله^(٢).

وقوله: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾.

النشوز كراهة أحدهما صاحبه، يقال نشزت المرأة تَنْشِزُ وتَنْشَرُ^(٣) جميعاً وقد قرئ بهما: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾. ﴿انْشُزُوا وَانْشُزُوا، فَانْشُزُوا﴾^(٤)، واشتقاقه من الشَّزْر وهو المكان المرتفع من الأرض، يقال له: تَشَرُّ ونَشَرُّ.

وقوله عز وجل: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾.

أي في النوم معهن، والقرب منهن فإنهن إن كُنَّ يحبين أزواجهن شق عليهن الهجران في المضاجع وإن كُنَّ مُبْغِضَاتٍ وافقهن ذلك فكان دليلاً على النشوز منهن.

= فذك - جزيرة بالبحر الأحمر وأبى عمر بن عبد العزيز إعادته لفحش غزله.

(١) أي «ما» من «بما حفظ الله» مصدرية.

(٢) يحفظن الله أي يحفظن أمره.

(٣) كضرب ونصر.

(٤) وإذا قيل انشزوا فانشزوا.. بالضم والكسر في ثلاثتها.. وهي آية (١١) من سورة المجادلة.

يقال هجرت الإنسان والشيء أهجره هجراً وهجراناً، وأهجر فلان منصبه يُهجره إهجاراً.. إذا تكلم بالقيح، وهجر الرجل هجراً إذا هذى، وهجرت البعير أهجره هجراً إذا جعلت له هجاراً. والهجار جبل يُشد في حقو البعير وفي رُبعه، وهجرت تهجيراً إذا قمت وقت الهاجرة، وهو انتصاف النهار.

فأمر الله - عز وجل - في النساء أن يُبدأن بالموعظة أولاً، ثم بالهجران بعد، فإن لم ينجعا فيهن فالضرب، ولكن لا يكون ضرباً مبرحاً فإن أظعن فيما يُلتمسُ منهن، فلا يُبغى عليهن سبيلاً^(١)، أي لا يُطلب عليهن طريقٌ عنت.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾.

أي هو متعال أن يكلف إلا بالحق، ومقدار الطاقة.
وقوله جل وعز - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾.

قال بعضهم.. خِفْتُمْ ههنا. في معنى أَيْقَنْتُمْ وهذا خطأ، لو علمنا الشقاق على الحقيقة، لم يجنس إلى الحكمين، وإنما يُخاف الشقاق^(٢) والشقاق العداوة، واشتقاقه من المتشاقين كل صنف منهن^(٣) في شقٍّ، أي في ناحية، فأمر الله تعالى - إِنْ خِفْتُمْ^(٤) وَقُوعَ العداوة بين المرء وزوجه - أَنْ يَبْعَثُوا^(٥) حَكَمِينَ، حكماً من أهل المرأة وحكماً من أهل الرجل، والحكم القيم بما يسند إليه.

يروى عن علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه. أنه اجتمع إليه فتاة

(١) ط. سبيلاً.

(٢) الشأن فيه أنه يخشى لا أنه عزم.

(٣) ب منهما هو أحد.

(٤) في جميع النسخ: «خفتما» واثراً لنظ الفران.

(٥) في الأصول يبعث.

من الناس، - أي جمع كثير مع امرأة وزوجها، قد وقع بينهما اختلاف فأمر حكمين أن يتعرفا أمرهما، وقال لهما أتدريان ما عليكما؟ إنَّ عليكما إنَّ رأيكما أن تُفرقا فرقتما، وإنَّ رأيكما أن تجمعا جمعتما^(١).

وقال بعضهم على الحكمين أن يعظا ويُعرفا ما على كل واحدٍ من الزوج والمرأة في مجاوزة الحق، فإن - رأيا أن يفرقا فرقا، وأن رأيا أن يجمعا جمعا.

وحقيقة أمر الحكمين أنَّهما يقصدان للإصلاح، وليس لهما طلاق وإنما عليهما أن يُعرفا الإمام حقيقة ما وقفا عليه، فإن رأى الإمام أن يفرق فرقا، أو أن يجمع جمع، وإنَّ وكلَّهما بتفريق أو بجمع فهما بمنزلة، وما فعل علي «رضي الله عنه» فهو فعلُ للإمام أن يفعلَه، وحسبنا بعلي عليه السلام إماماً. فلما قال لهما إنَّ رأيكما أن تجمعا جمعتما، وإنَّ رأيكما أن تُفرقا فرقتما، كان قد ولَّاهما ذلك وكلَّهما فيه.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.

أي عليمًا بما فيه الصلاح للخلق خبيراً بذلك.

وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

أي لا تعبدوا معه غيره، فإن ذلك يفسد عبادته^(٢).

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

المعنى أوصاكم الله بعبادته، وأوصاكم بالوالدين إحساناً، وكذلك قوله

[تعالى]: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٣). لأن معنى قضى ههنا أمر ووصى.

(١) في ط: فرقتما وجمعتما بالبناء للمجهول. ولعله يعني كتما معاً أو منفردين، ولا يناسب ما يأتي بعده.

(٢) يفسد عبادة العبد لربه.

(٣) سورة الإسراء ٢٣.

وقال بعض النحويين ﴿إِحْسَانًا﴾ منصوب على وأحسنوا بالوالدين إِحْسَانًا، كما تقول: ضرباً زيداً، المعنى اضرب زيدا ضرباً.

﴿وَيَذِي الْقُرْبَىٰ...﴾.

أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى ذَوِي الْقُرْبَى بَعْدَ الْوَالِدَيْنِ، وَ﴿الْيَتَامَى﴾ فِي مَوْضِع جَرٍّ. الْمَعْنَى وَبِالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ أَوْصَاكُمْ أَيْضًا، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، الْمَعْنَى أَحْسِنُوا بِهَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ.

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾.

أَيُّ الْجَارِ الَّذِي يَقَارِبُكَ وَتَعْرِفُهُ وَتَعْرِفُكَ.

﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾.

وَالْجَارِ الْقَرِيبِ الْمَتَبَاعِدِ، قَالَ عُلُقَمَةُ: (١)

فَلَا تَحْرِمْنِي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ فَإِنِّي أَمْرُؤُ وَسَطُ الْقِيَابِ غَرِيبٌ

وقوله عز وجل - ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ﴾.

قِيلَ هُوَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ.

﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

الضَّيْفُ يَجِبُ قِرَاهُ، وَأَنْ يَبْلُغَ حَيْثُ يَرِيدُ.

وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

أَيُّ وَأَحْسِنُوا بِمِلْكِ أَيْمَانِكُمْ (٢)، مَوْضِعٌ مَا عَطَفَ عَلَى مَا قَبْلَهَا. وَكَانَتْ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ - ﷺ - عِنْدَ وَفَاتِهِ: «الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ».

(١) الديوان ١٠٧ من الستة واللسان (جنب) والقرطبي ٥ - ١٨٣، ومجاز أبي عبيدة في الآية نفسها

١ - ١٢٦ أي انني لست من الأقرباء ولكنني غريب في هذا فلا تقطع عني عطائك لهذا

السبب. والقريب المتباعد هو القريب في المسكن البعيد في النسب.

(٢) ملك وملك، بمعنى مملوك.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.

المختال: الصِّلَفُ التَّيَّاهُ الجهولُ. وإنما ذكر الاختيالُ في هذه القصة، لأن المختال يأنف من ذوي قراباته إذا كانوا فقراء، ومن جيرانه إذا كانوا كذلك، فلا يُحَسِّنُ عِشْرَتَهُمْ.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾.
والبخل جَمِيعاً يُقْرَأُ^(١).

يُعْنَى به اليهودُ لأنهم يَبْخُلُونَ بعِلْمٍ ما كان عندهم من مَبْعَثِ النبي ﷺ.

﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

أي ما أعطاهم من العلم برسالة النبي - ﷺ.

وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

أي جعلنا ذلك عِتَادًا لهم، أو مُثَبَّتًا لهم. فجائز أن يكون موضع الذين نصباً على البدل، والمعنى: إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً، أي لا يحب الذين يبخلون.

وجائز أن يكون رفعه على الابتداء، ويكون الخبر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، ويكون ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ عطفاً على ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾. في النصب والرفع.

وهو لا يُعْنَى بهم المنافقون، كانوا يُظْهِرُونَ الإيمانَ ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾.

أي من يكن عمله بما يُسَوِّلُ له الشيطانُ فبئس العملُ عَمَلُهُ، ﴿فساء قريناً﴾

(١) ويقال أيضاً: البخول، والخا كسكون وكنفق.

منصوب على التفسير، كما تقول: زيدُ نعم رَجُلًا، وكما قال ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا [بآيَاتِنَا]﴾^(١).

وقوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ [لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ]﴾.

يصلح أن تكون «مَا» و«ذَا» اسماً واحداً، المعنى وأَيُّ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ. ويجوز أن يكون «ذَا» في معنى الذي، أو تكون «مَا» وَحْدَهَا^(٢) اسماً. المعنى: وَمَا الَّذِي عَلَيْهِمْ [لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ. ﴿

هذا يدل على أن الذين ييخلون (ييخلون)^(٣) بما عَلِمُوا، ﴿وكان الله بهم عليماً﴾.

وقوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

مِثْقَالٌ مِفْعَالٌ مِنَ الثَّقَلِ، أَي ما كان وزنه الذرة وقيل لكل ما يُعْمَلُ «وَزَنٌ مِثْقَالٌ» تمثيلاً، لأن الصلاة والصيام والأعمال لا وَزَنَ لها. لكنَّ الناسَ خوطبوا فيما في قلوبهم بتمثيل ما يُدْرِكُ بِأَبْصَارِهِمْ، لأن ذلك - أعني ما يُبْصَرُ - أبينُّ لهم.

وقوله - عز وجل - ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾.

الأصل في «يكن» «تكون» فسقطت الضمة للجزم وسقطت الواو لسكونها وسكون النون، فأما سقوط النون من «تكن» فأكثر الاستعمال جاء^(٤) [في] القرآن بإثباتها، وإسقاطها قليل - قال الله عز وجل -: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ

(١) سورة الأعراف - ١٧٧.

(٢) ك ويجوز أن تكون.

(٣) ليست في ط.

(٤) هكذا والخبر خال من ضمير يعود على السقوط فزدنا الجار.

أَوَّلَىٰ بِهِمَا»^(١) فاجتمع في النون أنها تشبه حروف اللين، وأنها ساكنة، فحذفت استخفافاً لكثرة الاستعمال كما قالوا - لا أدري، ولا أبلي، والأجود لم أبال ولا أدري.

و«حَسَنَةً» يكون فيها الرفع والنصب، المعنى وإن تكن فَعَلْتُهُ حَسَنَةً يضاعِفُهَا، ومن قرأ وإن تكن حَسَنَةً [بالرفع]، رفع على اسم كان^(٢)، ولا خبر لها وهي ههنا. في مذهب التمام^(٣) والمعنى وإن تحدث حَسَنَةً يضاعِفُهَا.

﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَيُؤْتِ﴾ بغير ياء. سقطت الياء للجزم، معطوف على ﴿يُضاعِفُهَا﴾، ووقعت «لَدُنْ» وهي في موضع جرٍّ، وفيها لُغَاتٌ.

يُقَالُ لَدُ وَلَدُنْ، وَلَدُنْ، وَلَدَى. والمعنى واحد ومعناه مِنْ قَبْلِهِ، إِلَّا أَنَّهَا لا تتمكن تَمَكَّنَ عِنْدَ، لَأَنَّكَ تَقُولُ: «هَذَا الْقَوْلُ عِنْدِي صَوَابٌ» ولا يقال: الوقت لَدُنِّي صواب، وتقول: عندي مال عظيم والمال غائب عنك، و«لَدُنْ» لما يملك.

قوله - جَلَّ وَعَزَّ- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾.

أي فكيف تكون حال هؤلاء يوم القيامة، وحذف «تكون حالهم» لَأَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَى مَا حَذَفَ، و«كيف» لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها معنى التوبيخ.

وقوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.

(١) النساء - ١٣٥.

(٢) فاعل كان وهي تامة.

(٣) أي تامة لا تحتاج لخبر، وفي ط وهي ههنا مذهب التمام.

أَي نَاتِي بِكُل نَبِي أُمَّةٍ يَشْهَدُ عَلَيْهَا وَلَهَا .
وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ﴾ .

الاختيار الضَّمُّ في الواوِ في عَصَوْا الرسول، لالتقاء الساكنين والكسر جائز، وقد فسرناه فيما مضى .

وقوله: ﴿لَوْ تَسَوَّى بِهِمِ الْأَرْضُ﴾ .

وبِهِمِ الْأَرْضُ بضم الميم وكسرها .

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ .

أَي يودون أنهم لم يبعثوا، وأنهم كانوا والأرض سواء .

وقد جاء في التفسير أن البهائم يوم القيامة تصيرُ تراباً . فيودون^(١) أنهم يصيرون تراباً .

قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ .

فيه غير قول، قال بعضهم: ودوا أن الأرض سويت بهم وأنهم لم يكتُموا الله حديثاً، لأن قولهم^(٢): ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٣) قد كذبوا فيه، وقال بعضهم: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، مستأنف لأن ما عملوه ظاهر عند الله لا يقدرُون على كتمه^(٤) .

وقوله جل وعز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ .

قيل في التفسير: إنها نزلت قبل تحريم الخمر، لأن جماعة من أصحاب النبي - ﷺ - اجتمعوا فشرَبوا الخمر قبل تحريمها، وتقدم رجل منهم

(١) يود الكفار ذلك، وهم لا يستطيعون أن يكتُموا شيئاً من أمرهم لأن الله تعالى عليم بهم .

(٢) ط لأنه قولهم .

(٣) سورة الأنعام ٢٣ .

(٤) لك كتمانهُ .

فصلى بهم فقراً: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ أَعْبُدْ مَا تَعْبُدُونَ، وَأَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَأَنَا عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ فنزلت ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾.

ويروى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ الْخَمْرُ تَضُرُّ بِالْعُقُولِ، وَتَذْهَبُ بِالْمَالِ، فَأَنْزِلْ فِيهَا أَمْرَكَ فَنَزَلَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ﴾^(١)، وَقَالَ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾^(٢). وَالتَّحْرِيمُ نَصٌّ بِقَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَمَا بَطَّنَ، وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٣). فَقَدْ حُرِّمَتِ الْخَمْرُ بِأَنَّهُ قَالَ: إِنَّهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ. وَقَدْ حُرِّمَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْإِثْمَ، فَأَمَرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ أَلَّا يَقْرَبَ الصَّلَاةَ السَّكَرَانُ وَحُرِّمَ بَعْدُ ذَلِكَ السُّكْرُ، لِأَنَّ إِجْمَاعَ الْأُمَّةِ أَنَّ السُّكْرَ حَرَامٌ.

وَإِنَّمَا حُرِّمَ ذُو السُّكْرِ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ السُّكْرِ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ حَرَاماً وَقَدْ بَيَّنَّا هَذَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ^(٤).

وَقَوْلُهُ: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ، وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾. أَيُّ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ جُنُبٌ، إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ، أَيُّ إِلَّا مُسَافِرِينَ لِأَنَّ الْمُسَافِرَ يُعَوِّزُهُ الْمَاءُ، وَكَذَلِكَ الْمَرِيضُ الَّذِي يَضُرُّ بِهِ الْغُسْلُ. وَيُرْوَى أَنَّ قَوْمًا غَسَلُوا مَجْدَرًا فَمَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ، كَانَ يَجْزِيهِ التَّيْمُمُ.

وَقَالَ قَوْمٌ: لَا تَقْرَبُوا مَوْضِعَ الصَّلَاةِ، حَقِيقَتُهُ: لَا تُصَلُّوا إِذَا كُنْتُمْ جُنْبًا

(١) المائدة - ٩٠.

(٢) البقرة ٢١٩.

(٣) الأعراف ٣٣.

(٤) انظر تفسير الآية يسألونك عن الخمر والميسر ص ٢٩١ ج ١ من هذا الكتاب.

حتى تغتسلوا، إلا أن لا تقدروا على الماء، وإلا أن تخافوا أن يضركم الغسل
إضراراً شديداً، وذلك لا يكون إلا في حال مَرَضٍ .
﴿فَتَيْمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ .

معنى تيمموا أقصدوا، والصَّعيد وجه الأرض .

فعلى الإنسان في التيمم أن يضرب بيديه ضربةً واحدةً فيمسح بهما
جميعاً وجهه، وكذلك يضرب ضربةً واحدةً، فيمسح بهما يديه، والطيب هو
النظيف الطاهر، ولا يُبالي أكان في الموضع تراباً أم لا، لأن الصعيد ليس هو
التراب، إنما هو وجه الأرض، تراباً كان أو غيره. ولو أن أرضاً كانت كلُّها
صخرًا لا ترابَ عليها ثم ضرب المتيَّم يده على ذلك الصخر لكان ذلك
طهوراً إذا مسح به وجهه. قال الله عزَّ وجلَّ -: ﴿فَتُصَبِّحُ صَعِيداً زَلَقاً﴾^(١)
فأعلمك أن الصعيد يكون زَلَقاً، والصُّعْدَاتُ الطُّرُقَاتُ. وإنما سمي صعيداً،
لأنَّها نهاية ما يُصعدُ إليه من باطن الأرض، لا أعلم بين أهل اللغة اختلافاً في
أن الصعيد وجه الأرض .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُوراً﴾ .

أي يقبل منكم العفو ويغفر لكم، لأن قبوله التيمم تسهيل عليكم^(٢) .

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ﴾ .

قال بعضهم: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أَلَمْ تُخَيِّرْ. وقال أهل اللغة أَلَمْ تَعْلَمْ، المعنى أَلَمْ
يتنه علمك إلى هؤلاء، ومعناه أعرَفْهُمْ. يُعْنَى به علماء أهل الكتاب، أعطاهم
الله في كتابهم عِلْمَ نبوة النبي - ﷺ - أنه عندهم مكتوب في التوراة والانجيل
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر .

(١) الكهف آية ٤٠ .

(٢) يقبل العفو أي ما سهل عليكم، والتيمم تسهيل مقبول .

وقوله: ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ﴾.

أي يُؤثرون التكذيب بأمر النبي - ﷺ - ليأخذوا على ذلك الرِّشَا وَيُثَبَّتَ لهم رياسة.

وقوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

أي تُضِلُّوا طريق الهدى، لأن السبيل في اللغة الطريق.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾.

أي هو أعرِفَ بهم فهو يُعَلِّمُكُمْ ما هم عليه.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾.

أي الله ناصركم عليهم. ومعنى الباء التوكيد. المعنى وكفى الله ولياً وكفى الله نصيراً، إلا أن الباء دخلت في اسم الفاعل، لأن معنى الكلام الأمر، المعنى اكتفوا بالله.

وقوله - عز وجل - ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾.

فيها قولان: جائر أن تكون من صِلَةِ الذين أوتوا الكتاب، والمعنى ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من الذين هادوا. وَيَجُوزُ أن يكون من الذين هادوا قومٌ يحرفون الكلم. ويكون ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ صفةً، والموصوف محذوف.

أنشد سيبويه في مثل هذا قول الشاعر: (١)

(١) هو تميم بن عقيل. وبعده:

وكلتاها قد خط لي في صحفي
فلا العيش أهوى لي ولا الموت أروح
أي الدهر ذو حالتين إحدهما أموت بها، والأخرى أود العيش فيها مع كونه شاقاً عسيراً، وكلتاها مسطر لي في اللوح المحفوظ. فلا الموت أهنا ولا العيش أحب منه.

انظر شواهد الكشف حرف الحاء، وسيبويه ٢ - ٣٤٦، والخزانة ٢ - ٣٠٨ ومعاني الفراء ٢ - ١٤٢، وكامل المبرد ٥٣٨.

وما الدهرُ إلا تارتان فمَنهما أُموت، وأُخرى ابتغي العَيشَ أَكْذَحُ
المعنى مِنهما تارة أُموت فيها.

وقال بعض النحويين المعنى: مَنْ الذين هادوا من يحرفونه فجعل
يحرفون صلة من. وهذا لا يجوز. لأنه لا يحذف الموصول وتبقى صلته،
وكذلك قول الشاعر: (١)

لو قلت ما في قومها لَمْ تَيْثَمْ يفضلها في حَسَبٍ وميسمٍ
المعنى ما في قومها أَحَدٌ يفضلها. وزعم النحويون أن هذا إنما يجوز
مع «من» و«في». وهو جائز إذا كان «فيما بقي دليل على ما أُلْقِيَ» (٢). لو
قلت: ما فيهم يقول ذاك أو ما عندهم يقول ذاك جازاً جميعاً جوازاً واحداً.
والمعنى ما عندهم أَحَدٌ يقول ذاك.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرُ مَسْمَعٍ﴾.
كانت اليهود - لَعْنَتْ - تقول للنبي - ﷺ -: اسْمَعْ، وتقول في أنفسها لا
أَسْمِعَتْ.

وقيل غَيْرَ مَسْمَعٍ، غير مجاب إلى ما تدعو إليه (٣).
وقوله: ﴿وَرَاعِنَا﴾.

هذه كلمة كانت تجري بينهم على حد السُّخْرَى (٤) والهزء، وقال
بعضهم: كانوا يَسُبُّونَ النبي - ﷺ - بهذه الكلمة. وقال بعضهم: كانوا يقولونها

(١) لحكيم بن معية كما في الخزانة ٢ - ٣١١، ويروى تأثم، وتأثم وهو من شواهد الأشموني ٣ -

٧٠. وانظر معاني الفراء ١ - ٣٧١ والعيني ٤ - ٧١.

(٢) أي ما حذف.

(٣) وهو أيضاً دعاء، أي لا سمعك أحد ولا أجابك أحد.

(٤) السخري - بضم السين وكسرها. بمعنى السخرية. وبهما قرئ ليتخذ بعضهم عضاً سخرياً.

كِبْرًا، كأنهم يقولون: أَرَعْنَا^(١) سَمْعَكَ أَيِ إِجْعَلْ كَلَامَكَ لَسَمِيعَنَا مَرَعَى، وهذا مما لا تخاطب به الأنبياء - (صلوات الله عليهم) - إنما يخاطبون بالإجلال والإعظام.

وقوله: ﴿لَيَأْتِيَنَّكَ يَوْمَ الْقِيَامِ الْكَلْبُ الَّذِي يَخْتَصِمُ بِالْأَسْوَاقِ﴾.

أَيِ يفعلون ذلك مُعَانِدَةً للحق وطغياناً في الدين. وأصل «لَيَأْتِيَنَّ» لَوَيَّا ولكن الواو أَدغمت في الياء لسبقها بالسكون^(٢).

وقوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

أَيِ فلا يؤمنون إِلَّا إيماناً قليلاً، لا يجب به أَنْ يُسَمَّوْا الْمُؤْمِنِينَ. وقال بعضهم: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَيِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ آمَنُوا.

وقوله: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾.

فيها ثلاثة أقوال. قال بعضهم نجعل وجوههم كأكفائهم. وقال بعضهم نَجْعَلُ وجوههم مَنَابِتَ للشَّعْرِ كأكفائهم. وقال بعضهم «الوجه» ههنا تمثيل بأمر الدين. المعنى قبل أَنْ نُضِلَّهُمْ مجازاة لما هم عليه من المعاندة، فَضِلَّهِمْ ضلالاً لا يؤمنون معه أبداً.

وقوله - جَلَّ وَعَزَّ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

أجمع المسلمون أَنَّ ما دُونَ الْكَبَائِرِ مغفور، واختلفوا في الْكَبَائِرِ فقال بعضهم: الْكَبَائِرُ التي وعد الله عليها النار لا تُغْفَرُ، وقال المشيخة^(٣) من أهل

(١) من رعي الماشية - وذلك تهكم وسخرية منهم.

(٢) أَيِ قلبت ياء ثم أَدغمت.

(٣) الشيوخ الأجلة.

الفقه والعلم : جَائِزٌ أَنْ يَغْفِرَ كُلَّ مَا دُونَ ذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ، وبِالتَّوْبَةِ يُغْفَرُ الشَّرِكُ وغيره^(١).

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

افتري اختلق وكذب، إثماً عظيماً: أي غير مغفور.

وقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾.

ألم تر: ألم تخبر في قول بعضهم. وقال أهل اللغة ألم تعلم وتأويله سؤال فيه معنى الإعلام. تأويله أعلم قصتهم، وعلى مجرى اللغة ألم ينته علمك إلى هؤلاء، ومعنى يزكون أنفسهم أي تزعمون أنهم أذكىاء، وتأويل قولنا: زكاء الشيء: في اللغة نماؤه في الصلاح. وهذا أيضاً يعني به اليهود^(٢). وكانوا جاؤوا إلى النبي - ﷺ - بأطفالهم فقالوا: يا محمد أعلی هؤلاء ذنوب، فقال النبي - ﷺ - لا، فقالوا كذا نحن، ما نعمل بالليل يُغْفَرُ بالليل، وما نعمل بالنهار يُغْفَرُ بالنهار.

قال الله - عز وجل - : ﴿بَلِ اللَّهُ يَزَكِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

أي يجعل من يشاء زاكياً.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

تأويله ولا يظلمون مقدار فتيل.

قال بعضهم: الفتيل ما تفتله بين إصبعيك من الوسخ. قال بعضهم: الفتيل ما كان في باطن النواة من لحائها، وقالوا في التفسير: ما كان في ظهرها وهو الذي تنبت منه النخلة، والقَطْمِيرُ جملة ما ألنف عليها من لحائها.

وقوله - جل وعز - : ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾.

(١) رد منه لهذا القول.

(٢) أي الذين يزكون أنفسهم يعني به اليهود. كانوا يصفون أنفسهم بما ليس فيهم من الصفات الحسنة.

أَيِ يَفْعَلُونَهُ وَيَخْتَلِقُونَهُ^(١).

ويقال: قَدْ فَرَى الرَّجُلُ يَفْرِي إِذَا عَمِلَ، وَإِذَا قَطَعَ وَمِنْ هَذَا: فَرَيْتُ جِلْدَهُ. فَتَأْوِيلُهُ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ أَعْنِي تَرْكِيتَهُمْ أَنْفُسَهُمْ فَرِيَةً مِنْهُمْ.

﴿وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾.

أَيِ كَفَى هُوَ^(٢) إِثْمًا. مَنْصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ، أَيِ كَفَى بِهِ فِي الْإِثَامِ. وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ﴾.

يَعْنِي بِهِ عِلْمَاءُ الْيَهُودِ.

أَيِ أَعْطُوا عِلْمَ أَمْرِ النَّبِيِّ - ﷺ - فَكْتَمُوهُ.

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَتْ وَالطَّاغُوتِ﴾.

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: كُلُّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ جَبَتْ وَطَاغُوت. وَقِيلَ: الْجَبَتْ وَالطَّاغُوتُ الْكُهْنَةُ وَالشَّيَاطِينُ. وَقِيلَ فِي بَعْضِ التَّفْسِيرِ: الْجَبَتْ وَالطَّاغُوتُ هَهُنَا. حُيَّيْ بْنُ أَخْطَبُ، وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيَّانِ وَهَذَا غَيْرُ خَارِجٍ عَمَّا قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ، لِأَنَّهُ إِذَا اتَّبَعُوا أَمْرَهُمَا فَقَدْ أَطَاعُوهُمَا مِنْ دُونِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾.

وَهَذَا بَرَهَانٌ وَدَلِيلٌ عَلَى مَعَانِدَةِ الْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، أَهْدَى طَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ يُجَامِعُونَهُمْ^(٣) عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا يَصَدِّقُونَ بِهِ، وَهَذَا عِنَادٌ بَيْنَ.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿سَبِيلًا﴾:

(١) ب - يعتملون. والمعنى واحد.

(٢) الباء زائدة.

(٣) يوافقونهم ويجتمعون معهم في هذا الايمان.

منصوب على التمييز، كما تقول: هذا أحسن منك وجهاً وهذا أجود منك ثوباً. لأنك في قولك: «هذا أجود منك» قد أبهمت الشيء الذي فضّلته به، إلا أن تريد أن جملته أجود من جملتك فتقول: هذا أجود منك. وتمسك^(١).

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾.

أي الذين باعدهم من رحمته. وقد بينا أن اللعنة هي المباحدة في جميع اللغة^(٢).

وقوله: ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾.

أي من يباعد الله من رحمته فهو مخذول في دعواه وحجته ومغلوب. واليهود خاصة أثبت خذلاناً في أنهم غلبوا من بين جميع سائر أهل الأدب، لأنهم كانوا أكثر عناداً، وأنهم كتموا الحق وهم يعلمونه.

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾.

المعنى بل لهم نصيب من الملك^(٣).

﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾.

قال بعضهم: ^(٤) إنما معناه أنهم لو أعطوا الملك، ما أعطوا الناس نقيراً، وذكر النقيير ههنا تمثيل، المعنى لضئوا بالقليل. وأما رفع «يؤتون» فعلى «فلا يؤتون الناس نقيراً إذن» ومن نصب فقال: «فإذا لا يؤتوا الناس» جاز [له] ذلك في غير القراءة فأما المصحف فلا يخالف.

(١) أي لا تزيد على ذلك.

(٢) راجع الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى...﴾ من سورة البقرة ص ٣٣٥ ج ١.

(٣) ب بل لهم، وهو خطأ.

(٤) في (ب) قال بعضهم: كانوا أصحاب بساتين وأموال وكانوا في غابة المخل، قال بعضهم إنما معناه... الخ.

قال سيويوه: «إِذَا» في عوامل الأفعال بمنزلة «أَظُنَّ» في عوامل الأسماء، فإذا ابتدأت إِذَنْ وَأَنْتَ تريد الاستقبال نصبت لا غير، تقول: إِذَنْ أَكْرَمَكَ، وإن جعلتها معترضة ألغيتها فقلت: أَنَا إِذَنْ أَكْرَمَكَ، أَي أَنَا أَكْرَمُكَ إِذَنْ. فإن أتيت بها مع الواو والفاء قلتَ فَإِذَا أَكْرَمَكَ، وإن شئتَ فَإِذَنْ أَكْرَمَكَ. فمن قال فَإِذَنْ أَكْرَمَكَ نَصَّبَ بها وجعل الفاء ملصقة بها في اللفظ والمعنى، ومن قال: فَإِذَنْ أَكْرَمَكَ جعل إِذَا لغواً، وجَعَلَ الفاء في المعنى معلقةً بِأَكْرَمَكَ والمعنى فَأَكْرَمَكَ إِذَنْ.

وتأويل «إِذَنْ»: إن كان الأمر كما ذكرت، أو كما جرى، يقول القائل: زيدٌ يصيرُ إليك فتجيبُ فتقولُ إِذَنْ أَكْرَمُهُ. تأويله إن كان الأمر على ما تصِفُ وقع إكرامه فأن مع أَكْرَمُهُ مقدرةٌ بعدَ إِذَنْ^(١). المعنى إكرامك واقع إن كان الأمر كما قلت.

قال سيويوه: حكى بعض أصحاب الخليل عن الخليل أن «أَنْ» هي العاملة في باب إِذَنْ.

فأما سيويوه فالذي يذهب إليه ونحكيه عنه أن إِذَنْ نفسها الناصبة، وذلك أَنَّ «إِذَنْ» لما يستقبل لا غير في حال النَّصْبِ، فجعلها بمنزلة أَنْ في العمل كما جُعِلَتْ «لَكِنَّ» نظيرة «إِنَّ» في الْعَمَلِ في الأسماء، وكلا القولين حسن جميل إلا أَنَّ الْعَامِلَ - عندي^(٢) - النَّصْبُ في سائر الأفعال، «أَنْ»، [وذلك] أجود، إما أَنْ تقع ظاهرة أو مضمرة^(٣). لأنَّ رفع المستقبل بالمضارعة فيجب أن يكون نصبه في مضارعه ما ينصب في باب الأسماء^(٤)، تقول أَظُنُّ أَنَّكَ

(١) عبارة ب فإن مع أَكْرَمَكَ المعنى إكرامك الخ.

(٢) ب قال أبو إسحاق إلا أن العامل.

(٣) الأجود أن يكون الناصب هو «أَنْ» إما ظاهرة أو مقدرة.

(٤) المضارع فيما يرى الزجاج يرفع بكونه مضارعاً للاسم، فيجب أن يكون عامل النصب فيه ما

منطلق، فالمعنى أظن انطلاكَ. وتقول أرجو أن تذهب أي أرجو ذهابك. فأن الخفيفة مع المستقبل كالمصدر.

كما أن «أن» الشديدة مع اسمها وخبرها كالمصدر، وهو وجه المضارعة^(١).

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾:

معناه بلْ أَيْحْسُدُونَ النَّاسَ. وهنا يعني به النبي - ﷺ - كانت اليهود قد حسدته على ما آتاه الله من النبوة، وهم قد علموا أن النبوة في آل إبراهيم عليه السلام، ف قيل لهم: أتحسدون النبي - ﷺ - وقد كانت النبوة في آله وهم آل إبراهيم (عليهما السلام)^(٢).

وقيل في التفسير إن اليهود قالت: إن النبي - ﷺ - شأنه النساء، حسداً لما أُحِلَّ لَهُ مِنْهُنَّ، فأعلم الله - جلَّ وعزَّ - أن آل إبراهيم قد أُوتوا مُلْكاً عَظِيماً، وَقَالَ بَعْضُهُمْ^(٣) [نالوا من] النساء أكثر مما نال محمد - ﷺ - كان لداود مائة امرأة، وكان لسليمان ألف ما بين حُرَّةٍ وَمَمْلُوكَةٍ^(٤). فما بالهم حسدوا النبي - ﷺ - .

وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾:

أي من آمن بالنبي - ﷺ - .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾:

= ينصب في الأسماء، والأسماء تنصب بأن، فينصب المضارع بأن. لأن كلاً يؤول مع ما بعده بمصدر.

هذا رأيه وقد رده أبو علي الفارسي في كتاب الاغفال.

(١) ب فهذا وجه المضارعة.

(٢) ب فقط.

(٣) قال بعض المفسرين ان النساء كن عند بني إسرائيل أكثر مما كان عند محمد ﷺ منهن.

(٤) كذا في العهد القديم في سفر الملك.

وقيل منهم مَنْ آمَنَ به أي بهذا الخبر عن سليمان وداود فيما أُعْطِيََا مِنَ
النِّسَاءِ^(١).

وقوله: ﴿وَكُفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا﴾ :

المعنى كفت جهنم شدة توقُّدٍ.

وقوله: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ :

أي نَسُوْهُمْ فِي نَارٍ. ويروى أَنَّ يَهُودِيَّةً أَهْدَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ شَاةَ مَصْلِيَّةٍ
أَيَّ مَشْوِيَّةٍ.

وقوله: ﴿كَلَّمَآ نَضِجَتْ جُلُودُهُم بِدُلْنَآهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ :

الأَحْسَنُ إِظْهَارُ التَّاءِ هَهُنَا مَعَ الْجِيمِ. لثَلَا تَكْثُرُ الْجِيمَاتُ، وَإِنْ شِئْتَ
أَدْغَمْتَ التَّاءَ فِي الْجِيمِ، لِأَنَّ الْجِيمَ مِنْ وَسْطِ اللِّسَانِ وَالتَّاءُ مِنْ طَرَفِهِ، وَالتَّاءُ
حَرْفٌ مَهْمُوسٌ فَادْغَمْتَهُ فِي الْجِيمِ^(٢).

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ بَدَّلَ الْجِلْدَ الَّذِي عَصَى بِالْجِلْدِ الَّذِي غَيْرَ الْعَاصِي، فَذَلِكَ
غَلَطٌ مِنَ الْقَوْلِ. لِأَنَّ الْعَاصِي وَالْأَلَمَ هُوَ الْإِنْسَانُ لَا الْجِلْدَ. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ
بَدَّلَ الْجِلْدُ النَّضِجُ. وَأَعِيدَ كَمَا كَانَ جِلْدُهُ الْأَوَّلَ، كَمَا تَقُولُ: قَدْ صَغَتْ مِنْ
خَاتَمِي خَاتَمًا آخَرَ فَأَنْتَ وَإِنْ غَيَّرْتَ الصَّوْغَ فَالْفَضَّةُ أَصْلٌ وَاحِدٌ. وَقَدْ كَانَ
الْجِلْدُ بَلِيًّا بَعْدَ الْبَعْثِ، فَإِنْ شَاؤُهُ بَعْدَ النَّضِجِ كإِنْشَاءِهِ بَعْدَ الْبَعْثِ.

وقوله: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ :

أَيَّ لِيُبْلَغَ فِي أَلَمِهِمْ.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ :

(١) لا مَسَاقَ لِهَذَا إِذْ لَمْ يَسْبِقْ ذِكْرُ نِسَاءِ لِهَمَا.

(٢) الْإِدْغَامُ غَيْرُ جَيِّدٍ لِأَنَّ الْحَرْفَيْنِ مُتَقَارِبَانِ وَمُخْتَلِفَانِ صِفَةً، وَالْإِدْغَامُ يَنْتِجُ ثَلَاثَ جِيمَاتٍ مُتَجَاوِرَةٍ.

العزیز البالغ إِرَادَتَه، الذی لَا یَغْلِبُهُ شیْءٌ، وهو مع ذلک حکیم فیمَا یدبر، لِأَنَّ الملحدین رُبَّمَا سَأَلُوا عَنِ الْعَذَابِ کَیْفَ وَقَعَ فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ جَمِیعَ مَا فَعَلَهُ بِحُکْمَةٍ.

وقوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾:

المعنى تجري من تحتها مياه الأنهار، لِأَنَّ الْجَارِي عَلَى الْحَقِيقَةِ الْمَاءُ.

وقوله: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾:

معنى ظلیل يُظَلُّ مِنَ الرِّيحِ وَالْحَرِّ، وَلَيْسَ كُلُّ ظِلٍّ كَذَلِكَ. أَعْلَمَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنَّ ظِلَّ أَهْلِ الْجَنَّةِ ظَلِيلٌ لَا حَرَّ مَعَهُ وَلَا بَرْدَ، وَكَذَلِكَ [قوله]: ﴿وِظْلٌ مَمْدُودٌ﴾^(١) لِأَنَّ لَيْسَ كُلُّ ظِلٍّ مَمْدُودًا.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾: هَذَا أَمْرٌ عَامٌّ لِلنَّبِيِّ (ﷺ) وَجَمِيعِ أُمَّتِهِ.

ويسرى في التفسير أن العباس عم النبي (ﷺ) سأل النبي (ﷺ) أن يجعل له السَّقَايَةَ وَالسَّدَانَةَ وهي الْحِجْبَةُ^(٢). وهو أن يجعل له مع السقاية فتح البيت وإغلاقه، فنازعه شيبه بن عثمان فقال يا رسول الله اردد علي ما أخذت مِنِّي يعني مفتاح الكعبة، فرده (ﷺ) على شيبه^(٣).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ نَعْمَ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾:

(١) سورة الواقعة آية ٣٠.

(٢) خدمة البيت وحراسته - ويقال المحجبة.

(٣) كانت مفاتيح الكعبة مع عثمان بن طلحة، وقد أغلق بابها وقال: لو كنت أعلم أنه رسول الله لم أمنعه، فلوى على يده وأخذ المفتاح منه - ثم نزلت الآية فأمر رسول الله ﷺ علياً برد المفتاح إلى عثمان. وجعل السدانة والمفتاح في ذريته. أنظر ترجمة عثمان في الإصابة رقم ٥٤٤٠ - وتخریج أحادیث الكشف لابن حجر أيضاً رقم ٣٦٩.

هذه على أوجه - نِعَمًا - بكسر النون والعين وإدغام الميم في الميم، وإن شئت فتحت النون، وإن شئت أسكنت العين فقلت نَعَمًا، إلا أن الأحسن عندي الإدغام مع كسر العين فأما من قرأ نَعَمَ ما بإسكان العين والميم، فهو شيء ينكره البصريون، ويَزْعُمُونَ أن اجتماع الساكنين أعني العين والميم غير جائز، والذي قالوا بَيِّن، وذلك أنه غير ممكن في اللفظ، إنما يحتال فيه بمشقة في اللفظ^(١).

وقوله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾:

أي أطيعوا أولي الأمر منكم، فأمر الله عز وجل بطاعته، فيما فرض، وطاعة رسوله وتصديقه فيما أدى عن الله.

وأولو الأمر منهم هم أصحاب رسول الله (ﷺ) ومن اتبعهم من أهل العلم، وقيل إنهم هم الأمراء، والأمراء إذا كانوا أولي علم ودين آخذين بما يقوله أهل العلم، فطاعتهم فريضة.

وجُمِلَ أولي الأمر من المسلمين من يقول بشأنهم في أمر دينهم وجميع ما أدى إلى صلاح له.

ويقال: أديت الشيء تأدية، والأداء اسم ممدود وأدوت الرجل آدو له أدواً إذا ختلته، قال الشاعر:

أَدَوْتُ لَهُ لِأَخِيهِ فِهِيَاهُ الْفَتَى حَذَرًا^(٢)
وَأَدَى اللَّبَنُ أَدِيًّا إِذَا حَمَضَ.

(١) راجع ما قيل مثل هذا في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ ج ١ ص ١٣٥ وما بعدها.

(٢) اللسان . والتاج «أدو» .

أدوت له: دبرت له مكيدة - وحذراً منصوب بفعل مضمر أي لا يزال حذراً، أو هو حال - ويروى لأخذه، والمعنى واحد. يقال - أدا - يأدو أدوا، وأنا آدو له.

وقوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾:

معنى تنازعتم اختلفتم وتجادلتم وقال كل فريق: القول قولي.

واشتقاق المنازعة أن كل واحد منهما ينزع الحجة.

وفي هذه الآية أمرٌ مؤكد يدل على أن القصد للاختلاف كُفْرًا، وأن الإيمان أتباع الإجماع والسُّنَّة، ولا يخلو قوله عز وجل:

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

من أحد أمرين: إمَّا أن تردُّوا ما اختلفتم فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله، أو تقولوا إن لم تعلموه: الله ورسوله أعلم.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾:

أي إن ردَّكم ما اختلفتم فيه إلى ما أتى من عند الله وترككم التَّحَارُبَ خَيْرًا، وأَحْسَنُ تَأْوِيلًا لَكُمْ، أي أحسن عاقبة لكم. وجائز أن يكون أحسن تأويلًا أي أحسن من تأويلكم أنتم. دون ردَّكم إياه إلى الكتاب والسُّنَّة.

وتأويلًا منصوبٌ على التمييز.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾:

يُعْنَى به المنافقون.

﴿أَنَّهُمْ﴾ تنوب عن اسم الزَّعم وخبره^(١).

وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾:

إلى الكاهن والشيطان.

(١) سدت مسد مفعولي «زعم» - أن واسمها وخبرها تسد مكان المفعولات. وسيأتي هذا عند الآية ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم﴾.

ويروى أَنَّ رَجُلًا من المنافقين نازعه رجل من اليهود، فقال اليهودي بيني وبينك أبو القاسم^(١) وقال المنافق بيني وبينك الكاهن، فلم يرض اليهودي بالكاهن وصار إلى النبي (ﷺ) فحكم لليهودي على المنافق فقال المنافق لا أرضى. بيني وبينك أبو بكر، فحكم أبو بكر أيضاً لليهودي، فلم يرض المنافق وقال بيني وبينك عمر فصارا إلى عمر فأخبره اليهودي بأن المنافق قد حَكَمَ عليه النبي (ﷺ) وأبو بكر فلم يرض بحكمهما. فقال عمر للمنافق: أكذاك؟ قال: نَعَمْ، فقال عمر: اصبروا فإن لي حاجةً أَدْخُلُ فَأَقْضِيهَا وأُخْرِجُ إِلَيْكُمَا فَدْخُلُ وَأُخْذُ سِيفَهُ وَخَرَجَ إِلَى الْمَنَافِقِ فَضْرِبَهُ بِالسِّيفِ حَتَّى قَتَلَهُ، فَجَاءَ أَهْلُهُ فَشَكُوا عُمَرَ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ رَدَّ حُكْمَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فقال رسول الله: أَنْتَ الْفَارُوقُ..

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾:

أَي يَصُدُّونَ عَنْ حُكْمِكَ.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾:

أَي فَكَيْفَ تَكُونُ حَالُهُمْ إِذَا قُتِلَ صَاحِبُهُمْ بِمَا أَظْهَرَ مِنَ الْخِيَانَةِ وَرَدَّ حُكْمَ النَّبِيِّ (ﷺ).

وقوله: ﴿ثُمَّ جَاءُواكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾:

أَي مَا أَرَدْنَا بِمُطَالَبَتِنَا بِدَمِ صَاحِبِنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَطَلَبًا لِمَا يُوَافِقُ الْحَقَّ:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾:

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِ أُولَئِكَ وَقُلُوبَ غَيْرِهِمْ، أَلَا أَنَّ الْفَائِدَةَ فِي ذِكْرِهِ

(١) يعني رسول الله ﷺ.

ههنا الذين يعلم الله ما في قلوبهم أي أولئك الذين قد علم الله أنهم منافقون. والفائدة لنا [هي]: إعلموا أنهم منافقون.

وقوله جل وعز: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾:

أي أعلمهم أنهم إن ظهر منهم ردّ لحكمك وكفر، فالقتل حقهم. يقال قولٌ بليغٌ إذا كان يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، ويقال أحقُّ ببلغ وبلغ. وفيه قولان: أنه أحقُّ يبلغ حيث يريد^(١)، ويكون «أحقُّ ببلغ وبلغ» قد بلغ في الحماقة. والقول الأول قول من يؤثّق بعلمه، والثاني وجه جيّد.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

[أي] أذن في ذلك^(٢).

و«من» دخلت للتوكيد. المعنى وما أرسلنا رسولا إلا ليطاع بإذن الله.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾:

«أن» في موضع رفع: المعنى لو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم أنفسهم مع استغفارهم. ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

يُعْنَى به المنافقون.

﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾:

أي فيما وقع من الاختلاف بينهم، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾، أي لا تضيق صدورهم من قضيتك.

﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾:

(١) هذا هو الوجه الأول.

أي يصل إليه مع حمقه وبلاهته. و«يكون»: هو الوجه الثاني.

(٢) أعلمه الله أنه مطاع.

أي يسلمون لما يأتي به من حُكْمِكَ^(١)، لا يعارضونه بشيء، وتسليماً مصدر مؤكد، والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكر الفعل ثانياً، كأنك إذا قلت سلمت تسليماً فقد قلت: سَلَمْتُ سَلَمْتُ. وحقُّ التوكيد أن يكون محققاً لما تذكره في صدر كلامك، فإذا قلت ضربت ضرباً، فكأنك قلت أخذت ضرباً أحقه ولا أشك فيه، وكذلك ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ أي يسلمون لحكمك تسليماً، لا يدخلون على أنفسهم فيه شكاً.

وقوله جل وعز: ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾:

«لو» تمنع بها الشيء لامتناع غيره. تقول لو جاءني زيد لجئت، المعنى ان مجيئي امتنع لامتناع مجيء زيد، فحقها أن يلها الأفعال. إلا أن «أن» المشددة تقع بعدها، لأن - «أن» في اللغة تنوب عن الاسم والخبر، تقول ظننت أنك عالم.

[وهذا] كقولك ظننتك عالماً. والمعنى ظننت علمك. فالمعنى في «أن» بعد «لو» أنها نابت عن الفعل والاسم، كما نابت عن الاسم والخبر.

فالمعنى في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ كالمعنى في لو كتبنا عليهم. وجائز أن يكون مضمر الفعل مع «أن» مع وقوع قابلها.

المعنى ولو وقع وكتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم.

وإن شئت كسرتها لالتقاء الساكنين أعني . . «أن اقتلوا أنفسكم» وإن شئت قلت «أن اقتلوا» فضممتها لانضمام التاء . .

(١) يذعنون له ولا يعارضون، ولا يكون في نفوسهم حرج منه.

وأبو عمرو بن العلاء يختار مع النونات خاصة الكسرَ وَمَعَ سائر ما في القرآن - إذا كان ما بعدها مضموماً - الضمُّ، إلّا قوله :

﴿وَقَالَتِ اُخْرُجْ عَلَيْهِنَ﴾^(١)، ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢) ولست أعرف في هذين الحرفين خاصية أبي^(٣) عمرو إياهما بالكسر إلا أن يكونَ رَوَى روايةً فاختر الكسرَ لهذه العلة، أو يكونَ أرادَ أن الكسرَ جازٌ أيضاً كما جاز الضمُّ - وهذا أجودُ التأويلين .

وللكسر والضم في هذه الحروف وجهان جيدان قد قرأتِ القراء بهما^(٤) .

فأما رفع إلا قليلٌ منهم . فعلى البدل من الواو . المعنى ما فعله إلا قليل منهم . والنصب جائز في غير القرآن، على معنى ما فعلوه أُسْتَنِي قَلِيلاً مِنْهُمْ، وعلى ما فسرنا في نصب الاستثناء، فإن كان في النفي نوعان مختلفان فلاختيارُ النصب، والبدلُ جائز، تقولُ مَا بِالْذَّارِ أَحَدٌ إِلَّا حِمَاراً قال النابغة الذبياني :

وقفت فيها أصيلاً أسأئلها عَيْتٌ جواباً وَمَا بالربع من أحدٍ
إِلَّا الْأَوَارِيَّ لَأَيَّاماً أَبَيَّنُّهَا وَالتَّوْئِي كالحوضِ بِالْمُظْلَمَةِ الْجَلْدِ^(٥)

(١) سورة يوسف ٣١ . (٢) سورة الأنعام ١٠ .

(٣) خلاصته أن مذهب أبي عمرو في التقاء ساكنين من هذا النوع أن يضم الحرف الأول مراعاة لحركة الضم التي كانت لهمزة الوصل، فهو يقول مثلاً: قد اقتل في هذا المكان، هل احتضر الرجل قل انظروا، لكن إذا كان الحرف الأول نوباً أثر أن تكسر، فهو يقول فمن اضطر في مخمصة، وأن احكم بينهم وقد روي عنه كسر التاء في ﴿وقالت اخرج عليهن﴾، والبدال في: ولقد استهزى. ولا يعرف الزجاج سبباً لإشارتهما بالكسر. وفي ب: لإشارتهما بالكسر (خاصة).

(٤) أما الكسر فهو لالتقاء الساكنين، والضم لنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.

(٥) في قصيدته: يا دارمية بالعلاء فالسند. وتقدم البيت الثاني ص ١٣٥ ج ١. وأصيلاً تصغير =

فقال ما بالرَّبع مِنْ أَحَدٍ، أَي ما بالرَّبعِ أَحَدٌ إِلَّا أَوَارِيَّ، لَأَن الأَوَارِيَّ
ليست من الناس .

وقد يجوز الرفع على البدل، وإن كان ليس من جنس الأول كما قال
الشاعر:

وبلَدٌ ليس به أنيسُ^(١) إِلَّا اليَعاْفيرُ وإِلا العيسُ

فجعل اليعافير والعيس بدلا من الأنيس .

وجائز أن يكون أنيس ذلك البلد اليعافير والعيس^(٢) .

وقوله: ﴿وَحَسُنَ أَوْلَيْكَ رَفِيقًا﴾ .

يعنى النبيين، لأنه قال :

﴿وَمَنْ يُطْعِمِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ﴾ أي المطيعون .

﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
وَحَسُنَ أَوْلَيْكَ رَفِيقًا﴾ .

أي الأنبياء ومن معهم [حسنوا] رفيقاً .

و«رفيقاً» منصوب على التمييز، ينبو عن رفقاء، وقال بعضهم لا ينبو
الواحد عن الجماعة إلا أن يكون من أسماء الفاعلين . فلو كان «حَسُنَ الْقَوْمُ
رَجُلًا» لم يجز عنده . ولا فرق بين رفيق ورجل في هذا المعنى لأن الواحد في

= أصيل - في لغة . وانظر شرح العشر للزوزني ١١١ .

(١) لجران العود - الديوان ٥٢ ، والقرطبي ٥ - ٣١٢ ، والخزانة - ٢ - ٢٩ والعيني ١ - ٣٢ واليعافير
جمع يعفور، دابة ذات لون رمادي تشبه الفأرة الصغيرة . والعيس البيض من الظباء أو الإبل -
يريد أن البلدة قد هجرت وصارت هذه الحيوانات ترحل بها . وجران هو عامر بن الحرث - وأكثر
الرواية وبلدة ليس بها أنيس، الشاهد رفع المستثنى مع أن الاستثناء منقطع .

(٢) أي هو إذن استثناء متصل فلا شذوذ فيه .

التمييز ينوب عن الجماعة، وكذلك في المواضع التي لا تكون إلا جماعة^(١) نحو قولك هُوَ أَحْسَنُ فَتًى وَأَجْمَلُهُ، المعنى هو أحسن الفتيان وأجملهم، وإذا كان الموضع الذي لا يُلبَسُ ذِكْرُ الواحد [فيه] فهو يُنبئُ عن الجماعة كقول الشاعر: (٢)

بها جيف الحسرى فأما عظامها فيض، وأما جلدها فصليب
وقال الآخر:

فِي خَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا (٣)

يريد في خلقكم عِظَامٌ، ولو قلت حَسَنَ القوم مجاهداً في سبيل الله، وحسن القوم رجلاً كان واحداً^(٤).

وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾.

معناه وكفى الله علماً، والباء مؤكدة. المعنى اكتفوا بالله علماً.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾.

أمر الله أن لا يُلقِيَ المؤمنون بأيديهم إلى التهلكة وأن يحذروا عدوهم وأن يجاهدوا في الله حق الجهاد، ليلو الله الأخيارَ وضمينَ لهم مع ذلك النَّصْرَ، لأنه لو تولى [الله تعالى] قتل أعدائه بغير سبب للآدميين^(٥) لم يكونوا مُثَابِينَ، ولكنه أمر أن يُؤْخَذَ الحذر.

وقال: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعاً﴾:

(١) أي نكرات عامة يفهم منها معنى الجمع.

(٢) تقدم في الجزء الأول ص ٨٣.

(٣) تقدم أيضاً ص ٨٣ ج ١.

(٤) أي لا فرق بين ما هو اسم فاعل أو غيره.

(٥) من غير عمل منهم.

وَالثَّبَاتُ الْجَمَاعَاتِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَاحِدَهَا ثُبَّةٌ، قَالَ زَهِيرُ ابْنِ أَبِي سَلَمَى: (١)

وَقَدْ أَغْدُو عَلَى ثُبَّةٍ كَرَامٍ نَشَاوَى وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاءُ

قَالَ سِيبَوَيْهٍ ثُبَّةٌ تَجْمَعُ ثُبُونٌ وَثُبَيْنٌ، فِي الرِّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالْجَرِّ وَإِنَّمَا جُمِعَتْ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ - وَكَذَلِكَ عِزَّةٌ وَعِصَّةٌ - كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (٢) - لِأَنَّ الْوَاوَ وَالنُّونَ جُعِلَتَا عَوْضًا مِنْ حَذْفِ آخِرِ الْكَلِمَةِ، وَثُبَّةٌ الَّتِي هِيَ الْجَمَاعَةُ مُحَذُوفٌ آخَرُهَا؛ تُصَغَّرُ ثُبَّةً، وَثُبَّةُ الْحَوْضِ وَسَطُهُ حَيْثُ يَثُوبُ الْمَاءُ إِلَيْهِ تُصَغَّرُ ثُوبَةً، لِأَنَّ هَذَا مُحَذُوفَةٌ مِنْهُ عَيْنُ الْفِعْلِ، وَإِنَّمَا اشْتَقَّتْ ثُبَّةُ الْجَمَاعَةِ مِنْ ثُبَيْتٍ عَلَى الرَّجُلِ إِذَا اثْنَيْتَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، وَتَأْوِيلُهُ أَنَّكَ جَمَعْتَ ذَكَرَ مُحَاسِنِهِ، فَأَمَّا الثُّبَّةُ الْجَمَاعَةُ مِنْ فِرْقَةٍ. فَتَأْوِيلُهُ انْفَرَوْا جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً أَوْ انْفَرَوْا بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ.

وَقَالَ: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ﴾.

أَيُّ مِمَّنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ لِمَنْ يَبْطِئُ عَنِ الْقِتَالِ، يُقَالُ قَدْ أَبْطَأَ الرَّجُلُ وَبَطُوءٌ بِمَعْنَى، أَبْطَأَ تَأَخَّرَ، وَمَعْنَى بَطُوءٌ ثَقُلَ، إِبْطَاءً، وَبُطْئًا.

وَالسَّلَامُ الْأَوَّلَى الَّتِي فِي «لَمَنْ» لَامٌ إِنْ (٣)، وَالسَّلَامُ الَّتِي فِي لَيَبْطِئَنَّ لَامُ الْقَسِيمِ، وَمَنْ مَوْصُولَةٌ بِالْجَالِبِ لِلْقَسِيمِ، كَأَنَّ هَذَا لَوْ كَانَ كَلَامًا لَقُلْتُ إِنْ (٤) مِنْكُمْ لَمَنْ أُخْلِفَ وَاللَّهُ لَيَبْطِئَنَّ، وَالنَّحْوِيُّونَ يَجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ وَمَا وَالَّذِي لَا

(١) الديوان ٧٢ - من قصيدته: عفا من آل فاطمة الجواء.

وثبئة جماعة، ونشأوى جمع نشوان، أي طرب أو سكران من خمر أو غيره، وواجدين لما نشاء - أي ميسورين لديهم ما يريدون من الشراب وغيره. - وسيبويه يجعل جمعها ملحقاً بجمع المذكر السالم، كسنة وعزة.

(٢) سورة الحجر آية - ٩١.

(٣) لام التوكيد التي تأتي في خبر إن.

(٤) ط أني.

يُوصَلْنَ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ إِلَّا بِمَا يُضْمَرُ مَعَهَا مِنْ ذِكْرِ الْخَبَرِ^(١)، وَأَنْ لَامَ الْقِسْمِ إِذَا جَاءَتْ مَعَ هَذِهِ الْحُرُوفِ فَلَفْظُ الْقِسْمِ وَمَا أَشْبَهَ لَفْظَهُ مُضْمَرٌ مَعَهَا.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ، قَالُوا هَذَا الْمُبْطِيُّ:

﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾.

أَيُّ لَمْ أَشْرَكُهُمْ فِي مُصِيبَتِهِمْ.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ أَيُّ ظَفَرْتُمْ وَغَنِمْتُمْ.

﴿لَيَقُولُنَّ - كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ - يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾.

﴿وَكَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَوَدَّةٌ﴾: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ وَقَعَ هُنَا مُعْتَرِضًا:

الْمَعْنَى: وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ.

﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ وَيَكُونُ:

﴿وَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾

«كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَوَدَّةٌ».

وَمَعْنَى الْمَوَدَّةِ هُنَا، أَيُّ كَأَنْ لَمْ يُعَاقِدْكُمْ عَلَى الْإِيمَانِ أَيُّ كَأَنْ لَمْ يُظْهِرْ

لَكُمْ الْمَوَدَّةَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لَيَقُولُنَّ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ كَأَنْ لَمْ

تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ، أَيُّ كَأَنْ لَمْ يُعَاقِدْكُمْ عَلَى أَنْ يُجَاهِدَ مَعَكُمْ. فَلَا يَكُونُ

فِي الْعَرَبِيَّةِ فِيهِ عَيْبٌ وَلَا يَنْقُصُ مَعْنَى... وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

فَأَفُوزَ مَنْصُوبٌ عَلَى جَوَابِ التَّمَنَّى بِالْفَاءِ.

وقوله: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

(١) صلة الموصول لا تكون طلباً - فإذا وقعت كذلك قدرت لها جملة خبرية - كما قدر هنا الفعل

«أحلف». وكذلك صلة الموصول.

أَيُّ إِنْ كَانَتْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عَقْدَةٌ أَمَانَ فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَكُمْ .
﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ .

أَيُّ يَبِيعُونَ ، يقال شَرِيتَ بمعنى بَعْتُ ، وَشَرَيْتَ بمعنى اشْتَرَيْتُ قال يزيد ابن مُقْرِغ^(١) .

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لِيَتْنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هَامَهُ
بُرْدٌ غَلَامُهُ ، وَشَرِيْتُهُ بَعْتُهُ .

وقوله : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

«ما» منفصلة . المعنى أَي شَيْءٍ لَكُمْ تَارِكِينَ الْقِتَالَ . و﴿لَا تُقَاتِلُونَ﴾ في موضع نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ كَقَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾^(٢) .

﴿وَالْمُسْتَضَعِّفِينَ﴾ : فِي مَوْضِعِ جَرٍ .

المعنى وما لكم لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَسَبِيلِ الْمُسْتَضَعِّفِينَ .

﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ .

يعني بالقريّة مكة ، أَي مَا لَكُمْ لَا تَسْعُونَ فِي خِلَاصِ هَؤُلَاءِ .

وقوله : ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ .

أَي تَوَلَّنا بِنَصْرِكَ وَخَلَّصْنَا مِنْ أَهْلِ مَكَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا . [فهو] نعت للقرية ، ووَحَّدَ الظَّالِمَ لِأَنَّهُ صِفَةُ تَقَعُ مَوْقِعِ الْفِعْلِ تَقُولُ مَرَرْتُ بِالْقَرْيَةِ الصَّالِحِ أَهْلُهَا كَقَوْلِكَ الَّتِي صَلَحَ أَهْلُهَا .

(١) تقدم شرح هذا ص ٢٧٨ ج ١ .

(٢) سورة المدثر ٤٩ .

قال أبو العباس محمد بن يزيد: ﴿وَالْمُسْتَضعِفِينَ﴾ في موضع جر: من وَجْهَيْنِ: المعنى ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي المستضعفين، قال: وجائز أن يكون عطفاً على اسم الله، أي في سبيل الله وسبيل المستضعفين^(١)، قال: وأختار أن يكون على «وفي الْمُسْتَضعِفِينَ» لاختلاف السبيلين، لأن معنى سبيل المستضعفين كأنه خلاص المستضعفين، وقول أكثر النحويين كما اختار أبو العباس محمد بن يزيد. والوجه الثاني عندي أشبه بالمعنى، لأن سبيل المستضعفين هي سبيل الله.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يقاتِلُونَ فِي سبيلِ الطَّاغُوتِ﴾.

الطاغوت في قول النحويين أجمعين يذكّر ويؤنث. وفي القرآن دليل على تذكيره وتأنثه، فأما تذكيره فبقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾^(٢)، وأما تأنثه فبقوله - جلّ وعزّ -: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾^(٣). قال أبو عبيدة: الطاغوت ههنا في معنى جماعة، كما قال الله - عزّ وجلّ -: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾^(٤) معناه لحم الخنازير كلها.

والطاغوت الشيطان، وكل معبود من دون الله فهو طاغوت. والدليل على أن الطاغوت الشيطان قوله: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

قيل كان المسلمون قبل أن يؤمروا بالقتال قالوا للنبي - ﷺ -: لو أذنت

(١) المعنى واحد على كلا التقديرين.

(٢) سورة النساء - ٦٠.

(٣) سورة الزمر - ١٧.

(٤) سورة المائدة - ٣.

لَنَا أَنْ نَعْمَلَ مَعَاوِلَ نَقَاتِلَ بِهَا الْمُشْرِكِينَ، فَأَمَرُوا بِالْكَفِّ وَأَدَاءِ مَا اقْتَرَضَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْقِتَالِ، فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ خَشِيَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾.

المعنى هَلَّا أَخَّرْتَنَا.

فَاعْلَمْ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّ مَتَاعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَأَنَّ الْآخِرَةَ لِأَهْلِ التَّقَى، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ أَجَالَهُمْ تَخَطُّهُمْ وَلَوْ تَحَصَّنُوا بِأَمْنِ الْحَصُونِ فَقَالَ:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ لِأَنَّ مُفْعَلَةً، وَمُفْعَلٌ لِلتَّكْثِيرِ، يُقَالُ: شَادَ الرَّجُلُ بِنَاءً يُشِيدُهُ شَيْدًا إِذَا رَفَعَهُ وَإِذَا طَلَّاهُ بِالشَّيْدِ، وَهُوَ مَا يَطْلَى بِهِ الْبِنَاءُ مِنَ الْكِلْسِ وَالْجَصِّ وَغَيْرِهِ، وَيُقَالُ أَيْضًا قَدْ أَشَادَ الرَّجُلُ بِنَاءً. فَأَمَّا فِي الذِّكْرِ فَأَشَدَّتْ بِذِكْرِ فَلَانٍ لَا غَيْرَ إِذَا رَفَعَتْ مِنْ ذِكْرِهِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾.

قِيلَ كَانَتْ الْيَهُودُ - لُعِنَتْ - تَشَاءَمَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ دُخُولِهِ الْمَدِينَةَ فَقَالَتْ: مِنْذُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ نَقَصَتْ ثِمَارُنَا وَغَلَتْ أَسْعَارُنَا، فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْخُصْبَ وَالْجَدَبَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾.

هَذَا خُطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَرَادُ بِهِ الْخَلْقُ، وَمُخَاطَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ تَكُونُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِسَانَهُمْ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(١).

فَنَادَى النَّبِيُّ ﷺ وَحْدَهُ وَصَارَ الْخُطَابُ شَامِلًا لَهُ وَلِسَائِرِ أُمَّتِهِ، فَمَعْنَى مَا

(١) سورة الطلاق - .

أصابك من حسنة فمن الله، أي ما أصبتم من غنيمة أو أتاكم من خصب فمن تفضل الله، وما أصابك من سيئة أي من جذب أو غلبة في حرب فمن نفسك، أي أصابكم ذلك بما كسبتم كما قال الله جل وعز ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾^(١).

ومعنى ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾.

معنى الرسول ههنا مؤكد لقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ لأن ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ﴾ تدل على أنه رسول.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

أي الله قد شهد أنه صادق، وأنه رسوله، و«شهاداً» منصوب على التمييز، لأنك إذا قلت كفى الله ولم تبين في أي شيء الكفاية كنت مبهماً.

والفاء دخلت في قوله جل وعز: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ لأن الكلام في تقدير الجزاء، وهو بمنزلة قولك: إِنْ تُصِبَكَ حَسَنَةٌ فَمِنَ اللَّهِ^(٢).

وقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

أي من قبل ما أتى به الرسول فإنما قبل ما أمر الله به.

وقوله: ﴿وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾.

تأويله - والله أعلم - أنك لا تعلم غيهم إنما لك ما ظهر منهم، والدليل على ذلك ما يتلوه وهو قوله:

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾.

(١) سورة الشورى ٣٠.

(٢) الاسم الموصول يشبه الشرط في عمومته واستقباله فتدخل الفاء في خبره. ويجوز أن تكون «ما» ههنا شرطية.

قال النحويون [تقديره] أمرنا طاعةً . وقال بعضهم مِنَّا طاعةً .
والمعنى واحد ، إلا أن إضمار أمرنا أجمع في القصة وأحسن .

وقوله: ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾:
يقال لكل أمر قد قُضِيَ بِلَيْلٍ قد بَيَّتَ . قال الشاعر: (١)

أَتُونِي فَلَمْ أَذِرْ مَا بَيَّتُوا وَكَانُوا أَتُونِي لِأَمْرِ نَكْرٍ

أي فلست حفيظاً عليهم تعلم ما يغيب عنك من شأنهم ، وهذا ونظائره
في كتاب الله من أبين آيات النبي ﷺ ، لأنهم ما كانوا يُخفون عنه أمراً إلا
أظهره الله عليه .

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ .

فيه وجهان ، يجوز أن يكون - والله أعلم - ينزله إليك في كتابه ، وجائز أن
يكون يكتب ما يُبَيِّتُونَ يحفظه (٢) عليهم ليُجازوا به .

وقوله: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ .

أي لَا تُسَمِّ هَؤُلَاءِ بِأَعْيَانِهِمْ لما أحب الله من ستر أمر المنافقين إلى أن
يستقيم أمر الإسلام . فأما قوله: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ فذكر ولم يقل بيئت ، فلأن (٣)

(١) هو عبيدة بن همام - له ترجمة في الأغاني ١١ - ٥٨ - في خبر الجحاف ونسبه وبعد البيت:

لأنكح أيمهم منذراً وهل ينكح العبد حرّاً لحر

وينسب البيتان للأسود بن يعفر - انظر اللسان (نكر) ، ومجاز أبي عبيدة ١ - ١٣٣ - والكمال

٣٥/٢ ، ١٠٦ والمعنى أنهم أتوه وقد دبروا شراً لا علم له به ، وهذا الشر أن يزوج منذراً هذه
الفتاة وهو غير كفء لها .

(٢) تكتبه الحفظة حتى يحاسبوا عليه يوم القيامة .

(٣) في الأصل لأن - بدون فاء - وهو خطأ .

كل تأنيث غير حقيقي فتعبيره بلفظ التذكير جائز، تقول: قالت طائفة من أهل الكتاب، وقال طائفة من المسلمين لأن طائفة وفريقاً في معنى واحد، فكذلك قوله عز وجل: ﴿فَمِنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾^(١)، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٢)، يعني الوعظ إذا قلت فمن جاءه موعظة. وقرأ القراء بيئت طائفة على إسكان التاء وإدغامها في الطاء، وروي عن الكسائي أن ذلك إذا كان في فعل فهو قبيح، ولا فرق في الإدغام ههنا في فعل كان أو في اسم لو قلت بيئت طائفة وهذا بيئت طائفة - وأنت تريد بيئت طائفة كان واحداً، وإنما جاز الإدغام لأن التاء والطاء من مخرج واحد.

وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

يُعْنَى به المنافقون، أي لو كان ما يخبرون به مما بيئوا، وما يُسْرُونَ ويُوْحَى إلى النبي ﷺ. . . لولا أنه من عند الله لما كان الإخبار به غير مختلف، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله^(٣). وهذا من آيات النبي ﷺ البيئة.

ومعنى تَذَكَّرْتُ الشيء، نظرتُ في عاقبته، وقولهم في الخبر: لا تَذَابَرُوا، أي لا تكونوا أعداء، أي لا يُؤَلَى بعضكم دُبْرَ، يقال قد ذَبَرَ القومُ يَذْبَرُونَ ذَبَاراً إذا هَلَكُوا، وأَذْبَرُوا إذا وَلَّى أمرهم، وإنما تأويله أنه تقصَّى أمرهم إلى آخره فلم يبق منهم باقية، والدُّبْرُ النُّحْلُ سُمِّيَ ذَبْراً لأنه يُعْقَبُ^(٤) ما ينتفع به، والدُّبْرُ المال الكثير سُمِّيَ ذَبْراً لكثرتِه، ولأنه يبقى للأعقاب والأدبار،

(١) البقرة - ٢٧٥.

(٢) يونس - ٥٧.

(٣) يريد أن ما أخبرهم به النبي ﷺ من شؤونهم التي يسرون ويعلنون إنما هو وحي من الله تعالى

بدليل أنه لا اختلاف فيه.

(٤) يترك ويبقى.

وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾.

أي أظهروه ونادوا به في الناس، قال الشاعر: (١)

أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء ناراً أوقدت بثقوب

وكان إذا علم النبي ﷺ أنه ظاهر على قوم آمن منهم، أو أعلم تجمع قوم يخاف من جمع مثلهم، أذاع المنافقون ذلك ليحذر من يحذر من الكفار، وليقوى قلب من ينبغي أن يقوى قلبه لما أذاعوا وكان ضعة المسلمين يشيعون ذلك معهم من غير علم بالضرر في ذلك، فقال عز وجل ولوردوا ذلك إلى أن يأخذوه من قبل الرسول ومن قبل أولي الأمر منهم، أي من قبل ذوي العلم والرأي منهم.

وقوله: ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.

أي لعلمه هؤلاء الذين أذاعوا به من ضعة المسلمين من (٢) النبي ﷺ وذوي العلم، وكانوا يعلمون مع ذلك هل ينبغي أن يذاع أو لا يذاع.

ومعنى «يستنبطونه» في اللغة يستخرجونه، وأصله من النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر في أول ما يحفر، يقال من ذلك: قد أنبط فلان في غصراء (٣)، أي استنبط الماء من طين حر (٤). والنبط إنما سُموا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين.

وقوله: ﴿وَأَوَّلَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتُغْنِمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(١) أبو الأسود الدؤلي. الخزانة ١ - ١٥٣، المعني ٢ - ٥٣٦، الطبري ٥ - ١١٤ أي أعلن هذا الأمر وشهره حتى صار كالنار التي توقد بمكان مرتفع يراها كل مار.

(٢) حصلوا على العلم به منهم.

(٣) الغصراء الأرض نطقة الخفس.

(٤) طين نقي جيد، أنه حار.

قال بعضهم : لولا ما أنزله الله عليكم من القرآن ، وبين لكم من الآيات على لسان نبيه لا تبغتم الشيطان إلا قليلاً ، أي كان أولكم بجوار الكفر^(١) ، وهذا ليس قول أحد من أهل اللغة ، قال أهل اللغة كلهم : المعنى : ﴿لولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبغتم الشيطان إلا قليلاً﴾ إنما هو استثناء من قوله ﴿لعلهم الذين يستنبطونه منهم﴾ إلا قليلاً ، وقال النحويون : المعنى أذاعوا به إلا قليلاً ، وقالوا أن يكون الاستثناء من أذاعوا به إلا قليلاً أجود^(٢) ، لأن ما علم بالاستنباط فليس^(٣) الأكثر يعرفه ، إنما يستنبط القليل ، لأن الفضائل والاستنباط ، والاستخراج في القليل من الناس . وهذا في هذا الموضع غلط من النحويين ، لأن هذا الاستنباط ليس بشيء يستخرج بنظر وتفكر ، إنما هو استنباط خبر ، فالأكثر يعرف الخبر ، إذا خبر به ، وإنما القليل المبالغ في البلادة لا يعلم ما يخبر به ، والقول الأول مع هذين القولين جائزة كلها^(٤) . والله أعلم .

لأن القرآن قبل أن ينزل والنبى قبل أن يبعث قد كان في الناس القليل ممن لم يشاهد القرآن ولا النبى ﷺ مؤمناً . وقد يجوز أن يقول القائل إن من كان قبل هذا مؤمناً بفضل الله وبرحمته آمن ، فالفضل والرحمة لا يخلو منهما من نال ثواب الله جل وعز إلا أن المقصود به في هذا الموضع النبى ﷺ والقرآن .

وقوله جل وعز ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ .

هذه الفاء جواب قوله جل وعز : ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ

(١) لانحرف بكم الشيطان انحرافاً يكاد يكون كاملاً ، أو لانحرف بكم جميعاً إلا قليلاً منكم .

(٢) تفسير لنوع اتباعهم الشيطان - فعلى الأول سببه اتباع من لا قدرة له على الاستنباط ، وفي الثاني سببه الإذاعة بهذا الأمر . وكونه استثناء من ﴿الذين يستنبطونه﴾ أو أذاعوا به بعيد .

(٣) الفاء واقعة في خبر الاسم الموصول كما سبق كثيراً .

(٤) أي هذه الأقوال الثلاثة جائزة .

يَغْلِبُ فَسَوْفَ تُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾ ، ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١).

ويجوز أن يكون متصلاً بقوله: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي أي شيء لكم في ترك القتال ﴿فقاتل في سبيل الله﴾. فأمره الله بالقتال ولو أنه قاتل وحده، لأنه قد ضمن له النصر.

ويروى عن أبي بكر رحمه الله أنه قال في الردة، لو خالفتني يميني جاهدتها بشمالي.

وقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾.

البأس الشدة في كل شيء.

وقوله: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا، وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾.

الكفل في اللغة النصيب، أُخِذَ من قولهم أَكْفَلْتُ البعيرَ إذا أَدْرَتَ على سِنَامِهِ أو على موضع من ظهره كساءً، وركبت عليه وإنما قيل له كفل، وأَكْتَفَلَ البعيرُ؛ لأنه لم يُسْتَعْمَلْ الظَّهْرُ كله، إنما اسْتُعْمِلَ نَصِيبٌ من الظهر، ولم يستعمل كله.

وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾.

قال بعضهم: المقيت القدير، وقال بعضهم: المقيت الحفيظ، وهو عندي - والله أعلم - بالحفيظ أشبه، لأنه من القُوتِ مُشْتَقٌّ، يقال: قُتَّ الرَّجُلُ أَقْوَتُهُ قوتاً إذا حفظتُ عليه نفسه بما يقوته. والقوتُ اسم ذلك الشيء الذي يحفظ نفسه، ولا فضل فيه على قدرة الحفظ، فمعنى المقيت - والله أعلم - الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ قال الشاعر: (٢)

(١) جواب الشرط المذكور في «فسوق» والغاء في «فقاتل» تفريعية، إذا كان الأمر كذلك فقاتل.

(٢) هو السموال بن عاديء صاحب الحصن، له قصص تروى في الوفاء، وقد جاء البيت مرتين في

أَلَيْ الْفَضْلُ أَمْ عَلَى إِذَا حُوسِبْتُ إِنِّي عَلَى الْحِسَابِ مُقِيْتُ .
 وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ .
 قال النحويون: «أحسن» ههنا صفة لا تنصرف لأنه على وزن أَفْعَل وهو صفة .

والمعنى فحيوا بتحية أحسن منها، وقيل في التفسير: التحية ههنا السلام، وهي تفعله - من حَيَّيْتُ، ومعنى حَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا: إذا قيل لكم «السلام عليكم» فقولوا: «وعليكم السلام ورحمة الله»، فالتحية التي هي أحسن منها، [هي] «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته»، ويقال لكل شيء منتهى، ومنتهى السلام [كلمة] وبركاته .

ويروى أَنَّ دَاخِلًا دخل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال النبي ﷺ وعليك، ودخل آخر فقال: السلام عليكم فقال النبي ﷺ وعليكم السلام ورحمة الله، ودخل رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال النبي ﷺ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقام الداخل الأول فقال: يا رسول الله سلمت فلم تَزِدْ علي «وعليك» وقام هذا فقال السلام عليكم فزدته، وقام هذا فقال: السلام عليكم ورحمة الله فزدته، فقال النبي ﷺ: إنك لم تترك من السلام شيئاً، فرددت عليك، وهذان تركا منه شيئاً فزدتهما .

وهذا دليل أَنَّ أَخْرَما في السُّنة من السَّلام [كلمة] وبركاته .

القرطبي، واحدة في ح ٥ - ٢٩٦، ومع بيت آخر قبله في ١ - ١٢٩، والعيني ٤ - ٣٣٢ واللسان (قوت) ومجاز أبي عبيدة في الآية نفسها، والبيت السابق هو:
 لبت شعري وأشعرن إذا ما قربوها مطوية ودعيت
 أي إذا قربوا لي صحيفة أعمالي هل أثاب أم أعاقب، اني في هذا الوقت مدرك كل ما فعلت .
 ويروى البيت برواية أخرى .

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾.

أي يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه، أي يكفيه، تقول حسبك بهذا أي اكتف بهذا، وقوله تعالى: ﴿عَطَاءٌ حِسَابًا﴾^(١) أي كافياً، وإنما سُمّي الحساب في المعاملات حساباً لأنه يعلم ما فيه كفاية ليس فيها زيادة على المقدار ولا نقصان.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

هذه لام القسم كقولك: والله ليجمعنكم، ومعنى القيامة في اللغة - والله أعلم - على ضربين، جائر أن تكون سميت القيامة لأن الناس يقومون من قبورهم، قال الله جلّ وعزّ: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتْتَشِرٌ﴾^(٢)، وجائر أن تكون سُميت القيامة لأن الناس يقومون للحساب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

ومعنى ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ - والله أعلم - أي يجمعكم في الموت وفي قبوركم، وقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ﴾.

هذا خطاب للمسلمين، وذلك أن قوماً من المنافقين قالوا للنبي ﷺ قد اجتونا^(٤) المدينة، فلو أذنت لنا فخرجنا إلى البدو، فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشرّكين، فقال قوم من المسلمين هم كفار هم كفار، وقال قوم: هم مسلمون حتى نعلم أنهم بدّلوا، فأمر الله بأن يتفق المسلمون على تكفير من احتال على النبي ﷺ وخالفه فقال - عزّ وجلّ -: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ﴾.

(١) سورة عم يتساءلون - ٣٦.

(٢) سورة القمر - ٧.

(٣) سورة المطففين - ٦.

(٤) سئناها ومللنا جوها.

أَيَّ شَيْءٍ لَكُمْ فِي الْإِخْتِلَافِ فِي أَمْرِهِمْ ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ .
 وتَأْوِيلُ «أَرْكَسَهُمْ» فِي اللُّغَةِ نَكَّسَهُمْ وَرَدَّهُمْ ، يُقَالُ أَرْكَسَهُ وَرَكَسَهُ .
 وَمَعْنَى ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ أَي رَدَّهُمْ إِلَى حُكْمِ الْكُفَّارِ .
 وَقَوْلُهُ : ﴿أَتَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ .
 أَي أَتَقُولُونَ إِنْ هَؤُلَاءِ مُهْتَدُونَ وَاللَّهُ قَدْ أَضَلَّهُمْ .
 ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ .

أَي طَرِيقًا إِلَى الْحُجَّةِ ، وَقَالَ النُّحَوِيُّونَ فِي نَصَبِ «فَتْنَيْنِ» إِنَّهَا مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْحَالِ ، وَقَالَ سَيِّبِيه : إِذَا قُلْتَ مَالِكٌ قَائِمًا فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ لِمَ قُمْتَ وَنَصَبَ عَلَى تَأْوِيلِ أَيَّ شَيْءٍ يَسْتَقِرُّ لَكَ فِي هَذِهِ الْحَالِ ، قَالَ غَيْرُهُ إِنْ «قَائِمًا» هَهُنَا مَنْصُوبٌ عَلَى جِهَةِ فِعْلِ «مَالَ» ^(١) وَيَجِيزُ مَالِكٌ قَائِمًا ، وَمَالِكُ الْقَائِمِ يَا هَذَا ، وَمَالِكُ الْقَائِمِ خَطَأً ، لِأَنَّ الْقَائِمَ مَعْرِفَةٌ فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقَعَ حَالًا ، وَ«مَا» حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الِاسْتِفْهَامِ لَا تَعْمَلُ عَمَلًا كَانَ ، وَلَوْ جَازَ مَالِكُ الْقَائِمِ يَا هَذَا ، جَازَ أَنْ يَقُولَ مَا عِنْدَكَ الْقَائِمَ ، وَمَا بِكَ الْقَائِمَ ، وَبِالْإِجْمَاعِ أَنَّ مَا عِنْدَكَ الْقَائِمَ خَطَأً ، فَمَالِكُ الْقَائِمِ مِثْلُهُ لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ .

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .
 أَي لَا تَتَّخِذُوا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ احْتَالُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى يَفَارِقُوهُ أَوْلِيَاءَ ،
 أَي لَا تَقُولُوا أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ حَتَّى يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَي حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ .

وَقَوْلُهُ : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ :

أَي تَوَلَّوْا عَنْ أَنْ يَهَاجِرُوا ، وَلِزِمُوا الْإِقَامَةَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ ﴿فَخَذَوْهُمْ
 وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ، وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ .

(١) أَي مَا هُوَ بِمَعْنَاهُ - وَنَحْلُ إِلَى مَعْنَى أَيَّ شَيْءٍ حَدَثَ لَكَ .

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾.

أي فاقتلوهم إلا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق.

ويروى أن هؤلاء اتصلوا ببني مُذَلِّج وكانوا صلحاً^(١) للنبي ﷺ.

وقوله: ﴿أَوْجَاءُكُمْ حَصَرْتُ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾.

معناه ضاقت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم، وقال النحويون إنَّ

﴿حَصَرْتُ صُدُورَهُمْ﴾ معناه أوجأوكم قد حَصَرْتُ صُدُورَهُمْ، لأنَّ حَصَرْتُ لَا

يَكُونُ حَالاً إِلَّا بَقْدٍ، وقال بعضهم حَصَرْتُ صُدُورَهُمْ خبر بعد خبر^(٢)، كأنه

قال: أوجأوكم، ثم أخبر فقال: ﴿حَصَرْتُ صُدُورَهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ أي ضيقَ

صُدُورِهِمْ عن قتالكم إنما هو لقذف الله الرعب في صدورهم، وقرأ بعضهم

«حَصْرَةُ صُدُورِهِمْ» على الحال.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾.

ستجدون من يظهر لكم الصلح ليأمنكم، وإذا سنحت فتنة كانوا^(٣) مع

أهلها عليكم.

وقوله: ﴿كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾.

أي انتكسوا عن عهدهم الذي عقدوه.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾.

أي فإن لم يعتزلوا قتالكم ولم يعاونوا عليكم^(٤).

(١) كان بنو مدلج صلحاً للنبي - فكان بينهم وبين المؤمنين ميثاق - فلا يستحق الذين لحقوا بهم أن يقتلوا.

(٢) أي جملة خبرية مستقلة وليست حالاً.

(٣) ب - كانت.

(٤) ولم يتركوا المعاونة عليكم.

﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾.

أي المقادة والاستسلام.

﴿وَيَكْفُؤُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ [أي] عن الحرب.

﴿فَخَذَوْهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبِيناً﴾.

أي حجة بينة بأنهم عَدْرَةٌ^(١)، لا يَقُونَ بما يفارقونكم عليه^(٢) من الهدنة والصلح.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً﴾.

المعنى ما كان لمؤمن البتة. و«إِلَّا خَطَأً» استثناء ليس من الأول^(٣).

المعنى إلا أن يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر بعد.

وقال بعض أهل العلم: ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً﴾ على معنى أن دم المسلم إنما يصفح عن أن يؤخذ به القاتل في الخطأ فقد عفى له عن قتل الخطأ، إلا أن الله جل ثناؤه فرض في كتابه على القاتل خطأ تحرير رقبة ودية مسلمة إلى أولياء المقتول، وبين رسول الله ﷺ دية الخطأ على العاقلة^(٤)، وعلى القاتل أن يؤدي في ذلك لقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾.

ويحتمل أن يكون الصَّيَامُ بدلاً من الرقبة وبدلاً مما ينبغي أن يؤدي في الدية. فَإِنْ قَتَلَ الْمُؤْمِنُ خَطَأً رَجُلًا مُؤْمِناً مِنْ قَوْمٍ كَفَرَهُ فَعَلَيْهِ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، وَلَا

(١) جمع غادر.

(٢) بما يفارقونكم وهم متفقون عليه.

(٣) استثناء منقطع.

(٤) عاقلة الرجل أقاربه الذين يشاركونه في دفع الدية وعقل الجناية.

مال للكفار الذين هم حربٌ، لأن الدية في الخطأ إنما جعلت - والله أعلم -
ليَحْذَرَ الناسُ حذراً شديداً من أن يخطئوا خطأ يؤدي إلى القتل، لتذهب
الضغائن بينهم..

﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾.

وإن كان من قوم بينهم وبين المسلمين عهدٌ فتحرير رقبة وتسليم الدية
إلى ذوي الميثاق لثلاث غنينة بين أهل الميثاق والمؤمنين.

وَنَصَبُ ﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ على^(١) جهةٍ نصب «فعلتُ ذلك حذار الشر» المعنى
فعليه صيام شهرين وعليه دية إذا وَجَدَ توبةً من الله^(٢)، أي فعل ذلك توبة من
الله.

فأما قتل النفس فجزاؤه كما قال الله - عز وجل - النفس بالنفس في
الدنيا، وفي الآخرة جهنم:

قال الله جل وعز: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا
وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾.

وهذا وعيد شديد في القتل حَظَرَ الله عز وجل به الدماء.
وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾.
و﴿فَتَّبَتُوا﴾ بالثاء والتاء.

ومعنى ضربتم سِرْتَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَغَزَوْتُمْ.

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾.

(١) في الأصل لا جهة نصب والآية هي: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فُصْيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَابِعِينَ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

(٢) أي هي مفعول لأجله، وأولى أن تكون مفعولاً مطلقاً.

قرئت السلام بالألف، وقرئت السَّلَم. فأما السلام فيجوز أن يكون من التسليم، ويجوز أن يكون بمعنى السَّلَم، وهو الاستسلام، والقاء المقادة إلى إرادة المسلمين.

ويروى في التفسير أن سبب هذا أن رجلاً انحاز وأظهر الإسلام فقتله رجل من المسلمين وأخذ سَلَبَهُ^(١). فأعلم الله عز وجل أن حق من ألقى السَّلَم أن يتبين أمره.

ومن قرأ «فتبتوا» فحقه^(٢) أن يُتَبَّتَ في أمره، وأعلم الله جل وعز أن كل من أسلم ممن كان كافراً فبمنزلة الذي تعوذ بالإسلام، فقال عز وجل:

﴿كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

أي مَنْ عَلَيْكُمْ بالإسلام، وبأن قبل ذلك منكم على ما أظهرتم ثم كرر الأمر بالتبيين فقال عز وجل:

﴿فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ، وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾.

قرئت «غير أولي الضرر» بالرفع وغير بالنصب، فأما الرفع فمن جهتين، أحدهما أن يكون «غير» صفة للقاعدين، وإن كان أصلها أن تكون صفة للنكرة. المعنى لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر، أي لا يستوي القاعدون الأصحاء والمجاهدون وإن كانوا كلهم مؤمنين، ويجوز أن يكون «غير» رفعاً على جهة الاستثناء. المعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدون إلا

(١) الذي انحاز وأسلم هو مرداس بن نهيك من أهل فديك، ولم يكن أسلم من قومه غيره، لهذا هربوا وبقي وكبر وأعلن الشهادة، فلم يصدق المسلمون، وقتله أسامة بن زيد.

(٢) فالتقدير فيه ذلك.

أولو الضرر، فإنهم يساوون المجاهدين، لأن الذي أقعدهم عن الجهاد الضرر، والضرر أن يكون ضريراً أو أعمى أو زَمِناً أو مريضاً.

ويروى أن ابن أم مكتوم قال للنبي ﷺ أَعْلَيْ جِهَادُ، فقال النبي ﷺ: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾^(١)، فإما أن تكون من الخِفَافِ أو من الثِقَالِ فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾^(٢).

وقوله جَلَّ وَعَزَ: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾.

أَيَّ وَعَدَ الْجَنَّةَ.

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

ويجوز أن يكون ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾ نصباً على الاستثناء من ﴿القاعدين﴾، المعنى: لا يستوي القاعدون إلا أُولِي الضَّرَرِ على أصل الاستثناء النَّصْبُ، ويجوز أن يكون «غَيْرِ» منصوباً على الحال، المعنى: لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون، كما تقول: جاءني زيد غير مريض، أي جاءني زيد صحيحاً. ويجوز جرُّ «غَيْرِ» على الصفة للمؤمنين، أي لا يستوي القاعدون من المؤمنين الأصحاء والمجاهدون. أما الرفع والنصب فالقراءة بهما كثيرة، والجبرُّ وجهٌ جيّدٌ إلا أن أهل الأمصار لم يقرأوا به وإن كان وجهاً، لأن القراءة سنة متبعة.

وقوله جَلَّ وَعَزَ: ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾.

«درجات» في موضع نصب بدلاً من قوله. . . أجراً عظيماً. . . وهو مُفسِّر للآخر، المعنى فَضَّلَ اللَّهُ المجاهدين درجاتٍ ومغفرةً ورحمةً. وجائز أن يكون

(١) من سورة التوبة آية ٤١.

(٢) سورة الفتح آية ١٧.

منصوباً على التوكيد لأجراً عظيماً، لأن الأجر العظيم هو رفع الدرجات من الله جلّ وعزّ والمغفرة والرحمة، كما تقول لك على ألف درهم، لأن قولك على ألف درهم هو اعتراف فكأنك قلت أعرفها عرفاً، وكأنه قيل: غفر الله لهم مغفرة، وأجرهم أجراً عظيماً، لأن قوله أجراً عظيماً فيه معنى غفر ورجم وفضل.

ويجوز الرفع في قوله ﴿درجاتٍ منه ومغفرةً ورحمةً﴾، ولو قيل «درجاتٍ منه ومغفرة ورحمة» كان جائزاً جائزاً على إضمار تلك درجات منه ومغفرة كما قال جلّ ثناؤه: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ﴾^(١) أي ذلك بلاغ. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾. يُعْنَى [به] المشركون الذين تخلفوا عن الهجرة إلى النبي ﷺ.

ف﴿توفاهم﴾ إن شئت كان لفظه ماضياً على معنى إن الذين توفاهم الملائكة وذكّر الفعل لأنه فعل جميع^(٢)، ويجوز أن يكون على معنى الاستقبال على معنى أن الذين تتوفاهم الملائكة، وحذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين، وقد شرحنا ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب.

وقوله: ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾: نصب على الحال، المعنى تتوفاهم في حال ظلمهم أنفسهم، والأصل ظالمين أنفسهم إلا أن النون حذفت استخفافاً، والمعنى معنى ثبوتها، كما قال جلّ وعزّ: ﴿هَٰذَا بَالِغُ الْكَعْبَةِ﴾^(٣)، والمعنى معنى ثبوت التنوين. معنى بَالِغاً الْكَعْبَةَ.

وقوله: [قَالُوا] ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾.

(١) سورة الأحقاف ٣٥.

(٢) الملائكة جمع يجوز تأنيث الفعل و . كبيره معه .

(٣) سورة المائدة - ٩٥ - والأصل بالغا الكعبة .

هذه النواو للملائكة [أي] قال الملائكة للمشركين فيم كنتم أي أكنتم في المشركين أم في أصحاب محمد ﷺ. وهذا سؤال توبيخ قد مر نظراًؤه مما قد استقصينا شرحه.

وقوله: ﴿كُنَّا مُسْتَضَعِّفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾.

فأعلم الله أنهم كانوا مستضعفين (عن)^(١) الهجرة. فقالت لهم الملائكة:

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا، فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. إِلَّا الْمُسْتَضَعِّفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾.

«المستضعفين» نصب على الاستثناء من قوله: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ...﴾ إلا المستضعفين، أي إلا من صدق أنه مستضعف غير مستطيع حيلة ولا مهتد سبيلاً، فأعلم الله أن هؤلاء راجون العفو، كما يرجو المؤمنون فقال:

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾:

و«عسى» ترج، وما أمر الله به أن يرجى من رحمته فبمنزلة الواقع كذلك الظن بأرجم الراحمين.

وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوَاً غَفُوراً﴾.

تأويل «كان» في هذا الموضع قد اختلف فيه الناس، فقال الحسن البصري: كان غفوراً لعباده، وعن عباده قبل أن يخلقهم، وقال النحويون البصريون: كأن القوم شاهدوا من الله رحمة فأعلموا أن ذلك ليس بحادث^(٢)، وأن الله لم يزل كذلك، وقال قوم من النحويين: ... «كان»

(١) ليست في ط.

(٢) أي إن رحمته سبق من ذلك، وعلى هذا «فكان» على معناها

و«فَعَلَ» من الله بمنزلة ما في الحال، فالمعنى - والله أعلم - والله عَفُوٌّ غفور.

والذي قاله الحسن وغيره أدخل في اللغة، وأشبهه بكلام العرب، وأما القول الثالث فمعناه يُؤول إلى ما قاله الحسن وسيبويه، إلا أن يكون الماضي بمعنى الحال يَقْلُ. وصاحب هذا القول له من الحجة قولنا «غفر الله لفلان» بمعنى ليغفر الله له فلما كان في الحال دليل على الاستقبال وقع الماضي مؤدياً عنها استخفافاً، لأن اختلاف ألفاظ الأفعال إنما وقع لاختلاف الأوقات، فإذا أُعْلِمَت الأحوال والأوقات استغني بلفظ بعض الأفعال عن لفظ بعض، الدليل على ذلك قوله جلّ وعزّ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(١) وقوله: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً﴾^(٢) معناه من يُتَبَّ ومن يجيئ بالحسنة يعط عَشْرَ أمثالها.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾.

معنى مراغم معنى مُهاجر، المعنى يجد في الأرض مُهاجراً، لأن المهاجر لقومه والمراغم بمنزلة واحدة، وأن اختلف اللفظان وقال الشاعر: ^(٣)

إلى بلد غير دانسي المحل بعيد المُرَاغِمِ وَالْمُضْطَرَبِ

وقيل المُرَاغِم ههنا المضطرب، وليس المُرَاغِم ههنا إلا المضطرب في حال هجرة، وإن كان مشتقاً من الرغام، والرغام التراب وتأويل قولك رَاغَمْتُ

(١) الأنعام - ١٦٠ .

(٢) الفرقان - ٧١ .

(٣) المُرَاغِم والمضطرب اسما مكان، أي بلد ناء، وإقامة بعيدة والرحيل إليه طويل. انظر اللسان (رغم) وأنشد ابن الأعرابي للجعدي:

كطود يلاذ بأركانهِ بعيد المُرَاغِم والمهْرَبِ

والثاني من شواهد الكشف. ولم أقف على قائل البيت الأول.

فُلَانًا أَي هَجَرْتَهُ وَعَادَيْتَهُ، وَلَمْ أَبَالِ رَغَمَ أَنْفِهِ، أَي وَإِنْ لَصِقَ أَنْفُهُ بِالتُّرَابِ،
وَالرَّغَامُ وَالرُّغَامُ مَا يَسِيلُ مِنَ الْأَنْفِ، وَالْأَنْفُ يُوصَفُ بِالرَّغَمِ فَيَضْرِبُ مِثْلًا لِكُلِّ
ذَلِيلٍ فَيَقَالُ عَلَى رَغَمِ أَنْفِهِ.

وقوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾.

هذه الهاء والميم يعُودان على المؤمنين. أَي وَإِذَا كُنْتُ أَيُّهَا النَّبِيُّ فِي
الْمُؤْمِنِينَ فِي غَزَوَاتِهِمْ وَخَوْفِهِمْ.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَأَتِنَهُمْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا
سَجَدُوا﴾.

أَي إِذَا سَجَدَتْ الطَّائِفَةُ الَّتِي قَامَتْ مَعَكَ.

﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ
وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾.

جائز أن يكون - والله أعلم - ولتأخذ الجماعة حذرهم وأسلحتهم.
ويجوز أن يكون الذين هم وَجَاهُ^(١) العدو يأخذون أسلحتهم، لأن من في
الصلاة غير مقاتل، وجائز أن تكون الجماعة أُمِرَتْ بِحَمْلِ السِّلَاحِ وَإِنْ كَانَ
بَعْضُهَا لَا يِقَاتِلُ لِأَنَّهُ أَرْهَبُ لِلْعَدُوِّ وَأُخْرَى أَلَّا يَقْدَمَ عَلَى الْحِذْرَيْنِ الْمُتَيْقِظَيْنِ
الْمُتَأَهِّبِينَ لِلْحَرْبِ فِي كُلِّ حَالٍ.

وقد اختلف الناس في صلاة الخوف فزعم مالك بن أنس أن أحب ما
رُوي فيها إِلَيْهِ أَنْ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ بِصَلَاةٍ وَقَامَتْ خَلْفَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَطَائِفَةٌ
وُجَّاهُ الْعَدُوِّ، فَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الَّتِي خَلْفَهُ رُكْعَةً وَقَامَ فَاتَمَّتْ الطَّائِفَةُ بِرُكْعَةٍ أُخْرَى
وَسَلَّمَتْ، وَهُوَ ﷺ واقف، ثُمَّ انصرفت وقامت وجاه العدو، والنبي ﷺ واقف

(١) وجاه أي تجاه وهو الأصل في التعبير لأنه من وجه، وجعلت الواو تاء.

في الصلاة، وأتت الطائفة التي كانت وجاه العدو، فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَةً ثَانِيَةً لَهُ، وَهِيَ الْأُولَى لِهَذِهِ الطَّائِفَةِ الْآخَرَى - وَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامُوا فَصَلُّوا رَكْعَةً ثَانِيَةً وَحَدِّثَهُمْ وَهُوَ ﷺ قَاعِدٌ، وَقَعَدُوا فِي الثَّانِيَةِ فَسَلِمَ وَسَلَّمُوا بِتَسْلِيمِهِ، فَصَلَّتْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ.

وقال مالك: هذا أحب ما روي في صلاة الخوف إليّ.

وأما أسلحة فجمع سلاح مثل حمار وأحمرة. وسلاح اسم لجملة ما يدفع الناس به عن أنفسهم في الحروب مما يقاتل به خاصّة، لا يقال للدواب وما أشبهها سلاح.

فَأَمَّا وَلِيَاخْذُوا^(١) فالقراءة على سكون اللام -.. وَلِيَاخْذُوا و «وَلِيَاخْذُوا» هو الأصل بالكسر^(٢) إِلَّا أَنْ الْكُسْرُ اسْتَقْبَلَ فَيُحْدَفُ اسْتِخْفَافًا.

وحكى الفراء أن لام الأمر قد فتحها بعض العرب في قولك ليجلس، فقالوا لنجلس ففتحوا، وهذا خطأ، لا يجوز فتح لام الأمر لئلا تشبه لام التوكيد.

وقد حكى بعض البصريين فتح لام الجر نحو قولك: المال ليزيد، تقول: المال ليزيد وهذه الحكاية في الشذوذ كالأولى، لأن الإجماع والروايات الصحيحة كسر لام الجر ولام الأمر، ولا يلتفت إلى الشذوذ، خاصة إذا لم يروه النحويون القدماء الذين هم أصل الرواية، وجميع من ذكرنا من الذين رَوَوْا هذا الشاذ عندنا صادقون في الرواية، إِلَّا أَنْ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُمْ مَخْطُئًا.

وقوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

(١) في الأصول فليأخذوا؛ وآثرنا النص القرآني.

(٢) ب. على سكون اللام والأصل فليأخذوا بكسر اللام إِلَّا أَنْ الْكُسْرُ أَخْب.

الجنح الإثم، وتأويله من جنحت إذا عدلت عن المكان أي أخذت جانباً عن القصد، فتأويل لا جناح عليكم أي لا تعدلون^(١) عن الحق إن وضعت أسلحتكم ﴿إِنْ كَانَ بَكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ﴾.

و«أذى» مقصورة، تقول أذى يأذى أذى، مثل فرع يفرع فرعاً. وموضع ﴿أَنْ تَضَعُوا﴾ نصب. أي لا إثم عليكم في أن تضعوا، فلما سقطت «في» عمل ما قبل «أَنْ» فيها، ويجوز أن يكون موضعها جرّاً بمعنى في.

وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾.

يعني به^(٢) صلاة الخوف هذه.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾.

أي أذكروه بتوحيده وشكره وتسبيحه، وكل ما يمكن أن يتقرب به منه.

وقوله جل وعز: ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾.

أي إذا سكنت قلوبكم، ويقال اطمأن الشيء إذا سكن وطأته وطمأنته إذا سكنته، وقد روي «اطبأن» بالباء ولكن لا تقرأ بها لأن المصحف لا يخالف البتة.

وقوله: ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ﴾.

أي فأتَمُوا، لأنهم جعل لهم في الخوف قصرها، وأمروا في الأمن بإتمامها.

وقوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾.

أي مفروضاً مؤقتاً فرضه:

(١) في الأصل لا تعدلوا والرفع على تقدير شأنكم أنكم لا تعدلون.

(٢) أي بهذا القول.

وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾.

هذا خطاب للمؤمنين، والقوم ههنا الكفار الذين هم حربُ المؤمنين.

وتأويل: «لا تهنوا» في اللغة لا تضعفوا، يقال وهن الرجل يهن إذا ضعف فهو وهنٌ. ومعنى ابتغاء القوم: طلب القوم بالحرب.

وقوله: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ﴾.

أي إن تكونوا توجعون فإنهم يجدون من الوجع بما ينالهم من الجراح والتعب كما تجدون، وأنتم مع ذلك ﴿تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾.

أي أنتم ترجون النصر الذي وعدكم الله به، وإظهار دينكم على سائر أديان أهل الملل المخالفة لأهل الإسلام وترجون مع ذلك الجنة، وهم - أعني المشركين - لا يرجون الجنة لأنهم كانوا غير مقرين بالبعث فأنتم ترجون من الله ما لا يرجون.

قال بعض أهل التفسير: معنى «ترجون» ههنا تخافون، وأجمع أهل اللغة الموثوق بعلمهم: أن الرجاء ههنا على معنى الأمل لا على تصريح الخوف، وقال بعضهم: الرجاء لا يكون بمعنى الخوف إلا مع الجحد، قال الشاعر^(١).

لا ترتجي حين تلاقي الذائدا أسبعة لاقت معاً أم واجدا

معناه لا تخاف، وكذلك قوله عز وجل: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾^(٢) أي لا تخافون لله عظمة ولا عظمة.

وإنما اشتمل الرجاء على معنى الخوف لأن الرجاء أمل قد يخاف ألا يتيم.

(١) غير معروف، والبيت في معاني الفراء ١ - ٢٨٦.

(٢) سورة نوح آية: ١٣.

وقوله جل وعز: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾: أي بالحق الذي أعلمكهُ الله عز وجل.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾: أي لا تكن مخاصماً ولا دافعاً عن خائِن.

ويروى أن رجلاً من الأنصار كان يقال له أبو طُعْمَة أو طُعْمَة سرق درعاً وجعله في غِرَارَة دقيق، وكان فيها خَرْقٌ، فانتثر الدقيق من مكان سرقة^(١) إلى منزله فظنَّ به أنه سارق الدرع وحيص^(٢) في أمره، فمضى بالدَّرْع إلى رجل من اليهود فأودعها إياه ثم صار إلى قومه فأعلمه أنه لما إتهم بالدَّرْع اتبع أثرها فعلم أنها عند اليهودي، وأن اليهودي سارقها، فجاء قومه أي طُعْمَة أو طُعْمَة إلى النبي ﷺ فسألوهُ أن يَعْذِرَهُ عند الناس، وأعلموه أن اليهودي صاحب الدرع، وكان بعضهم قد علم أن أبا طُعْمَة قد رمى اليهودي وهو بريء من الدرع، فَهَمَّ النبي ﷺ أن يَعْذِرَهُ، فأوحى الله إليه وعرفه قصته أي طعمه وأعلمه أنه خائن، ونهاه أن يحتج له، وأمره بالاستغفار مما هم به، وأن يحكم بما أنزل الله في كتابه، فقال:

﴿وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾.

يعني أبا طعمة ومن عاونه من قومه، وهم يعلمون أنه سارق. ويروى أن أبا طعمة هذا هرب إلى مكة وارتد عن الإسلام، وأنه نقب حائطاً بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله.

وقوله: ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾.

كل ما فُكِّرَ فِيهِ أو خِيض^(٣) فيه بليل فقد بُيِّتَ.

(١) في الأصل من مكان سرقة، ويصح على الإضافة، وسرق مصدر.

(٢) حيص في أمره: اضطرب فيه، بعض برأه وبعض اتهمه.

(٣) من خاض في الأمر يخوض. والامر مخوض فيه.

يعني به هذا السارق، والذي بُيِّتَ من القوم أن قال: أرمي اليهودي بأنه سارق الدرع، وأحلفُ أنني لم أسرقها، فتقبل يميني لأني على ديني، ولا تقبل يمين اليهودي. فهذا ما بيَّتَ من القول والله أعلم.

وقوله: ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

يعني به من احتج عن هذا السارق.

﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

أي في اليوم الذي يؤخذ فيه بالحقائق، وأمر الدنيا يقوم بالشهادات في الحقوق.، وجائز أن تكون الشهادة غير حقيقة، فكأنه - والله أعلم - قيل لهم إن يقيم الجدل في الدنيا والتغيب عن أمر هذا السارق، فيوم القيامة لا ينفع فيه جدال ولا شهادة.

ومعنى قوله «هَآأَنْتُمْ» ها للتنبيه، وأعيدت في أولاء. والمعنى - والله أعلم - ها أنتم الذين جادلتهم، لأن «هَؤُلَاءِ» و«هذا» يكونان في الإشارة للمخاطبين بمنزلة الذين، نحو قول الشاعر:

وهذا تحمليْن طليق^(١)

أي والذي تحملينه طليق.

وأصل المجادلة والجدال في اللغة شدة المخاصمة، والجدلُ شدةُ القتل، ورجُلٌ مجدول، أي كأنه قد قُتِلَ، والأجدلُ الصقرُ، يقال له أجدلُ لأنه من أشد الطيور قوةً.

وَأَعْلَمُ اللَّهَ - جَلَّ وَعَزَّ - أَنَّ التَّوْبَةَ مَبْذُولَةٌ فِي كُلِّ ذَنْبٍ دُونَ الشَّرْكِ فَقَالَ جَلَّ

ثَنَّاؤُهُ.

(١) تقدم هذا الشاهد ص ٢٨٨ ج ١.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ .
أي يسأله المغفرة مع إقلاع ، لأنه إذا كان مقيماً على الإصرار فليس
بتائب .

وقوله : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ .
ولا يؤخذ الإثم بالإثم .

وقوله : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيثًا﴾ .

قيل «إثماً» لأن الله قد سَمَّى بعضَ المعاصي خطايا، وسمى بعضها آثاماً،
فأعلم الله جلَّ وعزَّ أن من كسب خطيئة، ويقع عليها اسم الإثم أو اسم
الخطيئة، ثم رمى به من لم يعلمه وهو منه بريء . . ﴿فقد احتمل بهتاناً﴾ .

و«البهتان» الكذب الذي يُتحيَّر من عظمه وبيانه، يقال قد بهت فلان فلاناً
إذا كذب عليه، وقد بهت الرجل يُّبْهَت إذا تحير قال الله عز وجل ﴿فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ﴾^(١)، ويجوز أن يكون - والله أعلم - ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً﴾ أي من
يقع عليه خطأ نحو قتل الخطأ الذي يقع فيه القوم ولا إثم فيه، فيكون [أن]
يرمي بذلك غيره فقد احتمل بهتاناً^(٢) .

وقوله عز وجل : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ
يُضِلُّوكَ﴾ .

هذا خطاب للنبي ﷺ ، والطائفة هم طعمة هذا السارق^(٣) ، لأن بعضهم

(١) راجع ص ٣٤١ ج ١ .

(٢) العبارة رديئة كما ترى، وهو يعتبر الخطيئة من الخطأ الذي لا إثم فيه، أي ان من ارتكب خطأ
ثم رمى به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وكذلك من ارتكب إثماً، وإذن فجملة ثم يرمي به بريئاً عائد
على مرتكب الخطأ فقط وهو رأي كما ترى بعيد عن النص .

(٣) أي ومعاونوه حتى يصح تسميهم بطائفة .

قد كان وقف على أنه سارق، وسأل النبي ﷺ أن يعذره.

فالتأويل - والله أعلم - لولا فضل الله عليك ورحمته بما أوحى إليك، وأعلمك أمر هذا السارق [لهمت طائفة أن يضلوك] والمعنى في همت طائفة منهم أن يضلوك. [أي] فَيُفَضِّلِ الله ورحمته صرف الله عنك أن تعمل ما هَمَّتْ به الطائفة^(١)

وقال بعضهم معنى «أَنْ يُضِلُّوكَ» أَنْ يُخَطِّتُوكَ فِي حُكْمِكَ^(٢).
وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾.

أي لأنهم هم يعملون عمل الضالين، والله يعصم نبيه ﷺ من متابعتهم، والإضلال راجع عليهم وواقع بهم.

وقوله: ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾.
أي مع عصمة الله إياك، ونصره دينه دين الحق.
وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.
أي بين في كتابه ما فيه الحكمة التي لا يقع لك معها ضلال.
وقوله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾.

النجوي في الكلام ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان سراً كان أو ظاهراً،
ومعنى نَجَوْتُ الشَّيْءَ فِي اللُّغَةِ خَلَّصْتُهُ وَالْقَيْتُهُ، يقال نجوت الجلد إذا
ألقيته عن البعير وغيره.

قال الشاعر: (٣)

(١) أي أن إرادتهم إضلاله لم تتم بفضل الله تعالى.

(٢) إما بمعنى يصرفونك عن الحق إلى الخطأ فهذا واضح، وإما بمعنى ينسبونك إلى الخطأ فيما حكمت به فبعيد.

(٣) أي اكشفا غطاء الجلد عن سنامها وأكتافها فسيجبكما ما تريان وهو يخاطب ضيفين طرقاه، واعتبر =

فقلت انجوا عنها نجا الجلد إنه سيرضيكما منها سنام وغاربه

وقد نجوت فلاناً إذا استنكّهته^(١)، قال الشاعر: (٢)

نجوت مجالداً فوجدت منه كريح الكلب مات حديث عهد

ونجوت الوبر واستنجيته إذا خلصته، قال الشاعر: (٣)

فتبازت فتبازحت لها جلسة الأعسر يستنجي الوتر

وأصله كله من النجوة، وهو^(٤) ما ارتفع من الأرض قال الشاعر: (٥)

فمن بنجوته كمن بعقوته والمستكن كمن يمشي بقرواح

= الفراء إضافة نجا إلى الجلد من إضافة الشيء إلى نفسه، أي اكشفا عنها غطاءها الذي هو الجلد، (اللسان - نجى)، وانظر الخزاعة ٢٧٠/٤، الشاهد ٣٠٩، والعيني ٢٧٣/٣ ونسبه الفراء لأبي الجراح، وقيل هو لأبي الغمر الكلابي.

(١) تشممت رائحته.

(٢) أي شممته فوجدته قدر الرائحة، كالكلب الميت الذي لم تمض عليه مدة يحف فيها جسمه وتذهب رائحته.

(٣) تبازت أبرزت عجيرتها وأخرجت صدرها هزواً وتدللاً، والبزخ مثله خروج الصدر ودخول الظهر - رجل أبزخ وامرأة بزخاء وتبازخ فعل ذلك أو تقاعس، ويروى. جلسة الجازر، ويروى الأعسر. يقال استنجي الجازر وتر المتن أي قطعه، وأصله الذي يتخذ أوتار القسي، لأنه يخرج ما في المصارين من النجو، والشعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت. اللسان (بزخ. نجا).
يصف حالة إناس له مع زوجته، وقبله:

سائلاً فية هل نبهتها آخر الليل بعرد ذي عجر
والعرد الذكر المنتشر، وانظر الخصائص ج ٨/١.

(٤) ذكر لمعنى الكلام. والأصل وهي.

(٥) لعبيد بن الأبرص، - والقرواح والقرياح الفضاء من الأرض، لا نبات أو شجر بها ولا تمسك ماء، المستكن المستتر. والذي بالقرواح ظاهر لا يخفيه شيء. (انظر اللسان - نجا -) وينسب لأوس بن حجر يصف سحاباً وقبله:

دان سف فويق الأرض هيد به يكاد يلمسه من قام بالسراج

وانظر ذيل الأمالي ص ١٩.

ويقال: ما أنجى فلان شيئاً وما نجا شيئاً منذ أيام، أي لم يَدْخُل الغائِط.

والمعنى واللّه أعلم: لا خير في كثير من نجواهم، أي مما يدبرونه بينهم من الكلام.

﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

فيجوز أن يكون موضع «مَنْ» خفضاً، المعنى إلا في نجوى من صدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، ويجوز أن يكون - واللّه أعلم - استثناءً ليس من الأول^(١) ويكون موضعها نصباً، ويكون على معنى لكن من أمر بصدقة أو معروف ففي نجواه خير. وأعلم اللّه عزّ وجلّ أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند اللّه فقال:

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

ومعنى «ابتغاء مرضاة اللّه» طلب مرضاة اللّه. ونصب ابتغاء مرضاة اللّه لأنه مفعول له. المعنى ومن يَفْعَلْ ذلك لا ابتغاء مرضاة اللّه، وهو راجع إلى تأويل المصدر، كأنه قال: ومن يبتغ ابتغاء مرضاة اللّه، ثم عاد الأمر إلى ذكر طعمة هذا ومن أشبهه فقال:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾.

لأن طعمة هذا كان قد تبين له ما أَوْحَى اللّه إلى نبيه في أمره، وأظهر من سِرِّقَتِهِ في الآية ما فيه بَلَاغٌ، فعَادَى النبي ﷺ وصار إلى مكة، وأقام مع المشركين.

(١) استثناء منقطع.

ومعنى ﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾، ندعُهُ وَمَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ وعد بالعذاب فِي الآخِرَةِ، وَأَعْلَمَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الشُّرْكَ، وَذَكَرَ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. وَأَعْلَمَ بَعْدَهَا أَنَّ الشُّرْكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَغْفِرَهُ مَا أَقَامَ الْمُشْرِكُ عَلَيْهِ، فَإِنْ قَالَ قَاتِلُ فَإِنَّمَا قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ فَإِنْ سُمِّيَ رَجُلٌ كَافِرًا وَلَمْ يُشْرَكَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ فَهُوَ خَارِجٌ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ فَالْجَوَابُ فِي هَذَا أَنَّ كُلَّ كَافِرٍ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ لِأَنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَفَرَ بِنَبِيِّ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ الْآيَاتِ الَّتِي أَتَى بِهَا لَيْسَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَجْعَلُ مَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ لَغَيْرِ اللَّهِ فَيَصِيرُ مُشْرِكًا. فَكُلُّ كَافِرٍ مُشْرِكٌ.

فَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ كُفْرَ مَنْ كَفَرَ بِهِ وَبَنِيَّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ لِأَنَّ كُفْرَهُ بِنَبِيِّهِ كُفْرٌ بِهِ.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

لِأَنَّ جَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ^(١) مِنْ أُبْعَدِ الضَّلَالِ وَالْعَمَى، وَهَذَا أَكْثَرُ مَا جَرَى هَهُنَا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَقَبِ هَذَا:

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾.

فَأَمَّا ﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾.

فَفِيهَا أَوْجُهُ، يَجُوزُ فِيهَا نُولُوهِي - بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ، وَيَجُوزُ نُولُوهُو بِإِثْبَاتِ الْوَاوِ، وَيَجُوزُ «نُولُهُ» بِكسر الهاءِ، فَأَمَّا «نُولُهُ» - بِإِسْكَانِ الْهَاءِ وَ«نُصْلِهِ جَهَنَّمَ»، فَلَا يَجُوزُ إِسْكَانُ الْهَاءِ لِأَنَّ الْهَاءَ حَقَّقَهَا أَنْ يَكُونَ مَعَهَا يَاءٌ، وَأَمَّا حَذْفُ الْيَاءِ فَضَعِيفٌ فِيهَا، وَلَا يَجُوزُ حَذْفُ الْيَاءِ وَلَا تَبَقُّى الْكسرةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا.

(١) أَيِ جَعْلَهُ أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ مَعَهُ سُبْحَانَهُ.

وقوله: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾.

إِنْ يَدْعُونَ تَقْرَأُ إِلَّا إِنَاثًا، وَلَا أَثْنَا - بتقديم الشاء، وتأخيرها. فمن قال أناث فهو جمع أنثى وإناث، ومن قال أَثْنٌ فهو جمع إناث، لأن إناثًا على وزن مِثَال، وَإِنَاثٌ وَأَنْثٌ مِثْلُ مِثَالٍ وَمُثْلٍ. ومن قال أَثْنَا فإنه جمع وَثْنٍ، وَالْأَصْلُ وَثْنٌ، إِلَّا أَنَّ الْوَاوَ إِذَا انْضَمَّتْ يَجُوزُ إِبْدَالُهَا هَمْزَةً، كَقَوْلِهِ [تعالى]: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾^(١). الْأَصْلُ وَقَّتْ، وَمِثَالُ وَثْنٍ فِي الْجَمْعِ مِثْلُ سُقْفٍ. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَثْنٌ مِثْلُ أَسَدٍ وَأَسَدٌ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَثْنٌ أَصْلُهَا أَثْنٌ، فَاتَّبَعَتِ الضَّمَّةُ الضَّمَّةَ.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾.

يعني به إبليس لأنهم إذا أطاعوه فيما سَوَّلَ لَهُمْ فَقَدْ عَبَدُوهُ، وَيَدْعُونَ فِي مَعْنَى يَعْبُدُونَ، لِأَنَّهُمْ إِذَا دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ فَقَدْ عَبَدُوهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢) أَيِ اعْبُدُونِي، وَالْبَدِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾.

ومعنى «مرید» أي خارج عن الطاعة مُتَمَلِّصٌ مِنْهَا، وَيُقَالُ شَجَرَةٌ مُرْدَاءٌ، إِذَا تَنَاثَرَتْ وَرَقُهَا، وَمَنْ ذَلِكَ يُسَمَّى مَنْ لَمْ تَنْبِتْ لَهُ لَحْيَةٌ أَمْرُدٌ أَيْ أَمْلَسُ مَوْضِعِ اللَّحْيَةِ، وَقَدْ مَرَدَ الرَّجُلُ يَمْرُدُ مُرُودًا إِذَا عَتَا وَخَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ.

﴿وَقَالَ لَا تَتَّخِذْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾.

قيل في مفروض إِنَّ مَعْنَاهُ مُؤَقَّتٌ، وَجَاءَ فِي بَعْضِ التَّفْسِيرِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ وَاحِدٌ لِلَّهِ وَسَائِرُهُمْ لِإِبْلِيسَ.

(١) سورة والمرسلات ١١

(٢) سورة غافر - ٦٠.

ومعنى مفروض - والله أعلم - أي أفترضه على نفسي وأصل الفرض في اللغة القطع، والفُرْضَةُ الثَّلْمَةُ تكون في النهر، يقال سقاها بالفِرَاضِ وبالفَرَضِ، والفَرَضُ الحِزُّ الذي يكون في المسواك يشد فيه الخيط، والفَرَضُ في القوسِ الحِزُّ الذي يشدُّ فيه الوتر، والفَرِيضَةُ في سائر ما أفتَرَضَ ما أمر الله به العباد فَجَعَلَهُ أَمراً حَتَمًا عليهم قاطعاً، وكذلك قوله: ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾^(١) أي جعلتم لَهُنَّ قطعة من المال وقد فرضت الرجل جعلت له قطعة من مال الفيء، فأما قول الشاعر:^(٢)

إذا أكلتُ سمكاً وفَرَضاً ذهب طويلاً وذهبت عرضاً
فالفَرَضُ ههنا التمر، وإنما سُمِّيَ التمرَ فَرَضاً لأنه يؤخذ في فِرَاضِ الصدقة.

وقوله: ﴿وَلَا مَنِيئُهُمْ﴾.

أي أجمع لهم مع الإضلال أن أُوهِمُهُم أنهم ينالون من الآخرة حظاً، كما قال: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿وَلَا مُرْنُهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾.

كأنه - والله أعلم - ولأمرنهم بَتَبْتَئِكِ آذان الأنعام فليبتكن^(٣)، [أي] يشقّقن، يقال بتكت الشيء أثبتكه بتكاً إذا قطعته، وبِتَكَّةً وبِتَكُ، مثل قطعة وقطع، وهذا في البحيرة، كانت الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن فكان الخامس ذكراً شقوا أذن الناقة وامتنعوا من الانتفاع بها ولم تطرد عن ماء ولا

(١) سورة البقرة ٢٣٧.

(٢) الشعر في اللسان (فرض). والفرض نوع من صغار التمر يعتبر من أجود أنواعه، ونوع منه يشتهر بعمان عندما يجف على نخله ينساقط التمر ويبقى النوى وحده في عراجينه. وذهبت طويلاً وعرضاً، أي تباھيت وافتحرت.

(٣) تقدير لمفعول «أمرنهم» - ويجوز تقدير مفعول غير هذا أو سيأتي نظائر له.

مَرَعَى، وإذا لقيها المعني^(١) لم يركبها. فهذا تأويل ﴿فَلْيُتَكَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾.

سَوَّلَ لَهُمْ إِبْلِيسُ أَنْ فِي تَرْكِهَا لَا يَتَنَفَّعُ بِهَا قُرْبَةُ إِلَى اللَّهِ،
﴿وَلَا مُرْنَهُمْ فَلْيُغَيِّرُنْ خَلْقَ اللَّهِ﴾.

قِيلَ إِنْ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَنْعَامَ لِيَرْكَبُوهَا وَيَأْكُلُوهَا فَحَرَمَوهَا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ، وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْأَرْضَ وَالْحِجَارَةَ سَخْرَةً لِلنَّاسِ يَتَنَفَّعُونَ بِهَا
فَعَبَدَهَا الْمُشْرِكُونَ، فَغَيَّرُوا خَلْقَ اللَّهِ، أَيْ دِينَ اللَّهِ، لِأَنَّ اللَّهَ فَطَرَ الْخَلْقَ عَلَى
الْإِسْلَامِ، خَلَقَهُمْ مِنْ بَطْنِ آدَمَ كَالذَّرِّ، وَأَشْهَدَهُمْ أَنَّهُ رَبُّهُمْ فَآمَنُوا، فَمَنْ كَفَرَ
فَقَدْ غَيَّرَ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِمَخْلُوقِ اللَّهِ﴾^(٢)، فَإِنْ مَعْنَاهُ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ هُوَ
الصَّحِيحُ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُبَدِّلَ مَعْنَى صَحَّةِ الدِّينِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلْيُغَيِّرُنْ
خَلْقَ اللَّهِ هُوَ الْخَصَاءُ لِأَنَّ الَّذِي يَخْصِي الْفَحْلَ قَدْ غَيَّرَ خَلْقَ اللَّهِ.

وَمَعْنَى ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾.

أَيُّ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا مَا قَدْ سَمَوْهُ بِاسْمِ الْإِنَاثِ، يَعْنِي بِهِ الْمُشْرِكُونَ، سَمَّوْا
الْأَصْنَامَ اللَّاتَ وَالْعَزَى وَمَنَاةَ، وَمَا أَشْبَهَهُ، وَقِيلَ إِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: «مَا يَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا» أَيْ مَوَاتَا^(٣)، وَالْمَوَاتُ كُلُّهَا يَخْبِرُ عَنْهَا كَمَا يَخْبِرُ عَنِ الْمَوْتِ،
تَقُولُ مِنْ ذَلِكَ: هَذِهِ الْأَحْجَارُ تَعْجِبُنِي، وَلَا تَقُولُ يَعْجِبُونَنِي^(٤)، وَكَذَلِكَ
الدَّرَاهِمُ تَنْفَعُنِي.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾.

(١) المتعب المنهك.

(٢) آية ٣٠ من سورة الروم، ذكرت استطراداً.

(٣) جمادات.

(٤) في الأصل يعجبوني.

أَيَّ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَعْدِيلاً وَلَا مُلْجَأً.

يقال حِصْتُ عَنْ الرَّجُلِ أَحْيَيْصُ، وَرَوَوْا حِصْتُ عَنْهُ أَجْيِصُ بِالْجِيمِ وَالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ، بِمَعْنَى حِصْتُ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ، وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى وَاحِداً وَالْخَطُّ غَيْرُ مُخَالَفٍ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ سَنَةٌ لَا تَخَالَفُ فِيهِ الرِّوَايَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالسَّلَفِ وَقُرَاءِ الْأَمْصَارِ بِمَا يَجُوزُ فِي النُّحُو وَاللُّغَةِ، وَمَا فِيهِ أَفْصَحُ مِمَّا يَجُوزُ^(١). فَلَا تَبَاعُ فِيهِ أَوْلَى.

يَقَالُ حُصْتُ أَحْوَصُ حَوْصاً وَحِيَاصاً، إِذَا حِطْتُ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يَقَالُ حُصَّ عَيْنٌ صَقْرُكَ أَيَّ حِطَّ عَيْنُهُ، وَالْحَوْصُ فِي الْعَيْنِ ضَيْقٌ مُؤَخَّرُهَا^(٢).

وَالْحَوْصُ^(٣) بِالْخَاءِ - مُعْجَمَةٌ - غُورُهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ﴾.

اسْمُ لَيْسٍ مُضْمَرٌ، الْمَعْنَى لَيْسَ ثَوَابُ اللَّهِ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ، وَقَدْ جَرَى مَا يَدُلُّ عَلَى إِضْمَارِ الثَّوَابِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾.

أَيَّ إِنَّمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ آمَنَ وَعَمَلَ صَالِحاً. لَيْسَ كَمَا يَتَمَنَّى أَهْلُ الْكِتَابِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ، وَقَالُوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾^(٤)، فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَثَوَابَ اللَّهِ عَلَى الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَيْسَ بِالْأَمَانِيِّ وَلَكِنَّهُ بِالْأَعْمَالِ. ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضُ ذَلِكَ فَقَالَ: عَزَّ وَجَلَّ:

(١) أَيِ اللَّفْظِ الَّذِي ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ أَفْصَحُ وَفِي الْأَصْلِ فَأَفْصَحُ.

(٢) فِي الْأَصْلِ مُؤَخَّرُهُ.

(٣) حَوْصٌ - كَفَرَحٌ - فَهُوَ أَحْوَصُ.

(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ آيَةُ ٨٠.

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ﴾.

أي لا ينفعه تمنيه.

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾.

فأعلم الله أن عامل السوء لا ينفعه تمنيه، ولا يتولاه مُتَوَلٍّ ولا ينصره نَاصِرٌ.

وقد احتج قومٌ من أصحاب الوعيد بقوله: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾. فزعموا أن هذا يدل على أن من عمِلَ السوءَ جُزِيَ به^(١). وقد أعلم الله عز وجل أنه يَغْفِرُ ما دُونَ الشَّرِّ لِمَنْ يَشَاءُ، فعاملُ السوء - ما لم يكن كافرًا - مرجو له العَفْوُ والرحمةُ، والنبي ﷺ شافعٌ لأُمَّته يشفع فيهم. ومعنى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾.

النقير النقطة في ظهر النواة، وهي مَنبَتِ النخلة، والمعنى «ولا يظلمون مقدار ذلك».

وقوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾.

الخليل المحب الذي ليس في محبته خَلَلٌ فجائز أن يكون إبراهيم سمي خليل الله بأنه الذي أحبه الله واصطفاه محبةً تامةً كاملةً. وقيل أيضاً الخليل الفقير، فجائز أن يكون فقير الله، أي الذي لم يجعل فقره وفاقه إلا إلى الله مخلصاً في ذلك، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾^(٢).

ومثل أن إبراهيم الخليل الفقير إلى الله قول زهير يمدح هرم بن سنان.

(١) أي إن السيئات لا تُغْفَرُ، وجملة «وقد أعلم الله - عز وجل»... لهذا الزعم.

(٢) سورة فاطر ١٥.

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم^(١)

وجاء في التفسير أن إبراهيم كان يضيف الضيفان ويطعم المساكين الطعام، وأصاب الناس جَذْبٌ فبعث إلى خليل له كان بمصر يمتار منه^(٢)، فقال ذلك الخليل لنفسه: لو كان إبراهيم إنما يريد الميرة لنفسه لوجهت إليه بها، ولكنه يريد لها للناس فرجع غلمان إبراهيم بغير ميرة، فاجتازوا ببطحاء كينة فأخذوا من رمل كان فيها وجعلوه في أوعيتهم استحياء من الناس أن يرجعوا بغير شيء، فلما رآهم عليه السلام، سألهم عن الخبر فأعلموه، فحملته عينه فنام مهموماً، وانتبهت امرأته وقد بصرت بالأوعية مملوءة، فأمرت بأن يخرج منها ويخبز فأخرج منها طعام في غاية الحسن فاخترت، وانتبه إبراهيم وشم رائحة الطعام، فقال: من أين هذا؟ فقالت امرأته من عند خليلك المصري. فقال إبراهيم هذا من عند خليلي الله عز وجل.

فهذا ما روي في التفسير وهو من آيات الأنبياء عليهم السلام غير منكر. والذي فسرنا من الاشتقاق لا يخالف هذا.

والخلة الصداقة، والخلة الحاجة.

فأما معنى الحاجة فإنه الاختلال الذي يلحق الإنسان فيما يحتاج إليه، وأما الخلة الصداقة فمعناها أنه يسُد كل محب خلل صاحبه في المودة وفي الحاجة إليه، والخلل كل فرجة تقع في شيء، والخلل الذي يتخلل به، وإنما سمي خلالاً [لأنه] يتبع به الخلل بين الأسنان. ، وقوله الشاعر: ^(٣)

(١) الخليل ذو الخلة المحتاج. وحرم بوزن (كتف) بمعنى ممنوع محرم - يريد لامالي غائب ولا ممنوع. انظر العيني ٤ - ٤٢٩ وابن يعيش ٨ - ١٥٧ وشرح شواهد المغني ٢٨٣.

(٢) يسأله الميرة، وهي جلب الطعام. مار عياله يميز وامتار وأمار.

(٣) هو ابن ميادة المري من عطفان - يصف هؤلاء النسوة بالصون وعدم التبرج. فهن ينتظرن من فروج الستائر، ويروى: من خلل الخدور. جمع خدر، وهو ما تحتجب المرأة وراءه، ولهذا =

ونظرون من خَلَلِ الستور بأعينٍ مرضى مخالطها السقام صحاح

فإن معناه نظرون من الفرج التي تقع في الستور.

وقوله القائل: «لك خلةٌ من خِلَالٍ» تأويله أني أخلى لك من رأيي أو مما عندي عن خلة من خِلَالٍ. وتأويل أخلى إنما هو أخلل، وجائز أن يكون أخلي من الخلوة، والخلوة والخلل يرجعان إلى معنى، والخلُّ الطريق في الرمل معناه أنه انفرجت فيه فرجة فصارت طريقاً. والخلُّ الذي يؤكل إنما سمي خلًّا لأنه اختلَّ منه طعم الحلاوة.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

أي إن إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً هو عبد الله، وهو له وكل ما في السموات والأرض^(١).

وقوله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾:

موضع «ما» رفع. المعنى الله يفتيكم فيهن، وما يتلى عليكم في الكتاب، أيضاً يفتيكم فيهن. ويجوز أن يكون «ما» في موضع جر، وهو بعيد جداً، لأن الظاهر لا يعطف على المضمرة^(٢)، فلذلك اختير الرفع، ولأن معنى الرفع أيضاً أبين، لأن ما يتلى في الكتاب هو الذي بين ما سألوا. فالمعنى: ﴿قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾، وكتابه يفتيكم فيهن.

وقوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾.

= تسمى مخدرة. وقد وصف عيونهن بالفتور والانكسار لغير مرض، وفتور الطرف كناية عن الحياء وعدم التبجح، وتوصف المرأة عادة بأنها ناعسة الطرف أو سقيمته، وكلمة «صحاح» احتراص. أي ليس هذا السقام لمرض. بل للحياء وحسن الأدب.

انظر اللسان (ريش)، والششمري ٢٢٧/١، وكتاب سيبويه ح ٢٠/٢.

(١) أي وكل ما في السموات والأرض له.

(٢) يعطف بإعادة حرف الجر، وجاء بدونه ومنه قراءة ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ بجر الأرحام.

المعنى وترغبون عن أن تنكحوهن.
وقوله: ﴿وَالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾.

يعني اليتامى، وموضع «المستضعفين» جر، عطف على قوله: ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ المعنى وفي [المستضعفين من] الولد والذي يفتيهم من القرآن قوله عز وجل: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدِلُوا الْحَبِيبَ بِالْخَبِيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ والذي تلي عليهم في التزويج [هو] قوله: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾^(١).
فالمعنى قل الله يفتيكم فيهن، وهذه الأشياء التي في الكتاب يفتيكم فيهن^(٢).

وقوله: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾.

«أن» في موضع جر: المعنى وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط.

وقوله: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾.

النشوز من بعل المرأة أن يسيء عشرتها وأن يمنعها نفسه ونفقته والله عز وجل قال في النساء: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ النِّسَاءَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وقال: ﴿فَأَمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا﴾^(٤). فشد

(١) تقدمت الآيتان أول هذه السورة ٢، ٣.

(٢) أي قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب يفتيكم فيهن وفي الولدان وفي المستضعفين الخ.

(٣) آية: ٢٢٩ سورة البقرة.

(٤) البقرة ٢٣١.

الله في العدل في أمر النساء، فَلَوْلَمْ يَعْلَمْ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ رَضَا الْمَرْأَةُ مِنْ زَوْجِهَا بِالْإِقَامَةِ عَلَى مَنَعِهَا - فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ - نَفْسَهُ وَمَنَعِهَا بَعْضَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لَمَا جَازَ الْإِمْسَاكُ إِلَّا عَلَى غَايَةِ الْعَدْلِ وَالْمَعْرُوفِ، فَجَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الصُّلْحَ جَائِزًا بَيْنَ الرَّجُلِ وَامْرَأَتِهِ إِذَا رَضِيَتْ مِنْهُ بِإِشَارِ غَيْرِهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ: «لَا إِثْمَ عَلَيْهِمَا فِي أَنْ يَتَصَالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا، وَالصُّلْحُ خَيْرٌ مِنَ الْفِرْقَةِ».

وقوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾.

وهو أَنَّ الْمَرْأَةَ تَشْحُ عَلَى مَكَانِهَا مِنْ زَوْجِهَا، وَالرَّجُلُ يَشْحُ^(١) عَلَى الْمَرْأَةِ بِنَفْسِهِ إِنْ^(٢) كَانَ غَيْرَهَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا وَتَتَّقُوا﴾.

أَيُّ أَنْ تَحْسَبُوا إِلَيْهِنَّ، وَتَحْمِلُوا عَشْرَتَهُنَّ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

أَيُّ يَخْبُرُ ذَلِكَ فَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّمَا قِيلَ: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ﴾، وَلَمْ يُقَلَّ وَإِنْ نَشَرَ رَجُلٌ عَلَى الْمَرْأَةِ لِأَنَّ الْخَافَةَ لِلشَّيْءِ لَيْسَ بِمُتَيَقِّنٍ لَهُ، فَالْجَوَابُ فِي هَذَا إِنْ خَافَتْ الْإِقَامَةَ مِنْهُ عَلَى النُّشُوزِ وَالْإِعْرَاضِ، وَلَيْسَ أَنْ تَخَافَ الْإِقَامَةَ إِلَّا وَقَدْ بَدَأَ مِنْ شَيْءٍ، فَأَمَّا التَّفَرُّقَةُ بَيْنَ «إِنْ» الْجَزَاءِ وَالْفِعْلِ الْمَاضِي فَجَيِّدٌ^(٣). وَلَكِنْ «إِنْ» وَقَعَتِ التَّفَرُّقَةُ بَيْنَ «إِنْ» وَالْفِعْلِ الْمُسْتَقْبَلِ فَذَلِكَ قَبِيحٌ. إِنْ قُلْتَ: إِنْ امْرَأَةٌ تَخَافُ - فَهُوَ قَبِيحٌ، لِأَنَّ «إِنْ» لَا يَفْصَلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا يُجْزَمُ، وَذَلِكَ فِي الشَّعْرِ جَائِزٌ فِي «إِنْ» وَغَيْرِهَا. قَالَ عَدِي بْنُ زَيْدٍ^(٤).

(١) انشع مثلثة البخل. شح به وعليه حرص. شح يشح وشح بفتح عينه يشح ويشح. وهو شحاح وشحيح وشحاح.

(٢) ك: إذ.

(٣) وضع كلمة امرأة بين «إِنْ» والفعل «خافت» ويقدر فعل بعد إِنْ.

(٤) من قصيدة له يستعطف بها النعمان بن المنذر وهو في سجنه، وأول القصيدة:

فَمَتَى وَاغْلُ يَنْبُهُمْ يُحْيُوهُ وَتُعْطَفَ عَلَيْهِ كَأْسُ السَّاقِي

فأما الماضي فـ «إِنْ» غير عاملة في لفظه، و«إِنْ» أم حروف الجزم، فجاز أن تفرق بينها وبين الفعل، وامرأة ارتفعت بفعل مضمر يدل عليه ما بعد الاسم، المعنى إِنْ خَافَتْ امرأة خَافَتْ فأما غير «إِنْ» فالفصل يقبح فيه مع الماضي والمستقبل جميعاً، لو قلت: «متى زيد جاءني أكرمه»، كان قبيحاً، ولو قلت إِنْ الله أمكنتني فعلتُ كان حسناً جميلاً.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

كان مشركو العرب لا يؤمنون بالبعث، وكانوا مُقرِّين بأن الله خالقهم، فكان تقربهم إلى الله عز وجل إنما هو ليُعطيهم من خير الدنيا، ويصرف عنهم شرها، فأعلم الله عز وجل أن خير الدنيا والآخرة عنده.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾.

القسط والإقسط العدل، يقال أقسط الرجل يُقْسِطُ إقسطاً إذا عدل وأتى بالقسط، ويقال قسط الرجل قُسطاً إذا جَارَ، قال الله جل وعز: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١).

أي أعدلوا إِنْ الله يُحب العادلين، وقال جل وعز: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، أي الجائرون، يقال قسط البعير قُسطاً إذا يَسَّتْ يده، ويد قُسطاً أي يابسة، فكان أقسط أقام الشيء على حقيقة التعديل، وكان قُسط [بمعنى] جَارَ معناه يَبَسَ الشيء، وأفسد جهته المستقيمة.

وقوله: ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾:

= ليس شيء على المنون بياق - وهي جيدة، والواغل من يدس نفسه على الشارين أما الفضولي على الطعام فهو وارش، انظر الخزانة ٣ - ٤٠.
(١) سورة الحجرات آية ٩.

المعنى قوموا بالعدل وأشهدوا لله بالحق، وإن كان الحق على نفس الشاهد أو على والديه وأقربيه .

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ .

أي إن يكن المشهود له فقيراً فالله أولى به، وكذلك إن يكن المشهود عليه غنياً فالله أولى به، فالتأويل أقيموا الشهادة لله على أنفسكم وأقاربكم، ولا تميلوا في الشهادة رحمةً للفقير، ولا تحيفوا لاحتفال غني غني عندكم .

وقوله : ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ .

أي لا تتبعوا الهوى فتعدلوا .

﴿وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا﴾ .

قرأ عاصم وأبو عمرو بن العلاء وأهل المدينة «تَلَوْا» بواوين، وقرأ يحيى ابن وثاب والأعمش وحمزة بواو واحدة «تَلَوْا»^(١)، والأشبه على ما جاء في التفسير ومذهب أهل المدينة وأبي عمرو، لأنه جاء في التفسير أن «لَوَى الحاكِمُ في قضِيته» أَعْرَضَ .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ .

يقال لويت فلاناً حقه إذا دَفَعْتُهُ به ومَطَّلْتُهُ، ويجوز أن يكون «وَأَنْ تَلَوْ» أصله تَلَوْوا فأبدلوا من الواو المضمومة - همزة فصارت تَلَوْوا - بإسكان اللام - ثم طُرِحَت الهمزة وطُرِحَت حَرَكَتُهَا على اللام فصارت تَلَوْوا كما قيل في أدورٍ أدورٍ ثم طرحت الهمزة فصارت أدر .

ويجوز أن يكونَ وَإِنْ تَلَوْا من الولاية، وتُعْرِضُوا أي إن قمتم بالأمر أو أعرضتم عنه، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا .

(١) وتوجيه هذه القراءة سيذكره قريباً .

وقوله : ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمَعْلَقَةِ﴾ .

قيل كالمحبوسة لا أَيْماً ولا ذات بعل .

وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ .

قيل فيه قولان : يا أيها الذين آمنوا أقيموا على الايمان بالله كما قال عز وجل ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾^(١) ، أي وَعَدَ مَنْ أَقَامَ عَلَى الْإِيمَانِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الذين ذكروا في هذه القصة مغفرة وأجراً عظيماً .

وقيل يُعْنَى بهذا المنافقون الذين أظهروا التصديق وأسروا التكذيب ، فقيل : يا أيها الذين أظهروا الإيمان آمنوا بالله ورسوله أي أبطنوا مثل ما أظهروا .

والتأويل الأول أشبه والله أعلم .

وقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ .

قيل فيه غير قول : قال بعضهم يُعْنَى به اليهود لأنهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعزير ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعبسى ، ثم ازْدَادُوا كُفْراً بكفرهم بمحمد ﷺ .

وقيل جائز أن يكون محارب آمن ثم كفر ثم آمن ثم كفر .

وقيل جائز أن يكون منافق أظهر الإيمان وأبطن الكفر ثم آمن بعد ثم كفر وازداد كُفْراً بإقامته على الكفر .

(١) سورة الفتح آية ٢٩ . ومحل الاستشهاد أن الآية في وصف المؤمنين وذكر مثلهم في التوراة وفي الإنجيل ، ثم ختمت بهذه الجملة - فلا معنى للذين آمنوا من المؤمنين إلا الذين ثبتوا على الإيمان وداوموا عليه .

فإن قال قائل : الله جلّ وعزّ لا يغفر كُفْرَ مرةٍ واحدةٍ فلم قيل ههنا فيمن آمن ثم كفرتم آمن ثم كفر: لم يكن الله ليغفر لهم وما الفائدة في هذا؟ فبالجواب في هذا - والله أعلم - أن الله عزّ وجلّ يغفر للكافر إذا آمن بعد كفره، فإن كفر بعد إيمانه لم يغفر الله له الكفر الأول، لأن الله جلّ وعزّ يقبل التوبة، فإذا كفر بعد إيمان قبله كفر فهو مطالب بجميع كفره. ولا يجوز أن يكون إذا آمن بعد ذلك لا يغفر له، لأن الله جلّ ثناؤه يغفر لكل مؤمن بعد كفره، والدليل على ذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾^(١). وهذا في القرآن كثير، وهو شبيه بالإجماع أيضاً.

ومعنى: ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾:

أي لا يجعلهم بكفرهم مهتدين بل يضلهم، لأنه جلّ وعزّ يضل الفاسقين.

وقوله - جلّ وعزّ: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

معنى أليم موجع، قال «بشر» أي اجعل في مكان بشارتهم «لهم العذاب». العرب تقول تَحِيَّتُكَ الضَرْبُ، وعتابك السيف أي لك - بدلاً من التحية. . . هذا. قال الشاعر:^(٢)

وخيل قد دَلَقْتُ لها بِخِيلٍ تحية بينهم ضرب وجيع

وقوله جلّ وعزّ ﴿أَيُّتُّوْا عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ أي أَيُّتُّوْا أيَّتُغِي المنافقون عند الكافرين العزة، والعزة المَنَعَةُ وشدة الغَلَبَةِ وهو مأخوذ من قولهم أَرْضٌ عَزَازٌ^(٣). قال

(١) سورة الشورى الآية ٢٥.

(٢) هو عمرو بن معديكرب الزبيدي. والخيل هي خيل الأعداء تقدم لها بخيل من رجاله، وبدلاً من التحية تضاربوا بالسيوف. أنظر الخزانة ٥٣/٤، الخصائص ٣٥/٤ وابن يعيش ٨٠/٢ وكتاب سيبويه ٣٢٣/٢.

(٣) العزاز الأرض الصلبة، وأعز الرجل وقع في هذه الأرض.

الأَضْمَعِيُّ: العَزَاز: النَّفْلُ مِنَ الْأَرْضِ وَالصُّلْبُ الْحَجَارَةُ، الَّذِي يَسْرِعُ مِنْهُ جَرِيُّ الْمَاءِ وَالسَّيْلُ هَذَا لَفْظُ الْأَضْمَعِيِّ.

فتأويل العزة الغَلَبَةُ والسُّدَّةُ التي لا يتعلّق بها إذلال، قالت الخنساء: (١)
كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا حَمَىً يُتَّقَى إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مِنْ عَزٍّ بَزًّا
أَيَّ مَنْ قَوَى وَغَلَبَ سَلَبَ.

ويقال: قَدْ اسْتُعِزَّ عَلَى الْمَرِيضِ إِذَا اشْتَدَّ وَجَعُهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ النَّاسِ:
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تَفْعَلَ، أَيَّ يَشْتَدُّ، فَأَمَّا قَوْلُهُمْ قَدْ عَزَّ الشَّيْءُ إِذَا لَمْ يَوْجَدْ فَتَأْوِيلُهُ قَدْ
اشْتَدَّ وَجُودُهُ أَيَّ صَعَبٌ أَنْ يُوجَدَ، وَالْمَابُ، وَاحِدٌ.

وقوله: ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا
وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾.

أَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ يَهْزَأُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَأَمَرُوا أَلَّا
يَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ أَيَّ فِي حَدِيثٍ غَيْرِ الْقُرْآنِ.

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ﴾.

أَيَّ إِنَّكُمْ إِذَا جَالَسْتُمُوهُمْ عَلَى الْخَوْصِ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِالْهَزْوِ فَأَنْتُمْ
مِثْلُهُمْ.

(١) الديوان ص ٤٨ من أبيات أولها.

تَعْرِقَنِي الدَّهْرُ نَهْسًا وَحَزًّا وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ قِرْعًا وَغَمَزًا
مَنْ تَعْرِقَتِ الْعَظْمُ أَخَذَتْ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ وَالنَّهْسُ الْقَبْضُ بِالْأَسْنَانِ، وَالْقِرْعُ الضَّرْبُ وَالْغَمَزُ
ضَغْطُ الشَّيْءِ اللَّيْنِ بِالْيَدِ - تَرِيدُ أَنَّ الدَّهْرَ أَنْهَكَهَا وَقَسَا عَلَيْهَا بِكِبَارِ نَوَائِبِهِ ثُمَّ بَكَتْ قَوْمَهَا الَّذِينَ
ذَهَبُوا - وَعَزُّ بِمَعْنَى غَلَبَ، وَبِزُّ: سَلَبَ، أَيَّ حِينَ كَانَ النَّاسُ مِنْ قَدَرٍ عَلَى شَيْءٍ نَهَبَهُ كَانُوا هُمْ
يَحْمُونَ النَّاسَ بِقُوَّتِهِمْ وَيَنْصِفُونَ الضَّعِيفَ.
وَانْظُرْ شَوَاهِدَ الْمَغْنِيِّ ٨٨ وَالْكَامِلِ ٥٨/٢، ٢٨٧ (تجارية).

وقوله : ﴿أَلَمْ نَسْتَحْذِرْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

هذا يقوله المنافقون إذا كان للكافرين نصيب قالوا: ألم نستحوذ عليكم، أي ألم نغلب عليكم بالموالاة لكم، ونمنعكم من المؤمنين بما كنا نعلمكم من أخبارهم .

وَنَسْتَحْذِرُ فِي اللُّغَةِ: نستولي على الشيء، يقال حاذ الحمار أثنه^(١) إذا استولي عليها وجمّعها، وكذلك حازها، قال الشاعر .
يُحْذِرُهُنَّ وَلَهُ حُوزِي^(٢)

وَرَوْوَهُ أَيْضاً:

يَحْزِرُهُنَّ وَلَهُ حُوزِي

قال النحويون: اسْتَحْذَرَ خَرَجَ عَلَى أَصْلِهِ، فَمَنْ قَالَ حَازَ يَحْزِرُ لَمْ يَقْلْ إِلَّا اسْتَحْذَرَ يَسْتَحْذِرُ، وَمَنْ قَالَ أَحْزَرَ [فَهُوَ] كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ أَجُودَتْ وَأَطْيَبَتْ بِمَعْنَى أَجْدَتْ وَأَطْبَتْ، فَأَخْرَجَهُ عَلَى الْأَصْلِ قَالَ: اسْتَحْذَرَ^(٣) .

وقوله : ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ .

أي إن الله ناصر المؤمنين بالحجة والغلبة، فلن يجعل للكافرين أبداً على المؤمنين سبيلاً .

وقوله عز وجل : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ .

أي يخادعون النبي ﷺ بإظهارهم له الإيمان وإبطانهم الكُفْرَ، فجعل

(١) جمع أتان - والأتانة قليلة . والأتان الحمارة بجمع أثن وأتن أيضاً .

(٢) للعجاج يصف ثوراً تطارده الكلاب فيتنقلب عليها . الديوان ٧١، واللسان (حوز) ومجاز أبي عبيدة ١ - ١٤١، والخصائص ١١٩/١ - وعجزه - كما يجوز الفشة الكمي - وجمل حوزي منقطع النظر .

(٣) وهو تصريف شاذ لا يقاس عليه .

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مخادعة النبي ﷺ مخادعة له، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾^(١).

ومعنى قوله: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾.

فيه غير قول: قال بعضهم: مخادعة الله إياهم جزاؤهم على المخادعة بالعذاب، وكذلك قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾^(٢). وقيل وهو خادعهم بأمره عز وجل بالقبول منهم ما أظهروا، فالله خادعهم بذلك.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

أَي لَا تَجْعَلُوهُمْ بَطَانَتَكُمْ وَخَاصَّتَكُمْ

﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾.

أي حجة ظاهرة، والسلطان في اللغة الحجة، وإنما قيل للخليفة والأمير سلطان لأن معناه أنه ذو الحجة. والعرب تُوْنَت السلطان وتذكره، فتقول: قَضَتْ عليك بهذا السلطان، وأمرتك به السلطان. وزعم قوم من الرواة أن التائيت فيه أكثر، ولم يُتَخَلَف في التذكير. وأحسب الذين (رَوَوْا)^(٣) لم يَضْبُطُوا مَعْنَى الكثرة من القلة.

والتذكير (فيه)^(٤) أكثر، فأما القرآن فلم يأت فيه ذكر السلطان إلا

مذكراً، قال الله عز وجل: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾^(٥) وقال: ﴿هَلْكَ

(١) سورة الفتح آية ١٠.

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠.

(٣) ساقطة من ط ويظهر أن ذلك من سهو الناسخ - والمعنى الذين رَوَوْا هذه المسألة.

(٤) ليست في ك.

(٥) سورة الكهف آية ١٥.

عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ»^(١)، وقال: ﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾^(٢). فجميع ما في القرآن من ذكر السلطان مذكر، ولو كان التأنيث أكثر لكان في كتاب الله جلّ وعزّ.

فإن قال قائل إنما رَوَوْا أن السلطان بين الناس هو المؤنث قيل إنما السلطان معناه ذو السلطان. والسلطان الحجة. والاحتجاج والحجة معناهما واحد. فأما التأنيث فصحيح، إلا أنه أقل من التذكير، فمن قال: قضت به عليك السلطان أراد قضت عليك به الحجة، وقضت عليك حجة الوالي، ومن قال قضى به عليك السلطان ذهب إلى معنى صاحب السلطان. وجائز أن يكون ذهب به إلى البرهان والاحتجاج، أي قضى به عليك البرهان.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾.
قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: جهنم أدراك، أي منازل، فكل منزلة منها درك.

والقراءة: الدرك بفتح الراء. والدرك بتسكين الراء، فأما أهل المدينة وأهل البصرة فيقرأونها. «الدرك». بفتح الراء وأما أهل الكوفة والأعمش وحمزة ويحيى بن وثاب، فيقرأون «الدرك». وقد اختلف فيها عن عاصم، فرواها بعضهم عنه الدرك ورواها بعضهم الدرك - بالحركة والسكون جميعاً - واللغتان حكاهما جميعاً أهل اللغة، إلا أن الاختيار فتح الراء، لإجماع المذنبين والبصريين عليها وأن أحداً من المحدثين ما رواها إلا الدرك بفتح الراء، فلذلك اخترنا الدرك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾.
أي لا يمنعهم مانع من عذاب الله عزّ وجلّ ولا يشفع لهم شافع.

(١) سورة الحاقة - ٢٩.

(٢) في هذه الآية.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

الخط حذفت منه الياء في هذا الموضع، وزعم النحويون أن الياء حذفت من الخط كما حذفت في اللفظ، لأن الياء سقطت من اللفظ لسكونها وسكون اللام في «اللَّهُ» وكذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادِ﴾^(١) «السياء» من يناد حذفت في الخط لهذه العلة، وكذلك ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾^(٢) و﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾^(٣) فالواوات حذفت ههنا لالتقاء الساكنين، فأما قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾^(٤)، فهو كقوله ﴿يَنَادِ الْمُنَادِ﴾، و﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾، فهذه الياءات من نحو ﴿نَبْغِ﴾ حذفت لأن الكسرة دلت على الياء فحذفت الياء لثقلها، وليس الوجه عند النحويين حذفها. فأما المنادي والداعي فحذفت الياء منها كما حذفت قبل دُخُولِ الألف واللام، لأنك تقول: هذا داعٍ وهذا منادٍ. فأما ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾^(٥). فحذفت الياء لأنها رأسُ آيةٍ، ورؤوسُ الآي الحذف جائز فيها كما يجوز في آخر الآيات.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾. وَإِلَّا مَنْ ظَلَمَ، يقرأ بهما جميعاً.

فالمعنى أن المظلوم جائز أن يظهر بظلامته تشكياً، والظالم يجهر بالسوء من القول ظلماً واعتداءً، وموضع «مَنْ» نصبٌ بالوجهين جميعاً، لأنه استثناء ليس من الأول^(٦).

(١) سورة قِ آية ٤١.

(٢) سورة العلق ١٨.

(٣) سورة القمر ٦.

(٤) الكهف ٦٤.

(٥) سورة والفجر ٤.

(٦) على الوجه الثاني استثناء منقطع، وعلى الأول تام موجب.

المعنى : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن المظلوم يظهر بظلامته تشكياً، ولكن الظالم يجهر بذلك ظلماً. ويجوز أن يكون موضع «من» رفعاً على معنى لا يحب الله أن يجهر بالسوء من القول إلا من ظلم فيكون «من» بدلاً من معنى أحد، المعنى : لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا المظلوم.

وفيه وجه آخر لا أعلم النحويين ذكروه، وهو أن يكون «إلا من ظلم» على معنى لكن الظالم أجهروا له بالسوء من القول، وهذا بعد استثناء ليس من الأول. وهو وجه حسن، وموضعه نصب.

وقد روي أن هذا ورد في الضيف إذا أسىء إليه، فله أن يشكوك، وحقيقته ما قلناه. والله أعلم.

وقوله : ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ.

وهذا حين قالوا للنبي ﷺ : ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيِكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ﴾^(١).

أي فقد سألوا موسى بعد أن جاءهم بالآيات، فقالوا : ﴿أَرَأَى اللَّهُ جَهْرَةً﴾.

وقال أهل اللغة في «جهرة» قولين : قال أبو عبيدة : قالوا جهرةً أرنا الله^(٢)، لأنهم إذا رأوا الله فالسر جهرة، فإنما جهرة صفة لقولهم.

وقال بعضهم أرنا الله جهرةً، إنما معناه أرنا رؤيةً بينةً منكشفةً ظاهرةً لأن من علم الله عز وجل فقد زاد علماً، ولكن سألوه رؤيةً يُدركونها بأبصارهم.

(١) سورة الإسراء ٩٣.

(٢) أي قالوا ذلك جهاراً.

ودليل هذا القول قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(١). وهذا عندي هو القول البين إن شاء الله.

وقوله: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾.

«ما» لغو في اللفظ، المعنى فبنقضهم ميثاقهم حقاً، فكما أن حقاً لتوكيد الأمر فكذلك «ما» دخلت للتوكيد.

وتأويل نقضهم ميثاقهم أن الله عز وجل أخذ عليهم الميثاق في أن يبينوا ما أنزل عليهم من ذكر النبي ﷺ وغيره، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾^(٢).

والجالب للباء والعامل فيها قوله عز وجل:

﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾.

المعنى بنقضهم ميثاقهم، والأشياء التي ذكرت بعده.

وقوله «فبظلم» بدل من قوله: فيما نقضهم.

وقوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أي أوعية للعلم.

﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾.

وإن شئت أدغمت اللام في الطاء، وكذلك: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا﴾^(٣) يُدْغَمُ فتقول: بَطَّعَ، ويؤثرون، جعل الله مجازاتهم على كفرهم أن

طبع على قلوبهم.

وقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾.

(١) سورة البقرة - ٥٥.

(٢) سورة آل عمران ١٨٧.

(٣) سورة الأعلى آية ١٦ - والشاهد جواز الادغام، «يؤثرون».

البهتان الكذب الذي يُحِيرُ من شِدَّتِهِ وَعِظَمِهِ ، وذلك أَنَّ اليهود - لعنهم الله - رمت مريم ، وهي صفوة الله على نساء العالمين ، بأمْرِ عَظِيمٍ .

وقوله : ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ .
أي باعترافهم بقتلهم إياه .
﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ .

فإنما عُدُّوا أو يُعَذَّبون عذابَ من قتل ، أو كان شُبِّهَ لَهُم لأنهم قد أتوا الأمر على أنه قتل نبي . وجاء في التفسير أن عيسى لما أَرَادَ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ رفعه إليه وتطهيره منهم ، قال لأصحابه : أَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يُلْقَى عليه شَبْهِي فَيُقْتَلَ وَيُصَلَّبَ ويدخل الجنة ، فقال رجل منهم أَنَا فَأَلْقَى عليه شَبْهه فقتل ، ورفع الله عيسى إليه ، وهذا كله غير ممتنع ، لأننا لا نشك في أَنَّهُ شُبِّهَ لَهُمْ .

وقوله : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ﴾ .

أي الذين اختلفوا في قتله شاكون ، لأن بعضهم زعم أَنَّهُ إله ، وما قُتِلَ ، وبعضهم ذكر أَنَّهُ قُتِلَ ، وهم في ذلك شاكون .

﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ .

اتباع منصوب بالاستثناء ، وهو استثناء ليس من الأول . المعنى ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن . وإن رُفِعَ جاز على أَنْ يُجْعَلَ عليهم اتِّبَاعُ الظَّنِّ ، كما تقول العرب : تحيتك الضربُ وعتابك السيفُ .

قال الشاعر :^(١)

وخيل قد دَلَّتْ لها بخيلٍ تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ

وقوله عز وجل : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ .

(١) تقدم ص ١٢٠ .

قال بعضهم: الهاء للعلم. المعنى وما قتلوا علمهم يقيناً، كما تقول: أنا أقتل الشيء علماً، تأويله إني أعلمه علماً تاماً.

وقال بعضهم: «وما قتلوه» الهاء لعيسى كما قال: وما قتلوه وما صلبوه، وكلا القولين جائز.

وقوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾.

إدغام اللام في الراء هو الكلام وعليه القراءة، لأن اللام قريبة من مخرج الراء، والراء متمكنة، وفيها كالتركير، فلذلك اختير الإدغام فيها، وإن لم تُدغم لأنه من كلمتين جاز.

وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾.

المعنى: وما منهم من أحد إلا ليؤمنن به، وكذلك قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾^(١).

المعنى ما منكم أحد إلا واردها، وكذلك ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾^(٢) المعنى وما منا أحد إلا له [مَقَامٌ مَعْلُومٌ].

ومثله قول الشاعر: ^(٣)

لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْشَمْ يَفْضُلُهَا فِي حَسْبٍ وَمِيسَمٍ

المعنى ما في قومها أحد يفضلها.

قال المعنى ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ﴾^(٤)، فالهاء في «موته» راجعة على

(١) مريم - ٧١.

(٢) الصافات ١٦٤.

(٣) تقدم ص ٥٨.

(٤) ليست في ك. وتفسير قبل ببعده مستبعد والعبارة في ك: فأما ليؤمنن به قبل موته فالهاء في موته راجعة.. الخ.

كافرٍ في بعض الأقاويل، وقد قيل: ما من أحدٍ إلا ليؤمننَّ بعيسى ممَّن كفر به قبل موته، لأن الميت قبل موته يعاين عمله فيعلم صالحه من طالحه، وكل كافرٍ إذا عاين آمن بكل نبي كفر به قبل موته.

وقالوا في الهاء في قوله: ﴿لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ أي بعيسى، وقال بعضهم بمحمد ﷺ. والقولان واحد، لأن من كفر بنبي عاين قبل موته أنه كان على ضلال، وآمن حيث لا ينفعه الإيمان.

وقال بعضهم: ﴿إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ أي سيؤمن بعيسى إذا نزل لقتل المسيح الدجال، وهذا بعيد في اللغة، لأنه قال: «وإن منهم إلا ليؤمننَّ به قبل موته»، والذين يقولون إلى ذلك الوقت إنما هم شرذمة منهم، ولكنه يحتمل أنهم كلهم يقولون إن عيسى الذي ينزل لقتل الدجال. نحن نؤمن، فيجوز على هذا، والله أعلم بحقيقته.

وقوله: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾.

يُعْنَى بالرَّاسِخِينَ الثَّابِتُونَ^(١) في العلم من أهل الكتاب أنهم لِعِلْمِهِمْ آمنوا بالنبي ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾.

نسق على «ما»^(٢) المعنى يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة أي ويؤمنون بالنبيين المقيمين الصلاة.

وقال بعضهم «المقيمين» عطف على الهاء والميم، المعنى: لكن

(١) ك الثابتين.

(٢) ك اختلف الناس في إعراب المقيمين فقال بعضهم هونسق. الخ.

الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك، وهذا عند النحويين رَدِيءٌ، أعني العطف على الهاء والميم لأنه لا يعطف بالظاهر المجرور على المضمر المجرور إلا في شعرٍ، وذهب بعضهم أن هذا وهم من الكاتب^(١).

وقال بعضهم: في كتاب الله أشياء استصلحها العرب بألستها، وهذا القول عند أهل اللغة بعيدٌ جداً، لأن الذين جمعوا القرآن أصحاب رسول الله ﷺ وهم أهل اللغة وهم القدوة وهم قريبو العهد بالإسلام فكيف يتركون في كتاب الله شيئاً يصلحه غيرهم، وهم الذين أخذوه عن رسول الله ﷺ وجمعوه، وهذا ساقط عَمَّنْ لا يَعْلَمُ بَعْدَهُمْ وساقط عمن يَعْلَمُ، لأنهم يُقْتَدَى بهم فهذا مما لا ينبغي أن ينسب إليهم رحمة الله عليهم. والقرآن محكم لا لحن فيه، ولا تتكلم العرب بأجود منه في الإعراب، كما قال عز وجل ﴿تَنْزِيلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٢)، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٣).

ولسيبويه والخليل وجميع النحويين في هذا باب يسمونه باب المدح قد بينوا فيه صحة هذا وجودته. وقال النحويون: إذا قُلْتَ مَرَرْتُ بِزَيْدِ الْكَرِيمِ، وَأَنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَخْلَصَ زَيْدًا مِنْ غَيْرِهِ فَالْجَرُّ هُوَ الْكَلَامُ حَتَّى يُعْرِفَ زَيْدَ الْكَرِيمِ مِنْ زَيْدٍ غَيْرِ الْكَرِيمِ، وإذا أُرِدْتَ الْمَدْحَ وَالثَنَاءَ فَإِنْ شِئْتَ نَصَبْتَ فَقُلْتَ مَرَرْتُ بِزَيْدِ الْكَرِيمِ كَأَنَّكَ قُلْتَ أَذْكَرُ الْكَرِيمِ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ بِزَيْدِ الْكَرِيمِ عَلَى [تقدير] هُوَ الْكَرِيمِ، وجاءني قومك المطعمين في المحل، والمغيثون في الشدائد، على معنى أذكر المطعمين، وهم المغيثون في الشدائد، وعلى هذا الآية، لأنه لما قال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ عُلِمَ أَنَّهُمْ

(١) أي أنها بالرفع وأخطأ الكاتب - وهذا كما ذكر خطأ.

(٢) سورة فصلت آية ٤٢.

(٣) سورة الشعراء آية ١٩٥.

يُقيمون الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ. فقال: ﴿والمقيمون الصلاة، والمؤتون الزكاة﴾، على معنى، أذكر المقيمين الصلاة، وهم المؤتون الزكاة، وأنشدوا بيت الخزرق بنت بدر بن هفان^(١):

لا يَتَعَدَّنَ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُو سَمُّ الْعِدَاءِ وَآفَةُ الْجَزُرِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مَعْتَرِكٍ وَالطَّيْبُونَ مَعَاقِدَ الْأُرُرِ
على معنى أذكر النازلين، رفعه ونصبه على المدح. وبعضهم يرفع
النازلين وينصب الطيبين، وكله واحد جائز حسن. فعلى هذه الآية.
فأما من قال إنه وهم فقد بينا ما فيه كفاية. والذي ذكرناه من الاحتجاج
في ذلك مذهب أصحابنا البصريين.

وقوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾. هذا
جواب لهم حين سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، وقد جرى
ذكر ذلك قبل هذه الآية. وهو قوله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً
مِنَ السَّمَاءِ﴾ فأعلم الله نبيه أن شأنه في الوحي كشأن الأنبياء الذين سلفوا
قبله، وهذا احتجاج عليهم، فقال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ
وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ وسائر الأنبياء الذين ذكروا في هذه الآية.
وقوله: ﴿وَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾.

القراءة فيه بفتح الزاي وضمها، وأكثر القراء على فتح الزاي، . وقد
قرأت جماعة زُبوراً بضم الزاي، منهم الأعمش وحمزة، فمن قرأ زُبوراً، بفتح
الزاي فمعناه كتاباً، وهذا الوجه عند أهل اللغة، لأن الآثار كذا جاءت زُبور
داود، كما جاء تَوْرَةُ مُوسَى وَإِنْجِيلُ عِيسَى .

(١) الكلمة غامضة في ب، ط، وفي ك بنت عبة والمعروف أنها خرت بنت بدر بن هفان. أنظر
الخزانة ٢ - ٣١٧، والكتاب ١ - ٨١ وأمالى المرتضى ١ - ١٤٦، وينسب البيتان أيضاً لغير
خزرق.

ومن قرأ زُبوراً بضم الزاي فمعناه وآتيناه كُتُباً، جمع زُبُر وزُبُور ويقال
ذَبَرْتُ الكتاب أَذْبَرُهُ ذَبْرًا إذا كَتَبْتُ، وَذَبَرْتُ أَذْبَرُ ذَبْرًا، وَأَذْبَرُ إذا قَرَأْتُ^(١).

والزُّبُرُ في اللغة إحكام العمل في البئر خاصة، تقول: بئر مزبورة إذا
كانت مطوية بالحجارة، والزبر إحكام الكتاب، وقول الشاعر:^(٢)
هَوَجَاءَ لَيْسَ لِلْبَهِارِ زُبْرُ

يصف ريحاً، جعل هذا مثلاً لَهَا، كأنه قال ليس لسانها قوة في
الاستواء. وقوله جَلَّ وعزَّ: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾^(٣) واحدها زُبْرَةٌ، وهي قطع
الحديد.

وقوله جَلَّ وعزَّ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ﴾.

«رسلًا» منصوب من جِهَتَيْنِ، أجودهما أن يكون منصوباً بفعل مضمر،
الذي ظهر يفسره، المعنى وقد قصصنا رسلاً عليك قد قصصناهم، كما تقول
رَأَيْتُ زَيْدًا وَعَمْرًا أَكْرَمْتَهُ، المعنى وأكْرَمْتُ عَمْرًا أَكْرَمْتَهُ. وجائز أن يحمل
﴿وَرُسُلًا﴾ على معنى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، لأن معناه إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ: موحيين إِلَيْكَ،
وَأَرْسَلْنَا رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

أَخْبَرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ بتخصيص نَبِيِّ مِمَّنْ ذَكَرَ، فأعلم عزَّ وجلَّ أن موسى
كُلِّمَ بغير وَحْيٍ، وأكد ذلك بقوله تَكْلِيمًا، فهو كلام كما يعقل الكلام لا شك
في ذلك.

(١) في القاموس: الذبر الكتابة يزبر ويزبر كالتدبير والنقط والقراءة الخفية، والزبر القوي الشديد
والعقل والحجارة والرمي بها وطى البئر بها. . والكتابة وهي بالذال والزاي.
(٢) هو ابن أحمر، وصدر البيت: - ولهت عليه كل معصية - الزبر هنا القرار. ويقال آراء هوجاء
أي ليست محكمة، والزبر الحجارة وطى البئر - أنظر اللسان - زبر -، وكتاب سيبويه ٧١/٢.
(٣) سورة الكهف آية ٩٦.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾.

القراءة الرفع مع تخفيف «لكن»، والنصب جائز «لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ» إلا أنه لا يقرأ بما يجوز في العربية إلا أن يثبت به رواية عن الصحابة وقراءة الأمصار، ومعنى ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾: [يبين]، لأن الشاهد هو المبين لما يشهد به. فالله جَلَّ وَعَزَّ يبينه ويعلم مع إبانته أنه حق.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾:

معناه: وكفى الله شهيداً، والباء دخلت مؤكدة، المعنى اكتفوا بالله في شهادته، ومعنى ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ أي أنزل القرآن الذي فيه علمه.

وقوله: ﴿فَأَمِنُوا خَيْراً لَكُمْ﴾.

اختلف أهل العربية في تفسير نصب «خير»، فقال الكسائي: انتصب لخروجه من الكلام، قال: وهذا تقوله العرب في الكلام التام نحو قولك لتقومن خيراً لك، فإذا كان الكلام ناقصاً رفعوا فقالوا: إن تنته خيراً لك. وقال القرأء: انتصب هذا وقوله «خيراً لكم» لأنه متصل بالأمر وهو من صفته، ألا ترى أنك تقول انتته هو خير لك فلما سقطت هو اتصل بما قبله، وهو معرفة فانتصب، ولم يقل هو ولا الكسائي من أي المنصوبات هو، ولا شرحوه بأكثر من هذا.

وقال الخليل وجميع البصريين: إن هذا محمول على معنا، لأنك إذا قلت: إنته خيراً فانت تدفعه عن أمر وتدخله في غيره، كأنك قلت أنته وائت خيراً^(١) لك وادخل فيما هو خير لك.

وأشد الخليل وسيبويه قول عمر بن أبي ربيعة:

(١) أي يكن ذلك خيراً لك.

فَوَاعِدِيهِ سَرَحْتِي مَالِكٍ أَوْ الزُّبَى بَيْنَهُمَا أَسْهَلًا^(١)
كَأَنَّهُ قَالَ إِيَّتِي مَكَانًا أَسْهَلًا.

وقوله: عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾.

معنى سبحانه تبرئته من أن يكون له ولد، وهذا قول أهل العربية. وجاء
عن النبي ﷺ أن معنى «سبحان الله» تبرئة الله من السوء، وتفسير أهل العربية
موافق لما جاء عن النبي ﷺ.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا﴾:
الرفع لا غير، ورفعهُ بإِضْمَارٍ لَا تَقُولُوا آلِهَتُنَا ثَلَاثَةً.

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾:

أي ما هو إلا إله واحد.

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾:

[أي] فكيف يكون إلهاً وهو ابن مريم، وكيف يكون إلهاً وأمه قبله^(٢)
والله عز وجل القديم الذي لم يزل.

﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.

الغلو مجاوز القدر في الظلم.

وقوله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾:

أي ليس يستنكف الذي تزعمون أنه إله أن يكون عبداً لله.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

(١) انظر الخزانة الشاهد رقم ١٠٠ - ٣: ١ ط السلفية وهو صفة لمحذوف أي أثت مكاناً أسهل.

وهو الشاهد إذ نصبه لفعل محذوف - ويروى البيت برواية أخرى لا شاهد فيها. انظر الأغاني

٨ - ١٤٤، وابن الشجري ١ - ٣٤٤.

(٢) أي هوليس بقديم - إذ تسبقه أمه في الوجود فهو ليس بإله - والإله لا يكون محدثاً ولا مولوداً.

والملائكة - والله أعلم - أكرم من النبيين، ألا ترى أن نُوحاً عليه السلام قال: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾^(١)، فقال عز وجل: لن يستنكف المسيح من العبادة لله.

ومعنى يستنكف أي لن يأنف، وأصله في اللغة من نَكَفَتِ الدَّمَعُ إذا نحيته بإصبعك من خدك، قال الشاعر:^(٢)

فبانوا فلولا ما تذكر منهم من الخلف لم يُنْكَفَ لَعَيْنِكَ مَدْمَعُ
فتأويل لَنْ يستنكف لن ينقبض، ولن يمتنع من عبادة الله.
وقوله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نورا مبیناً﴾.

يُعْنَى به - والله أعلم - القرآن، لأن النور هو الذي يُبَيِّنُ الأشياءَ حتى تُرَى. ومَثَلُ الله عز وجل ما يَعْلَمُ بالقلب علماً واضحاً لما يرى بالعين رؤيةً منكشفةً بَيِّنَةً.

والكَلَالَةُ قد بَيَّنَّاها أول السورة.

وقوله: ﴿إِنْ أَمْرُوْهُ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾.

جازمع «إن» تقديم الاسم قبل الفعل، لأن «إن» لا تعمل في الماضي، ولأنها أم الجزاء. والنحويون يذهبون إلى أن مَعَهَا فعلاً مضمراً، الذي ظهر يفسره، والمعنى إن هلك امرؤ هلك.

وقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾.

قيل فيها قولان، قال بعضهم: المعنى يبين الله لكم أن لا تضلوا

(١) سورة هود ٣١.

(٢) اللسان (نكف) - أي أن الأحية قد ناوا فلولا ما يتذكره من مخالفتهم له وقسوتهم لظل دمه سبباً لا يستطيع كنفته ولا مسحه عن خده ويروى فماتوا. ونكف من باب نصر.

فأضمرت لا، . وقال البصريون إن «لا» لا تضمّر، وإن المعنى: يبينُ الله لكم كراهة أن تضلّوا، ولكن حذف «كراهة»، لأن في الكلام دليلاً عليها، وإنما جاز الحذف عندهم على [حد] قوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ والمعنى واسأل أهل القرية، فحذف الأول جائز، ويبقى المضاف يدل على المحذوف، قالوا فأما حذف «لا» وهي حرف جاء لمعنى النفي فلا يجوز، ولكن «لا» تدخل في الكلام مؤكدة، وهي لغو كقوله: ﴿لَيْسَ يَكُنْ لَهُ أَهْلٌ يَكْتُمُونَ﴾^(١) ومثله قول الشاعر:

وما ألوم البيض ألاّ تسخرأ لما رأين الشمط القفندرا^(٢)

المعنى وما ألوم البيض أن تسخر.

ومثل دخول «لا» تأكيداً قوله عز وجل: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٣)، و﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^(٤).

فإن قال قائل: أفيجوز أن تقول لا أحلف عليك، تريد أحلف عليك؟ . قيل «لا» لأن لا، إنما تلغى إذا مضى صدر الكلام على غير النفي، فإذا بنيت الكلام على النفي فقد نقضت الإيجاب، وإنما جاز أن تلغى «لا» في أول السورة، لأن القرآن كله كالسورة الواحدة، ألا ترى أن جواب الشيء^(٥) قد

(١) سورة الحديد ٢٩ .

(٢) لأبي النجم والبيت في الخزانة ١ - ٤٨ وفي القرطبي ٢ - ١٨٢، واللسان (قفندر) ومجاز أبي عبيدة ١ - ٢٦، والشاهد فيه زيادة «لا». أي لا ألوم البيض أن تسخر من أن رأين الشيب لاح برأسي .

(٣) سورة القيامة آية ١ .

(٤) سورة البلد آية ١ .

(٥) الرد عليه ورد شبهته .

يقع وبينهما سُورٌ كما قال جلّ وعزّ جواباً لقوله: ﴿وقالوا يا أيُّها الَّذي نزل عليه الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾^(١)، فقال: ﴿نُونُ وَالْقَلَمِ وما يَسْطُرُونَ ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾^(٢)، (ومثله في القرآن كثير)^(٣).

(١) سورة الحجر ٦.

(٢) سورة ن آية ١ - ٢.

(٣) لك فقط.

ومن سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾.

خاطب الله جلّ وعزّ جميع المؤمنين بالوفاء بالعقود التي عقدها الله عليهم، والعقود التي يعقدها بعضهم على بعضٍ على ما يوجبه الدين، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، أَي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا النبي ﷺ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ، والعقود العهود، يقال وفيت بالعهد وأوفيت. والعقود واحدها عقد، وهي أوكد العهود يقال: عهدت إلى فلان في كذا وكذا، تأويله ألزمته ذلك، فإنما قلت عاقדתه أو عَقَدْتُ عليه، فتأويله أنك ألزمته ذلك باستيثاق.

وقال بعضهم أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أَي بما كان عقد بعضكم على بعض في الجاهلية، نحو الموالاة، ونحو قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتُ أَيْمَانُكُمْ، فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ﴾^(١) والمواريث تنسخ العقود في باب المواريث.

يقال عقدت الحبل والعهد فهو معقود. قال الحطيئة:

قومٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لِحَارِهِمْو شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَا^(٢)

(١) النساء: الآية ٣٣.

(٢) الديوان ٦، واللسان (كرب). وشواهد الكشف. العنّاج ككتاب حبل يشد به أسفل الدو، وعرقوته، والكرب حبل يربطهما معاً. والبيت من قصيدته في مدح عامر بن الطفيل وتفضيله =

تأويله أنهم يوفون عهودهم بالوفاء بها، ويقال أعقدت العسل ونحوه فهو مُعَقَّدٌ وَعَقِيدٌ، وروى بعضهم: عقدت العسل والكلام أعقدت، قال الشاعر: ^(١)

وكان رباً أو كحياً مُعَقَّداً حشَّ الوقود به جوانب قُمُقم
وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ﴾.

قال بعضهم: بهيمة الأنعام: الظباء والبقر الوحشية والحُمُرُ الوحشية. والأنعام في اللغة تشتمل على الإبل والبقر والغنم.

فالتأويل - والله أعلم - أحلت لكم بهيمة الأنعام، أي أحلت لكم الإبل والبقر والغنم والوحش. والدليل على أن الأنعام مشتملة على ما وصفنا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾ ^(٢) فالحمولة الإبل التي تُحْمَلُ ^(٣) والفرش صغار الإبل، قال ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ. وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ ^(٤) ثم قال: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ ^(٥) وهذا مردود على قوله: ﴿وهو

= على الزبرقان بن بدر، وجاء قبلها:

قوم هم الأنف والأذنب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
قوم يبيت قريير العين جارهم إذا لوى بقوى أطنابهم طنبا
يريد أنهم يفون بعهدهم وينصرون من يحالفهم.

(١) هو عترة العبي يصف العرق الذي يتصب من ناقته، بأنه خائر مما علق به من الأتربة، فصار كالطلاء أو القطران الذي أوقدت عليه النار حتى تخثر، والرب الطلاء، والكحيل القطران وحش النار أوقدها أو جمع لها الوقود، وعرق الإبل أسود، والققم هنا هو رأس الناقة على التشبيه، والبيت في مغلته رقم ٣٢.

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٢.

(٣) فهي فعولة بمعنى مفعولة أي محملة. ولهذا دخلتها تاء التأنيث.

(٤) سورة الأنعام. آية ١٤٣.

(٥) سورة الأنعام - ١٤٤ - أي خلق من الأنعام ما هو كبير يحملكم ويحمل متاعكم في أسفاركم، وما هو دون ذلك، تأكلون لحمه وتتفعون بجلده وبوبره.

الذي أنشأ جناتٍ مَعْرُوشَاتٍ ﴿١﴾، وأنشأ ﴿من الأنعام حمولة وفرشاً﴾. ثم ذكر ثمانية أزواجٍ بدلاً من قوله: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾. والسُّورَةُ تُدْعَى سورة الأنعام، فبهيمة الأنعام هذه (٢)، وإنما قيل لها بهيمة الأنعام لأن كل حي لا يميز فهو بهيمة، وإنما قيل له بهيمة لأنه أبهم عن أي يميز، فأعلم الله عزَّ وجلَّ أن الذي أُحِلَّ لنا مما أبهم هذه الأشياء.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾.

موضع ما نصب بإلا، وتأويله أُحِلَّتْ لكم بهيمة الأنعام ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ من الميتة والدم والموقوذة والمتردية والنطيحة ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ أي أُحِلَّتْ لكم هذه لا مُحِلِّين الصَّيْدِ ﴿وَأَنْتُمْ حَرَمٌ﴾.

وقال أبو الحسن الأخفش: انتصب ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ على قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، كأنه قيل: أوفوا بالعقود غير مُحِلِّي الصَّيْدِ، وقال بعضهم يجوز أن تكون «ما» في موضع رفع على أنه يذهب إلى أنه يجوز جاء إخوانك إلا زيد، وهذا عند البصريين باطل لأن المعنى عند هذا القائل: (٣) جاء إخوانك وزيد (٤). كأنه يعطف بها كما يعطف بلا، ويجوز عند البصريين جاء الرجال إلا زيد على معنى جاء الرجال غير زيد، على أن تكون صفة للنكرة أو ما قارب النكرة من الأجناس.

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾.

أي مُحْرَمُونَ. وأحد الحُرْم حرام، يقال رجل حرام وقوم حُرْم، قال

الشاعر: (٥)

(١) الأنعام آية ١٤١.

(٢) أي هذه الأصناف الثمانية. والإضافة في «بهيمة» الأنعام بيانية، أي بهيمة هي الأنعام.

(٣) أي من يرفع المستثني بعد الموجب التام.

(٤) أي إلا عاطفة وتفيد النفي، وكان الأولى أن يكون التقدير: جاء إخوانك لا زيد.

(٥) في اللسان (لب) للمضرب بن سعد، وهو للمضرب بن كعب بن زهير وأنظر القرطبي ٦ - :-

فقلت لها فيني إليك فإنني حرامٌ وإنني بعد ذاك لبيب
أي ملبّ.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

أي الخلق له عزّ وجلّ، يُجِلّ منه ما يشاء لَمَنْ يَشَاءُ، وَيُحَرِّمُ مَا يُرِيدُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ
الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾.

الشعائر واحدها شعيرة، ومعناه ما أُشْعِرَ أي أُعْلِمَ لِيُهْدَى إِلَى بَيْتِ اللَّهِ
الْحَرَامِ. وقال قوم شعائر الله يُعْنَى بِهِ جَمِيعُ مُتَعَبَّدَاتِ اللَّهِ الَّتِي أُشْعِرَهَا اللَّهُ،
أَي جَعَلَهَا أَعْلَامًا لَنَا.

﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ الْهَدْيُ وَاجِدَتُهُ هَدِيَّةٌ مِثْلُ جَذِيَّةٍ وَجَذْيٌ يَعْنِي حَذْبُهُ
السَّجْعُ^(١).

﴿وَالْقَلَائِدَ﴾: كَانُوا يَقْلُدُونَ بِلِحَاءِ الشَّجَرِ وَيَعْتَصِمُونَ بِذَلِكَ وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ
لِلْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ قَدْ أَمَرَ الْمُسْلِمُونَ بِأَنْ لَا يَحِلُّوا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا
الْمُشْرِكُونَ إِلَى اللَّهِ وَكَذَلِكَ ﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ وَهَذَا كُلُّهُ مَنْسُوخٌ،
وَكَذَلِكَ ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾، وَهُوَ الْمُحَرَّمُ لِأَنَّ الْقِتَالَ كَانَ مَرْفُوعاً فِيهِ، فَتَسَخَّرَ
جَمِيعُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، وَخُذُواهُمْ وَاحْصِرُوهُمْ
وَاقْعَدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾^(٢).

= ٣٦، ومجاز أبي عبيدة. ١ - ٤٥.

يقول عودي لرشدك فإني لا أقربك لأنني محرم، ولو لم أكن محرماً ما قربتك لأنني ذكي لبيب
لا أفعل قبيحاً.

(١) في القاموس هدية الأمر مثلثة جهته، والهدي والهدية - ويكسر الطريقة والسيرة، والهادي
المتقدم والعق - ومن الليل أوله، ومن الإبل أول رعيه يطلع منها.

(٢) سورة التوبة - ٥ والاستدلال غير قوي - لأن صدر الآية: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحَرَامُ فَاقْتُلُوا﴾

وقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾.

هذا اللفظ أمرٌ ومعناه الإباحة، لأن الله عزَّ وجلَّ حرَّم الصيدَ على المحرم، وأباحه له إذا حلَّ من إحرامه، ليس أنه واجب عليه إذا حلَّ أن يصطاد، ومثله قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(١) تأويله أنه أبيع لكم بعد الفراغ من الصلاة، ومثل ذلك في الكلام: لا تَدْخُلَنَّ هذه الدار حتى تُؤدِّيَ ثمنها، فإذا أديت فادخلها، تأويله فإذا أديت فقد أبيع لك دخولها.

وقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقُومَ﴾.

أي لا يحملنكم بغض قوم، يقال شنته شناناً معناه أبغضته إِبْغاضاً، والشنان مصدر مثل غليانا، ونزا نزواناً، فالمعنى لا يكسبنكم بغض قوم أن تعتدوا^(٢).

وموضع «أن» نصب، أي تعتدوا لأن صدوكم عن المسجد الحرام فموضع أن الأولى نصبٌ مفعولٌ له، وموضع أن الثانية نصب مفعول به، المعنى لا يكسبنكم بغض قوم أي بغضكم قوماً الاعتداء بصددهم إياكم عن المسجد الحرام يُقال فلان جريمة أهله أي هو كاسبهم^(٣). وقيل في التفسير لا يحملنكم بغض قوم، والمعنى واحد، وقال الأخفش لا يجنبنكم بغض قوم^(٤). وهذه ألفاظ مختلفة والمعنى واحد.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

= المشركين ولكن في آية أخرى - ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾.

(١) سورة الجمعة آية ١٠.

(٢) لا يحملنكم بعضهم على عدم العدل.

(٣) يقال: جرم لأهله وعليهم وإلهم جريمة أي جنى جناية، أو كسب.

(٤) لا يحملنكم على الجف، وهو الظلم.

وهذا كله منسوخ إلا التعاون من المسلمين على البر.
وقوله عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾.

أصله الميِّتة بالتشديد، إلا أنه مخففٌ، ولو قرئت الميِّتة لجاز يقال ميِّتٌ، وميِّتٌ، والمعنى واحد. وقال بعضهم الميِّت يقال لما لم يمُتْ، والميِّت لما قد مات، وهذا خطأ إنما ميت يصلح لما قد مات، ولما سيَمُوتُ، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١).

وقال الشاعر في تصديق أن الميِّت والميِّت بمعنى واحد:

ليس من مات فاستراح بميِّت إنما الميِّت ميِّت الأحياء^(٢)
فجعل الميت مخففاً من الميت.
وقوله: ﴿وَالدَّمُ﴾.

قيل إنهم كانوا يجعلون الدم في المباعر^(٣) ويشوونها ويأكلونها، فأعلم الله عز وجل أن الدم المسفوح، أي المصبوب حرام، فأما المتلطح بالدم^(٤) فهو كاللحم في الحل.

وقوله: ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

موضعه رفع، والمعنى: وحرم عليكم ما أهل لغير الله به، ومعنى ﴿أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ذكر عليه اسم غير الله، وقد فسرنا^(٥) أن الإهلال رفع الصوت

(١) سورة الزمر ٣٠.

(٢) لعدي بن الرعاء - انظر ابن عيش ١٠ - ٥٧. والخزانة ١٧٤/٤ وفي ياقوت ٩/١٢ لصالح بن عبد القدوس.

(٣) في أمعاء الحيوان.

(٤) أي الدم الذي يبقى باللحم كالدهان فهو حلال كاللحم، وفي ك التلطح في اللحم.

(٥) انظر ص ٢٤٣ ج ١.

بالشيء فَمَا^(١) يتَقَرَّبُ به من الذبح لغير الله، أو ذكر غير اسمه فحرام، ﴿وَلَحْمُ
الْخَنزِيرِ﴾ حرام، حَرَّمَ اللهُ أكله، وملكه، والخزير يشمل^(٢) على الذكر والأنثى.
وقوله ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾.

وهي التي تنخنق بِرَبْقَتِهَا أي بالحبل الذي تشك به، وبأي جهة اختنقت
فهي حرام.

وقوله: ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾.

وهي التي تُقْتَلُ ضرباً، يقال وَقَذْتُهَا أَوْ قَذَّهَا وَقَذاً وَأَوْقَذْتُهَا أَوْ قَذَّهَا إِيقَازاً،
إِذَا أَثَخَنْتُهَا ضَرْباً.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالنَّطِيعَةُ﴾.

وهي التي تَنْطِيعُ أَوْ تَنْطِيعُ فَمُوتُ.

وقوله: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾.

موضع «ما» أَيْ رَفَعَ عَطْفَ عَلَى مَا قَبْلَهَا.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا ذَاتَيْتُمْ﴾.

أَيَّ إِلَّا مَا أَدْرَكْتُمْ ذَكَاتِهِ مِنْ هَذِهِ الَّتِي وَصَفْنَا، وموضع «ما» نَصَبُ أَيَّ
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ إِلَّا الشَّيْءَ الَّذِي أَدْرَكَ ذَبْحُهُ مِنْهَا، وَكُلُّ ذَبْحٍ ذَكَاةٌ،
وَمَعْنَى التَّذْكِيَةِ أَنْ يَدْرِكَهَا وَفِيهَا بَقِيَّةٌ تَشْعُبُ مَعَهَا الْأَوْدَاجُ، وَتَضْطَرِبُ اضْطِرَابَ
الْمَذْبُوحِ الَّذِي أُدْرِكَتْ ذَكَاتُهُ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ يَقُولُونَ إِنَّ أَخْرَجَ السَّبْعُ الْحَشَوَةَ، أَوْ
قَطَعَ الْجَوْفَ قِطْعاً خَرَجَ مَعَهُ الْحَشَوَةُ^(٣) فَلَا ذَكَاةَ لَذَلِكَ، وَتَأْوِيلُهُ أَنَّهُ يَصِيرُ فِي
حَالَةٍ مَا لَا يُؤَثِّرُ فِي حَيَاتِهِ الذَّبْحُ، وَأَصْلُ الذَّكَاءِ فِي اللُّغَةِ كُلُّهَا تَمَامُ الشَّيْءِ،

(١) فِي الْأَصْلِ فِيمَا نَقَرَبُ.

(٢) كَ يَشْتَمِلُ.

(٣) أَيَّ مَا فِي جَوْفِ الْحَيَوَانِ - وَجَمَعَ الْحَشَوَةَ أَحْشَاءَ.

فمن ذلك الذِّكَاءُ في السن والفهم، وهو تمام السِّنِّ، قال الخليل: الذِّكَاءُ في السِّنِّ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى قُرُوجِهِ سَنَةٌ^(١)، وذلك تمامُ استِكَمالِ القُوَّةِ، قال زهير:

يُفَضِّلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهَا تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَاءُ^(٢)

وَقِيلَ جَرِيُّ الْمَذْكِيَّاتِ غِلَابٌ^(٣) أَي جَرِيُّ الْمَسَانِّ الَّتِي قَدْ تَأَسَّتْ. وتأويل تمام السِّنِّ النِّهَايَةُ فِي الشَّبَابِ فَإِذَا نَقَصَ عَنْ ذَلِكَ أَوْ زَادَ فَلَا يُقَالُ لَهَا الذِّكَاءُ. والذِّكَاءُ فِي الْفَهْمِ أَنْ يَكُونَ فَهْمًا تَامًا سَرِيعَ الْقَبُولِ، وَذَكَّيْتُ النَّارَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ هَذَا. تأويله أَتَمَّتْ إِشْعَالَهَا.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: مَا أَذَكَّيْتُمْ ذَبْحَةَ عَلَى التَّمَامِ.

وقوله: ﴿وَمَا ذُبِخَ عَلَى النُّصَبِ﴾.

وَالنُّصَبُ الْحِجَارَةُ الَّتِي كَانُوا يُعْبُدُونَهَا، وَهِيَ الْأَوْثَانُ وَاحِدُهَا نِصَابٌ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا، وَجَمْعُهُ أَنْصَابٌ.

وقوله: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾.

مَوْضِعُ «أَنْ» رَفْعٌ، وَالْمَعْنَى وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْاسْتِقْسَامَ بِالْأَزْلَامِ. وَوَاحِدُ الْأَزْلَامِ زَلَمٌ، وَزَلَمٌ، وَهِيَ سِهَامٌ كَانَتْ فِي^(٤) الْجَاهِلِيَّةِ مَكْتُوبٌ عَلَى بَعْضِهَا «أَمْرِي رَبِّي» وَعَلَى بَعْضِهَا: «نَهَانِي رَبِّي» فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ سَفَرًا أَوْ أَمْرًا يَهْتَمُّ بِهِ

(١) ذَكَى تَذَكَّى أَسْنُ وَبَدَنٌ - وَالْمَذَاكِي مِنَ الْخَيْلِ جَمْعُ مَذْكِيَّةٍ وَهِيَ مَا أَتَى عَلَيْهَا بَعْدَ قُرُوجِهَا سَنَةٌ - وَقَرَحُ الْفَرَسِ كَخَجَلٍ وَمَنْعٌ قَرَحًا وَقَرَحًا - وَهِيَ قَارِحٌ وَقَارِحَةٌ - وَجَمْعُهُ قَوَارِحٌ وَقَرَحٌ وَمَقَارِيحٌ.

(٢) يَرُودُ أَيْضًا وَيُفَضِّلُهُ - وَكَذَلِكَ وَرَدَ فِي لُكْ - وَالْبَيْتُ فِي الدِّيْوَانِ ص ٧٢، الْكَامِلُ ٢٢٩/١.

(٣) مِنَ الْأَمْثَالِ الْجَارِيَةِ، وَيُرْوَى - غِلَاءٌ - جَمْعُ غُلُوَةٍ - وَهِيَ الشُّوْطُ أَيْ شُوْطٌ بَعْدَ شُوْطٍ. بِمَعْنَى لَا تَظْهَرُ نَجَابَتُهَا مِنْ أَوَّلِ جَرِيَةٍ أَوْ غُلُوَةٍ، أَمَّا رَوَايَةُ غِلَابٍ فَهِيَ مِنَ الْمَغَالِبَةِ. وَالْمَذْكِيَّاتُ جَمْعُ مَذْكِيَّةٍ.

(٤) الزَّلَمُ - كَبْطَلٌ وَصَرْدٌ - الظِّلْفُ أَوْ مَا خَلْفَهُ، وَالْقَدَحُ سَهْمٌ لَا رِيشَ عَلَيْهِ وَسِهَامٌ كَانُوا يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَزَلَمَهُ تَزَلِيمًا سِوَاهُ وَلَيْتَهُ بِمَعْنَى أَزَالَ أَزْلَامَهُ أَيْ الزَّوَائِدَ الَّتِي بِهِ.

اهتماماً شديداً ضرب تلك القِدَاح، فإن خرج السهم الذي عليه «أمرني ربِّي» مضى لحاجته، وإن خرج الذي عليه «نهاني ربِّي» لم يمض في أمره، فأعلم الله عزَّ وجلَّ أن ذلك حرام، ولا فرق بين ذلك وبين قول المنجمين: لا تخرج من أجل نجم كذا، وأخرج من أجل طلوع نجم كذا، لأن الله جلَّ وعزَّ قال: وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا^(١) وروى عن النبي ﷺ، خمس لا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ، وذكر الآية التي في آخر سورة لقمان. ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾^(٢).

وهذا هو دخول في علم الله الذي هو غيب، وهو حرام كالأزلام التي ذكرها الله جلَّ وعزَّ أنها حرام.

والاستقسام بالأزلام فسقٌ. والفسقُ اسمٌ لكلِّ ما أعلم الله أنه مُخْرِجٌ عن الحلال إلى الحرام، فقد ذمَّ الله به جميعَ الخارجين من مُتَعَبَّدَاتِهِ وَأَصْلِهِ عند أهل اللغة قد فسقتِ الرُّطْبَةُ إِذَا خَرَجَتْ عَنْ قَشْرِهَا.

ولو كان بعضُ هذه المَرْفُوعَاتِ نَصْباً على المعنى لجاز في غير القرآن. لو قلتَ حُرِّمَتْ على الناس الميتةُ والدَّمُ ولحمُ الخنزير، وتحمله على معنى وَحَرَّمَ اللَّهُ الدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ لجاز ذلك، فأما القرآن فخطأ فيه أن نقرأ بما لم يَقْرَأْ به مَنْ هُوَ قُدْوَةٌ فِي الْقِرَاءَةِ، لأن القراءة سنة لا تُتَجَاوَرُ.

وقوله: ﴿الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾.

«اليومَ» منصوب على الظرف، وَلَيْسَ يُرَادُّ بِهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - يوماً بعينه.

(١) لك كانت في الجاهلية غدا.

(٢) سورة لقمان آية ٣٤.

معناه الآن يئس الذين كفروا من دينكم، وهذا كما تقول أنا اليوم قد كبرتُ. وهذا الشأن لا يصلح في اليوم. تريد أنا الآن، وفي هذا الزمان ومعناه: أن قد حوّل^(١) الله الخوف الذي كاد يلحقكم منهم اليوم ويثبوا من بطلان الإسلام وجاءكم ما كنتم توعدون من قوله: ﴿لِيُظْهَرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُفُّوا﴾^(٢)، والذين اسم لجميع ما تعبّد الله خلقه، وأمرهم بالإقامة عليه، والذي به يُجزون، والذي أمرهم أن يكون عاداتهم. وقد بينا ذلك في قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾.

أي فليكن خوفكم لله وحده، فقد أمّتم أن يظهر دين على الإسلام وكذلك - والله أعلم -.

قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

أي الآن أكملت لكم الدين بأن كفيتكم خوف عدوكم وأظهرتكم عليهم، كما تقول: الآن كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد، بأن كفينا من كنا نخافه. وقد قيل أيضاً: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أي أكملت لكم فرض ما تحتاجون إليه في دينكم. وذلك جائز حسن، فأما أن يكون دين الله في وقت من الأوقات غير كامل فلا.

وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾.

أي فمن دعت الضرورة في مجاعة، لأن المخمصة^(٣) شدة ضمور البطن.

﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾.

(١) أزال وصرف.

(٢) سورة الصف آية ٩، والفتح آية ٢٨، والتوبة ٣٣.

(٣) في القاموس: خمص الجرح وانخمص سكن ورمة، والخمصة الجوعة - والمخمصة المجاعة وخمص البطن (مثلة).

أي غير مائل إلى إثم .
﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

أي فإن الله أباحه ذلك رحمة منه وتسهيلاً على خلقه، وكذلك فمن اضطُرَّ غير باغٍ ولا عادٍ، أي غير آكل لها على جهة الاستحلال ولا عادٍ: أي مجاوزٍ لقدر الحاجة، وغير آكل لها على جهة التلذذ فإن الله غفورٌ رحيم .

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾ .

موضع «ما» رفع، إن شئت جعلتها وحدها اسماً، ويكون خبرها قوله: «ذا» . ويكون أحل من صلة ما، والتأويل: يسألونك أي شيء أحل لهم، وجائز أن تكون «ما»، و«ذا»، اسماً واحداً، وهي أيضاً رُفِعَ بالابتداء والتأويل على هذا: يسألونك أي شيء أحل لهم، وأحل لهم خبر الابتداء .

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ .

فالطيِّبات كل شيء لم يأت تحريمه في كتاب ولا سنة، والكلام يدل على أنهم سألوا عن الصَّيْدِ فيما سألوا عنه، ولكن حُذِفَ ذكرُ صيدٍ «مَا عَلَّمْتُمْ» . لأن في الكلام دليلاً عليه، كما قال: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾^(١) .
المعنى واسأل أهل القرية .

﴿وَقَوْلُهُ: ﴿مُكَلِّينُ﴾﴾ .

أي في هذه الحال يقال رجل مُكَلَّب، وكَلَّاب، أي صاحب صيد بالكلاب، وفي هذا دليل أن لحم صيد الكلب الذي لم يُعَلِّم حرام إذا لم تُدْرِك ذكاته، فإذا أُرْسِلَ المرسلُ كلب الصَّيْدِ فصَادَ فَقَتَلَ صَيْدَهُ، وقد ذكر الصائد اسم الله على الصيد فهو حلال بلا اختلاف بين الناس في ذلك .

(١) سورة يوسف ٨٢ .

وقوله عز وجل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾.

فاختلف الفقهاء فيه إذا أكل من الصيد، فقال بعضهم يؤكل (منه)^(١) وإن أكل منه. وكل ذلك في اللغة غير مُمتنعٍ لأنه قد يُمسك الصيد إذا قُتل ولم يأكل منه، وقد يُمسك وقد أكل منه.

ومعنى: ﴿تَعْلُمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي تُؤدَّبُونَهُنَّ أَنْ يُمَسَّكَنَ الصَّيْدَ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ غَابَ الصَّيْدُ فَمَاتَ فَإِنَّهُ غَيْرُ مُمَسَّكٍ. وفي الحديث: «كُلْ مَا أَصْمَيْتَ وَلَا تَأْكُلْ مَا أَنْمَيْتَ». ومعنى كل ما أَصْمَيْتَ أي إن صَدَّتْ صَيْدًا بِكَلْبٍ أَوْ غَيْرِهِ فَمَاتَ وَأَنْتَ تَرَاهُ مَاتَ بِصَيْدِكَ فَهُوَ مَا أَصْمَيْتَ، وَأَصْلُ الصَّامِيَانِ فِي اللُّغَةِ السَّرْعَةُ وَالْخِفَّةُ.

فالمعنى: كُلْ مَا أَصْمَيْتَ أَيَّ مَا قَتَلْتَهُ بِصَيْدِكَ وَأَنْتَ تَرَاهُ أَسْرَعَ فِي الْمَوْتِ، فَرَأَيْتَهُ وَعَلِمْتَ - لَا مُحَالَةَ - أَنَّهُ مَاتَ بِصَيْدِكَ، وَمَعْنَى مَا أَنْمَيْتَ، أَيَّ مَا غَابَ عَنْكَ فَمَاتَ وَلَمْ تَرَهُ، فَلَسْتَ تَدْرِي أَمَاتَ بِصَيْدِكَ أَمْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ آخَرُ فَقَتَلَهُ، يُقَالُ نَمَتِ الرَّمِيَّةُ إِذَا مَضَتْ وَالسَّهْمُ فِيهَا، وَأَنْمَيْتَ الرَّمِيَّةَ إِذَا رَمَيْتُهَا فَمَضَتْ وَالسَّهْمُ فِيهَا، قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:

فهو لا يَنْمِي رَمِيَّتَهُ ماله، لا عُذُّ مِنْ نَفْرِهِ^(٢)

وقال الْحَرِثُ بْنُ وَعْلَةَ الشَّيْبَانِي:

قالت سَلِيمَى قَدْ غَنَيْتَ فَتَى فالآن لا تَصْمِي ولا تَنْمِي^(٣)

(١) ليست في ب - والمراد يجوز لنا أن نأكل منه وإن كان الجارح أكل منه.

(٢) نَمَى رَمِيَّتَهُ وَصَيْدَهُ إِذَا ضَرَبَهَا فَجَرَتْ وَمَاتَتْ بَعِيدًا. يتعجب من مهارته إذ لا يفلت صيد منه - ولا عد من نفره دعاء عليه للتعجب، وهو في حقيقته دعاء له - مثل تربت يداك، ولا أب لك. أنظر اللسان (نمى - نفر) وشرح الحماسة ٢٨٩/١.

(٣) قد كنت في شبابك ذا قوة والآن ذهبت قواك فلا قدرة لك على الصيد.

وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ، وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ﴾.

أي ذبائح أهل الكتاب حلَّ لكم، وقد أجمع المسلمون أن ذبائح أهل الكتاب حلال للمسلمين، واختلفوا فيما سواها من الأطعمة، والذبائح هي من الأطعمة، فالظاهر - والله أعلم - أن جميع طعامهم حلال كالذبائح.

﴿وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ﴾.

تأويله حل لكم أن تطعموهم، لأن الحلال والحرام والفرائض بعد عقد التوحيد^(١)، إنما يعقد على أهل الشريعة والملة، فأما الكفار فالواجب فيهم القتل إلا من أدى الجزية من أهل الكتاب.

وقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

أي وأحل لكم المحصنات وهن العفاف وقيل الحرائر، والكتاب يدل على أن الأمة إذا كانت غير مؤمنة لم يجز التزويج بها، لقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ نَتِائِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾^(٢).

فإذا آتيتموهن أي إذا أعطيتموهن الأجر على جهة التزويج لا على جهة السفاح وهو الزنا.

وقوله: ﴿وَلَا تُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾.

(١) أي الإيمان والعقيدة أولاً ثم التكليف بعد ذلك، وهؤلاء لا إيمان عندهم. فليأكلوا ما يأكلون ولا حرج علينا في تقديم ذلك لهم.

(٢) سورة النساء ٢٥ - وتزويج الكافرة أياً كانت غير جائز لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ - ولا تمسكوا بعصم الكوافر.

وهن الصديقات والأصدقاء، فحرم الله عز وجل الجماع على جهة السفاح، أو على جهة اتخاذ الصديقة^(١)، وأحلّه على جهة الإحصان، وهو التزويج، على ما عليه جماعة العلماء.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ

أَي مَنْ بَدَلَ شَيْئًا مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ فَجَعَلَهُ حَرَامًا، أَوْ أَحَلَّ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ فَهُوَ كَافِرٌ بِاجْتِمَاعٍ، وَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ أَي حَبِطَ جَمِيعُ مَا تَقَرَّبَ بِهِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَمَنْ غَيْرَ ذَلِكَ^(٢).

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

المعنى إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وإنما جاز ذلك لأن في الكلام والاستعمال دليلاً على معنى الإرادة، ومثل ذلك قول الله عز وجل ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، المعنى إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

وقوله: ﴿وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

القراءة بالنصب، وقد قرئت بالخفض، وكلا الوجهين جائز في العربية فمن قرأ بالنصب فالمعنى: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤوسكم على التقديم والتأخير والواو جائز فيها ذلك كما قال جل وعز: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ

(١) وكان مألوفاً أن يصادق الرجل المرأة، ويعاشرها معاشرة زوجية متكررة - فالمعنى أن كل ذلك سفاح سواء كان صداقة وعشرة أو كان لقاء عارضاً.

(٢) جملة لا فائدة فيها، وهو يريد - فيما يبدو - كل عمل تقرب به إلى الله سواء من طريق النكاح الحلال أو غيره، يحبط إذا أحل ما حرم الله.

الرَّاكِعِينَ»^(١) ، والمعنى وأركعي واسجدي لأن الركوع قبل السجود، ومن قرأ: وَأَرْجُلَكُمْ - بالجذر عطف على الرؤوس . وقال بعضهم نزل جبريل بالمسح، والسنة في الغسل^(٢)، وقال بعض أهل اللغة هو جَرُّ على الجَوَارِ، فأما الخفض على الجوار فلا يكون في كلمات الله، ولكن المسح على هذا التحديد في القرآن كالغسل لأن قوله: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، فذكر الحد في الغسل لليد إلى المرافق، ولليد من أطراف الأصابع إلى الكف، ففرض علينا أن نغسل بعض اليد من أطراف الأصابع إلى المرفق، فالمرفق منقطع مما لا يُغسل ودخل فيما يُغسل^(٣)، وقد قال بعض أهل اللغة معناه مع المرافق، واليد المرفق داخل فيها، فلو كان اغسلوا أيديكم مع المرفق، لم تكن في المرافق فائدة وكانت اليد كلها يجب أن تغسل^(٤)، ولكنه لما قيل إلى المرافق اقتطعت في الغسل من حَدِّ المرفق، والمرفق في اللغة ما جاوز الأبره وهو المكان الذي يُرْتَفَقُ به، أي يتكأ عليه على المرفقة^(٥) وغيرها. فالمرافق حد ما ينتهي إليه في الغسل منها، وليس يحتاج إلى تأويل «مع».

ولما حد في الرَّجُلِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَالرَّجُلُ من أصل الفخذ إلى القَدَمِ عُلِمَ أَنَّ الْغُسْلَ من أطراف الأصابع إلى الكعبين، والكعبان هما العظامان الناتئان في آخر الساق مع القدم، وكلُّ مُفْصَلٍ من العظام فهو كعب، إلا أن

(١) سورة آل عمران ٤٣ .

(٢) يريد السنة هي التي بينت الغسل، أما القرآن فجاء بالمسح إذ عطف الأرجل على الرأس وفي ك: فالسنة الغسل .

(٣) وداخل فيما يغسل . والمعنى فيهما أنه ليس من اليد ولكنه يغسل .

(٤) لأن اليد تطلق على الذراع كله .

(٥) الوسادة ونحوها .

هذين الكعبين ظاهران عن يَمَنَةٍ فوق القدم وَيَسْرَتِهِ، فلذلك لم يحتج إلى أن يقال الكعبان اللذان صَفَتَهُمَا كذا وكذا.

فالدَّلِيل على أن الغسل هو الواجب في الرجل، و[الدليل على] أن المَسْحَ على الرجل لا يجوز [هو تحديد] إلى الكعبين^(١) كما جاء في تحديد اليد إلى المرافق، ولم يجزئ في شيء في المسح^(٢) تحديد، قال فامسحوا برؤوسكم بغير تحديد في القرآن وكذلك قوله:

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾: ويجوز وأرجلكم بالجر على معنى واغسلوا، لأن قوله إلى الكعبين قد دل على ذلك كما وصفنا، وينسق بالغسل على المسح كما قال الشاعر:

يا ليت بعلك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحاً

المعنى متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً، وكذلك قال الآخر:

علفتها تبناً وماءً بارداً^(٣)

المعنى وسقيتها ما بارداً.

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾.

يقال للواحد رجل جُنُب، ورجلان جُنُب، وقوم جُنُب وامرأة جُنُب، كما يقال رجل رَضَى وقوم رَضَى وإنما هو على تأويل ذَوُوا أَجْنُبٍ، لأنه مصدر، والمصدر يقوم مقام ما أُضيف إليه، ومن العرب من يُثْنِي وَيَجْمَعُ ويجعل

(١) ط. تحديد قوله إلى الكعبين.

(٢) ك في شيء.

(٣) تقدم ص ٦: ورواية - حتى شئت همالة عينها، وفي شواهد الكشف:

لما حطت الرحل عنها وارداً... علفتها... والرواية الأولى رواية الفراء أي كانت عينها دامة زمن الشتاء - ويروى غدت.

المصدر بمنزلة اسم الفاعل، وإذا جمع جنب، قلت في الرجال جُنُبون، وفي النساء جُنُبات، وللاثنتين جُنُبَان.

وقوله: ﴿فَاطْهَرُوا﴾.

معناه فطهروا، إِلَّا أَنْ التَّاءُ تَدْغَمُ فِي الطَّاءِ لِأَنَّهُمَا مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَهُمَا مَعَ الدَّالِ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ، وَأَصُولُ الثَّنَايَا الْعَلِيَا، فَإِذَا أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الطَّاءِ. سَقَطَ أَوَّلُ الْكَلِمَةِ فَزِيدَ فِيهَا أَلْفُ الْوَصْلِ، فَابْتَدَأَتْ فَقُلْتُ اطْهَرُوا.

وَيَبَيِّنُ عَزَّ وَجَلَّ مَا طَهَارَةُ الْجَنْبِ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ بِالْغَسْلِ فَقَالَ: ﴿وَلَا جُنْبًا إِلَّا غَائِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾^(١).

والغائط - كناية عن مكان الحَدَثِ، وَالْغَيْطَانُ مَا انْخَفَضَ مِنَ الْأَرْضِ.

وقوله: عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.

أَيَّ اقْصِدُوا، وَقَدْ بَيَّنَّا الصَّعِيدَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾.

أَيَّ مِنْ ضَيْقٍ.

﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾.

واللام دخلت لتبَيِّنَ الْإِرَادَةَ. الْمَعْنَى إِرَادَتُهُ لِيُطَهَّرَكُمْ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ^(٢)

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾.

أَيَّ بِالْعَدْلِ.

(١) الآية ٤٣.

(٢) ينسب لقيس بن الملوح، وكثير، ولجريح، ويروى بفتح اللام وهي لغة عكل. وبالكسر على اللغة المشهورة. أي أريد نسيانها. أنظر شواهد الكشاف، وفي اللسان (ورد) أنه لكثير. وانظر شواهد المغني ١٩٩.

﴿شَهَدَاءَ﴾.

أَيُّ مُبَيِّنِينَ عَنْ دِينِ اللَّهِ لِأَنَّ الشَّاهِدَ يَبَيِّنُ مَا شَهِدَ عَلَيْهِ .
وقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾.

فَشَنَاَنُ قَوْمٍ مَعْنَاهُ بُغْضُ قَوْمٍ [أَي] لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُكُمْ الْمَشْرِكِينَ عَلَىٰ تَرْكِ الْعَدْلِ . وَمَنْ قَالَ شَنَاَنُ قَوْمٍ ، فَمَعْنَاهُ بُغْضُ قَوْمٍ ، وَيُقَالُ : أَجْرَمَنِي كَذَا وَكَذَا ، وَجَرَمَنِي ، وَاجْرَمْتُ بِمَعْنَىٰ وَاحِدٍ ، وَقَدْ قِيلَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ : لَا يُدْخِلَنَّكُمْ فِي الْجُرْمِ كَمَا تَقُولُ آثَمَتُهُ أَيُّ ادْخَلَتْهُ فِي الْإِثْمِ .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

هَذَا تَمَامُ الْكَلَامِ ، يُقَالُ وَعَدْتُ الرَّجُلَ تَرِيدُ وَعْدَتَهُ خَيْرًا ، وَأَوْعَدْتُ الرَّجُلَ تَرِيدُ أَوْعْدَتَهُ شَرًّا ، وَإِذَا ذَكَرْتَ الْمَوْعُودَ قُلْتَ فِيهِمَا جَمِيعًا وَأَعْدَتُهُ . وَإِذَا لَمْ تَذْكُرِ الْمَوْعُودَ قُلْتَ فِي الْخَيْرِ وَعْدَتَهُ وَفِي الشَّرِّ أَوْعْدَتُهُ . فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، فَدَلَّ عَلَى الْخَيْرِ ^(١) ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ الْخَيْرَ فَقَالَ :

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ : أَيُّ تَغْطِيَةٌ عَلَى ذُنُوبِهِمْ .

﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ : جَزَاءٌ عَلَى إِيْمَانِهِمْ .

وقوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اٰنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ .

يُرَوَّى فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ وَ[بَنِي] النَّضِيرِ كَانُوا عَاهَدُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ وَعَلَى أَنْ يُعِينَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ وَيُعِينُوهُ فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَصِيبَ رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُمَا فِي دِيَارِهِمَا ^(٢) ، فَوَعَدُوهُ

(١) الاستدلال غير جيد ، لأن آمنوا وعملوا الصالحات تؤذن بالخير وأنه خير .

(٢) سألهم المساعدة فيها حسبما أنفقوا .

لَوْ قَتِ يَصِيرُ^(١) إِلَيْهِمْ فِيهِ، فَصَارَ النَّبِيُّ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ، فَلَمَّا صَارُوا إِلَيْهِمْ هَمُّوا بِالْغَدْرِ وَأَنْ يَقْتُلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَأَعْلَمَهُ مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ، فَخَرَجُوا مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، فَأَعْلَمَهُمُ الْيَهُودُ أَنَّ قُدُورَهُمْ تَغْلِي^(٢)، فَأَعْلَمَهُمُ ﷺ أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِمَا عَزَمُوا عَلَيْهِ، وَهَذِهِ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى نَبَوْتِهِ. وَقِيلَ إِنَّ هَذَا مُرَدُّدٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾^(٣) أَيْ قَدْ أُعْطِيتُمُ الظَّفَرُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾.

وكلا الوجهين - والله أعلم - جائر، لأن الله جلَّ شأنه قد أظهر الإسلام على سائر الأديان.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أَيَّ أَخَذَ اللَّهُ مِنْهُمْ الْمِيثَاقَ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَالْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ.

﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾.

النَّقِيبُ فِي اللُّغَةِ كَالْأَمِيرِ، وَالْكَفِيلُ، وَنَحْنُ نُبَيِّنُ حَقِيقَتَهُ وَاشْتِقَاقَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

يُقَالُ: نَقَّبَ الرَّجُلُ عَلَى الْقَوْمِ يَنْقُبُ إِذَا صَارَ نَقِيبًا عَلَيْهِمْ، وَمَا كَانَ الرَّجُلُ نَقِيبًا^(٤)، وَلَقَدْ نَقَّبَ، وَصَنَاعَتُهُ النَّقَابَةُ وَكَذَلِكَ عَرَفَ عَلَيْهِمْ إِذَا صَارَ عَرِيفًا،

(١) ينتهي إليهم، أي يقابلهم في حلتهم. وفي ك يسير - بالسين - أي يمشي إليهم لأخذ المال منهم.

(٢) أي إنهم يعدون له الطعام ويطبخونه.

(٣) سورة المائدة من الآية: ٣.

(٤) لم يكن من قبل ولكنه أصبح كذلك.

ولقد عَرَفَ، ويقال لأول ما يبدو من الجرب النُّقْبَة، وَيُجْمَعُ: النُّقْب، قال الشاعر^(١):

متبذ لا تبدو محاسنه يَضَعُ الهَنَاءَ مواضع النُّقْب
والنُّقْبَة وجمعها نُقْب سراويل تلبسه المرأة بلا رجلين، ويقال فلانة حسنة
النُّقْبَة والنُّقَاب، ويقال في فلان مناقب جميلة، وهو حسن النُّقْيَة، أي حسن
الخليقة، ويقال كَلْبٌ نَقِيبٌ، وهو أَنَّ تُنْقَبَ حَنْجَرَةُ الكَلْب لثلا يرتفع صوته في
نُبَاحه، وإنما يفعل ذلك البخلاء من العرب لثلا يطرقهم ضيف بسماع نُبَاح
الكلاب.

وهذا الباب كله يجمعه التأثير الذي له عمق ودخول، فمن ذلك نقبتُ
الحائط، أي بلغت في الثقب آخره، ومن ذلك النقبة من الجرب لأنه داءٌ
شديد الدخول، والدليل على ذلك أَنَّ البعيرَ يُطْلَى بالهَنَاءِ فيوجد طعم القطران

(١) هو دريد بن الصمة - من جشم بن بكر، واسمه معاوية بن الحرث؛ ذكره الجمحي على رأس
الشعراء الفرسان، قتل - على شركه - يوم حنين في غير معركة، قتله ابن الدغنة في قصص معروف.
وكان قد رأى الخنساء تهناً بغيراً، أي تطليه بالقطران، وقد خلعت ثيابها عدا بذلة العمل التي
كشفت عن أجزاء من جسمها - وقيل خلعت ثيابها لتغسل فراها دريد خفية.
أنظر الأغاني ١٠ - ٢٢، وشواهد المغني ٣٢٣.
وذكر القالي في أماليه هذه القصة، وأول القصيدة.

حيوا تماضر واربعوا صحي وقفوا فلان وقوفكم حسبي
ما إن رأيت ولا سمعت به كالسيوم طالي أينق جرب
وقد رفضت الخنساء خطبته قائلة:

معاذ الله ينكحني حبركي قصيد للظهر من جشم بن بكر
والخنساء هي السيدة تماضر الصحابية الجليلة - كان رسول الله ﷺ، يستنشدها ويقول: هيه يا
خناس - واستشهد أولادها الأربعة يوم القادسية. فحمدت الله وسألته أن يلحقها بهم في جنته،
رضي الله عنها.
انظر الإصابة ج ٨. ت ٣٥٥.

في لحمه . ، والنُّقْبَةُ هذه السراويل التي لا رَجْلَيْنِ لها، قد بُولِغَ في فتحها ونُقْبَها، ونُقَاب المرأة وهو ما ظهر من تَلَثُّمِها من العينين والمَحَاجِر، والنُّقْبُ والنُّقْبُ الطريق في الجبل، وإنما قيل نقيب لأنه يعلم دخيلة أمر القوم ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم^(١).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَزَّزْتُموهُمْ﴾.

قال أبو عبيدة: ﴿عَزَّزْتُموهُمْ﴾ عظمتموهم. قال غيره: عززتموهم: نصرتموهم. وهذا هو الحق - والله أعلم - وذلك أن العَزْر في اللغة الرَّد، وتَأْوِيلُ عَزَّرْتُ فلاناً - أَي أَدْبَيْتُهُ - فعلت به ما يَرُدُّعُهُ عن القبيح كما أن نَكَلْتُ به، فعلت به ما يجب أن ينكل معه عن المعاوذة، فتأويل عززتموهم نصرتهم بأن تردوا عنهم أعداءهم. وقال الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾^(٢) فلو كان التعزيز هو التوقير لكان الأجود في اللغة الاستعانة والنصرة إذا وجبت، فالتعظيم داخل فيها، لأن نصرة الأنبياء هي المدافعة عنهم والدُّبُّ عن دِمِهِم وتعظيمهم وتوقيرهم^(٣).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

أي فقد ضل قصد السبيل.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾.

«ما» لغو، المعنى: فبنقضهم ميثاقهم، ومعنى «ما» الملغاة في العمل

توكيد القصة.

﴿لَعَنَاهُمْ﴾: أي باعدناهم من الرحمة، وجعلنا قلوبهم قاسية أي يابسة،

(١) أي هو كالنقبة التي ينفذ منها إليهم.

(٢) سورة الفتح من الآية: ٩.

(٣) لأن التوقير يكون مكرراً إذا كان بمعنى التعدير، وإنما المراد تنصروه وتجلوه.

يقال للرجل الرَّحِيم: لَيْنُ القلب، وللرجل غير الرحيم: قاسي القلب ويابس القلب، والقاسي في اللغة، والقاسح - بالحاء -: الشديد الصلابة.

وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾.

الكلم جمع كلمة، وتأويل يحرفون؛ يُغَيِّرُونَهُ على غير ما أنزل.

وقوله عز وجل: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

معنى نسوا: ﴿تَرَكُوا نَصِيحًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

وقوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾.

خائنة في معنى خيانة، المعنى: لا تزال تطلع على خيانة منهم، وفاعلة في أسماء المصادر كثيرة، نحو عافاه الله عافية، وقوله: ﴿فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾^(١)، وقد يقال رجل خائنة، قال الشاعر: (٢)

حَدَّثَتْ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ لِلْغَدْرِ خَائِنَةً مُغْلٍ الْإِصْبَعِ

(قال خائنة على المبالغة لأنه يخاطب رجلاً، يقول: لا تحملن فتغلل

(١) سورة الحاقة من الآية: ٥، أي بالطغيان.

(٢) البيت لرجل من السواقط من بني كلاب قدم وأخاله اليمامة في جوار عمير بن سلمى، فقتل

قرين أخو عمير أخوا الكلابي، فأتى الكلابي قبر سلمى - والد عمير وقرين. وأشد أبياتاً منها:

أقرين إنك لو رأيت فوارسي بعمائيتين إلى جوانب ضلفع

حدثت نفسك بالوفاء.

وعمايتان جيلان، وضلفع مكان - يقول إن شجعان قبيلتهم كثر يملأون هذا الفضاء، يعني لو رأيت هذا العدد الكثير لأوجبت على نفسك الوفاء ولم يجرؤ أخوك على قتل أخي - وقوله للغدر، أي من أجل الغدر - ومغل يقال أغل فهو مغل، كما يقال غل - والغلول ما يختان ويحتجن، يستعمل في غير المال مجازاً - وخائنة مصدر - وهو يأتي على فاعل قليلاً جداً، مثل عوفي عافية، وقم قائماً، أي قم قياماً.

وانظر الأبيات وتفاصيل القصص في الكامل ١ - ٢١١ - ٢١٢ - (ط - التجارية) وانظر القرطبي ١ -

- ٢٥٠، والطبري ٦ - ٩٠، واللسان (صبع . . خور). وشواهد الكشف.

اصبعك في المتاع فتدخلها للخيانة، (وَمُغِلٌ يَدُكَ مِنْ خَائِنَةٍ)^(١) ويجوز أن يكون - والله أعلم - على خائنة أن على فِرْقَةٍ خائنة.

وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾.

مَنْصُوبٌ بِالِاسْتِثْنَاءِ.

وقوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يعني به النصراري، ويعني قوله: أَغْرَيْنَا أَلْصَقْنَا بِهِمْ ذَلِكَ، يقال: غَرِيتُ بِالرَّجُلِ غَرِيًّا - مَقْصُورٌ - إِذَا لَصِقَتْ بِهِ، وهذا قول الأصمعي وقال غير الأصمعي: غَرِيتُ بِهِ غَرَاءً، وهو الغراء الذي يُغَرَّى إِنَّمَا تَلصَقُ بِهِ الْأَشْيَاءُ، وتَأْوِيلُ أَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَنَّهُمْ صَارُوا فِرْقًا يُكْفَرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، مِنْهُمْ النَّسْطُورِيُّ، وَالْيَعْقُوبِيُّ وَالْمَلْكَانِيُّ، وَهُمْ الرُّومُ، فَكُلُ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ تَعَادِي الْأُخْرَى.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾.

النور [هو] محمد ﷺ والهدى أو النور هو الذي يبين الأشياء، ويُرَى الْأَبْصَارَ حَقِيقَتَهَا^(٢)، فمثل ما أُوتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْقُلُوبِ فِي بَيَانِهِ وَكَشْفِهِ الظُّلُمَاتِ كَمَثَلِ النُّورِ.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾.

ورُضْوَانُهُ - بِالْكَسْرِ وَالضَّم.

﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾.

جميع سبيل، والسُّبُلُ: الطُّرُقُ، فجائز أن يكون - والله أعلم - طرق السلام [أي] طرق السَّلَامَةِ التي من ملكها سلم في دينه، وجائز أن يكون - والله أعلم - سبيل السلام، طرق الله، والسلام اسم من أسماء الله.

(١) ليست في ك.

(٢) يمكن الأعين من رؤيتها على حقيقتها.

وقوله: ﴿عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

[أي] على انقطاع، لأن النبي ﷺ بُعث بعد انقطاع الرسل لأن الرسل كانت إلى وقت رفع عيسى تُتْرَى، أي متواترة، يجيء بعضها في أثر بعض.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ﴾.

قال بعضهم معناه أَنْ لَا تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ، أي بعث الله النبي ﷺ لثلاث تقولوا ما جاءنا من بشير، ومثله قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾^(١) معناه أَنْ لَا تَضِلُّوا، وقال بعضهم: أَنْ تَقُولُوا: معناه كَرَاهَةً أَنْ تَقُولُوا، وحذفت كراهة، كما قال جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾، معناه: سَلْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ، وقد استقصينا شرح هذا في آخر سورة النساء.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾.

مثل جعلكم تملكون أمركم^(٢) لا يَغْلِبُكُمْ عليه غالب. وقال بعضهم: جعلكم ذَوِي مَنَازِلَ لَا يُدْخَلُ عَلَيْكُمْ فِيهَا إِلَّا بِإِذْنٍ، والمعنى راجع إلى ملك الأمر.

وقوله: ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

وهو أن الله - جَلَّ وَعَزَّ - أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى، وظلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ.

وقوله: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

المقدسة: المطهرة، وقيل في التفسير إنها دمشق، وفلسطين، وبعض

(١) النساء - ١٧٦.

(٢) ليس معنى جعلكم ملوكاً أن كل واحد كان ملكاً، إنما معناه: جعلكم في هذه الحالة. أي منكم ملوككم ولستم تحت حكم غيركم.

الأردن وبيت المقدس، وإنما سمي بالْمَقْدِسِ لِأَن الْمَقْدِسَ: (١) المكان الذي يتطهر فيه. فتأويله البيت الذي يُطَهَّرُ الإنسان من العيوب، ومن هذا قيل: القدس، أي الذي يتطهر منه، كما قيل: مَطْهَرَةٌ لما يُتَوَضَّأُ مِنْهُ، إنما هي مَفْعَلَةٌ من الطهر.

وقوله عز وجل: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾.

تأويل الجبار من الآدميين: العاتي الذي يَجْبُرُ النَّاسَ عَلَى مَا يُرِيدُ، واللّه عز وجل - الجبار العزیز، وهو الممتنع من أَنْ يُزَلَّ، واللّه عز وجل يأمر بما أَرَادَ، لَا رَادَّ لَأَمْرِهِ، وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ.

وإنما وصفوهم بالقدرة والتكبر، والمنعة.

و﴿قَوْمًا﴾ منصوب بإن، و﴿جبارين﴾ من صفتهم، والخبر قوله: ﴿فيها﴾.

وقوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾.

أي أنعم الله عليهما بالإيمان.

﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾.

فكانتاهما عِلِمًا أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ إِذَا دُخِلَ مِنْهُ وَقَعَ الْغَلْبُ.

وقوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾.

أي لسنّا نقبل مشورة في دخولها، ولا أمرًا، وفيها هؤلاء الجبارون، فأعلم الله جل ثناؤه أن أهل الكتاب هؤلاء غير قابلين من الأنبياء قبل النبي ﷺ (٢)، وأن الخلاف شأنهم.

وفي هذا الإعلام دليل على تصحيح نبوة النبي ﷺ لأنه أعلمهم ما لا

(١) أي هو اسم مكان من قدس، ويسمى أيضاً المقدس: اسم مكان من الرباعي.

(٢) أي من طبيعتهم أن لا يقبلوا رسالة الأنبياء ولا يستجيبون لهم.

يُعَلِّمُ إِلَّا مِنْ قِرَاءَةِ كِتَابٍ أَوْ إِخْبَارٍ، أَوْ وَحْيٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَنشؤه معروف بالخلو
من ذكر أفاصيص بني إسرائيل^(١)، وبحيث لا يقرأ كتبهم، فلم يبق في علم
ذلك إلا الوحي .

وقوله: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ .

كلام العرب: اذهب أنت وزيد، والنحويون يستقبحون اذهب وزيد^(٢)،
لأنه لا يعطف بالاسم الظاهر على المضمَر، والمضمَر في النية^(٣) لا علامة
له، فكان الاسم معطوفاً على ما هو متصل بالفعل غير مفارق له .

فأما قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(٤)، فمن رفع فإنما يجوز ذلك
لأن المفعول يقوي الكلام، وكذلك ضربت زيدا وعمرو . كما يقوي الكلام
دُخُولُ لا، قال الله جل ثناؤه: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾^(٥) .

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ .

أخي في موضع رفع، وجائز أن يكون في موضع نصب .

المعنى: قال ربي إني لا أملك إلا نفسي، وأخي أيضاً لا يملك إلا
نفسه، ورفع من جهتين إحداهما: أَنْ يكون نَسَقاً على موضع إني . المعنى
أنا لا أملك إلا نفسي وأخي كذلك، ومثله قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ﴾^(٦) وجائز أن يكون عطفاً على «ما» في^(٧) قوله أملك فالمعنى أنا لا

(١) معروف بأنه لم يقرأ هذه الأفاصيص ولم يعلمها . ونشأته خالية من التعليم .

(٢) هو ممنوع، وليس قبيحاً فقط .

(٣) أي هو ضمير مستتر .

(٤) سورة يونس من الآية: ٧١ .

(٥) سورة الأنعام ١٤٨، والمعروف نحويّاً أنه يجوز العطف إن وجد فاصل ما، وقد ورد بلا فاصل
وهو ضعيف جداً .

(٦) سورة التوبة من الآية: ٣ .

(٧) أي على الضمير المستتر .

أَمْلِكْ أَنَا وَأَخِي إِلَّا أَنْفُسَنَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَخِي فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ مِنْ جِهَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا: أَنْ يَكُونَ نَسَقًا عَلَى الْيَاءِ [فِي إِنْجِي]. الْمَعْنَى إِنْجِي وَأَخِي لَا نَمْلِكُ إِلَّا أَنْفُسَنَا، وَأَنْي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي، وَأَنْ أَخِي لَا يَمْلِكُ إِلَّا نَفْسَهُ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى نَفْسِي، فَيَكُونَ الْمَعْنَى لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي، وَلَا أَمْلِكُ إِلَّا أَخِي، لِأَنَّ أَخَاهُ إِذَا كَانَ مَطِيعًا لَهُ فَهُوَ مَلِكٌ طَاعَتُهُ.

وقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً﴾.

لَا يَصْرَفُ ﴿أَنْبِيَاءً﴾ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَلْفِ التَّائِيثِ، وَهُوَ غَيْرُ مَصْرُوفٍ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالنَّكْرَةِ لِأَنَّ فِيهِ عَلَامَةُ التَّائِيثِ، وَهِيَ مَعَ أَنَّهَا عَلَامَةُ التَّائِيثِ مَبْنِيَةٌ مَعَ الْأَسْمِ عَلَى غَيْرِ خُرُوجِ التَّائِيثِ عَنِ التَّذْكِيرِ نَحْوِ قَائِمٍ، وَقَائِمَةٌ.

وقوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾.

يَعْنِي أَنَّ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ دَخُولُهَا أَيُّ هُمْ مَمْنُوعُونَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ: أَرْبَعِينَ سَنَةً يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَنْصُوبَةٌ بِقَوْلِهِ مُحَرَّمَةٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِقَوْلِهِ يَتِيَهُونَ، أَمَّا نَصْبُهُ بِمَحَرَّمَةٍ فَخَطَأٌ، لِأَنَّ التَّفْسِيرَ جَاءَ بِأَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَبَدًا^(١). فَنَصَبُ^(٢) أَرْبَعِينَ سَنَةً بِقَوْلِهِمْ يَتِيَهُونَ. وَقِيلَ عَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ مَكَّثُوا فِي التِّيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً سَيَّارَةً^(٣) لَا يَقْرَأُهُمْ قَرَارًا إِلَى أَنْ مَاتَ الْبَالِغُونَ الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَنَشَأَ الصَّغَارُ وَوُلِدَ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي جَمَلَتِهِمْ فِي الْمَعْصِيَةِ، وَقِيلَ إِنَّ مُوسَى وَهَارُونَ كَانَا مَعَهُمْ فِي التِّيهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ لَمْ يَكُنْ مُوسَى وَهَارُونَ فِي التِّيهِ لِأَنَّ التِّيهِ عَذَابٌ، وَالْأَنْبِيَاءُ لَا يَعَذَّبُونَ. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ

(١) هُمْ دَخَلُوهَا فَعَلًا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ، وَلَكِنْ كَانَ قَدْ نَشَأَ جِيلٌ جَدِيدٌ غَيْرُ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ مُوسَى مِنْ مِصْرَ.

(٢) فِي الْأَصْلِ وَنَصَبَ الْكِبَارِ.

(٣) مُتَجَوِّلِينَ لَا يَسْتَقِرُّونَ وَلَا يَهْتَدُونَ لِلطَّرِيقِ.

كَانَا فِي النَّارِ وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ سَهَّلَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ كَمَا سَهَّلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ النَّارَ
فَجَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا وَشَانَهَا الْإِحْرَاقَ.

وقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

جائز أن يكون هذا خطاباً لموسى، وجائز أن يكون خطاباً لمحمد ﷺ
أي لا تحزن على قوم لم يزل شأنهم المعاصي ومخالفة الرسل.

وقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾.

قِيلَ كَانَا رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَنَّ الْقُرْبَانَ كَانَ تَأْكُلُهُ النَّارُ فِي زَمَنِ
بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى
يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾^(١) وقيل ابنا آدم لصلبه، أحدهما هابيل والآخر
قابيل، فقربا قرباناً.

﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا. [وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ]﴾.

وكان الرجل إذا قَرَّبَ قُرْبَاناً سجد وتَنَزَّلَ النَّارُ فتأكل قربانه، فذلك علامة
مقبول القربان، فتزلت النار وأكلت قربان هابيل، ولم تأكل قربان قابيل،
فحسده قابيل وتوعده بالقتل فقال:

﴿لَأَقْتُلَنَّكَ، قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

المعنى قال الذي لم يُتَقَبَّلْ منه لأقتلنك، وحذف ذكر الذي لم يتقبل
منه، لأن في الكلام دليلاً عليه، ومثل ذلك في الكلام إذا رأيت الحاكم
والمظلوم كنت معه، المعنى كنت مع المظلوم، ويقال إن السيف كان ممنوعاً
في ذلك الوقت كما كان حين كان النبي ﷺ بمكة وكما كان ممنوعاً في زمن
عيسى، فقال:

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدَيْ إِلَيْكَ﴾.

(١) سورة آل عمران ١٨٣.

[أي] ما أنا بمجازيك ولا مُقاتلك، ولا قاتلك: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾.
أي أن ترجع إلى الله بإثمي وإثمك.
﴿فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

معنى بإثمي: بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يُتَقَبَّلْ قربانك^(١) أي
إن قتلتي فأنا مريد ذلك. وذلك جزاء الظالمين.
﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾.

تَابَعَتْهُ. وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ فَعَلَّتْ
من الطُّوع. والعرب تقول: طاع لهذه الظبية أصول هذه الشجرة^(٢)، وطاع له
كذا وكذا، أي أتاه طوعاً.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.
أي مِمَّنْ خَسِرَ حَسَنَاتِهِ. وكان حين قتله سلبه ثيابه وتركه غارياً بالأرض
القفار.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾.
قال بعضهم بعث الله غراباً يبحث على غراب آخر مَيَّتَ
﴿لِيرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ﴾.
وقيل بل أكرمه الله بأن بعث غراباً حثاً عليه التراب، لِيرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي.
﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾.

يقال عَجَزْتُ عن الأمر أَعْجَزُ عَجْزاً ومَعْجِزَةٌ ومَعْجِزَةٌ، فأما «يَا وَيْلَتَا»

(١) لم يتقبل قربان الثاني منهما لأنه كان أنمأ - وهو يريد الآن ليقنتله. فسيكونان آثمين.

(٢) استجاب لها ولانت حين جذبتها لتأكل ورقها.

فالوقوف عليها في غير القرآن يا ويلتاه، والنداء لغير الأدميين نحو ﴿يا حسرتنا على البعاد﴾^(١) و ﴿يا ويلتا أَلِدْ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾^(٢)، وقال يا ويلتا أعجزت. وإنما وقع في كلام العرب على تنبيه المخاطبين، وأن الوقت الذي تدعى له هذه الأشياء هو وقتها، فالمعنى يا ويلتا تَعَالَى، فإنه من إبائك^(٣)، فإنه قد لزمني الويل، وكذلك يا عجباً، المعنى يا أيها العجب هذا وقتك فعلى هذا كلام العرب.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾.

الأجود أن يكون ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

يقال أَجَلْتُ الشيء أَجْلُهُ أَجْلاً إِذَا جَنَيْتُهُ قَالَ خَوَاتُ بْنُ جَبْرِ^(٤):

وأهل خِيَاءٍ صَالِحٍ ذَاتُ بَيْنِهِمْ قد احْتَرَبُوا في عاجل أنا أَجْلُهُ أَي أَنَا جَانِيهِ. وتأويل الويل في اللغة قال سيبويه، الويل كلمة تقال عند الهلكة، وقيل الْوَيْلُ واد في جهنم، وهذا غير خارج من مذاهب أهل اللغة، لأن من وقع في ذلك فقد وقع في هلكة:

وقوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾.

«فساد» معطوف على «نفس»، المعنى بغير فساد، فكأنما قتل الناس جميعاً،

(١) سورة يس آية ٣٠ - وقراءة عاصم يا حسرة:

(٢) سورة هود ٧٢.

(٣) أي الوقت الذي من شدة الحزن فيه يدعو الإنسان بالويل.

(٤) أَجْلُهُ - فعل مضارع بمعنى أجنه، أي هم أقاموا حرباً في أمر عاجل أنا أتجنه، وبعده.

فأقبلت في الساعين أسأل عنهم سؤالك بالشيء الذي أنت جاهله

وهو من شعر الخنوت - وهو توبة بن مضرس. والخنوت المستصغر وله ترجمة في المؤلفات

والمختلف والإصابة ١ - رقم ٤٢٠ وانظر الكامل في التاريخ ٤ - ٢٣١. وانظر البيت في شواهد

الكشاف واللسان (أجل) والطبري ٦ - ١١٦، ومجاز أبي عبيدة ١ - ١٦٣.

أما خوات بن جبير فأنصاري - قيل حضر بدرًا. وقيل رجع لحجر أصاب رجله، وضرب له بهم. وشهد المشاهد بعد ذلك، وكان حسن الصوت والغناء - طلبه عمر ليغني في حجة له =

أَيُّ الْمُؤْمِنُونَ كُلِّهِمْ خُصَمَاءُ الْقَاتِلِ ، وَقَدْ وَتَرَهُمْ وَتَرَمِنْ قَصْدَ لِقَاتِهِمْ جَمِيعاً^(١) .

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَتْ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعاً﴾ .

أَيُّ مَنْ اسْتَنْقَذَهَا مِنْ غَرَقٍ أَوْ حَرَقٍ أَوْ هَدْمٍ ، أَوْ مَا يُمِيتُ لَا مُحَالَةَ ، أَوْ اسْتَنْقَذَهَا مِنْ ضَلَالَةٍ .

﴿فَكَانَتْ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعاً﴾ .

أَيُّ أَجْرَهُ عَلَى اللَّهِ أَجْرٌ مِنْ أَحْيَاهُمْ أَجْمَعِينَ . وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ فِي إِسْدَائِهِ^(٢) إِلَيْهِمُ الْمَعْرُوفَ بِأَحْيَائِهِ أَخَاهُمْ الْمُؤْمِنَ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ أَحْيَا كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، فَإِنْ قَالَ قَاتِلٌ ، كَيْفَ يَكُونُ ثَوَابُهُ ثَوَابَ مَنْ أَحْيَاهُمْ جَمِيعاً ، فَالْجَوَابُ فِي هَذَا كَالْجَوَابِ فِي قَوْلِهِ [تعالى] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٣) فَالتَّأْوِيلُ أَنَّ الثَّوَابَ الَّذِي إِذَا جُعِلَ لِلْحَسَنَةِ كَانَ غَايَةً مَا يَتَمَنَّى يُعْطَى الْعَامِلُ لَهَا عَشْرَةَ أَمْثَالِهِ .

وقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ .

مَوْضِعُ «أَنْ» رَفَعَ الْمَعْنَى : إِنَّمَا جَزَاؤُهُمُ الْقَتْلُ أَوْ الصَّلْبُ أَوْ الْقَطْعُ لِلْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ مِنْ خِلَافٍ ، لِأَنَّ الْقَاتِلَ إِذَا قَالَ : إِنَّمَا جَزَاؤُكَ دِينَارٌ ، فَالْمَعْنَى مَا جَزَاؤُكَ إِلَّا دِينَارٌ .

وقول العلماء أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ خَاصَّةً^(٤) . وَرَوَى فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ أَبَا بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيَّ كَانَ عَاهِدَ النَّبِيِّ ﷺ أَلَّا يَعْرِضَ لِمَا يُرِيدُ النَّبِيُّ

فَغَنَى حَتَّى أَسْحَرَ الْقَوْمَ ، وَهُوَ صَاحِبُ ذَاتِ النَّحِينِ فِي جَاهِلِيَّتِهِ . لَهُ تَرْجُمَةٌ مَطْوَلَةٌ فِي الْإِصَابَةِ رَقْمٌ ٢٢٩٨ - وَيَنْسَبُ لَهُ هَذَا الشَّعْرُ أَيْضاً .

(١) اعتدى عليهم جميعاً . (٢) ط ابتدائه . (٣) سورة الأنعام - ١٦٠ .

(٤) أي الذي قاله العلماء هو أنها في الكفار خاصة . فكلمة «أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ» خبر «قول» .

بسوء^(١)، وألا يمنع من ذلك، وأن النبي لا يمنع من يريد أبا بَرَزَةَ، فمَرَّ قوم يريدون النبي بأبي بَرَزَةَ، فَعَرَضَ أصحابه لهم فقتلوا وأخذوا المال فَأَنزل الله تعالى على نبيه وأتاه جبريل فأعلمه أَنَّ الله يأمره أَنْ من أدركه منهم قَدْ قَتَلَ وأخذَ المالَ قَتَلَهُ وَصَلَبَهُ، ومن قَتَلَ ولم يأخذَ المالَ قَتَلَهُ، ومن أخذَ المالَ ولم يقتلَ قَطَعَ يَدَهُ لأخذه المالَ وقَطَعَ رِجْلَهُ لإخافة السبيل. . وقال بعضهم: المسلمون مخيرون في أمر المشركين، إن شاءوا قتلوههم وصلبوههم أو قطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، ومعنى: ﴿يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ فيه قولان، قال بعضهم من قتله فدمه هَدْرٌ أي لا يطالب قاتله بدمه. وقيل: ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [ان] يُقَاتِلُوا حَيْثُ تَوَجَّهُوا مِنْهَا، لا يتركوا فارين. يقال نفيت الشيء أَنْفِيَهُ نَفْيًا وَنَفَايَةً وَنَفَايَةً مَا يَطْرَحُ وَيُنْفَى، القليل^(٢). مثل البراية والنحاة.

وقوله: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾.

يقال خَزِيَ الرجل يَخْزِي خِزْيًا إذا افْتَضَحَ وَتَحَيَّرَ فَضِيحَةً، وقد خَزِيَ يَخْزِي خِزَايَةً، إذا اسْتَحَا كَأَنَّهُ يَتَحَيَّرُ أَنْ يَفْعَلَ قَبِيحًا.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾.

جائز أن يكون موضع الذين رفعاً بالابتداء، وخبره ﴿فَاعْلَمُوا^(٣) أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

المعنى غفور رحيم لهم، المعنى: لكن التائبون من قبل القدرة عليهم، فالله غفور رحيم لهم، . وجائز أن يكون ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا

(١) عاهد النبي على ألا يعتدي على المسلمين ولا يمنع مسلماً من الذهاب إلى رسول الله ﷺ.

(٢) كلمة القليل مستأنفة. تفسير لما يطرح وينفي.

(٣) هذا غير سائغ أصلاً، لأن الاستثناء تام موجب، ووجهة نظر المؤلف أن الجملة كلها في محل نصب، وهي مكونة من مبتدأ وخبر - وهذا غير جيد.

عَلَيْهِمْ ﴿مَوْضِعُ «الَّذِينَ» نَصَبَ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى جَزَاؤُهُمُ الَّذِي وَصَفْنَا إِلَّا التَّائِبِينَ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ: ﴿أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَاللَّهُ جَلٌّ وَعَزٌّ، جَعَلَ التَّوْبَةَ لَكَ، فَادْرَأُوا عَنْهُمْ الْحُدُودَ الَّتِي وَجِبَتْ عَلَيْهِمْ فِي كُفْرِهِمْ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى الدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَجَعَلَ تَوْبَةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الزَّانَا وَالْقَتْلِ وَالسَّرَقِ لَا تَرْفَعُ عَنْهُمْ إِقَامَةَ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ، وَتَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ الصَّلَاحَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَيَاةَ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١).

وقوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.

معناه اطلبوا إليه القربة.

﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أي لعلكم تظفرون بعدوكم، والمُفْلِحُ الفائز بما فيه غاية صلاح حاله.

وقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾.

اختلف النحويون في تفسير الرفع فيهما. قال سيبويه وكثير من البصريين إن هذا وقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا﴾^(٣). هذه الأشياء مرفوعة على معنى: وفيما فرض الله عليكم السارق والسارقة، والزانية والزاني، أو السارق والسارقة فيما فرض الله عليكم. ومعنى قولهم هذا: فيما فرض عليكم حكم السارق والسارقة، وقال سيبويه: الاختيار في هذا النصب في العربية، كما تقول زيداً أضربته، وقال أبت^(٤) العامة القراءة إلا بالرفع، يعني بالعامّة

(١) سورة البقرة - ١٧٩.

(٢) سورة النور - ٢. وفي الأصل واحدة وهو خطأ.

(٣) سورة النساء - ١٦.

(٤) يعني لم يجر عامة القراءة على الوجه الذي اختاره.

الجماعة. ، وقرأ عيسى ابن عمر: والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقطعوا أيديهما، وكذلك الزانية والزاني، وهذه القراءة وإن كان القارئ بها مُقَدِّماً^(١) لا أحب أن يُقرأ بها^(٢)، لأن الجماعة أولى بالاتباع، إذ كانت القراءة سنَّة. (قال أبو إسحاق)^(٣) ودليلي أن القراءة الجيدة بالرفع في . . . والزَّانِيَةُ والزاني، و[في] والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ قوله جل ثناؤه: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهِمَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا﴾^(٤).

وقال غير سيبويه من البصريين. وهو محمد بن يزيد المبرد: اُخْتَارَ أن يكون السارق والسارقة رفعاً بالابتداء، لأن القصد ليس إلى واحدٍ بعينه، فليس هو مثل قولك زيداً فأضربه، إنما هو كقولك: من سرق فأقطع يده، ومن زنى فأجلده، وهذا القول هو المختار، وهو مذهب بعض البصريين والكوفيين^(٥).

وقيل «أَيَّدِيَهُمَا» يعني به أَيْمَانُهُمَا^(٦). وفي قراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا أَيْمَانَهُمْ.

قال بعض النحويين: إنما جعلت تشية ما في الإنسان منه واحداً لأن أكثر أعضائه فيه منه اثنان فحمل ما كان فيه الواحد على مثل ذلك. قال لأن للإنسان عينين فإذا ثنيت قلت عيونهما فجعلت قلوبكما وظهورهما في القرآن، وكذلك أيديهما، وهذا خطأ، إنما ينبغي أن يُفصَّل بين ما في الشيء منه واحد، وبين ما في الشيء منه اثنان.

(١) أي عيسى بن عمر كان عالماً مقدماً على العلماء ويعتبر في نظر بعضهم إمام النحو لأنه صاحب كتاب الجامع وكتاب الإكمال الذي بنى سيبويه كتابه عليه. وفي الأصل فلا أحب.

(٢) ك - فلا أحب أن يقرأ - بدون كلمة بها - ولعلها فلا أحب أن تقرأ.

(٣) ليست في ط. وأبو إسحاق هو الزجاج. (٤) سورة النساء آية ١٦.

(٥) ويخرج على أن «أل» في السارق والسارقة اسم موصول. والفاء واقعة في خبره - كما في قوله

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ...﴾.

(٦) اليد اليمنى فقط.

وقال قوم: إِنَّمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ لِلْفَصْلِ بَيْنَ مَا فِي الشَّيْءِ مِنْهُ وَاحِدٌ وَبَيْنَ مَا فِي الشَّيْءِ مِنْهُ اثْنَانِ فَجَعَلَ مَا فِي الشَّيْءِ مِنْهُ وَاحِدٌ تَثْنِيَّتُهُ جَمْعاً نَحْنُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾^(١).

قال أبو إسحق: وحقيقة هذا الباب أن كل ما كان في الشَّيْءِ مِنْهُ واحد لم يُثْنِ، وَلَفِظَ بِهِ عَلَى لَفْظِ الْجَمْعِ، لِأَنَّ الْإِضَافَةَ تُبَيِّنُهُ، فَإِذَا قُلْتَ أَشْبَعْتَ بِطَوْنِهِمَا عِلْمٌ أَنَّ لِلْأَثْنَيْنِ بَطْنَيْنِ فَقَطْ، وَأَصْلُ التَّثْنِيَةِ الْجَمْعُ لِأَنَّكَ إِذَا ثْنَيْتَ الْوَاحِدَ فَقَدْ جَمَعْتَ وَاحِداً إِلَى وَاحِدٍ، وَكَانَ الْأَصْلُ أَنَّ يُقَالُ أَثْنَا رِجَالاً، وَلَكِنْ «رِجَالَانِ» يَدُلُّ عَلَى جِنْسِ الشَّيْءِ وَعَدَدِهِ، فَالتَّثْنِيَةُ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِلْإِخْتِصَارِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِخْتِصَارٌ رُدَّ الشَّيْءُ إِلَى أَصْلِهِ، وَأَصْلُهُ الْجَمْعُ^(٢). فَإِذَا قُلْتَ قُلُوبُهُمَا فَالتَّثْنِيَةُ فِي «هُمَا» قَدْ أَغْتَتِكَ عَنْ تَثْنِيَةِ قَلْبٍ فَصَارَ الْإِخْتِصَارُ هُنَا تَرْكُ تَثْنِيَةِ قَلْبٍ، وَإِنْ ثْنِي مَا كَانَ فِي الشَّيْءِ مِنْهُ وَاحِدٌ فَذَلِكَ جَائِزٌ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ^(٣)، قَالَ الشَّاعِرُ:

ظَهَرَا هُمَا مِثْلَ ظُهُورِ التَّرْسَيْنِ^(٤).

فَجَاءَ بِالتَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ. وَحُكِيَ سَبِيوِيهِ أَنَّهُ قَدْ يَجْمَعُ الْمَفْرَدَ وَالَّذِي لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا أُرِدَتْ بِهِ التَّثْنِيَةُ. وَحُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ: «وَضَعَا رِحَالَهُمَا» يَرِيدُ رَحْلَيْ رَاحِلَتَيْهِمَا.

(١) التَّحْرِيمُ - ٤.

(٢) جَمْهُورُ النُّحَوِيِّينَ أَنَّ إِضَافَةَ الْمَثْنِ إِلَى الْمَثْنِ مُسْتَقْلِلَةٌ، فَلِذَلِكَ يُؤْتَى بِالْجَمْعِ أَوِ الْمَفْرَدِ، وَالْمَفْرَدُ حِينَئِذٍ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ.

(٣) فِي الْأَصْلِ «وَذَلِكَ».

(٤) وَمَهْمُومَيْنِ قَدْ فِينِ مَرَّتَيْنِ. ظَهَرَا هُمَا... جِثْمُهُمَا بِالنَّعْتِ لَا بِالنَّعْتَيْنِ.

يَقُولُ: إِنَّهُمَا فَلَاتَانِ مَسْتَوِيَتَانِ كَظَهَرِ التَّرْسِ. جَاءَ فِي كِتَابِ سَبِيوِيهِ ٤ - ٤٨ - (ت. هِرُونَ). أَنَّ الرَّاجِزَ اسْمُهُ خَطَامٌ، وَانْظُرِ الْخَزَانَةَ ٣ - ٣٧٤، وَابْنَ يَعِيشَ ٤ - ١٥٥، الْعَيْنِي ٤ - ٨٩ شَوَاهِدُ الْمَغْنِيِّ ٣١٦ وَمَعَانِي الْفَرَاءِ ٣ - ١٧.

وأجمعت الفقهاء أن السارق يقطع حُرًّا كَانَ أَوْ عَبْدًا، وأن السارقة تقطع
حرّة كانت أو أمة، وأجمعوا أن القطع من الرسغ، والرسغ المفصل بين الكف
والساعد، ويقال رُسْغ ورُضْغ والسنين أجود

﴿جَزَاءٌ بِمَا كَسَبَا﴾.

﴿جَزَاءٌ﴾ نصبٌ لأنه مفعول به.

المعنى فاقطعوا بجزاء فعلهم، وكذلك ﴿نَكَالًا مِنْ اللَّهِ﴾، وإن شئت كانا
منصوبين على المصدر الذي دل عليه فاقطعوا، لأن معنى فاقطعوا جازوهم
ونكّلوا بهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾:
إن شئت قلت يحزنُكَ ويحزنُكَ بالفتح والضم. أي لا يحزنك
مُسَارِعَتُهُمْ فِي الْكُفْرِ إذ كنت موعوداً بالنصر عليهم، والله أعلم.

وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.

أي لا تحزنك المسارعة في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا، ثم
قال: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتَوْكَ﴾.

هذا تمام الكلام، ورفع «سَمَاعُونَ» من جهتين، إحداهما هم سَمَاعُونَ
للكذب أي منافقون، واليهود سماعون للكذب، [وسماعون] فيه وجهان - والله
أعلم - أحدهما أنهم مُسْمَعُونَ لِلْكَذِبِ، أي قَابِلُونَ لِلْكَذِبِ، لأن الإنسان يسمع
الحقّ والباطل، ولكن يقال: لا تسمع من فلان قوله أي لا تقبل قوله، ومنه
«سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، أي تَقَبَّلَ اللَّهُ حَمْدَهُ، فتأويله أنهم يَقْبَلُونَ الكذب،
والوجه الآخر في «سَمَاعُونَ» أن معناه أنهم يسمعون منك ليكذبوا عليك،
وذلك أنهم إذا جالسوه تهاياً أن يقولوا سَمِعْنَا مِنْهُ كَذَا، وكَذَا.

﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ .

أي هم مستمعون منك لقوم آخرين «لَمْ يَأْتُوكَ» أي هم عُيُونٌ لَأُولَئِكَ الغَيْبِ ويجوز أن يكون رفع «سماعون»^(١) على معنى ومن الذين هادوا سماعون فيكون الإخبار أن السماعين منهم، ويرتفع منهم كما تقول: في قومك عقلاء. هذا مذهب الأخفش، وزعم سيبويه أن هذا يرتفع بالابتداء^(٢).

وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾: أي من بعد أن وضعه الله موضعه أي فرض فروضه، وأحلّ حلاله وحرّم حرامه.

وقوله: ﴿إِنْ أَوْتَيْتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ .

إِنْ أَوْتَيْتُمْ هَذَا الْحَكَمَ الْمَحْرَفَ فخذوه، وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فاحذروا، أي احذروا إِنْ أَتَاكُمْ النَّبِيُّ ﷺ بِغَيْرِ مَا حَدَّثَنَا لَكُمْ، فاحذروا أَنْ تَعْمَلُوا بِهِ.

وكان السبب في هذا فيما رُوِيَ أَنَّ الزَّنا كَثُرَ فِي أَشْرَافِ الْيَهُودِ وَخَيْرٍ، وكان في التوراة أَنَّ عَلَى الْمُحْصَنِينَ الرَّجْمَ فزنى رجل وامرأة، فطمعت اليهود أن يكون نزل على النبي ﷺ الجلد في المحصنين^(٣)، وكانوا قد حَرَفُوا^(٤) وَصَّارُوا يَجْلِدُونَ الْمُحْصَنِينَ وَيَسُودُونَ وَجُوهَهُمَا، فأوحى^(٥) الله جلّ ثناؤه أَنَّهُمْ يَسْتَفْتُونَهُ فِي أَمْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَاتَيْنِ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُهُمْ عَنْ أَعْلَمِيهِمْ بِالتَّوْرَةِ، فَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِحَاضِرٍ^(٦)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَلِمْتُ، وكان جبريل قد أعلمه مكانه فَأْمُرُهُمْ أَنْ يَحْضَرُوهُ، فَأَحْضَرُوهُ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ أَنْ يَسْتَحْلِفَهُمْ

(١) في الأصل «سماعين» على أنها مضاف إليه، وسماعون على حكاية اللفظ.

(٢) وتكون «من» مبتدأ بمعنى بعض.

(٣) ط الجلد والتحصين، ولا معنى لها.

(٤) حرفوا التوراة وغيرها أحكامها.

(٥) ط فأوحى الله إلى نبيه ﷺ يعلمه أنهم يستفتونه في أمر هاتين المرأتين.

(٦) ط أنه ليس بحاضر، والنسخ الأخرى «أنه حاضر».

ليُصدَّقَتْهُ، فلما حَضَرَ عَالِمُهُمْ قال له النبي : أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، ورفع فوقكم الطور، وفلق لكم البحر، هل في التوراة أن يُرْجَمَ المحصنان إِذَا زَنَيَا؟ قال : نَعَمْ. فوثب عليه سفلة اليهود، فقال خفتُ إن كذبتُهُ أن ينزل بنا عذابٌ، ويقال إن الذي سألَه النبي ﷺ ابنُ صُورِيَا اليهودي، وكان حديث السن، فقال له النبي ﷺ أنت أعلم قومك بالتوراة، قال : كذا يقولون، وكان هو المخبر له^(١) بأن الرجم فيها، وأنه ساءل النبي ﷺ عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فلما أنبأه النبي ﷺ بها قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله الأمي العربي الذي بشر به المرسلون.

وهذا الذي ذكرناه من أمر الزانيين مشهور في رواية المفسرين وهو يُبين قوله :

﴿إِنْ أَوْتَيْتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا﴾.

والقائل يقول ما تفسير هذا، فلذلك شرحناه، وبالله الحول والقوة.

وقوله : ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾.

قيل فضيحتة وقيل أيضاً كفره، ويجوز أن يكون اختباره بما يظهر به أمره، يقال فتنت الحديد إذا أحميته، وفتنت الرجل إذا أزلته عما كان عليه، ومنه قوله : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُنَاكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^(٢) أي وإن كادوا لَيُزِيلُونَاكَ.

وقوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾.

أي أن يُهَيِّنَهُمْ.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾.

(١) ك وهو كان المجيب له بأن أمر الرجم فيها.

(٢) سورة الإسراء آية ٧٣.

قيل لهم في الدنيا فضيحةٌ بما أظهر الله من كذبهم، وقيل لهم في الدنيا خزي بأخذ الجزية منهم، وضرب الذلّة والمسكنة عليهم، ثم عاد عز وجل في وصفهم فقال:

﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسُّحْتِ﴾.

ويقرأ للُّسْحَتِ جميعاً، تأويله أن الرُّشَا التي يأكلونها يعاقبهم الله بها أن يُسْحَتَهُمْ بعداً، كما قال جل وعز: ﴿لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتْكُمْ﴾ (١) ومثل هذا قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾ (٢). أي يأكلون ما عاقبته النار، يقال سَحَتَهُ وأَسْحَتَهُ إذا استأصله، وقال بعضهم سَحَتَهُ: أَذْهَبَهُ قليلاً قليلاً إلى أن استأصله ومثل أسحته قول الفرزدق.

وعُضُّ زَمَانٍ يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مُسْحَتاً أو مُجْلَفُ (٣) ويجوز أن يكون سَحَتَهُ وأَسْحَتَهُ إذا استأصله، كان ذلك شيئاً بعد شيء، أو كان دفعة واحدة.

وقوله: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾.

أجمعت العلماء على أن هذه الآية تدل على أن النبي ﷺ مُخَيَّرٌ بها في الحكم بين أهل الذمّة، وقيل في بعض الأقاويل إن التخيير نسخ بقوله: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ﴾ بما أنزل الله.

وقوله: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾.

أي العَدْل.

(١) سورة طه آية ٦١.

(٢) سورة النساء ١٠.

(٣) البيت معروف من شواهد النحو المشهورة للفرزدق، ومما عابه عبد الله الحضرمي. أنظر الخزانة ٢ - ٣٤٧ اللسان (خلف - سحت)، والقرطبي ١١ - ٢١٥ وديوانه ٢٥٥. والعيب فيه هو رفع مجلف.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾: فيها نور^(١) أي بيان أن أمر رسول الله ﷺ حق، وفيها بيان الحكم الذي جاءوا يستفتون فيه النبي ﷺ، ويجوز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير، على معنى: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا، يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون، ويجوز أن يكون «يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا» أي يحكم النبي ﷺ فيما سألوه بما في التوراة، ويجوز أن يكون للذين هادوا للذين تابوا، أي النبيون والربانيون هم العلماء والأخبار وهم العلماء الخيار يحكمون للتائبين من الكفر.

﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾.

أي استودعوا.

وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾:

أي من زعم أن حكماً من أحكام الله التي أتت بها الأنبياء^(٢) عليهم السلام باطل فهو كافر، أجمعت الفقهاء أن من قال إن المحصنين لا يجب أن يرجموا إذا زنيا وكانا حرين - كافر، وإنما كفر من رد حكماً من أحكام النبي، لأنه مكذب له، ومن كذب النبي فهو كافر.

وقوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾:

أي في التوراة.

﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾.

وروي أن النبي قرأ والعين بالعين والقراءة والعين بالعين

﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ، وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

(١) في الأصل أي فيها نور.

(٢) في الأصل وك الذي أتت به - أي الحكم.

بالرفع والنصب جميعاً لا اختلاف بين أهل العربية في ذلك، فَمَنْ قرأ العَيْنَ بالعَيْنِ أراد أن العَيْنَ بالعَيْنِ، ومن قرأ، والعَيْنُ بالعَيْنِ فَرَفَعَهُ على وجهين، على العطف على موضع النَّفس بالنفس والعامل فيها^(١)، المعنى وكتبنا عليهم النفسُ بالنفس، أي قلنا لهم النفس بالنفس، ويجوز كسر إن، ولا أعلم أحداً قرأ بها فلا تقرأ^(٢) بها إلا أن تثبت رواية صحيحة، ويجوز أن تكون العينُ بالعَيْنِ، ورفعهُ على الاستئناف، وفيها وجه آخر، يجوز أن يكون عطفاً على المضمَر في النفس، لأن المضمَر في النفس في موضع رفع، المعنى أن النفس مأخوذة هي بالنفس، والعَيْنُ معطوفة على هي.

وقوله: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾:

قال بعضهم من تصدق به أي بحقه فهو كفارة للجراح إذا ترك المجروح حقه، رفع القصاص عن الجراح، وقال بعضهم هو كفارة للمجروح أي يكفر الله عنه بعفوه ما سلف من ذنوبه.

وقوله: ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾:

رواها بعضهم ومهيماً - بفتح الميم الثانية - وهي عربية ولا أحب القراءة بها، لأن الإجماع في القراءة على كسر الميم في قوله: ﴿المؤمن المهيمن﴾^(٣).

واختلف الناس في تفسير قوله: ﴿المؤمن المهيمن﴾، واختلف الناس في تفسير قوله: ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾:

فقال بعضهم: معناه وشاهداً عليه، وقال بعضهم رقيباً عليه، وقال

(١) عطف على إن والعامل معاً.

(٢) في الأصل ولا تقرأ.

(٣) سورة الحشر آية ٢٣.

بعضهم معناه مُؤْتَمَنًا عليه. وقال بعضهم: المهيمُن اسم من أسماء الله في الكتب القديمة، وقال بعضهم: مُهَيِّمٌ في معنى مُؤْتَمَنٍ إِلَّا أَنَّ الهَاءَ بَدَلَ مِنَ الهمزة، وَالْأَصْلُ مُؤْتَمَنًا عَلَيْهِ كَمَا قَالُوا: هَرَقْتُ الْمَاءَ، وَأَرَقْتُ الْمَاءَ، وَكَمَا قَالُوا: إِيَّاكَ وَهِيَائِكَ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ، وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الْعَرَبِيَّةِ حَسَنٌ وَمُوَافِقٌ لِبَعْضِ مَا جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ مُؤْتَمَنٌ.

وقوله: ﴿وَلِيُخَكِّمَكُمْ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ﴾.

قرئت بإسكان اللام وجزم الميم على مذهب الأمر، وقرئت وَلِيُخَكِّمَكُمْ بكسر اللام وفتح الميم على معنى وَلَأنَّ يَحْكَمُ وَيَجُوزُ كَسْرُ اللام مع الجزم وَلِيُخَكِّمَكُمْ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ، ولكنه لم يقرأ به فيما علمتُ، وَالْأَصْلُ كَانَ كَسْرُ اللام، وَلَكِنَّ الْكُسْرَةَ حُذِفَتْ اسْتِثْقَالًا. وَالْإِنْجِيلُ الْقِرَاءَةُ فِيهِ بِكَسْرِ الهمزة، ورويت عن الحسن الأنجيل بفتح الهمزة، وهذه قولة ضعيفة، لِأَنَّ أَنْجِيلَ أَفْعِيلٍ، وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هَذَا الْمَثَالُ، وَإِنْجِيلٌ إِفْعِيلٌ مِنَ النَجْلِ وَهُوَ الْأَصْلُ، وَلِلْقَائِلِ أَنْ يَقُولَ إِنَّ إِنْجِيلَ اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ فَلَا يُنْكَرُ أَنْ يَقَعَ بَفَتْحِ الهمزة لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَسْمَاءِ الْأَعْجَمِيَّةِ تَخَالَفَ أَمْثَلَةُ الْعَرَبِ نَحْوَ آجَرَ وَإِبْرَاهِيمَ وَهَابِيلَ وَقَابِيلَ، فَلَا يَنْكَرُ أَنْ يَجِيءَ أَنْجِيلٌ وَإِنَّمَا كُرِهَتْ الْقِرَاءَةُ بِهَا لِأَنَّ إِسْنَادَهَا عَنِ الْحَسَنِ لَا أُدْرِي^(١) هَلْ هُوَ مِنْ نَاحِيَةِ يَوْثُقَ بِهَا أَمْ لَا.

وقوله: ﴿أَفْخَكِّمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ﴾.

أي تطلب اليهود في حكم الزانين حكماً لم يأمر الله به وهو أهل الكتاب كما تفعل الجاهلية.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

(١) ط ما أدري.

أَيُّ مَنْ أُيْقِنَ تَبَيَّنَ عَدْلُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ، وَحُكْمًا مَنْصُوبٌ عَلَى التَّفْسِيرِ^(١).
وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّكُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

أَيُّ مَنْ عَاذَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ مِنْ عَاذِهِ.
وقوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾.

والمرض ههنا النفاق في الدين، ومعنى يسارعون فيهم، أي في معاونتهم على المسلمين.

﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾.

أَيُّ نَخْشَى إِلَّا يَتِمُّ الْأَمْرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، ومعنى دائرة أي يدور الأمر عن حاله التي يكون عليها.

وقوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ﴾.

أَيُّ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يُظْهِرَ الْمُسْلِمِينَ، و«عَسَى» من الله جَلَّ وَعَزَّ واجبة^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿أَوْ أَمُرُّ مِنْ عِنْدِهِ﴾، أَي أَوْ أَنَّ يَأْمُرُ النَّبِيُّ ﷺ بِإِظْهَارِ أَمْرِ الْمَنَافِعِينَ بِقَتْلِهِمْ.

﴿فَيَصْبَحُوا عَلَى مَا اسْتُرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.

أَيُّ يَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ بَاطَنُهُمْ وَظَاهَرُهُمْ وَاحِدٌ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَلَفُوا وَآكَدُوا أَيْمَانَهُمْ إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ وَإِنَّهُمْ مَعَكُمْ أَعْوَانُكُمْ عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾.

(١) تمييز.

(٢) لأن الترجي لا يكون من الله عالم كل شيء، فهي تدل على حدوث قطعاً.

أَي دَهَبَ مَا أَظْهَرُوهُ مِنَ الْإِيمَانِ، وبطل كل خيرٍ عَمِلُوهُ بكفرهم وَصَدَّهِمْ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا قَالَ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(١).
 المعنى ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت، أي في وقتٍ يظهر الله
 نفاقهم فيه.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾.

فيها من العربية ثلاثة أوجه، مَنْ يَرْتَدُّ، وَمَنْ يَرْتَدُّ بفتح الدال وَمَنْ يَرْتَدُّ
 مِنْكُمْ، بكسر الدال. ولا يجوز في القراءة الكسر لأنه لم يُرَوْ أنه قرئ به،
 وأما «مَنْ يَرْتَدُّ» فهو الأصل، لأن التضعيف إذا سَكَنَ الثاني من المضعفين
 ظَهَرَ التضعيف^(٢)، نحو قوله: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾^(٣) ولو قرئت إن يمسكم
 قرح كان صواباً، ولكن لا تَقْرَأَنَّ بِهِ لمخالفته المصحف، ولأن القراءة سُنَّةٌ.
 وقد ثبت عن نافع وأهل الشام يَرْتَدُّ بدالين، وموضع يَرْتَدُّ جزم، والأصل كما
 قُلْنَا يَرْتَدُّ، وأدغمته الدال الأولى في الثانية، وحركت الثانية بالفتح لالتقاء
 الساكنين، قال أبو عبيد: إنهم كَرِهُوا اجتماعَ حَرْفَيْنِ متحركين وأحسبه غِلَطٌ،
 لأن اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد أكثر في الكلام من أن يحصى
 نحو شَرَرٍ وَمَدَدٍ^(٤)، وَقَدَدٍ، وَجُدَدٍ^(٥)، والكسر في قوله من يَرْتَدُّ يجوز لالتقاء
 الساكنين لأنه أصل. والفاء جواب للجزاء، أي إن ارتد أحدٌ عن دينه، أي
 الذي هو الإيمان.

(١) سورة محمد. آية ١.

(٢) الأصل في التعبير «يرتد» لأن الحرفين المتماثلين إذا سكن ثانيها لم يكن ثم مجال للإدغام.
 فيفك التضعيف.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٤٠.

(٤) المدد قطع الطين اليابس، والمدن والحضر، يقال أهل الوير للبدو، وأهل المدر لسكان
 المدن والحضر.

(٥) القدد القطع جمع قدة، والجدد الطرق جمع جدة. وفي ط: نحو شدد ومدد.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

أي بقوم مؤمنين غير منافقين .

﴿أُذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي جانبهم لئِنْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، ليس أنهم أذلاء مهانون .

﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

أي جانبهم غليظ على الكافرين .

وقوله : ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ .

لأن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويظاهرونهم ، ويخافون لَوْمَهُمْ ، فأعلمهم الله عز وجل أَنَّ الصَّحِيحَ الْإِيمَانِ لَا يَخَافُ فِي نَصْرَةِ الدِّينِ بِيَدِهِ وَلَا لِسَانِهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ . (ثم) ^(١) أعلم الله عز وجل أن ذلك لا يكون إلا بتسديده وتوقيفه فقال عز وجل :

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ^(٢) .

أي محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين ، وشدتهم على الكافرين فضل من الله عز وجل عليهم ، لا توفيق لهم إلا به عز وجل .

وقوله : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ .

بين ^(٣) من هم المؤمنون فقال :

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ .

وإقامتها تمامها بجميع فريضها ، وأول فروضها صحة الإيمان بها وهذا كقولك : فلان قائم بعلمه الذي وليه ، تأويله أنه يوفِّي العمل حقوقه ، ومعنى

(١) ليست في ط .

(٢) ط ذلك الفضل من الله .

(٣) ط ثم بين .

«يُقِيمُونَ» من قولك هذا قِوام الأمر، فأما قوله: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ . فمخفوض على نعت قوم، وإن شئت كانت نصباً على وجهين أحدهما الحال، على معنى يحبهم ويحبونه في حال تذللهم على المؤمنين وتعزُّزهم على الكافرين، ويجوز أن يكون نصباً على المدح.

فأما قوله عز وجل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ﴾ .
أي قفينا على آثار الرُّسل بعيسى أي جعلناه يقفوه .
وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ .

أي لما تقدَّم من التَّوراة، ونصب «مُصَدِّقًا» على الحال وهو جائز أن يكون من صفة الإنجيل فهو منصوب بقوله: «آتيناه» المعنى . آتيناه الإنجيل مُستَقِرًّا فيه هدى ونور ومصدقاً . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ عِيسَى . المعنى وآتيناه الإنجيل هادياً ومُصَدِّقًا، لَأَنَّهُ إِذَا قِيلَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هَدًى، فالذي أتى بالهدى هو هادٍ والأحسن أَنْ يَكُونَ عَلَى مَعْنَى وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى آتِيًا بِالْإِنْجِيلِ وهادياً ومصدقاً لما بين يديه من التَّوراة، والدليل على أَنَّهُ مِنْ صِفَةِ عِيسَى قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾^(١).

وقوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ .

قال بعضهم: الشَّرْعَةُ الدينُ والمنهاج الطريق، وقيل: الشريعة والمنهاج جميعاً الطَّرِيق، والطريق ههنا الدين، ولكن اللفظ إذا اختلف أُتِيَ مِنْهُ بِالْفَافِ تَوْكُيدُهَا الْقِصَّةَ وَالْأَمْرَ نَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ: ^(٢)

(١) سورة الصف الآية ٦ .

(٢) هو عترة العبي، والبيت هو السادس من معلقته - وأم الهيثم هي حبيته عيلة، والأقواء والأقفار الخلاء، قال الزوزني أنه جمع بينهما لضرب من التوكيد كما قال طرفة:
متى أدن منه ينأ عني ويبعد

حُيِّتَ مِنْ طَلَلِ تَقَادَمِ عَهْدِهِ . أَقْوَى وَأَقْفَرُ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ

فإن معنى أقوى وأقفر يدل على الخلو، إلا أن اللفظين أوكد في الخلو من لفظ واحد. وقال أبو العباس محمد بن يزيد: شرعة معناها ابتداء الطريق، والمنهاج الطريق المستمر، قال: وهذه الألفاظ إذا تكررت في مثل هذا فللزيادة في الفائدة، قال وكذلك قول الحطيئة: (١)

أَلَا حَبَدًا هِنْدُ وَأَرْضُ بِهَا هِنْدُ وَهِنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ
قال: النَّأْيُ لكل ما قل بعده منك أو كثر، كأنه يقول:

النَّأْيُ المفارقة قُلْتُ أَوْ كَثُرْتُ، وَالْبُعْدُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي الشَّيْءِ الْبَعِيدِ
ومعنى البعيد عنده ما كَثُرَتْ مَسَافَةُ مُفَارَقَتِهِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لِمَا قَرَبَ مِنْهُ هُوَ نَاءٍ
عَنِي، وَكَذَلِكَ لِمَا بَعُدَ عَنْهُ، وَالنَّأْيُ عَنْهُ الْمَفَارِقَةُ (٢).

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾.

هُزْءٌ فِيهِ لَغَاتٌ، إِنْ شِئْتَ قُلْتَ هُزُوءًا بِضَمِّ الزَّايِ وَتَحْقِيقِ الْهَمْزَةِ، وَهُوَ
الْأَصْلُ وَالْأَجُودُ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ هُزُوءًا وَأَبْدَلْتَ مِنَ الْهَمْزَةِ وَاوًا، لَانْضِمَامِ مَا
قَبْلَهَا وَأَنَّهَا مَفْتُوحَةٌ، وَإِنْ شِئْتَ [قُلْتَ] هُزْءًا بِإِسْكَانِ الزَّايِ وَتَحْقِيقِ الْهَمْزَةِ.
فهذه الأوجه الثلاثة جَيِّدَةٌ يُقْرَأُ بِهِنَّ. وفيها وجه آخر. ولا تجوز القراءة به لأنه
لم يُقْرَأْ بِهِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ هُزْءًا مِثْلَ هُدًى وَذَلِكَ يَجُوزُ إِذَا أُرِدَتْ تَخْفِيفُ هَمْزَةٍ

= جمع بين النَّأْيِ والبعد لضرب من التوكيد.

(١) من قصيدته في مدح آل شماس بن لاي وذم الزبرقان بن بدر وانشاهد جمعه بين النَّأْيِ والبعد
الديوان ٧٢ - حواشي المرتضي ١٩٨/٤.

(٢) أي محمد بن يزيد المبرد يقول للشيء الذي ليس بعيداً ولكنه منفصل عنه هوناء عني كما
يقولها لما هو بعيد.

هُزءٌ فيمن أسكن الزاي أن يقول هُزاً. تطرح حركتها على الزاي كما تقول
رَأَيْتُ خَباً تُرِيدُ خَبْتاً^(١).

وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ﴾^(٢).

النصب فيه على العطف على قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ
هُزُوا وَلَعِباً﴾ [أي] وَلَا تَتَّخِذُوا الْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ، ويجوز والكفارِ أَوْلِيَاءَ على العطف
على الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، المعنى من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم وَمِنَ الْكَفَّارِ
أَوْلِيَاءَ.

وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا﴾.

يقال: نَقَمْتُ على الرَّجُلِ أَنْقَمُ، وَنَقِمْتُ عَلَيْهِ أَنْقَمُ^(٣) وَالْأَجُودُ نَقَمْتُ
أَنْقَمُ، وكذلك الأكثر في القراءة: ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ﴾^(٤)، وأنشد بيت ابن قيس الرقيات.

مَا نَقِمُوا مِنْ أُمِيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا^(٥)

بالفتح والكسر، نَقَمُوا وَنَقِمُوا، ومعنى نَقَمْتُ بِالْغَتِ فِي كَرَاهَةِ الشَّيْءِ.

وقوله: ﴿وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾.

المعنى: هل تَكْرَهُونَ مِنَّا إِلَّا إِيمَانَنَا وَفَسَقَتَكُمْ، إِي إِنَّمَا كَرِهْتُمْ إِيمَانَنَا

(١) الخبأ ما خبيء وغيب، ومن الأرض النبات ومن السماء القطر.

(٢) ط: تريد خبتاً، والكفار فالنصب فيه.

(٣) مثل ضرب يضرب، وعلم يعلم.

(٤) سورة البروج آية ٨.

(٥) من قصيدة له في مدح عبد الملك بن مروان أولها: «عاد له من كثرة الطرب» وهو تأكيد المدح

بما يشبه الذم. أي لا عيب فيهم إلا أنهم يحلمون، والقصيدة في ديوانه ٦٧، والمغني ٢١١،

والخزانة ٣ - ٢٦٨ وشواهد الكشاف، والقرطبي ٦ - ٢٣٤.

وأنتم تعلمون أنا على حق لأنكم فسقتم، بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرئاسة، وكسبكم بها الأموال، فإن قال قائل: وكيف يعلم عالم أن ديناً من الأديان حق فيؤثر الباطل على الحق؟ فالجواب في هذا أن أكثر ما نشاهده كذلك. من ذلك أن الإنسان يعلم أن القتل يُورد النار فيقتل، إما إثارةً لشفاء غيظه أو لأخذ مال. ومنها أن إبليس قد علم أن الله يدخله النار بمغصيته فأثر هواه على قربه من الله، وعمل على دخول النار وهذا باب بين.

وقوله: ﴿[قُلْ] هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي بشر مما نَقَمْتُمْ من إيماننا ثواباً، و«مثوبة» منصوب على التمييز.

وقوله: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾.

وضع «من» إن شئت كان رفعا، وإن شئت كان جراً فأما من جر فيجعله بدلاً من شر. المعنى أُنَبِّئُكُمْ بمن لعنه الله، ومن رفع فبإضمار هو، كأن قائلاً قال: من ذلك؟ فقل هو من لعنه الله، كما قال جل ثناؤه: ﴿[قُلْ] أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ النَّارِ﴾^(١) كأنه قال: هي النار.

وقوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾.

الطاغوت هو الشيطان، وتأويل وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ: أطاعه فيما سَوَّلَ له وأغراه به، وَقَدْ قُرِئَتْ: ﴿وَعَبَدَ^(٢) الطَّاغُوتَ﴾. والذي أختارُ ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ وروي عن ابن مسعود وعبدوا الطَّاغُوتَ، وهذا يقوي ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾، ومن قال: وَعَبَدَ^(٣) الطَّاغُوتَ. فَضَمَّ الباءَ وَجَرَّ الطَّاغُوتَ، فإنه عند بعض أهل العربية ليس بالوجه من جهتين إحداهما^(٤)، أن عَبَدَ على فَعَلٍ، وليس هذا

(١) الآية ٧٢ من سورة الحج.

(٢) هو في بمعنى الجمع.

(٣) بمعنى عباد.

(٤) ط أحدهما.

من أمثلة الجمع، لأنهم فسروه خَذَمُ الطاغوتِ^(١) والثاني أن يكون محمولاً على وجعل منهم عَبْدُ الطاغوتِ^(٢). فأما من قرأ «وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ» فهو جمع عبيدٍ وَعُبد، مثل رَغِيفٍ ورَغُفٍ وسَرِيرٍ وسُرُرٍ، ويكون على معنى وجعل منهم عَبْدُ الطاغوتِ على جعلت زيدا أخاك، أي نَسَبْتَهُ إِلَيْكَ، ووجه وَعَبْدُ الطاغوتِ - بفتح العين وضم الباء - [أن]^(٣) الاسم يبنى على فَعْلٍ كما قالوا عَلِمَ زيدٌ. وكما أقول رَجُلٌ حَذَرٌ، تأويل حَذَرٍ أنه مبالغ في الحَذَرِ، فتأويل عَبْدُ أَنَّهُ بلغ الغاية في طاعة الشيطان، وكأن اللفظ لفظ واحد يدل على الجمع. كما تقول للقوم: منكم عَبْدُ العصا، تريد منكم عبيدُ العصا. ويجوز بعد هذه الثلاثة الأوجه الرفع في قوله وَعَبْدُ الطاغوتِ، فيقول وَعَبْدُ الطاغوتِ، وكذلك وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ بالرفع، ولا تقرأن بهذين الوجهين وإن كانا جائزين، لأن القراءة لا تبتدع على وجه يجوز، وإنما سبيل القراءة اتباع مَنْ تَقَدَّمَ، فيجوز رفع، وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ، وَعَبْدُ الطاغوتِ، على معنى الذَّمِّ، والمعنى وهم عبيدُ الطاغوتِ، كأنه لما قال: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ والخنازير﴾، دَلَّ الكلام على اتِّباعهم الشَّيَاطِينَ، فقليل وهم عَبْدُ الطاغوتِ.

ويجوز أن يكون بدلاً من «مَنْ» في رَفَع «مَنْ» كأنه لما قيل^(٤) منهم من لَعَنَهُ اللَّهُ، وَغَضِبَ عَلَيْهِ، قيلَ هم عَبْدُ الطاغوتِ وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ، ويجوز في الكلام أيضاً، وَعَبْدُ الطاغوتِ - بإسكان الباء - وفتح الدال. ويكون على وجهين، أحدهما أن يكون مخففاً من عَبْد - كما يُقال في عَصِدٍ عَصُد. وجائز أن يكون «عَبْد» اسماً واحداً يدل على الجنس، وكذلك يجوز في عبد الرفع

(١) مطيعوه وخاضعون لوساوسه فهو جمع، وَعَبْدٌ ليس بجمع.

(٢) بمعنى عبيد، ويتلاقى مع الوجه الأول.

(٣) ليست في ط.

(٤) ط. قال.

والنصب من جهتين كما وصفنا في عبد، ويجوز أن يكون النصب من جهتين: إحداهما على وجعل منهم عَبْد الطاغوت ويجوز أن يكون منصوباً على الذم، على أعني عَبْد الطاغوت، . ويجوز في عَبْد وَعَبْد وَعَبْدُ الجِرُّ على البَدَل من «من» ويكون المعنى: هل أَنْبِئُكُمْ بِمَنْ^(١) لعنه الله وَعَبْد الطاغوت. ولا يجوز القراءة بشيء من هذه الأوجه إلا بالثلاثة التي رُوِيَتْ وقرأ بها القراء، وهي عَبْد الطَّاغُوتَ. وهي أجودها، ثم وَعَبْد الطَّاغُوتِ ثم وَعَبْد الطاغوت.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾.

أي هؤلاء الذين هذه صفتهم ﴿شَرٌّ مَّكَانًا، وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

أي عن قصد السبيل، و«مكاناً» منصوبٌ على التفسير.

وقوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾. وَهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ ورؤسائِهِمْ. وَالْجَبْرُ الْعَالِمُ، وَالْجَبْرُ الْمِدَادُ بِالْكَسْرِ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ رُؤَسَاءَهُمْ وَسِيفَلَتَهُمْ مُشْتَرِكُونَ فِي الْكُفْرِ.

ومعنى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾: هَلَا يَنْهَاهُمْ، ثم أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ بعظيم فريتهم فقال:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِ﴾.

أي [قالوا] يده مُمْسِكَةٌ عن الاتِّسَاعِ عَانَا. كما قال الله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ تَأْوِيلُهُ لَا تُمْسِكْهَا عَنِ الْإِنْفَاقِ قَالَ بَعْضُهُمْ: معنى ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ نَعْمَتُهُ مَقْبُوضَةٌ عَنَّا، وهذا قول خطأ ينقضه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

فيكون المعنى: بَلْ نَعْمَتَاهُ مَبْسُوطَتَانِ، نَعْمُ اللَّهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى.

(١) من بدل من «شر» في «بشر من ذلكم» وعبد معطوف عليه

وقال بعضهم: وقالوا يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ عَنْ أَعْدَائِنَا، أَي لَا يُعَذِّبُنَا. وقال بعض أهل اللغة إنما أُجِيبُوا عَلَى قَدْرِ كَلَامِهِمْ. كما قالوا يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، يريدون به تبخيل الله.

فَقِيلَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. أَي هُوَ جَوَادٌ ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ومعنى غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ أَي جُعِلُوا بَخَلَاءً. فَهُمْ أَبْخَلُ قَوْمٍ وَقِيلَ ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أَي غُلَّتْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

وقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.

أَي كلما نزل عليك شيء من القرآن كفروا به فَيَزِيدُ^(١) كفرهم والطغيان الغلو والكفر ههناكَ.

وقوله: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ جعلهم الله مختلفين في دينهم متباغضين، كما قال: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾^(٢) فألقى الله بينهم العداوة، وهي أَحَدُ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَذْهَبَ اللَّهُ بِهَا جَدَّهُمْ^(٣) وَشَوَّكَهُمْ.

وقوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾.

هذا مثل^(٤) أَي كلما جمعوا على النبيِّ والمسلمين وأعدُّوا لِحَرْبِهِمْ فَرَقَ اللَّهُ جَمْعَهُمْ وَأَفْسَدَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ.

وقوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾.

(١) ط فيزيدهم كفرهم.

(٢) سورة الحشر ١٤.

(٣) حظهم وسعادتهم.

(٤) ذكر النار للاستعداد للحرب تمثيل.

أَيَّ يَجْتَهِدُونَ فِي دَفْعِ الْإِسْلَامِ وَمَحْوِ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ كُتُبِهِمْ.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

أَيَّ لَوْ عَمِلُوا بِمَا فِيهِمَا، وَلَمْ يَكْتُمُوا مَا عَلِمُوا مِنْ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمَا.

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

وهو - واللَّهُ أَعْلَمُ - الْقُرْآنَ. أَيَّ [لَوْ] عَمِلُوا بِمَا فِي هَذِهِ الْكُتُبِ مِنْ ذِكْرِ

النَّبِيِّ، وَأَظْهَرُوا أَمْرَهُ، ﴿لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

قِيلَ إِنَّهُ كَانَ أَصَابُهُمْ جَذْبٌ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ لَوْ اتَّقَوْا لِأَوْسَعِ عَلَيْهِمْ فِي

رِزْقِهِمْ، وَدَلَّ بِهَذَا عَلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجَذْبِ فِيمَا عَاقَبَهُمْ بِهِ.

وَمَعْنَى ﴿لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

أَيَّ لَأَكْلُوا مِنْ قَطْرِ السَّمَاءِ.

﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ. وَقِيلَ قَدْ يَكُونُ هَذَا مِنْ جِهَةِ التَّوَسُّعِ كَمَا تَقُولُ فُلَانٌ

فِي خَيْرٍ مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ^(١)، وَقَدْ أَعْلَمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنَّ التَّقْيَ سَعَةٌ فِي

الرِّزْقِ فَقَالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾. وَقَالَ: ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ

لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٢)، وَقَالَ فِي قِصَّةِ نُوحٍ: ﴿اسْتَغْفِرُوا

رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنِينَ

وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾^(٣)، وَهِيَ الْبَسَاتِينُ. فَوَعَدَهُمُ اللَّهُ أَتَمَّ الْغِنَى عَلَى الْإِيمَانِ

وَالِاسْتِغْفَارِ.

وقوله: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾.

(١) مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمِهِ - أَيَّ يَشْمَلُهُ وَيَعْمَهُ.

(٢) سُورَةُ الطَّلَاقِ ٢ - ٣.

(٣) سُورَةُ نُوحٍ ١٠ - ١٢.

أي من أهل الكتاب، قال بعضهم يعنى بهذا من آمن منهم وقيل يعنى به طائفة لم تُنَاصِب النبي ﷺ مناصبة هؤلاء، والذي أظنه - والله أعلم - أنه لا يسمى الله من كان على شيء من الكفر مُقْتَصِداً.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

المعنى بئس شيئاً عملهم.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

وتقرأ رسالاته. والمعنى بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، وإن تركت منه شيئاً فما بلغت، أي لا تراقب أحداً ولا تترك شيئاً من ذلك خوفاً من أن ينالك مكروه.

﴿وَاللَّهُ يَعَصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

أي يحول بينهم وبين أن ينالك منهم مكروه، فأعلمه الله جل وعز أنه يسلم منهم. وفي هذا آية للنبي ﷺ بَيِّنَةٌ.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالتَّصَارِيُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ [وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ]﴾.

اختلف أهل العربية في تفسير رفع الصابئين، فقال بعضهم نصب «إِنَّ» ضَعْفَ فَتَسَقُّ «بِالصَّابِئُونَ» على «الَّذِينَ» لأن الأصل فيهم^(١) الرفع. وهو قول الكسائي، وقال الفراء مثل ذلك إلا أنه ذكر أن هذا يجوز في النسق على مثل «الذين» وعلى المضمَر، يجوز إني وزيد قائمان، وأنه لا يجوز إنَّ زيدا وعمرو قائمان. وهذا التفسير إقدام عظيم على كتاب الله وذلك أنهم زعموا أن نصب

(١) تقدم أن هذه طريقة الزجاج في إعادة ضمير العقلاء على اللفظ.

«إِنَّ» ضعيف لأنها إنما تغيّر الاسم ولا تغير الخبر، وهذا غلط لأن «إِنَّ» عملت عملين النصب، والرفع، وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع لأن كل منصوب مشبه بالمفعول، والمفعول لا يكون بغير فاعل إلا فيما لم يسم فاعله، وكيف يكون نصب «إِنَّ» ضعيفاً وهي تتخطى الظروف فت نصب ما بعدها. نحو قوله: «إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ»^(١) وَنَصَبُ إِنَّ مِنْ أَقْوَى المنصوبات.

وقال سيويه والخليل، وجميع البصريين إِنَّ قوله: والصابئون محمول، على التأخير، ومرفوع بالابتداء. المعنى إن الذين آمنوا والذين هادوا مَنْ آمَن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم، والصابئون والنصارى كذلك أيضاً، أي من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم، وأنشدوا في ذلك قول الشاعر:^(٢)

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

المعنى وإلا فاعلموا أننا بغاة ما بقينا في شقاق، وأنتم أيضاً كذلك.

وزعم سيويه أَنَّ قَوْماً من العرب يَغْلُطُونَ فيقولون إنهم أجمعون ذاهبون، وإنك وزيد ذاهبان. فجعل سيويه هذا غلطاً وجعله كقول الشاعر:^(٣)

(١) سورة المائدة - ٢٢.

(٢) هو بشر بن أبي حازم.

والبيت في العيني ٢٧١/١، والخزانة ج ٤ وكتاب سيويه ج ١٥٦ ٢ (ت هرون) وشواهد الكشف.

(٣) لزهير بن أبي سلمى، من قصيدة أولها:

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بدا لي
والبيت في ابن يعيش ٧ - ٥٦، والخزانة ٣ - ٦٦٥، وشرح شواهد المغني ٩٨ وكتاب سيويه ٢٣٨ - ٢٣٨ - أميرية.

بِإِذْنِي أَنِّي لَسْتُ مَدْرِكَ مَا مَضَى وَلَا سَابِقُ شَيْءٍ إِذَا كَانَ جَائِئاً
فَأَمَّا ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ وقد ذكر الذين آمنوا، فإنما يعني الذين آمنوا ههنا
المنافقين الذين أظهروا الإيمان بآلستهم، ودل على أن المعنى هنا ما تقدم
من قوله:

﴿لَا يَخْزُوكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ
تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.

ومعنى الصابئ الخارج عن جملة الأذيان لأنهم^(١) لا يدينون بالكتب،
والعرب تقول قد صبأ ناب البعير، وصبأ سن الصبي إذا خرج. فأما قولهم
صبأت بالضاد المعجمة فمعناه اختبأت في الأرض، ومنه اشتق اسم صابئ.

وقال الكسائي، الصابئون نسق على ما في هادوا^(٢)، كأنه قال هادوا هم
والصابئون^(٣). وهذا القول خطأ من جهتين، إحداهما أن الصابئ يشارك اليهودي في
اليهودية وإن ذكر أن هادوا في معنى تابوا^(٤) فهذا خطأ في هذا الموضع أيضاً لأن
معنى الذين آمنوا ههنا إنما هو إيمان بأفواههم، لأنه يُعْنَى بِهِ الْمُنَافِقُونَ، ألا ترى
أنه قال من آمن بالله، فلو كانوا مؤمنين لم يحتج أن يقال إن آمنوا فلهم أجرهم.
وقوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾.

المعنى كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ كَذَّبُوا فَرِيقًا وَقَتَلُوا فَرِيقًا، أَمَّا التَّكْذِيبُ
فاليهود والنصارى مشتركة فيه، وأما القتل فكانت اليهود خاصة - دون

(١) أي الصابئين.

(٢) عطف على واو الجماعة في هادوا.

(٣) أي يلزم على هذا التقدير أن يكون «الصابئون» فاعلاً للفعل «هاد» من هادوا - لأنه معطوف على
فاعله وهو الواو.

(٤) إن أراد الذين تابوا - ولم يرد اليهود.

النَّصَارَى - يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ، وكانت الرسل على ضربين، رسل تأتي بالشرائع والكتب نحو موسى وعيسى وإبراهيم ومحمد^(١)، فهؤلاء معصومون من الخلق، لم يوصل إلي قتل واحد منهم، ورُسُل تأتي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على التمسك بالدين نحو يحيى وزكريا^(٢).

وقوله: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾.

تقرأ ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ بالنَّصْب، وَأَلَّا تَكُونَ بِالرَّفْع، فمن قرأ بالرفع فالمعنى أنه لا تكون فتنة^(٣)، أي حسبوا فعلهم غير فاتنٍ لهم وذلك أنَّهم كانوا يقولون إنهم أبناء الله وأحبَّاءه.

﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾.

هذا مثل، تأويله أنَّهم لم يعملوا بما سمعوا ولا بما رَأَوْا من الآيات، فصاروا كالعمى الصَّمَّ.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾.

أي أرسل إليهم محمداً ﷺ يعلمهم أن الله جلَّ وعزَّ قد تاب عليهم إن آمنوا وصدَّقوا، فلم يؤمنوا أكثرهم، فقال عزَّ وجلَّ:

﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾.

أي بعد أن ازداد لهم الأمر وضوحاً بالنبي عليه السلام. كثير منهم يرتفع من ثلاثة أوجه، أحدها أن تكون بدلاً من الواو، كأنه لما قال ﴿عَمُوا وَصَمُّوا﴾ أبدل الكثير منهم، أي عمي وصم كثير منهم كما تقول: جاءني قومك أكثرهم، وجائز أن يكون جمع الفعل مُقَدِّمًا كما حكى أهل اللغة أكلوني

(١) ك - صلى الله عليه أجمعين.

(٢) زكريا ويحيى قتلا - كما هو معروف.

وهو يعني أنهما لم يأتيا برسالة جديدة، بل كانا يبشران برسالة موسى عليه السلام.

(٣) وتكون «أن» مخففة من الثقيلة لوقوعها بعد «حسب».

البراغيث، والوجه^(١) أن يكون كثير منهم خبر ابتداءٍ محذوف، المعنى ذوو العمى والصمم كثير منهم.

وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ﴾.

معناه أنهم قالوا الله أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهة، ولا يجوز في ثلاثة إلا الجرُّ، لأن المعنى أحد ثلاثة، فإن قلت زيد ثالث اثنين أو رابع ثلاثة جاز الجرُّ والنصب، فأما النصب فعلى قولك كان القوم ثلاثة فَرَبَعَهُمْ، وأنا رابعهم^(٢) غداً، أو رابع الثلاثة غداً، ومن جرَّ فعلى حذف التنوين، كما قال عز وجل: ﴿هَدِيًّا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

دخلت «من» مؤكدة، والمعنى ما إله إلا إله واحد.

وقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

معنى الذين كفروا منهم. الذين أقاموا على هذا الدين^(٤) وهذا القول.

وقوله: ﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

أي إبراؤه الأكمه والأبرص وإتيانه بالآيات المعجزات ليس بأنه إله، إنما أتى بالآيات كما أتى موسى بالآيات، وكما أتى إبراهيم بالآيات.

﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾.

أي مبالغة في الصدق والتصديق، وإنما وقع عليها صديقة لأنه أرسل إليها جبريل، فقال الله عز وجل: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ﴾^(٥).

(١) هذا هو الوجه الثالث وهو الذي يختاره.

(٢) مصيرهم أربعة.

(٣) المائدة ٩٥.

(٤) هذا الاعتقاد بأن الله ثالث ثلاثة.

(٥) سورة التحريم ١٢.

وَصَدِيقٌ فِعْلٌ مِنْ أُنْبِيَةِ الْمُبَالِغَةِ كَمَا تَقُولُ فَلَانِ سَكَّيْتُ أَيِ مِبَالِغٍ فِي السَّكُوتِ .

وقوله : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ .

هذا احتجاج بين ، أي إنما يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الآدميين ، فكيف يَكُونُ إِلَهًا مَنْ لَا يَقِيمُهُ إِلَّا أَكْلُ الطَّعَامِ .

وقوله : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ﴾ .

أي العلامات الواضحة .

﴿ ثُمَّ انْظُرْ ﴾ : أي انظر بعد البيان .

﴿ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾ .

أي من أين يُصَرَّفُونَ عَنِ الْحَقِّ الْوَاضِحِ .

وكل شيء صرفته عن شيءٍ وَقَلَبْتَهُ عَنْهُ ، تقول أَفَكْتُهُ آفِكُهُ أَفَكًا ، والإفك الكذب إنما سُمِّيَ لِأَنَّهُ صُرِفَ عَنِ الْحَقِّ ، والمؤتفكات الرياح التي تأتي من جهات على غير قصد واحد .

وقوله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ ﴾ .

أهواء جمع هوى ، وهوى النفس مقصورٌ لأنه مثل الفرقِ وفعل جمعه أفعال ، وتأويله لا تتبعوا شهواتهم لأنهم آثروا الشهوات على البيان والبرهان . وما في القرآن من ذكر اتباع الهوى مذموم^(١) نحو قوله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٢) وقوله : ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾^(٣) وقوله : ﴿ وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾^(٤) .

(١) لم يذكر الهوى إلا مذمومًا .

(٢) سورة ص آية ٢٦ .

(٣) سورة طه آية ١٦ .

(٤) سورة النجم آية ٣ .

ومعنى ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ الكثير اتبعوهم .

﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ .

أي ضلوا بإضلالهم عن قصد السبيل .

وقوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ .

تأويل لُعِنُوا بُوعِدُوا من رحمة الله .

﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ﴾ .

جاء في التفسير أنَّ قومًا اجتمعوا على مُنْكَرٍ، فَأَتَاهُم دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْهَاهُمْ عَنْهُ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا نَحْنُ قُرُودٌ وَمَا نَفْقَهُ مَا تَقُولُ، فَقَالَ كُونُوا قِرْدَةً، فَمَسَخَهُمُ اللَّهُ قِرْدَةً، وَأَنَّ قَوْمًا اجتمعوا على عيسى يُسَبُّونَهُ فِي أُمِّهِ وَيَرْجُمُونَهُ فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ خَنَازِيرَ فَصَارُوا خَنَازِيرَ، وَذَلِكَ لَعْنُهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى .

وجائز أن يكون داود وعيسى أَعْلَمَا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ نَبِيٌّ وَأَنَّهُمَا لَعَنَّا مَنْ كَفَرَ بِهِ .

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ .

أي ذلك اللَّعْنُ بِمَعْصِيَتِهِمْ وَاعْتِدَائِهِمْ .

و«ذلك» الكاف فيه للمخاطبة، واللام في ذَلِكَ كسرت لالتقاء الساكنين، ولم يذكر الكوفيون كسر هذه اللام في شيءٍ من كُتُبِهِمْ وَلَا عَرَفُوهُ، وهذه من الأشياء التي كان ينبغي أن يتكلموا فيها^(١)، إذ كان «ذلك» إشارة إلى كل متراخ عنك، إلا أن تركهم الكلام أَعْوَدُ عَلَيْهِمْ^(٢) مِنْ تَكْلُمِهِمْ إذ كان أول ما نطقوا به في فَعِلَ قد نقض سائر العربية، وقد بينا ذلك قديمًا^(٣) .

(١) ط فيه .

(٢) أكثر فائدة لهم إذ لا لحجة لديهم .

(٣) لم يتكلم عنه في هذا الكتاب .

وقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

أي لبئس شيئاً فعلهم، واللام دَخَلَتْ للقسم والتوكيد وقد بينا لم فُتِحَتْ، وسائر الحروف التي جاءت يعني لم فُتِحَتْ وكسرت^(١) ولم يبين الكوفيون شيئاً من ذلك.

وقوله: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

«أَنْ» يجوز أن يكون نصباً على تأويل بش الشيء ذلك لأن سخط الله عليهم، أي لأن أكسبهم السخطة، ويجوز أن يكون «أَنْ»^(٢) في موضع رفع على إضمار هو، كأنه قيل هو أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، كما تقول نَعَمْ الرَّجُلُ زَيْدٌ.

وقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

وذلك أن اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين، والمؤمنون يؤمنون بموسى والتوراة التي أتى بها، وكان ينبغي أن يكونوا إلى من وافقهم في الإيمان بنبيهم وكتابهم أقرب، فظاهروا المشركين حسداً للنبي ﷺ.

وقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ﴾: هذه اللام لام القسم، والنون دَخَلَتْ تَفْصِيلُ بَيْنَ الْحَالِ وَالْاِسْتِقْبَالِ، هذا مذهب الخليل وسيبويه، ومن يوثق بعلمه.

وقوله: ﴿عَدَاوَةً﴾ منصوب على التمييز.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾.

في هذه غير وجه، جاء في التفسير أن نيفاً وثلاثين من الحبش من

(١) انظر ص ٤٢ ج ١

(٢) ط في «أَنْ» في موضع رفع.

النصارى جاءوا وجماعةً معهم، فأسلموا لما تلا عليهم النبي ﷺ (القرآن) (١).

وجائز أن يكون يُعْنَى بِهِ النَّصَارَى لأنهم كانوا أقل مظاهره للمشرِكين من اليهود، ويكون قوله:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾.

على معنى ﴿ذَلِكَ بَأْنٌ مِنْهُمْ قَسِيْسِينَ وَرَهْبَانًا﴾، ومنهم قوم إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ، يعني به ههنا مؤمنهم، والقُسُّ والقِسِيْسُ من رُؤَسَاءِ النَّصَارَى، فأما القُسُّ (٢) في اللُّغَةِ فهي النَمِيمة ونشر الحديث، يقال: قَسُّ فلان الحديث قَسًا.

ومعنى ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

أَيَّ مع من شهد من أَنْبِيَائِكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمُؤْمِنِي عِبَادِكَ بِأَنَّكَ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ.

وقوله: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾.

مَوْضِعُ ﴿لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ نصب على الحال، المعنى أَي شيءٍ لَنَا تَارِكِينَ لِلْإِيمَانِ، [أَي] في حال تركنا للإيمان، وذلك أَنَّ قومهم عَنُفُوهم على إِيْمَانِهِمْ فَأَجَابُوهم بِأَن قَالُوا مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

الْجَحِيمُ النَّارُ الشَّدِيدَةُ الْوَقُودِ، وَقَدْ جَحِمَ فَلَانُ إِذَا شَدَّدَ وَقُودَهَا، وَيُقَالُ لِعَيْنِ الْأَسَدِ جَحْمَةٌ لَشِدَّةِ تَوَقُّدِهَا، وَيُقَالُ لَوُقُودِ الْحَرْبِ، وَهُوَ شِدَّةُ الْقِتَالِ فِيهَا: جَاحِمٌ، قَالَ الشَّاعِرُ: (٣)

(١) كلمة القرآن ليست في ط - ويكون المعنى أسلموا حين قرأ عليهم، أو لما قرأه عليهم.

(٢) القس مثلثة تتبع الشيء وطلبه كالتقسس والنميمة - وبالفتح صاحب الإبل الذي لا يفارقه.

ورئيس النصارى في العلم - كالتقسس - اهـ قاموس.

(٣) تقدم في الجزء الأول بيت من القصيدة - هو من صد عن نيرانها - والآيات لسعد بن مالك بن =

والخيّل لا يبقى لجاحمها التخيّل والمراحُ
إلا الفتى الصَّبَّارُ في النّجْدَاتِ والفرس الوَقَّاحُ
وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾.

هذه قيل نزلت لأنّ جماعةً من أصحاب النبي كانوا همّوا بأن يرفضوا
الدنيا ويجتنبوا الطيبات ويخصّوا أنفسهم، فأعلم الله أن شريعة نبيه عليه
السلام غير ذلك، والطيبات لا ينبغي أن تجتنب البتة، وسمي الخصاء اعتداءً،
فقال عز وجل: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾، أي لا تجبّوا أنفسكم فإن ذلك اعتداء.
وقوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾.

اللغو في كلام العرب ما اطرح ولم يعقد عليه أمر، ويسمى ما ليس
مُعْتَدًا به - وإن كان موجوداً - لغواً، قال الشاعر:

أو مائة تجعل أولادها لغواً، وعرض المائة الجَلْمَدُ^(١)

(الذي يعارضها في قوة الجلمد)^(٢)، يعني بذلك نوقاً، يقول: مائة لا
تجعل أولادها من عددها.

أعلم^(٣) الله عز وجل أن اليمين التي يُؤَاخِذُ بها العَبْدُ وتجب في بعضها

= ضبيعة وهو جد طرفة - بن العبد - ورواية البيهقي في شواهد المغني - والحرب لا يبقى
لجاحمها. وجاحم الحرب شدتها واستعارها، والتخيّل الخيلاء والعجب، والمراح، النشاط
والفرح، والأبيات تعريض بالحِثِّ بن عباد، ومن اعتزل الحرب معه - والنجدات الشدائد،
والفرس الوقاح الصلبة الشديدة.

(١) البيت في اللسان «جلمد» والجلمد الصخرة والقطيع الضخم من الإبل، يريد أنها ناقة قوية لا
يعارضها إلا الجلمد ولا تجعل أولادها من عددها.

(٢) ليست في ط.

(٣) ط فأعلم.

الكفارة ما جرى على عقد، ومعنى فكفارته إطعام عشرة مساكين، أي فكفارة المؤاخذه فيه إذا حنث أن يطعم عشرة مساكين إن كانوا ذكوراً أو إناثاً وذكوراً أجزاء ذلك، ولكن وقع لفظ التذكير لأنه المَغْلَبُ في الكلام.

ومعنى ﴿مَنْ أَوْسَطَ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ .

قال بعضهم أعدلته كما قال جل وعز: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١) أي عدلاً، و﴿أَوْسَطَ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ على ضربين أحدهما أوسطه في القدر والقيمة، والآخر أوسطه في الشيع لا يكون المأكول يفرط في أكله فيؤكل منه فوق القصد وقدر الحاجة، ولا يكون دون المعنى عن الجوع. ﴿أَوْ كَسَوْتُمْ﴾ .

والكسوة أن يكسوهم نحو الإزار والعِمَامَة أو ما أشبه ذلك. ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ .

فخير الحالف أحد هذه الثلاثة، وأفضلها عند الله أكثرها نفعاً، وأحسنها موقعاً من المساكين، أو من المعتق، فإن كان الناس في جذب لا يقدرון على المأكول إلا بما هو أشد تكلفاً من الكسوة أو الإعتاق، فالإطعام أفضل، لأن به قوام الحياة وإلا فالإعتاق أو الكسوة أفضل.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ .

أي من كان لا يقدر على شيء مما حُدَّ في الكفارة، فعليه صيام ثلاثة أيام، وصيام ثلاثة مرتفع بالابتداء، وخبره كفارته أو فكفارته صيام ثلاثة أيام^(٢). ويجوز فصيام ثلاثة أيام كما قال عز وجل: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي

(١) سورة البقرة: ١٤٣ .

(٢) أي هو خير لمبتدأ محذوف .

مَسْغَبَةٍ. يَتِيمًا^(١).

﴿أَوْ عَذْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾^(٢).

﴿ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِّإِيمَانِكُمْ﴾.

أي ذلك الذي يغطي على آثامكم، يقال كَفَرْتُ الشيءَ إذا غَطَّيْتَهُ، ومنه قوله عز وجل: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾^(٣)، والكفار الذين يغطون الزرع ويصلحونه، والكافر إنما سمي كافراً، لأنه ستر بكفره الإيمان.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجُسٌ مِنْ عَمَلٍ الشَّيْطَانِ﴾.

فالخمر معروف وهو ما خامر العقل، وقد فسرناه^(٤)، والميسر القمار كله^(٥)، وأصله أنه كان قماراً في الجزور، وكانوا يقسمون الجزورَ في قول الأصمعي على ثمانية وعشرين جزءاً، وفي قول أبي عمرو الشباني على عشرة أجزاء، وقال أبو عبيدة لا أعرف عدَدَ الأجزاء، وكانوا يضربون عليها بالقداح وهي سهام خشبٍ. لها أسماء نبينها على حقيقتها في كتابنا إن شاء الله، فيحصل كل رجل من ذلك القمار على قدر إمكانه، فهذا أصلُ الميسر، والقمار كله كالميسر وقد بينا الأنصاب والأزلام في أول السورة.

فأعلم الله أن القمار والخمر والاستقسام بالأزلام وعبادة الأوثان رجسٌ. والرجس في اللغة اسم لكل ما استقذر من عمل، فبالغ الله في ذم هذه الأشياء، وسماها رجساً، وأعلم أن الشيطان يسؤل ذلك لبني آدم، يقال رجسَ الرجلُ يَرْجِسُ، ورجسَ يَرْجُسُ، إذا عمل عملاً قبيحاً، والرجسُ بفتح الراء

(١) سورة البلد ١٤.

(٢) الأظهر في «صياماً» أنها تمييز، ولكن يجوز أن تكون مفعولاً لعدل، أي معادلة ذلك صوماً.

(٣) سورة الحديد - ٢٠.

(٤) انظر تفسير الآية: يسألونك عن الخمر ص ٢٩١ ج ١.

(٥) بجميع أنواعه.

شِدَّةُ الصَّوْتِ، فكان الرّجس العمل الذي يقبح ذكره، ويرتفع في القبح،
ويقال سحاب ورَعْدٌ رَجَّاسٌ إذا كان شديد الصوت، قال الشاعر:

وكل رَجَّاسٍ يَسُوقُ الرُّجَّاسَا^(١)

وأما الرّجز بالزاي فالعذاب، أو العمل الذي يؤدي إلى العذاب، قال
الله: ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾^(٢) أي كشفت عنا العذاب، وقوله:
﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^(٣) قالوا عبادة الأوثان. وأصل الرّجز في اللغة تتابع
الحركات، فمن ذلك قولهم رجاء إذا كانت ترتعد قوائمها عند قيامها، ومن
هذا رَجَزَ الشَّعْرَ لأنه أَقْصَرَ أَيْبَاتِ الشَّعْرِ، والانتقال [فيه] من بيت إلى بيت
سريع نحو قوله^(٤):

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

ونحو قولهم:

صَبْرًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ^(٥)

ونحو قولهم:

ما هاج أحزاننا وشجوا قد شجا^(٦)

(١) للعجاج - ويعله - من السيول والسحاب المرسا. أنظر الديوان ص ١٦ واللسان (رجس).

(٢) الأعراف - ١٣٤.

(٣) سورة المدثر آية ٥.

(٤) من رجز لدريد بن الصمة قاله يوم هوازن (اللسان - جدع) وسيرة ابن هشام ٨٩٠، والأغاني

ج ٩ - ٣٤٥، ج ١٠ - ٣١.

(٥) الرجز في سيرة ابن هشام ج ٣ - ٥٨٨ - ويهابني عبد الدار - وبها حماة الأدبار، ضرباً بكل
بتار.

(٦) لرؤبة - ويعله: من طلل كالاتخمي أنهجا - انظر معاهد التنصيص. وأراجير العرب ١٧ ورؤبة
اسمه عبد الله، بصري تميمي والرؤبة القطعة من الخشب يشبه بها الإناء.

وزعم الخليل أن الرّجَزَ ليس بشعر، وإنما هو أنصاف أبيات أو أثلاث،
ودليل الخليل في ذلك ما روي عن النبي ﷺ:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً وتأتيك من لم تزود بالأخبار.

قال الخليل: لو كان نصف البيت شعراً ما جرى على لسان النبي ﷺ:
سَتُبْدِي لَكَ الْيَافِأَمَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا^(١)

وجاء النصف الثاني على غير تأليف الشعر، لأن نصف البيت لا يقال له
شِعْرٌ ولا بَيْتٌ، ولو جاز أن يقال لنصف البيت شعر لِقِلَّ لِجُزْءٍ منه شعر.
وجرى على لسان النبي ﷺ فيما روى:

أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

قال بعضهم: إنما هو لا كذب أنا ابن عبد المطلب، بفتح الباء على
الوصل^(٢).

قال الخليل: فلو كان شعراً لم يجر على لسان النبي ﷺ، قال الله:
﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾^(٣)، أي ما يسهل له، قال الأخفش كان قول
الخليل إن هذه الأشياء شعر، وأنا أقول: إنها ليست بشعر، وذكر أنه ألزم
الخليل أن الخليل اعتقده^(٤). ومعنى الرّجَزُ العذاب المُقْلِقُ لِشِدَّتِهِ فَلَقَلَّةُ
شَدِيدَةٍ متتابعة، ومعنى فاجتنبوه: أي اتركوه.

(١) بيت من معلقة طرفة - وبقية: ويأتيك بالأخبار من لم تزود - ولكن النبي ﷺ لم يشأ أن ينشده
على صورة الشعر الموزون.

(٢) وبذلك لا يكون رجزاً ولا شعراً.

(٣) سورة يس. آية ٦٩.

(٤) أي إن الخليل عدل عن رأيه لهذا، وما هو مقرر هنا هو رأي الأخفش.

واشتقاقه في اللغة كونوا جانباً منه أي في ناحية .

وقوله : ﴿لَيَلُونَكُمْ اللَّهُ بِشْيٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ هذه اللام لام القسم ، واللام ^(١) مفتوحة لالتقاء الساكنين في قول بعضهم أغزُون يا رَجُلُ ، فأما لام لَتَلُونُ ، فزعم سيويه أنها مبنية على الفتح .

وقد أحكمنا شرحَ هذا قبل هذا الموضع ^(٢) .

ومعنى : «لِيلُونَكُمْ» : ليختبرنَّ طاعتكم من معصيتكم .

﴿بِشْيٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ .

فقال عز وجل بشيءٍ من الصيد فبعض ، وهو يحتمل وجهين أحدهما أنه على صيد البر دون صيد البحر ، والثاني أنه لما عني الصيد ما داموا في الاحرام كان ذلك بعض الصيد . وجائز أن يكون على وجه ثالث ، ويكون «مِن» هذه تبين جنساً من الأجناس ، تقول : لأمتحانك بشيءٍ من الورق ، أي لامتحانك بالجنس الذي هو ورق ، كما قال جل ثناؤه : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ ^(٣) والأوثان كلها رجس ، المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن .

ومعنى قوله : ﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ .

الذي تناله الأيدي نحو بيض النعام وفراخه وما كان صغيراً ينهض من مجثمِهِ مِن غير النعام وسائر ما يفوق اليد بحركته من سائر الوحش . فحرم جميع صيد البر الجراد وكل ما يصطاد فحرام [صيده] ما داموا حراماً . وبين رسول الله ﷺ أن كل ما اضطيء في الحرم حرام ، كانوا محرمين أو غير محرمين .

وقوله : ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً﴾ .

(١) هكذا في جميع الأصول - ويبد أنه و«النون» .

(٢) جـ ١ الآية لتلون في أموالكم . . . سورة آل عمران آية ١٨٦ . ص ٤٩٦ جـ ١ .

(٣) سورة الحج الآية ٣٠ .

أي عمداً لِقَتْلِهِ، كأنه ناسٍ أنه مُحَرَّمٌ، وَمَتَعَمِّدٌ لِلْقَتْلِ، وجائزٌ أن يقصد القتل وهو يعلم أنه محرم.

وقوله: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾.

و﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ برفع مثل وجزّها، فمن رفعهما جميعاً فرفعه على معنى فعلية جزاء مثل الذي قُتِلَ، فيكون «مِثْلُ» من نَعَتِ الجزاء، ويكون أن ترفع «جزاء» على الابتداء ويكون مثل قَتَلَ خبر الابتداء، ويكون المعنى فجزاء ذلك الفعل مِثْلُ ما قَتَلَ، ومن جرّ أراد فعلية جزاء مِثْلُ ذلك المقبول من النعم، والنعم في اللغة هي الإبل والبقر والغنم، وإن انفردت الإبل منها قيل لها نعم وإن انفردت الغنم والبقر لم تُسمَ نعماً.

فكان عليه بحذاء حمار الوحش وبقرة الوحش بدنة، وعليه بحذاء الظباء من الغنم شاة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

أي من أهل ملتكم، فعلى قاتل الصيد أن يسأل فقيهين عدلين عن جزاء ما قَتَلَ، ويقولان له: أَقْتَلْتَ صَيْدًا قَبْلَ هَذَا وَأَنْتَ مُحَرَّمٌ فَإِنْ اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ قَتَلَ صَيْدًا قَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يَحْكَمْ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾. وإن لم يعترف نظراً فيما قتل. فإن كان كالإبل حكماً عليه بها ﴿هَذِيًّا بَالِغِ الْكُعْبَةِ﴾ وإن كان كالشاة حكماً عليه بمثل ذلك. وإن كانت القيمة لا تبلغ نظراً فقدرها قيمة ذلك، وأطعم بثمان ذلك المساكين، كلّ مسكين - قال بعضهم - صاعاً من حنطة، وقال بعضهم نصف صاع أو صامَ بعدل ذلك على ما توجّه السُّنَّةُ، ويجوز أن تكون «أو» - وهو الأجود في اللغة - للتخيير، فإن شاء أهدي وإن شاء قوّمَا له الهدي وأطعم بدله على ما وصفنا. وجعل مثل ذلك صياماً لأن «أو» للتخيير، وقال بعضهم كأنه إن لم يقدر على الإبل والغنم

فينبغي أن يُطعم أو يصوم، والذي يوجب اللفظ التخيير، وأهل الفقه أعلم بالسنة في ذلك، إلا أنني أختار على مذهب اللغة أنه مخير.

وقوله: ﴿هَذِيأً بَالِغَ الكَعْبَةِ﴾.

منصوب على الحال. المعنى يحكمَان به مُقَدَّرًا أَن يُهْدَى، و﴿بَالِغَ الكَعْبَةِ﴾ لفظه لفظ مَعْرِفَةٍ، ومعناه النكرة، المعنى بالغا الكعبة، إِلَّا أَنَّ التَّنْوِينَ حَذَفَ اسْتِخْفَافًا.

ومعنى قوله: ﴿أَوْعَدَلْ ذَلِكَ﴾.

أو مثل ذلك، قال بعضهم عَدَلُ الشيء مثله من جنسه، وعَدَلُهُ مثله من غير جنسه - بفتح العين، وقال إِلَّا أَن بعض العرب يغلط فيجعل العَدْل والعِدْل في معنى المثل، وإن كان من غير جنس الأول. قال البصريون العَدْل والعِدْل في معنى المثل، والمعنى واحد كان المثل من الجنس أو من غير الجنس، كما أَنَّ المثل ما كان من جنس الشيء وَمِنْ غير جنسه، مِثْل، ولم يقولوا إِنَّ العرب غلطت، وَلَيْسَ إِذَا أَخْطَأَ مَخْطِئٌ يوجب أَن تقول ان بعض العرب غلط.

وقوله: ﴿صِيَامًا﴾.

منصوب على التمييز. المعنى أو مثل ذلك من الصيام.

﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾.

«الْوَبَالُ» ثَقُلُ الشيء في المكروه، ومنه قولهم طعام وبيل، وماء وبيل، إذا كانا ثقلين غير نَامِيَيْنِ في المَالِ، قال عز وجل: ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾^(١) أي ثقيلاً شديداً، والوبيل خشبة القصار ومن هذا^(٢) قيل لها وبيل. قال طرفة ابن العبد.

(١) سورة المزمل - ١٦.

(٢) من ثقلها وشدتها.

عقيلة شيخ كالويليل يلندد^(١)

وقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾.

الفاء جواب الجزاء، والمعنى أنه - والله أعلم - ومن عاد مُسْتَجِلًّا للصيد بعد أن حَرَّمَهُ اللَّهُ منه فينتقم اللَّهُ مِنْهُ أي فيعذبه اللَّهُ.

وجائز أن يكون: من عاد مستخفاً بأمر اللَّهِ فجزأوه العذاب كجزاء قاتل النفس.

وقوله: ﴿وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلْسَيَّارَةِ﴾.

أي أحل لكم صيد البحر، وأحل لكم طعام البحر للسَّيَّارَةِ، فَأَمَّا صَيْدُهُ فمعروف، وأما طعامه فقد اختلف فيه، فقال بعضهم: ما نَضَبَ الماء عنه فَأُخِذَ بغير صيد فهو طعامه، وقال طعامه هو كل ما سقاه الماء فَأَنْبَتَ فهو طعام البحر، لأنه نبت عن ماء البحر، فأعلمهم اللَّهُ أن الذي أُحِلَّ لهم كثير في البر والبحر، وأن الذي حُرِّمَ عليهم إنما هو صيد البر في حال الإحرام. وسَنَّ النبي ﷺ تحريم الصيد في الحرم ليكون قد أُعْذِرَ إليهم من الانتقام ممن عاود ما حرم اللَّهُ عليه مع كثرة ما أُحِلَّ اللَّهُ لَهُ.

و«مَتَاعاً»: منصوب مصدر مؤكد، لأنه لما قال أُحِلَّ لكم كان دليلاً على أنه قد مَتَّعَهُمْ به، كما أنه لما قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ﴾ كان دليلاً على أنه قد كتب عليهم ذلك، فقال: «كتاب الله عليكم»^(٢).

(١) عجز بيت من معلقته، وصدره: فمرت كهاة ذات خيف جلالة - والكهاة والجلالة الناقة الضخمة السمينية والخيف جلد الضرع، والعقيلة الكريمة، والبلندد السمينية - يقول انه مر بسيفه بين الإبل ليختار واحدة ينحرها - فنفرت واحدة سمينية. وهي كريمة مال شيخ قد بيس جلده ونحل حتى صار كالعصا الضخمة - وهو شيخ شديد الخصومة. قيل عنى أباه، وأنه نحر إبله على كره منه، وقيل عنى من يغير عليه من الناس.

(٢) على هذا يكون «مَتَاعاً» مفعول مطلق - ويمكن أن يكون حالاً أي أحل لكم متعة وشيئاً يستريحون به.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾.
قيل إنما سُمِّيتِ الكعبة لتربيع أعلاها.

ومعنى قِيَاماً لِلنَّاسِ أي مما أُمِرُوا بِهِ أَنْ يَقُومُوا بِالْفَرْضِ فِيهِ^(١). وكذلك:
﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾.

فَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُ أَمِنُ فَلَأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾^(٢) ولم تَزَلْ
العربُ تتركُ القتالَ في الشهرِ الحرامِ، وكان يسمى رَجَبُ الْأَصَمِّ لَأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ
فيه صوتُ السلاحِ. وأما مَنْ قَالَ جُعِلَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ لِيَقُومَ النَّاسُ بِهَا فَإِنَّمَا عَنِ
مَتَعِبَاتِهِمْ بِالْحَجِّ وَأَسْبَابِهِ.

وقوله: ﴿ذَلِكَ لَتَعْلَمُوهُنَّ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

فيه قولان: أحدهما أَنَّ اللَّهَ لَمَّا آمَنَ مِنَ الْخَوْفِ الْبَلَدَ الْحَرَامَ، وَالنَّاسُ
كَانَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَجَعَلَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ يُمْتَنَعُ فِيهِ مِنَ الْقَتْلِ، وَالْقَوْمُ
أَهْلُ جَاهِلِيَةٍ، فَدَلَّ بِذَلِكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِذْ جَعَلَ فِي
أَعْظَمِ الْأَوْقَاتِ فُسَاداً مَا يُؤْمِنُ بِهِ، وَفِيهِ قَوْلٌ آخَرٌ وَهُوَ عِنْدِي أَبِين، وَهُوَ أَنَّ
ذَلِكَ مَرْدُودٌ عَلَى مَا أَنبَأَ اللَّهُ بِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مِنَ
الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.

فَأَخْبَرَ بِنِفَاقِهِمُ الَّذِي كَانَ مُسْتَتِراً عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ أَنَّهُمْ
﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾. فَأَظْهَرَ أَنَّ اللَّهَ مَا كَانُوا أَسْرَوْهُ
مِنْ قِصَةِ الزَّانِئِينَ، وَمَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ ﷺ وَمَا شَرَحْنَاهُ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ،
فَأَظْهَرَ^(٣) أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ: نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى جَمِيعِ مَا سَتَرُوا عَنْهُمْ.

(١) في البيت الحرام.

(٢) سورة آل عمران - ٩٧.

(٣) أطلع الله.

فالمعنى - والله أعلم - ذلك لتعلموا الغيب الذي أنبأتكم به عن الله، يدلکم على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض. ودليل هذا القول قوله جلّ وعزّ:

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُوا، وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلِ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾.

[تُبدلکم] - تُظهر لکم، يقال بدا لي الشيء يبدو إذا ظهر.

جاء في التفسير أن النبي ﷺ خطب الناس فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم الحج، فقام رجل من بني أسد فقال: يا رسول الله أفي كل عام، فأعرض عنه ﷺ فعاد الرجل ثانية، فأعرض عنه، ثم عاد ثالثة فقال ﷺ ما يؤمنك أن أقول نعم فتجب فلا تقومون بها فتكفرون.

تأويل «تكفرون»، - والله أعلم - ههنا أنكم تدفعون لثقلها وجوبها فتكفرون. وقال ﷺ: ^(١) اتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة اختلافهم على أنبيائهم. وسأله ﷺ رجل كان يتنازعه اثنان يدعي كل واحد منهما أنه أبوه فأخبر ﷺ بأييه منهما، فأعلم الله عزّ وجلّ أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، فإنه إذا ظهر منه الجواب ساء ذلك. وخاصة في وقت سؤال النبي ﷺ عن جهة تبين الآيات، فنهى الله عن ذلك، وأعلم أنه قد عفا عنها، ولا وجه عن مسألة ما نهى الله عنه ^(٢)، وفيه فضيحة على السائل إن ظهر.

(١) أي في هذا الموقف نفسه.

(٢) لا سب ولا داعي له.

وأشياء في موضع جر إلا أنها فتحت لأنها لا تنصرف. وقال الكسائي أشبه آخرها آخر حمراء، ووزنها عنده أفعال، وكثر استعمالهم^(١) فلم تُصرف.

وقد أجمع البصريون وأكثر الكوفيين على أن قول الكسائي خطأ في هذا، والزموه ألا يصرف أبناء وأسماء. وقال الأخفش - سعيد بن مسعدة - والفراء: أصلها أفعلاء كما تقول هَيْن وأهوناء إلا أنه كان الأصلُ أشيَاء على وزن «أشيعاع»^(٢) فاجتمعت همزتان بينهما ألف، فحذفت الهمزة الأولى. وهذا غلط أيضاً. لأن شيئاً فَعَلَ، وفَعَلَ لا يجمع على أفعلاء، فأما هَيْن، فأصله أهَيْن، فجمع على أفعلاء، كما يجمع فعيل على أفعلاء، مثل نصيب وأنصباء. وقال الخليل: أشياء اسم للجميع كان أصله فعلاء - شيئاً، فاستثقلت الهمزتان فقلبت^(٣) الأولى إلى أول الكلمة فجعلت لفعاء كما قالوا أنوق فقلبوا أيتق، كما قلبوا قووس فقالوا قسي.

ويُصدَّق قول الخليل جمعهم أشياء [على] أشاوى، وأشاياء وقول الخليل هو مذهب سيونيه وأبي عثمان المازني وجميع البصريين إلا الزيادي^(٤) منهم، فإنه كان يميل إلى قول الأخفش.

وذكروا أن المازني ناظر الأخفش في هذا فقطع المازني الأخفش، وذلك أنه سأل: كيف تُصغَرُ أشياء فقال: أشيَاء، فاعلم. ولو كانت أفعلاء لرُدَّت في التصغير إلى واحدٍ، فقل شُيِّتَات، وإجماع البصريين أن تصغير

(١) كثر استعمال الناس هذه الكلمة فخففت بحذف التنوين.

(٢) كلمة لا معنى لها، ذكرها لمجرد الوزن، وهذه عادته كما ذكر: حضاعي.

(٣) نقلت إلى أول الكلمة.

(٤) هو إبراهيم بن سفيان - من نسل عبد الرحمن بن زياد بن أبيه - كان نحويًا لغويًا راوية - وكان شاعرًا ذا دابة ومزح، وله تصانيف حسنة. أنظر ياقوت ١ - ١٥٨، ١ - ٤١٤.

أَصْدَقَاءَ إِذَا كَانَ لِلْمُؤَنَّثَاتِ صُديَقَاتٌ وَإِنْ كَانَ لِلْمَذْكُرِينَ صُديَقُونَ^(١).

وقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾.

أُثْبِتُ مَا رَوَيْنَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ عَنْ أَهْلِ اللُّغَةِ مَا أَذْكَرُهُ هَهُنَا:

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْبَحِيرَةُ نَاقَةٌ كَانَتْ إِذَا نُتِجَتْ خُمْسَةُ أَبْطُنٍ وَكَانَ آخِرُهَا ذَكَرًا، نَحَرُوا أَذْنَهَا - أَيِ شَقْوَهَا - وَامْتَنَعُوا مِنْ رُكُوبِهَا وَذُبْحِهَا، وَلَا تَطْرُدُ عَنْ مَاءٍ وَلَا تَمْنَعُ مِنْ مَرْعَى، وَإِذَا لَقِيَهَا الْمَعْنَى^(٢) لَمْ يَرْكَبْهَا.

وَالسَّائِيَةُ. كَانَ الرَّجُلُ إِذَا نَذَرَ لِقُدُومِ مَنْ سَفَرَ أَوْ بُرِّءَ مِنْ عِلَّةٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ قَالَ نَاقَتِي هَذِهِ سَائِيَةٌ، فَكَانَتْ كَالْبَحِيرَةِ فِي أَنْ لَا يَنْتَفِعَ بِهَا وَأَنْ لَا تُجْلَى عَنْ مَاءٍ، وَلَا تَمْنَعُ مِنْ مَرْعَى.

وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أُعْتِقَ عَبْدًا قَالَ هُوَ سَائِيَةٌ، فَلَا عَقْلَ بَيْنَهُمَا وَلَا مِيرَاثَ^(٣).

وَأَمَّا الْوَصِيلَةُ فَبِالْغَنَمِ، كَانَتْ الشَّاةُ إِذَا وَلِدَتْ أَنْثَى فَهِيَ لَهُمْ وَإِذَا وَلِدَتْ ذَكَرًا وَأَنْثَى قَالُوا وَصَلَتْ أَخَاهَا، فَلَمْ يَذْبَحُوا الذَّكَرَ لِأَلْهَتِهِمْ.

وَأَمَّا الْحَامِي فَالذَّكَرُ مِنَ الْإِبِلِ. كَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا نَتِجَتْ مِنْ صَلْبِ الْفَحْلِ عَشْرَةَ أَبْطُنٍ، حُمِي ظَهْرُهُ فَلَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ مَاءٍ وَلَا مَرْعَى. فَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَمْ يُحَرِّمْ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ شَيْئًا، وَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾.

مَعْنَاهُ إِنَّمَا الزَّمَكُمُ اللَّهُ أَمْرَ أَنْفُسِكُمْ.

(١) صَفَرُوا ثُمَّ جَمَعُوا.

(٢) الْمَعْنَى الْمَتَعَبُ.

(٣) إِذَا جَنَى هَذَا الْمَعْتَقُ جَنَايَةً لَا يُلْزَمُ بِأَرْشٍ أَوْ عَوْضٍ، كَمَا لَا يَتَحَمَّلُ شَيْئًا عَنْ مَوْلَاهُ، وَإِذَا مَاتَ وَلَهُ مَالٌ لَا يَرِثُهُ سَيِّدُهُ.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

أي لا يؤاخذكم الله بذنوب غيركم، وليس يُوجب لفظ هذه الآية ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعلم أنه لا يضر المؤمن كفر الكافر، فإذا ترك المؤمن الأمر بالمعروف وهو مستطيع ذلك فهو ضال، وليس بمُهتدٍ.

وَإِعْرَابُ: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾: الأجود أن يكون رفعاً ويكون على جهة الخبر. المعنى ليس يضرركم مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُهُ جَزْماً، وَيَكُونُ الْأَصْلُ لَا يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَنَّ الرَّاءَ الْأُولَى أُدْغِمَتْ فِي الثَّانِيَةِ فَضُمَّتِ الثَّانِيَةُ لِلتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ، وَيَجُوزُ فِي الْعَرَبِيَّةِ عَلَى جِهَةِ النَّهْيِ لَا يَضُرُّكُمْ بَفَتْحِ الرَّاءِ، وَلَا يَضُرُّكُمْ بِكسرها. ولكن القراءة لَا تُخَالَفُ، وَلِأَنَّ الضَّمَّ أَجْوَدُ كَانَ الْمَوْضِعُ رَفْعاً أَوْ جَزْماً.

فَأَمَّا مَنْ ضَمَّ لِلتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ فَاتَّبَعَ الضَّمَّ الضَّمَّ، وَأَمَّا مَنْ كَسَرَ فَلَانَ أَصْلُ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ الْكَسْرَ، وَأَمَّا مَنْ فَتَحَ فَلَخْفَةِ الْفَتْحِ فَتَحَ لِلتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ.

وهذا النهي للفظ غائب يراد به المخاطبون، إذا قلت: لَا يَضُرُّكَ كُفْرُ الْكَافِرِ، فَالْمَعْنَى لَا تُعَدُّ أَنْتَ كُفْرُهُ ضَرراً، كَمَا أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ لَا أَرْنِيكَ ههنا، فَالْنَهْيُ فِي الْفَلْظِ لِنَفْسِكَ، وَمَعْنَاهُ لِمَخَاطِبِكَ، مَعْنَاهُ لَا تَكُونَنَّ ههنا.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

معناه أَنَّ الشَّهَادَةَ فِي وَقْتِ الْوَصِيَّةِ هِيَ لِلْمَوْتِ لَيْسَ أَنَّ الْمَوْتَ حَاضِرُهُ وَهُوَ يُوصِي بِمَا يَقُولُ الْمَوْصِي، صَحِيحاً كَانَ أَوْ غَيْرَ صَحِيحٍ: إِذَا حَضَرَني الْمَوْتُ، أَوْ إِذَا مِتُّ فَافْعَلُوا وَاصْنَعُوا. والشهادة ترتفع من جهتين، أحدهما أَنْ تَرْتَفِعَ بِالْإِبْتِدَاءِ وَيَكُونُ خَبَرُهَا «اثنان»، والمعنى شهادة هذه الحال شهادة اثنين، فتُحذف شهادة وَيَقُومُ اثْنَانِ مَقَامَهَا.

ويجوز أن يكون رفع ﴿شهادة بينكم﴾ على قوله: (١) وفيما فرض الله عليكم في شهادتكم أن يشهد اثنان، فيرتفع اثنان بشهادة، والمعنى أن يشهد اثنان (٢) فيرتفع اثنان بشهادة، والمعنى أن يشهد اثنان ذوا عدل منكم.

معنى «مِنْكُمْ» قيل فيه قولان، قال بعضهم منكم من أهل دينكم. ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من غير أهل ملتكم.

وقال بعضهم: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾: من أهل الميت، أو آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ من غير أهل الميت، واحتج هؤلاء بأن (قوله) (٣): ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اَرْتَبْتُمْ لَا نُشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾: يدل على أَنَّ مِنْكُمْ مِنْ ذَوِي قَرَابَاتِكُمْ.

وقال هؤلاء إذا كانوا أيضاً عدولاً مِنْ قَرَابَاتِ الْمَيِّتِ، فهم أولى لأنهم أعلم بأحوال الأهل من الغرائب، وأعلم بما يصلحهم، واحتجوا أيضاً بأن «ذَوَى عَدْلٍ» لا يكونان من غير أهل ملة الإسلام لأن الكفر قد باعد من العدالة.

فأعلم الله عز وجل أن الوصية ينبغي أن يكون شاهداها عدلين من أهل الميت أو من غير أهله إن كان الموصي في حضر وكذلك إن كان في سفر.

فقوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾.

ذكر (٤) الموت في السفر بعد قوله: إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية، فكأن في الآية - والله أعلم - دليلاً على الشهادة في الحضر والسفر.

وقد جاء في التفسير أن اثنين كانا شَهِدَا في السفر غير مسلمين

(١) أي هو مبتدأ.

(٢) أي هو فاعل للمصدر في المعنى وهو خبر المبتدأ.

(٣) ليست في ط.

(٤) في الأصل فذكر.

وللإجماع أن الشهود لا يجب أن يحلفوا. وقد أجاز قوم في السفر شهادة الذميين، وقال الله عز وجل: ﴿وَأَشْهِدُوا ذُوَى عَدْلِ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾^(١) وقال: ﴿مَنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ﴾^(٢) والشاهد إذا عُلِمَ أنه كذاب لم تجز أن تقبل شهادته، وقد علمنا أن النصارى زعمت أن الله ثالث ثلاثة وأن اليهود قالت أن العزيز ابن الله وعلمنا أنهم كاذبون، فكيف يجوز أن تقبل شهادة من هو مُقِيمٌ عَلَى الكَذِبِ؟

ومعنى قوله: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾. كان الناس بالحجاز يحلفون بعد صلاة العصر، لأنه وقت اجتماع الناس.

وقوله: ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾. وإن وقع في أنفسكم منهم ريب، أي ظننتم بهم ريبة، وقوله: ﴿فَإِنْ عَثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾. أي فإن اطلع على أنهما قد خانا. ﴿فَإِخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَانِ﴾.

وقد قرئت الأولين ويجوز (من الذين استحقَّ عليهم الأوليان)^(٣) وهذا موضع من أصعب ما في القرآن في الاعراب. فأوليان في قول أكثر البصريين يرتفعان على البدل مما في «يقومان». المعنى: «فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين».

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾.

(١) سورة الطلاق آية ٢.

(٢) سورة البقرة ٢٨٢.

(٣) ليست في ك.

فإذا ارتفع الأوليان على البدل، فاللذان في استحق من الضمير معنى الوصية، المعنى فليقم الأوليان من الذين استحقّت الوصية عليهم، أو استحق الإيصاء عليهم.

وقال بعضهم: مَعْنَى ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾ معناه: اسْتَحَقَّ فيهم، وقامت «على» مقام «في» كما قامت «في» مقام «على» في قوله: ﴿وَلَا صَلْبِيَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾^(١) ومعناه: على جذوع النخل.

وقال بعضهم معنى على ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ مِنْهُمْ الْأَوْلِيَانِ﴾ كما قال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(٢) أي إذا اكتالوا من الناس، وقيل أن في «استحق» ذكر الإثم، لأن قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ عُرِضَ عَلَىٰ أُنْهَمَا اسْتِحْقَاقُ إِثْمٍ فَأَخْرَجَ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾، كان المعنى: الذين جَنِيَ الإِثْمَ عَلَيْهِمْ. وقيل إن «الأوليان» جائز أن يرتفعا باستحق، ويكون معناه الأوليان باليمين، أي بأن يُحلفا من يشهد بعدهما، فإن جاز شهادة النصرانيين كان «الأوليان» على هذا القول النصرانيين، أو الآخران من غير بيت الميت. وأجود هذه الأقوال أن يكون الأوليان بدلا، على أن المعنى: لِيَقُمَ الْأَوْلِيَانِ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّتْ عَلَيْهِمُ الْوَصِيَّةُ، ومن قرأ «الأولين» رده على الذين، وكان المعنى من الذين استحق عليهم الإيصاء الأولين، واحتج من قرأ بهذا فقال: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْأَوْلِيَانِ صَغِيرِينَ؟

وقوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾.
أي ذلك أقرب من الإتيان بالشهادة على وجهها، وأقرب إلى أن يخافوا.
وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾.

(١) سورة طه ٧١.

(٢) سورة المطففين ٨٣ آية ١.

أما نَضَبُ «يوم» فمحمول على قوله . . . وَاتَّقُوا اللَّهَ واسْمَعُوا [أي] وَاتَّقُوا
يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرسل، كما قال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ
شَيْئًا﴾^(١).

ومعنى المسألة من الله تعالى للرسول [تكون] على جهة التوبيخ الذين
أرسلوا إليهم، كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٢)
فإنما تُسأل ليُوَبِّخَ قَاتِلُوهَا، وأما إجابة الرسول وقولهم: «لَا عِلْمَ لَنَا» فقد قال
الناس^(٣) في هذا غير قوله:

جاء في بعض التفسير أنه عَزَبَتْ عنهم أفهامهم لهول يوم القيامة فقالوا:
لا علم لنا مع عِلْمِكَ، وقال بعضهم: لو كانت عزبت أفهامهم لم يقولوا إنك
أنت علام الغيوب، وقال بعضهم معنى قول الرسول لا علم لنا [أي] بما غاب
عَنَّا مِنْ أَرْسِلْنَا إِلَيْهِ، أنت يا رَبَّنَا تَعْلَمُ بَاطِنَهُمْ وَلَسْنَا نَعْلَمُ غَيْبَهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ
علام الغيوب.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى
وَالِدَتِكَ﴾.

أما نعمته على وَالِدَتِهِ فَإِنَّهُ اصْطَفَاهَا وَطَهَّرَهَا وَاصْطَفَاهَا عَلَى نِسَاءِ
العالمين، وكان رِزْقُهَا يَأْتِيهَا مِنْ عِنْدِهِ وَهِيَ فِي مَحْرَابِهَا.
وقوله: ﴿إِذْ أَيْدُتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾.

أَيَّ أَيْدُتُكَ بِجِبْرِيلَ، جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ بِهِ^(٤)، إِذْ حَاوَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ

(١) البقرة ١٢٣.

(٢) سورة التكوين: ٨ - ٩.

(٣) أي الجمهور أو المفسرون.

(٤) أي تأييده به.

قتله، وجائز أن يكون أيده به في كل أحواله، لأن في الكلام دليلاً على ذلك.

وقوله: ﴿تَكَلَّمُ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ﴾.

أَيَّ أَيْدَتِكَ مُكَلِّمًا النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴿وكهلاً﴾ أَيَّ أَيْدَتِكَ كَهْلاً، ^(١) وجائز أن يكون ﴿وَكَهْلاً﴾ محمولاً ^(٢) على تكلم، كأن المعنى أَيْدَتِكَ مخاطباً للناس في صغرك ومخاطباً للناس كهلاً، وقرأ بعضهم: «أَيْدَتِكَ» على أَفْعَلَتِكَ مِنَ الْإِيدِ ^(٣) وقرأ بعضهم أَيْدَتِكَ على فاعلتك أي عاونتك.

وقوله: ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾.

الأكمة قال بعضهم: الذي يولد أعمى، قال الخليل هو الذي يولد أعمى، وهو الذي يَغْمَى بعد أن كان بصيراً.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي، وَبِرُسُولِي﴾.

قال بعضهم: ﴿أُوحِيتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ﴾ أَيَّ أَلْهَمْتُهُمْ كما قال: ﴿وَأُوحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ ^(٤) أَيَّ أَلْهَمَهَا، وقال بعضهم ﴿أُوحِيتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ﴾ [معناه] أمرهم، وأنشدوا قول الشاعر: ^(٥)

الحمد لله الذي استَهَلَّتْ بِإِذْنِهِ السَّمَاءُ وَاطْمَأَنَّتِ
أَوْحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ

قالوا معناه: أمرها.

وقال بعضهم: معنى ﴿وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ﴾: أَتَيْتُهُمْ فِي الْوَحْيِ

(١) ط وأيدتك به كهلاً.

(٢) في ط إلا محمول.

(٣) أي مددتك بهذه القوة.

(٤) سورة النحل ٦٨.

(٥) هو العجاج. ديوانه ه والشرط الأخير في اللسان (وحي). وفي ط وحي لها.

إليك بالبراهين والآيات التي استدلو بها على الإيمان فآمنوا بي .

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِثُونَ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ﴾ .

جائز أن يكون موضع «عيسى» نصباً، كما تقول: يا زيد بن عمرو، لأن ابناً إذا أُضيف إلى اسمٍ معروفٍ علمٍ أو أُضيف إلى كُنيةٍ معروفةٍ جُعِلَ وما قبله كالشيء الواحد فجميع النحويين يختارون يا زيد بن عمرو، وكلهم يجهزون: «يا زيد بن عمرو». وعلى هذا جائز أن يكون موضع عيسى موضع اسم مبني على الضم، قالوا كلُّهم فإن قلت يا زيد بن أخي، ويا زيد ابن الرجل الصالح^(١) فضممت زيدا لا غير. لأن النصب إنما يكون إذا أُضيف ابن إلي علمٍ كما وصفنا. وقد قرئ: هل تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ، و﴿هل يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، فمن قرأ هل تستطيع ربك. فالمعنى هل تستدعي إجابته وطاعته في أن ينزل علينا، ومن قرأها ﴿هل يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ كان معناه هل يقدر ربك .

قال أبو إسحق: وليس المعنى عندي - والله أعلم - أنهم جهلوا أن الله يقدر على أن ينزل مائدة، ولكن وجه السؤال هل ترينا أنت أن ربك يرينا ما سألنا من أجلك من آياتك التي تدل على نبوتك فأما المائدة فقال أبو عبيدة إنها في المعنى مفعولة ولفظها فاعلة، قال: وهي مثل عيشة راضية، وقال إن المائدة من العطاء، والممتاد المفتعل المطلوب منه العطاء، قال الشاعر^(٢):

إِنِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَمَادِ

وَمَادَ زَيْدٌ عَمراً إِذَا أَعْطَاهُ . والأصل عندي في مائدة أنها فاعلة من ماد يميّد إذا تحرّك فكانها تميد بما عليها .

وقيل في التفسير إنها أنزلت عليهم في يوم الأحد وكان عليها خبز

(١) في الأصل «الرجل» وهو غير مناسب .

(٢) هوروبة - من أرجوزة له - وانظر اللسان (ميد) ومجاز أبي عبيدة ١ - ١٥٩ والطبري ٧ - ٨٩ .

وسمك، فالنصارى تجعل الأحد عيداً - فيما قيل^(١) - لذلك، وقال بعضهم إنه لم تُنزل للتَّهْوُدِ الذي وقع في الكفر بعد نزولها، والأشبه أن تكون^(٢) لأنَّ نزلها قد جاء ذكره في هذه القِصَّة.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾.

وقال غير أهل الإسلام إنها نزلت، والأخبار أنها انتهت، فالتصديق بها واجب.

فأما وجه مُسأَلَةِ الحواريين عيسى المائدة فيحمل ضربين أحدهما أن يَكُونُوا أَزْدَادُوا تَبِيئاً، كما قال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾^(٣). وجائز أن تكون مسألتهم المائدة قبل علمهم أنه أبرأ الأكمه والأبرص وأنه أحيا الموتى. وأما قول عيسى للحواريين:

﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

فإنما أَمَرُهُمُ أَلَّا يَقْتَرَحُوا هَمَّ الْآيَاتِ، وأَلَّا يَقُومُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لأنَّ اللَّهَ قَدْ أَرَاهُمُ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينَ بِأَحْيَاءِ الْمَوْتَى وَهُوَ أَوْكَدَ فِيمَا سَأَلُوا وَطَلَبُوا.

وقوله: ﴿قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾.

ذكر سببويه أن اللَّهَ كَالصَّوْتِ وَأَنَّهُ لَا يُوصَفُ، وَأَن رَّبَّنَا مَنْصُوبٌ عَلَى نِدَاءٍ آخَرَ، وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا قَبْلَ شَرْحِ تَامَا^(٤).

ومعنى قوله: ﴿وَأَيَّةٌ مِنْكَ﴾.

(١) لم يكن يوم الأحد عيداً لهم على عهد المسيح، والذي جعل الأحد عيداً هو قسطنطين سنة ٣٢٦.

(٢) أي أن تكون نزلت لأنها ذكرت هنا.

(٣) سورة البقرة - ٢٦٠.

(٤) سبق في شرح الآية: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾ سورة آل عمران.

أي فتكون لنا علامة منك .

وأما قوله: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ فجائز^(١)، أن يكون يُعَجَّلُ لهم العذاب في الدنيا، وجائز أن يكون في الآخرة لقوله: ﴿لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ .

وقوله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ .

فالمسألة ههنا على وَجْهِ التَّوْبِيخِ لِلَّذِينَ ادَّعَوْا عَلَيْهِ لَأَنَّهُمْ مُّجْمِعُونَ أَنَّهُ صَادِقُ الْخَبَرِ وَأَنَّهُ لَا يَكْذِبُهُمْ وَ[هو] الصَّادِقُ عِنْدَهُمْ فَذَلِكَ أَوْكَدُ فِي الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَأَبْلَغُ فِي تَوْبِيخِهِمْ، وَالتَّوْبِيخُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقُوبَةِ^(٢) .

قال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ . أي براء أنت من السوء^(٣) .

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ .

وأما قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ .

و«الْغُيُوبِ» بالكسر والضم^(٤) .

قال أبو إسحق: هذا موضع أعني ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ يُلَبَّسُ بِهِ أَهْلُ الْإِلْحَادِ عَلَى مَنْ ضَعُفَ عِلْمُهُ بِاللُّغَةِ وَلَا تَعْلَمُ حَقِيقَةَ هَذَا إِلَّا مِنَ اللُّغَةِ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: النَّفْسُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ تَجْرِي عَلَى ضَرْبَيْنِ أَحَدُهُمَا قَوْلُكَ خَرَجَتْ نَفْسُ فُلَانٍ وَفِي نَفْسِ فُلَانٍ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا . وَالضَّرْبُ الْآخَرُ مَعْنَى النَّفْسِ فِيهِ مَعْنَى جُمْلَةِ الشَّيْءِ وَمَعْنَى حَقِيقَةِ الشَّيْءِ، قَتَلَ

(١) في الأصل بدون فاء .

(٢) أي عقوبة بحتة، وفي ب من صنف أي نوع منها .

(٣) أي أنزهك والظاهر أنها تعجب .

(٤) في الأصل بعد هذا «أي في اللغتين جميعاً» وليس في ك .

فلان نفسه، وأهلك فلان نفسه، فليس معناه أن الإهلاك وقع ببعضه، إنما الإهلاك وقع بذاته كلها، ووقع بحقيقته، ومعنى تعلم ما في نفسي، أي تعلم ما أضمره، ولا أعلم ما في نفسك. لا أعلم ما في حقيقتك وما عندي علمه، فالتأويل أنك تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم، ويدل عليه: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

فإنما هو راجع إلى الفائدة في المعلوم والتوكيد أن الغيب لا يعلمه إلا الله جل ثناؤه.

وقوله: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

جائز أن تكون^(١) في معنى «أي» مفسرة، المعنى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أي اعبدوا، ويجوز أن تكون «أن» في موضع جرٍّ على البدل من الهاء، وتكون «أن» موصولة بـ ﴿اعبدوا الله﴾ ومعناه إلا ما أمرتني به بأن يعبدوا الله، ويجوز أن يكون موضعها نصباً على البدل، من ما، المعنى ما قلت لهم شيئاً إلا أن اعبدوا الله، أي ما ذكرت لهم إلا عبادة الله.

وقوله: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

معنى قول عيسى [عليه السلام] وإن تغفر لهم، اختلف أهل النظر في تفسير قول عيسى: ﴿إِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ﴾، فقال بعضهم معناه إن تغفر لهم كذبهم عليّ، وقالوا لا يجوز أن يقول عيسى عليه السلام: إن الله يجوز أن يغفر الكفر، وكأنه^(٢) على هذا القول: إن تغفر لهم الحكاية فقط، هذا قول أبي

(١) أي «أن» في أن اعبدوا.

(٢) ط فكانه.

العباس محمد بن يزيد، ولا أدري (أشياء) ^(١) سَمِعَهُ أَمْ اسْتَخْرَجَهُ، والذي عندي والله أعلم، أن عيسى قد علم أن منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر، فقال عيسى في جملتهم. إِنْ تُعَذِّبُهُمْ أَيُّ إِنْ تُعَذِّبُ مِنْ كُفْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَأَنْتَ الْعَادِلُ عَلَيْهِمْ لِأَنَّكَ أَوْضَحْتَ لَهُمُ الْحَقَّ وَكُفَرُوا بَعْدَ وَجُوبِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ تُغْفِرْ لِمَنْ أَقْلَعَ مِنْهُمْ وَآمَنَ فَذَلِكَ تَفْضِيلُكَ مِنْكَ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَكَ أَلَّا تُقْبِلَهُمْ وَأَلَّا تُغْفِرَ لَهُمْ بَعْدَ عَظِيمِ فِرْيَتِهِمْ، وَأَنْتَ فِي مَغْفِرَتِكَ لَهُمْ عَزِيزٌ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْكَ مَا تَرِيدُ، «حَكِيمٌ» فِي ذَلِكَ.

وقال بعض الناس: جائز أن يكون الله لم يُعْلَمْ عِيسَى أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الشُّرْكَ، وهذا قول لا يعرج عليه لأن قوله [تعالى] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ لا يخص شيئاً من أمة محمد ﷺ، دون غيرها، لأن هذا خبرٌ والخبر لا ينسخ، وهذا القول دار في المناظرة ^(٢) وليس شيئاً يعتقده أحد يوثق بعلمه.

وقوله: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.

القراءة برفع «اليوم» ونصب «اليوم» جميعاً، فأما من رفع اليوم فعلى خبر هذا اليوم، قال الله اليوم ذو منفعة صدق الصادقين ومن نصب فعلى أن يوم منصوب على الظرف، المعنى قال الله: هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم، أي قال الله هذا في يوم القيامة ^(٣)، ويجوز أن يكون قال الله هذه الأشياء وهذا الذي ذكرناه يقع في يوم ينفع الصادقين صدقهم، وزعم بعضهم أن يوم منصوب لأنه مضاف إلى الفعل ^(٤)، وهو في موضع رفع بمنزلة يومئذ

(١) ليست في ط.

(٢) كلام دار في مناظرة بين هذا القائل وغيره، ولم يكن تقريراً لهذه المسألة. فلا ينبغي أن يعول عليه.

(٣) فهو ماضٍ بمعنى المستقبل أي سيقوله.

(٤) أي أنه مضاف للجملة الفعلية.

مبني على الفتح في كل حال، وهذا عند البصريين خطأ، لا يجيزون هذا يومَ آتيك يريدون هذا يومَ إتيانك لأن آتيك فعلٌ مضارع، فالإضافة إليه لا تنزّل الإعراب عن جهته ولكنهم يجيزون ذلك يومَ نفعٌ زیداً صدُّقه، لأن الفعل الماضي غيرُ مضارع، فهي إضافة إلى غير متمكن وإلى غير ما ضارع المتمكن، وفيها وجه ثالث. ﴿هذا يومٌ يَنفَعُ الصّادِقِينَ﴾ بتنوين «يوم» على إضمّار ﴿هذا يومٌ يَنفَعُ فيه الصّادِقِينَ صدقهم﴾، ويكون كقوله: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾^(١).

ومثله قول الشاعر: ^(٢)

وما الدهر الا تارتان فمئهما أموت وأخرى ابتغي العيش أكدح
المعنى فمئهما تارة أموت فيها.

(١) سورة البقرة آية ٤٨، ١٢٣.

(٢) لثميم بن عقيل - وبعده:

وكلتاها قد خط لي في صحيفة فلا العيش أهوى لي ولا الموت أروح
أي الدهر ذو حالتين احدهما أموت بها، والأخرى أود العيش معها مع كونه عسيراً شاقاً، وكلتا الحالتين مكتوبة في اللوح المحفوظ، فلا العيش أحب إليّ ولا الموت أهناً لي.
انظر الخزانة ٢ - ٣٠٨. معاني الفراء - ٢ - ١٤٢، الكامل ٥٣٨ ط مصر، شواهد الكشف.
سبويه ح ٢ - ٣٤٦.

جاء في ك. بعد هذا.

تمت المجلة الأولى من معاني القرآن للزجاج بحمد لله ومنه، وصلى الله على النبي وعلى آله، ويليه السورة التي تذكر فيها الأنعام.
وبهذا انتهت النسخة ك.



سورة الأنعام



بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو إسحق: بلغني من حيث أئق به^(١) أن سورة الأنعام نزلت كلها جملة واحدة، نزل بها سبعون ألف ملك لهم رَجُلٌ بالتسبيح^(٢)، وأن أكثرها احتجاج على مشركي العرب. على من كَذَّب بالبعث والنشور، فابتدأ الله عز وجل بحمده فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

فذكر أعظم الأشياء المخلوقة^(٣) لأن السماء بغير عمد ترونها والأرض غير مائدة بنا، ثم ذكر الظلمات والنور، وذكر أمر الليل والنهار، وهو مما به قوام الخلق، فأعلم الله عز وجل أن هذه خَلَقٌ له، وأن خالقها لا شيء مثله، وأعلم مع ذلك أن الذين كفروا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ، أي يجعلون لله عَدِيلاً، فيعبدون الحجارة المَوَات، وهم يَقْرُونَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ مَا وَصَف، ثم أعلمهم الله عز وجل أَنَّهُمْ خَلَقُهُمْ مِنْ طِينٍ، وذكر في غير هذا الموضع أحوال المخلوقين في النطف والعلق والمضغ المَخْلَقَةِ وَغَيْرِ المَخْلَقَةِ، وذلك أن المشركين شكوا في البعث وقالوا: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾؟ فأعلمهم

(١) الضمير يعود على المصدر المفهوم من الجملة من حيث أئق بهذا البلاغ أو بمن بلغني به.

(٢) صوت كصوت الحمام.

(٣) مخلوقة له.

عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الَّذِي أَنْشَأَهُمْ وَأَنْشَأَ الْعِظَامَ وَخَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ قَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهَا، وَهُوَ يُحْيِيهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾.

أَيَّ جَعَلَ لِحَيَاتِكُمْ أَجَلًا أَيَّ وَقَاتَاحِيُونَ فِيهِ، ﴿وَأَجَلٌ﴾^(٢) مُسَمًّى عِنْدَهُ يَعْنِي أَمْرَ السَّاعَةِ وَالْبَعْثِ، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ. ﴿تَمْتَرُونَ﴾ أَيَّ تَشْكُونَ. وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾.

«فِي» مَوْصُولَةٌ^(٣) فِي الْمَعْنَى بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اسْمُ اللَّهِ، الْمَعْنَى هُوَ الْخَالِقُ الْعَالَمَ بِمَا يَصْلُحُ بِهِ أَمْرُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، الْمَعْنَى هُوَ الْمَتَفَرِّدُ بِالتَّدْبِيرِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْ قُلْتُ هُوَ زَيْدٌ فِي الْبَيْتِ وَالْدَارِ لَمْ يَجْزِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ زَيْدًا يَدْبِرُ أَمْرَ الْبَيْتِ وَالْدَارِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى هُوَ الْمُدَبِّرُ فِي الدَّارِ وَالْبَيْتِ، وَلَوْ قُلْتُ هُوَ الْمُعْتَصِدُ الْخَلِيفَةُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، أَوْ قُلْتُ هُوَ الْمُعْتَصِدُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ جَازَ عَلَى هَذَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا بَعْدَ خَبَرٍ كَأَنَّهُ قِيلَ إِنَّهُ هُوَ اللَّهُ، وَهُوَ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ، وَمِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ الْأَوَّلِ ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾^(٤) وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ، أَيُّ هُوَ الْمَعْبُودُ فِيهِمَا، وَهَذَا نَحْوُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ.

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. دَلٌّ بِهَذَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ، وَقَدْ ذُكِرَ اسْتَهْزَؤُهُمْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ، وَمَعْنَى إِيْتَانِهِ أَيُّ تَأْوِيلُهُ: الْمَعْنَى سَيَعْلَمُونَ مَا يؤولُ إِلَيْهِ اسْتَهْزَؤُهُمْ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾.

(١) مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، أَنْشَأَهَا مِنْ عَدَمٍ. (٢) فِي الْأَصْلِ: وَأَجَلًا.

(٣) مُرْتَبِطَةٌ وَمُتَّصِلَةٌ.

(٤) الزَّخْرَفُ ٨٤.

موضع «كم» نصب بأهلكنا، إِلَّا أَنْ هَذَا الاستفهام لا يعمل فيه مَا قَبْلَهُ وَقِيلَ الْقُرْنُ ثَمَانُونَ سَنَةً وَقِيلَ سَبْعُونَ، والذي يقع عندي - والله أعلم - أَنْ الْقُرْنُ أَهْلُ مُدَّةٍ كَانَ فِيهَا نَبِيٌّ أَوْ كَانَ فِيهَا طَبَقَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، قُلَّتِ السَّنُونَ أَوْ كَثُرَتْ، والدليل على هذا قول النبي ﷺ خَيْرَكُمْ قُرْنِي، أَيِ أَصْحَابِي، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ يَعْنِي التَّابِعِينَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ يَعْنِي الَّذِينَ أَخَذُوا^(١). عَنِ التَّابِعِينَ. وجائز أن يكون القرن لجملة الأمة وهؤلاء قُرُونٌ فيها.

وإنما اشتقاق القرن من الاقتران، فتأويله أَنْ الْقُرْنُ^(٢) الَّذِينَ كَانُوا مُقْتَرِنِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَالَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدَهُمْ ذَوُو اقْتِرَانٍ آخَرِ. وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا﴾.

أَيِ ذَاتِ غَيْثٍ كَثِيرٍ، وَمِفْعَالٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْمِبَالِغَةِ يُقَالُ دِيمَةً مِذْرَارٌ، إِذَا كَانَ مَطَرُهَا غَزِيرًا دَائِمًا، وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ امْرَأَةً مِذْكَارًا، إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةَ الْوَلَادَةِ لِلذَّكَورِ، وَكَذَا مِثْنَاتٌ فِي الْإِنَاثِ^(٣).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

أَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُمْ قَدْ أَصْلَحُوا^(٤) فِي السَّيِّئِ الْبَاطِلِ فِي دَفْعِ النَّبَوَةِ، لِأَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْا الْقَمَرَ انشَقَّ فَأَعْرَضُوا، وَقَالُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ.

وكذلك يقولون في كل ما يَعْجِزُ عَنْهُ الْمَخْلُوقُونَ سِحْرًا، هَذَا عَيْنُ الدَّفْعِ

(١) تلقوا.

(٢) القوم.

(٣) فِي الْكَثِيرَةِ الْإِنَاثِ.

(٤) تَأَصَّلُوا.

لغاية الحق والنور الساطع المبين، فلو رأوا الكتاب ينزل من السماء لقالوا
سِحْرٌ كما أنهم قالوا في انشقاق القمر سحر.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾.

يعنون على النبي ﷺ.

﴿وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾.

يعني - والله أعلم - أن الآيات مما لا يَقَعُ مَعَهُ إِنْظَارٌ^(١).

ومعنى ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي لثم بإهلاكهم. و «قُضِيَ» في اللغة على ضروبٍ
كُلِّهَا يَرْجِعُ إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه، فمنه قوله [تعالى]: ﴿ثُمَّ قُضِيَ
أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ معناه ثُمَّ حَتَمَ^(٢) بعد ذلك فأتته، ومنه الأمر وهو
قوله: ﴿وَقُضِيَ رَبُّكَ الْأَتْعِدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٣) معناه أَمَرَ إِلَّا أَنَّهُ أَمْرٌ قَاطِعٌ حَتَمٌ،
ومنه الإعلام وقوله: ﴿وَقُضِينَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي
الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾^(٤) أي أعلمناهم إعلاماً قاطعاً، ومنه القضاء الفصل في
الحُكْمِ، وهو قوله: وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ومثل ذلك قولك قَدْ قُضِيَ
القَاضِي بَيْنَ الْخُصُومِ، أي قد قطع بينهم في الحكم، ومن ذلك قد قضى
فُلَانٌ دَيْنَهُ، تأويله قطع ما لغريمه عليه فأداه إِلَيْهِ وَقَطَعَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وكل ما
أُحْكِمَ فَقَدْ قُضِيَ، تقول قد قضيت هذا الثوب، وقد قُضِيَتْ هَذِهِ الدَّارُ إِذَا
عَمِلَتْهَا وَأَحْكَمْتَ عَمَلَهَا، قال أبو ذؤيب الهذلي^(٥):

وعليهما مسرودتان قضاهما داود، أو صنَع السَّوَابِغَ تَبَع

(١) أي مهله.

(٢) أي قضى بمعنى حتم هنا - أي أوجب.

(٣) الإسراء: ٢٣.

(٤) الإسراء آية: ٤.

(٥) ديوان الهذليين ١٩، اللسان (تبع) القرطبي ٢ - ٨٧، مجاز أبي عبيد ١ - ٥٢.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ .

أي لو أرسلنا إليهم ملكاً لم نرسله إلا في صورة إنسان، لأن الملك فيما قيل لو نظر إليه ناظرٌ على هيئته لصعق، وكانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الأنس، فمن ذلك أن جبريل كان يأتي النبي عليه السلام إذا نزل بالوحي في صورة دحية الكلبي ومنه نبأ الخصم إذ تسوَّروا المحراب، لأنَّهُما وردا على داود وهما ملكان في صورة رجلين يختصمان إليه^(١)، ومنه أن الملائكة أتت إبراهيم في صورة الضيفان وكذلك أتت لوطاً، فلذلك قيل: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ .

وقوله عز وجل: ﴿وَلَلْبَسَاءَ عَلَيْهِمْ مَا يَلْبُسُونَ﴾ .

يقال لبست الأمر على القوم ألبسه إذا شَبَّهْتُهُ عَلَيْهِمْ، وأَشَكَلْتُهُ عَلَيْهِمْ، وكانوا هم يَلْبُسُونَ عَلَى ضَعْفَتِهِمْ في أمر النبي ﷺ فيقولون: إنما هذا بشر مثلكم فقال لو أنزلنا ملكاً فأرأوا هُم المَلَكُ رَجُلًا لكان يَلْحَقُهُمْ فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم .

وقوله: ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ .

الحَقِيقُ في اللغة ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(٢)، أي لا ترجع عاقبة مَكْرُوهِهِ إِلَّا عَلَيْهِمْ .

وقوله عز وجل: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ .

الله عز وجل تفضل على العباد بأن أمهلهم عند كفرهم وإقدامهم على

(١) يتقاضيان وقصتهما في سورة ص آية ٢١ وما بعدها .

(٢) سورة فاطر ٤٣ .

كَبَائِرَ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ بِأَن أُنْظِرُهُمْ وَعَمَّرَهُمْ وَفَسَحَ لَهُمْ لِيَتُوبُوا، فَذَلِكَ كَتَبَهُ الرَّحْمَةُ عَلَى نَفْسِهِ، فَأَمَّا ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فهو احتجاج على المشركين الذين دفعوا البعث، فقال عز وجل: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [أي] إلى اليوم الذي أنكرتموه، كما تقول قد جمعت هؤلاء إلى هؤلاء، أي ضمنت بينهم في الجمع.

وقوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.

ذكر الأخفش أن «الذين» بدل من الكاف والميم^(١)، المعنى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم إلى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به، والذي عندي أن قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾. في موضع رفع على الابتداء^(٢)، وخبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، لأن «لِيَجْمَعَنَّكُمْ» مشتمل على سائر الخلق، على الذين خسروا أنفسهم وَغَيْرِهِمْ، وهذه اللام في ليجمعنكم لام قسم، فجاء أن يكون تمام الكلام كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، ثم استأنف فقال لِيَجْمَعَنَّكُمْ، وكأن المعنى: وَاللَّهِ لِيَجْمَعَنَّكُمْ، وجائز أن يكون ليجمعنكم بدلاً من الرحمة مُفَسَّرًا لها، لأنه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسر رحمته بأنه يمهلهم إلى يوم القيامة، ويكون في الإمهال ما فسرنا آنفاً.

وقوله: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

هذا أيضاً احتجاج على المشركين لأنهم لم يُنْكِرُوا أَنَّ مَا اسْتَقَرَّ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِلَّهِ، أي هو خالقه ومُدَبِّرُهُ، فالذي هو كذلك قادر على إحياء الموتى، ثم زَادَ في الاحتجاج والبيان فقال عز وجل:

﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

(١) أي في ليجمعنكم، والقاعدة العامة في الإبدال من ضمير الحاضر لا تجزئه.

(٢) هذا رأي له خاصة، ولا يوافقه جمهور النحويين لوجود الفاء في الخبر.

أَي خَالِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلُ فَقَوْلُهُ : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (١) معناه انشقت فكيف يكون الْفَطْرُ فِي مَعْنَى الْخَلْقِ وَالْانْفِطَارُ فِي مَعْنَى الْانْشِقَاقِ؟ فَإِنِهَا يَرْجِعَانِ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، لِأَنَّ مَعْنَى فَطَرَهُمَا خَلَقَهُمَا خَلْقًا قَاطِعًا، وَالْانْفِطَارُ وَالْفُطُورُ تَقْطَعُ وَتَشَقُّقٌ .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ .

وَيُقْرَأُ «وَلَا يُطْعَمُ»، وَالِاخْتِيَارُ عِنْدَ الْبَصَرَاءِ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ بَفَتْحِ الْيَاءِ فِي الثَّانِي . قَالُوا مَعْنَاهُ : وَهُوَ يَرْزُقُ وَيُطْعِمُ وَلَا يَأْكُلُ لِأَنَّهُ الْحَيُّ الَّذِي لَيْسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ، وَمَنْ قَرَأَ وَلَا يُطْعَمُ فَالْمَعْنَى أَنَّهُ الْمَوْلَى الَّذِي يَرْزُقُ وَلَا يَرْزُقُ، كَمَا أَنَّ بَعْضَ الْعَبِيدِ يَرْزُقُ مَوْلَاهُ . وَالِاخْتِيَارُ فِي «فَاطِرِ» الْجَرُّ لِأَنَّهُ مِنْ صِفَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَالرَّفْعُ وَالنَّصَبُ جَائِزَانِ عَلَى الْمَدْحِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، فَمَنْ رَفَعَ فَعَلَى إِضْمَارٍ هُوَ . الْمَعْنَى هُوَ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، وَمَنْ نَصَبَ فَعَلَى مَعْنَى أَذْكَرَ، وَأَعْنِي بِهَذَا الْاِحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ مَنْ فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْشَأَ مَا فِيهِمَا وَأَحْكَمَ تَدْبِيرَهُمَا وَأَطْعَمَ مِنْ فِيهِمَا فَهُوَ الَّذِي لَيْسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ .

وَقَوْلُهُ : ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمُنْذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ .

أَيُّ مَنْ يُصْرِفُ اللَّهُ عَنْهُ الْعَذَابَ يَوْمُنْذٍ - يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ فِيهِ، وَتُقْرَأُ أَيْضًا مَنْ يُصْرِفُ عَنْهُ يَوْمُنْذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ، أَيُّ مَنْ يُصْرِفُ عَنْهُ الْعَذَابَ يَوْمُنْذٍ .

وَقَوْلُهُ : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً، قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ .

(١) الْانْفِطَارُ - ١ .

والشاهد هو المُبَيَّن لدَعْوَى المدْعِي، فأمر الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهَ بِأَنْ يَحْتَجَّ عَلَيْهِم بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ الْأَرْضَ وَخَلَقَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ، وَخَلَقَهُمْ أَطْوَاراً عَلَى مَا بَيَّنَّ فِي كِتَابِهِ، وَأَمَرَ أَنْ يَعْلِمَهُمْ أَنَّ شَهَادَةَ اللَّهِ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ، وَإِقَامَةَ الْبِرَاهِينِ فِي تَوْحِيدِهِ أَكْبَرُ شَهَادَةٍ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي أَتَى بِهِ يَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُهُ فَقَالَ: ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، الَّذِي اعْتَرَفْتُمْ بِأَنَّهُ خَالِقُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ:

﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرْكُمْ بِهِ﴾.

ففي الإنذار دليل على نبوته، لأنه لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِهِ، وَلَا يَأْتِي بِمِثْلِهِ لِأَنَّ فِيهِ أَخْبَارُ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، جَاءَ بِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ الْكُتُبَ، وَأَنْبَأَ بِمَا سَيَكُونُ، وَكَانَ مَا أَنْبَأَ بِهِ حَقًّا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) وَكَانَ ﷺ مَعْصُوماً مِنْهُمْ، وَقَالَ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى السَّائِرِينَ كُلَّهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢) فَأُظْهِرَ اللَّهُ دِينَ الْإِسْلَامِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ بِالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ، وَغَلَبَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَكْثَرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَقَالَ فِي الْيَهُودِ. وَكَانُوا فِي وَقْتِ مَبْعَثِهِ أَعَزَّ قَوْمٍ وَأَمْتَنَهُ^(٣): ﴿وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ﴾^(٤)، فَهُمْ أَذِلَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَأَنْبَأَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَأَتَى بِهِ مُؤَلِّفاً تَأْلِيفاً لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَأْتِيَ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ لِيَأْتُوا بِسُورَةٍ [مِنْ مِثْلِهِ] خُطْبَاءُ شُعْرَاءَ لَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ أَوْجَزُ مِنَ الْكَلَامِ الْمُنْتَوَرِ، وَالْمُوزُونِ، فَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ.

وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ أَيُّ يَعْرِفُونَ محمداً ﷺ أَنَّهُ نَبِيُّ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَيُرَوَّى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ

(١) سورة المائدة الآية ٦٧. (٢) سورة التوبة آية ٣٣ والصف آية ٩ والفتح. آية ٢٨.

(٣) أَمْعَ قَوْمٍ - أَعَادَ الضَّمِيرُ عَلَى اللَّفْظِ وَلَمْ يَكُونُوا أَعَزَّ بَلْ كَانُوا أَثْرِيَاءَ.

(٤) سورة البقرة ٦١.

لَعَبَدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ: يَا أَبَا حَمْزَةَ: هل عرفت محمداً كما عرفت ابنك؟ قال نعم، لأن الله بعث أَمِينَهُ في سَمَائِهِ إِلَى أَمِينِهِ في أَرْضِهِ بِنِعَتِهِ فَعَرَفْتُهُ، فَأَمَّا ابْنِي فَمَا أَدْرِي مَا أَحَدَثَتْ أُمُّهُ. فقال صدقت يا حمزة^(١).

وقوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.

رفع على نعت ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ وجائز أن يكون على الابتداء. ويكون ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خبره.

والذين خسروا أنفسهم الأشبه أن يكون ههنا يعني به أهل الكتاب؛ وجائز أن يكون يعني به جملة الكفار من أهل الكتاب وغيرهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾.

إِنْ شِئْتَ نَصَبْتَ «فَتَنَّهُمْ» عَلَى خَبَرٍ يَكُنْ، ويكون أَنْ قَالُوا هو الاسم وأنت «تكن» وهو^(٢) ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ لأن «أَنْ قَالُوا» ههنا هو الفتنة. ويجوز أن يكون تأويل «أَنْ قَالُوا» إِلَّا مَقَالَتَهُمْ. ويجوز رفع الفتنة وتأنيث «تكن» ويكون الخبر «أَنْ قَالُوا» والاسم فِتْنَتَهُمْ. ويجوزُ ثم لَمْ يَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا، فتذكر «يكن» لأنه معلق بأن قَالُوا، ويجوزُ ثم لم يكن فتنتهم بالياء ورفع الفتنة، لأن الفتنة والافتتان في معنى واحد.

وتأويل هذه الآية تأويل حسن في اللغة لطيف لا يفهمه إلا من عرف معاني الكلام وتَصَرَّفَ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ذَكَرَ فِي هَذِهِ

(١) هو عبد الله بن سلام بن الحرث - من ذرية النبي يوسف عليه السلام - كان حليف النواقل من الخزرج - وكان من بني قينقاع - كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبد الله، أسلم حين دخل النبي المدينة، وروى عنه عدد من الصحابة كما روى عنه أبناه محمد ويوسف، وفيه نزلت الآية ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ والآية: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ - ووقف بجانب عثمان في محنته ومات سنة ٤٣ هـ. انظر: الإصابات ٤٧٢٥.

(٢) اسم يكن: أي وهو يعود على المصدر في «أَنْ قَالُوا».

الْأَقَاصِيصِ الَّتِي جَرَتْ فِي أَمْرِ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ مُفْتَتِنُونَ بِشُرِكِهِمْ . أَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ افْتِنَانُهُمْ بِشُرِكِهِمْ ، وَإِقَامَتُهُمْ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ تَبَرَّأُوا مِنْهُ وَانْتَفَوْا مِنْهُ ، فَحَلَفُوا أَنَّهُمْ مَا كَانُوا مُشْرِكِينَ .

وَمِثْلُ ذَلِكَ فِي اللُّغَةِ أَنَّ تَرَى إِنْسَانًا يُحِبُّ غَاوِيًا^(١) ، فَإِذَا وَقَعَ فِي هَلَكَةٍ تَبَرَّأَ مِنْهُ ، فَتَقُولُ لَهُ مَا كَانَتْ مُحِبَّتُكَ لِفُلَانٍ إِلَّا أَنْ انْتَفَيْتَ مِنْهُ .

وَيَجُوزُ ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا﴾ عَلَى جَرِّ رَبَّنَا عَلَى النِّعَةِ وَالشَّاءِ لِقَوْلِهِ «وَاللَّهُ» .
وَيَجُوزُ ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا﴾ بِنَصْبِ رَبَّنَا ، وَيَكُونُ النَّصْبُ عَلَى وَجْهَيْنِ ، عَلَى الدَّعَاءِ ، قَالُوا وَاللَّهُ يَا رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ . وَيَجُوزُ نَصْبُهُ عَلَى أَعْنِي : الْمَعْنَى أَعْنِي رَبَّنَا ، وَأَذْكُرُ رَبَّنَا ، وَيَجُوزُ رَفْعُهُ عَلَى إِضْمَارِ هُوَ ، وَيَكُونُ مَرْفُوعًا عَلَى الْمَدْحِ .
وَالْقِرَاءَةُ الْجَرُّ وَالنَّصْبُ ، فَأَمَّا الرِّفْعُ فَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا قَرَأَ بِهِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أَكِنَّةٌ أَنْ يَفْقَهُوهُ .

«أَكِنَّةٌ» جَمْعُ كِنَانٍ وَهُوَ الْغِطَاءُ ، مِثْلُ عِنَانٍ وَأَعِنَّةٍ ، فَأَمَّا ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ فَمَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَالْمَعْنَى وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ، لِكِرَاهَةِ أَنْ يَفْقَهُوهُ فَلَمَّا حَذَفَتْ اللَّامُ نَصَبَتْ الْكِرَاهَةَ ، وَلَمَّا حَذَفَتْ الْكِرَاهَةُ انْتَقَلَ نَصْبُهَا إِلَى أَنْ^(٢) .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ .

الْوَقْرُ ثِقْلُ السَّمْعِ [وَهُوَ] بِالْفَتْحِ^(٣) ، يُقَالُ فِي أُذُنِهِ وَقْرٌ ، وَقَدْ وَقِرَتْ الْأُذُنُ تَوَقَّرَ^(٤) ، قَالَ الشَّاعِرُ :^(٥)

(١) إِنْسَانًا يُحِبُّ شَخْصًا ضَالًّا لَيْسَ عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى .

(٢) إِلَى الْمَصْدَرِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ .

(٣) قَرَأَ طَلْحَةَ بِكَسْرِ الْوَاوِ .

(٤) فِي الْقَامُوسِ وَقْرٌ كَوَجَلٌ وَنَصْرٌ وَوَفَرٌ كَعْنَى .

(٥) أَيِ تَصَامَمَتْ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ ، وَأَنَا صَحِيحُ الْأُذُنِ أَسْمَعُهُ وَالْبَيْتُ لِلْمُتَقَبِّ الْعَبْدِيِّ وَبَعْدَهُ :

وَكَلَامٍ سَيِّئٍ قَدْ وَقَرْتُ أَذْنِي مِنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ

والوَقْر - بكسر الواو - أن يحمل البعير أو غيره مقدار ما يطيق ، يقال عليه وَقْرٌ ، وَنَحْلَةٌ مَوْقَرٌ وَمَوْقَرَةٌ بالكسر أكثر ، ومَوْقَرٌ مِثْلُ مَرْضِعٍ ، أي ذات وَقْرٍ ، كما أن تلك ذات رَضَاعٍ . وإنما فعل بهم ذلك مجازاة لهم بإقامتهم على كُفْرِهِمْ ، وليس المعنى أنهم لم يَفْهَمُوهُ ولم يَسْمَعُوهُ ، ولكنهم لَمَّا عَذَّلُوا عَنْهُ وَصَرَّفُوا فِكْرَهُمْ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ ، في سوء العاقبة كانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع .

وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ .

أي كل علامة تدلهم على نبوتك ، ثم أعلم الله عز وجل مقدار احتجاجهم وجدلهم وأنهم إنما يستعملون في الاحتجاج أن يقولوا هذا أساطير الأولين ، ويقولون افترى على الله كذباً ، فأعلم الله عز وجل أنهم ليس يعارضون ما احتج به عليهم من الحق ، حيث قيل لهم : ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(١) ، وحيث شق لهم القمر ، وحيث أنزل على نبيه عليه السلام ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢) . فما أتى أحد بسورة ولا قدر على ضر النبي ﷺ ولا على قتله ، وأنبأ عز وجل بما سيكون في كتابه فوجد ذلك أجمع . فقال الله عز وجل :

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ .

واحدها إسطارٌ ، وأسطورةٌ . وتأويل السطر في اللغة أن تجعل شيئاً مُمتداً

= فتصاممت لكيما لا يرى جاهل أني كما كان زعم

انظر اللسان (زعم) .

(١) سورة البقرة آية ٢٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٦٧ .

مؤلفاً، فمن ذلك سَطَرُ الكتاب، يقال: سَطَرْتُ وَسَطَرْتُ، فمن قال سطر جمعه أسطار، قال رؤبة^(١).

إني وأسطار سُطِرْنَ سَطَرًا لقائل: يا نصر، نصرًا نصرًا
وجمع أسطار أساطير، فعلى هذا - عندي - أساطير الأولين.
ومن قال سَطَرْتُ. فجمعهُ أسطُرْتُ، وجمعُ الجمع أساطِرَةٌ، وأساطير قال
الشماخ في جمع سَطَر: (٢)

كما خط عبرانية يمنية بتماء جبر ثم عرض أسطرا
وقوله عز وجل: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾.

أي عن النبي ﷺ أَنْ يُتَّبَعَ، وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ، أَي يَتَّبَعُدُونَ عَنْهُ، يقال: نَأَيْتُ عن الشيء أَنَا نَيْئًا، إِذَا بَعُدْتَ عَنْهُ، وَالتَّوَيَّ حَاجِزٌ يُجَعَلُ حَوْلَ الْبَيْتِ لِكَلِّ يَدْخُلُهُ الْمَاءُ مِنْ خَارِجٍ، تَحْفَرُ حَفِيرَةٌ حَوْلَ الْبَيْتِ فَيُجَعَلُ تَرَابُهَا عَلَى شَفِيرِ الْحَفِيرَةِ، فَيَمْنَعُ التَّرَابُ الْمَاءَ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ خَارِجٍ، وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنَ النَّارِ أَي مَبَاعِدٌ لِلْمَاءِ مِنَ الْبَيْتِ.

وقال بعضهم: إنه يعنى به بعض أهل النبي ﷺ، أي وهم ينهون عن أذى النَّبِيِّ ﷺ وَيَتَّبَعُدُونَ عَنْهُ، أَي لَا يَتَّبِعُونَهُ. والكلام مُتَّصِلٌ بِذِكْرِ جَمَاعَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالْمَشْرِكِينَ.

(١) الديوان ١٧٤، مجاز أبي عبيدة ٢ - ٢٣٠، الخزانة للشاهد ١١٧ ج ٢ - ١٩٠ شواهد الكشف (ط السلفية) والضبري ٢٧ - ٩ وكان رؤبة أراد الدخول إلى نصر بن سيار وهو والي خراسان فمنعه حاجبه، وكان يسمى نصرًا أيضاً، ويروى البيت. يا نصر نصر نصرًا - نصر الأولى لابن سيار والثانية للحاجب، أي يا نصر الوالي. نصر الحاجب منعي، ونصرا بمعنى أنصرتني.
(٢) الحبر والحبر - بفتح الباء وكسرها - واختلف أيهما أفصح وهو عالم، وأخذ أجبار اليهود - أنظر المدان (حبر - عرض) وعرض الأسطر بهما ولم يبينها.

والقول الأول أشبه بالمعنى .

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ .

القراءة - أكثرها بالفتح والتفخيم^(١)، والإمالة حسنة جيّدة، وهي مذهب أبي عمرو. أعني كسر الألف من^(٢) «النَّارِ»، وإنما حُسِنَت الإمالة في قوله: ﴿كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٣)، وأصحاب النَّارِ، لأن الرءاء بعد الألف مكسورة، وهي حرف كأنه مُكْرَّرٌ في اللسان، فصارت الكسرة فيه كالكسرتين .

ومعنى ﴿وَقَفُوا﴾ على النَّارِ يحتمل ثلاثة أوجه - جائز أن يكونوا عَائِنُوهَا، وجائز أن يكونوا عليها وَهَيَّ تَحْتَهُمْ، والأجود أن يكون معنى وقفوا على النار أدخلوها فَعَرَفُوا مقدارَ عَذَابِهَا، كما تقول في الكلام: قد وَقَفْتَ على ما عند فلانٍ، تريد قد فهمته وَبَيَّنَّتهُ .

﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بَيَّاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

أكثر القراءة بالرفع في قوله: وَلَا نُكَذِّبُ [بَيَّاتٍ رَبَّنَا] ويكون المعنى أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا الرَّدَّ، وَضَمُّوا أَنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَ، المعنى: يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ، وَنَحْنُ لَا نَكْذِبُ، بَيَّاتٍ رَبَّنَا رَدِّدْنَا أَمْ لَمْ نُرَدِّ، وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَي قَدْ عَائِنَا وَشَاهَدْنَا مَا لَا نُكَذِّبُ مَعَهُ أَبَدًا .

قال سيبويه مثله دَعْنِي وَلَا أَعُودُ، أَي وَأَنَا لَا أَعُودُ تَرَكْتَنِي أَوْ لَمْ تَتْرُكْنِي، ويجوز الرفع على وجه آخر، على معنى يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ، وَيَا لَيْتَنَا لَا نَكْذِبُ بَيَّاتٍ رَبَّنَا، كَأَنَّهُمْ تَمَنَّوْا الرَّدَّ وَالتَّوْفِيقَ لِلتَّصَدِيقِ، وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الرِّفْعَ وَالنَّصَبَ أَيْضًا فِيهِ جَائِزَانِ، فَأَمَّا النَّصْبُ فَعَلَى يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَتَكُونُ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ

(١) في كلمة النار تفتح النون ولا ترقق الرءاء .

(٢) إمالتها .

(٣) سورة الجمعة آية ٥ .

على الجواب بالواو في التمني كما تقول ليتك تصير إلينا ونكرمك^(١)، المعنى لَيْتَ مَصِيرُكَ يَقَعُ، وَإِكْرَامُنَا، ويكون المعنى: لَيْتَ رُدُّنَا وَقَعَ وَأَنْ لَا نُكْذِبَ، أَيِ إِنْ رُدُّدْنَا لَمْ نَكْذِبْ.

وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾.

أَيِ بَلْ ظَهَرَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوا الْغَوَاةَ مَا كَانَ الْغَوَاةُ يُخْفُونَ عَنْهُمْ مِنْ أَمْرِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ. لِأَنَّ الْمُتَّصِلَ بِهَذَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

فَانْكُرُوا الْبَعْثَ لِيُجَرِّثُوا عَلَى الْمَعَاصِي.

﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾.

قال بعضهم لَو رُدُّوْا وَلَمْ يُعَايِنُوا الْعَذَابَ، لَعَادُوا، كَأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُشَاهِدُوا مَا يَضْطَرُّهُمْ إِلَى الْارْتِدَاعِ، وَهَذَا - عَلَهُ - بَيِّنٌ. لِأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ بُعِثُوا وَعَلِمُوا أَمْرَ الْقِيَامَةِ وَعَايَنُوا النَّارَ، فَالْمَعْنَى أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ عَايَنَ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمَشْرِكِينَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ حَقٌّ فَرَكَنَ إِلَى الرَّفَاهِيَةِ، وَأَنَّ الشَّيْءَ مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ إِلَى أَمَدٍ كَمَا فَعَلَ إِبْلِيسُ الَّذِي قَدْ شَاهَدَ مِنْ بَرَاهِينِ اللَّهِ مَا لَا غَايَةَ بَعْدَهُ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُمْ لَو رُدُّوْا لَعَادُوا لِأَنَّهُمْ قَدْ كَفَرُوا بَعْدَ وُجُوبِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

وقال بعض المفسرين: إِنْ النَّبِيُّ ﷺ سئَلَ فَقِيلَ لَهُ: مَا بِأَهْلِ النَّارِ عَمِلُوا فِي عُمُرٍ قَصِيرٍ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَخُلِدُوا فِي النَّارِ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ عَمِلُوا فِي عُمُرٍ قَصِيرٍ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَخُلِدُوا فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ: إِنْ الْفَرِيقَيْنِ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى أَنَّهُ لَوْ عَاشَ أَبَدًا عَمِلَ بِذَلِكَ الْعَمَلِ.

وقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾.

(١) أَيِ هِيَ وَאוּ الْمَعِيَّةُ، وَهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ.

كُلُّ مَا جَاءَ فُجَاءَةً فَقَدْ بَغَتْ، يُقَالُ قَدْ بَغَتْهُ الْأَمْرُ يَبْغَتْهُ بَغْتًا وَبَغْتَةً، إِذَا أَتَاهُ فُجَاءَةً، قَالَ الشَّاعِرُ: (١)

ولكنهم ماتوا ولم أخشَ بَغْتَةً وَأَقْطَعُ شَيْءَ حِينَ يَفْجُؤُكَ الْبَغْتُ
وقوله: ﴿يَا حَسْرَتْنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾.

إِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا مَعْنَى دُعَاءِ الْحَسْرَةِ، وَهِيَ لَا تَعْقِلُ وَلَا تَجِيبُ؟
فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ إِذَا اجْتَهَدَتْ فِي الْإِخْبَارِ عَنْ عَظِيمٍ تَقَعُ فِيهِ (٢)
جَعَلَتْهُ نِدَاءً، فَلَفْظُهُ لَفْظُ مَا يَنْبَغِي، وَالْمَنْبَغُ غَيْرُهُ، مِثْلُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا حَسْرَتَا
عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (٣)، وَ [قوله]: ﴿يَا وَيْلَتَا أَلَدُّ (٤) وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ (٥)
وَ [قوله]: ﴿يَا وَيْلَتَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾ (٦) . . فهذا أَبْلَغُ مِنْ أَنْ تَقُولَ:
أَنَا حَسِرٌ عَلَى الْعِبَادِ، وَأَبْلَغُ مِنْ أَنْ تَقُولَ: الْحَسْرَةُ عَلَيْنَا فِي تَفْرِيطِنَا.

قَالَ سَيَبَوِيه: «إِنَّكَ إِذَا قُلْتَ يَا عَجِبَاهُ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ احْضُرْ وَتَعَالَ يَا
عَجِبُ فَإِنَّهُ مِنْ أَرْمَانِكَ، وَتَأْوِيلُ «يَا حَسْرَتَاهُ» انْتَبَهُوا عَلَى أَنَّنَا قَدْ خَسِرْنَا» وَهَذَا
مِثْلُهُ فِي الْكَلَامِ فِي أَنَّكَ أَذْخَلْتَ عَلَيْهِ يَا لِلتَّنْبِيهِ، وَأَنْتَ تَرِيدُ النَّاسَ قَوْلَكَ: لَا
أَرَيْتَكَ هَهُنَا، فَلَفْظُكَ لَفْظُ النَّاهِي نَفْسَهُ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَحْتَاجُ
أَنْ يَلْفِظَ بِنَهْيِ نَفْسِهِ دَخَلَ الْمَخَاطَبُ فِي النَّهْيِ فَصَارَ الْمَعْنَى: لَا تَكُونَنَّ هَهُنَا،

(١) هُوَ يَزِيدُ بْنُ ضُبَّةٍ، شَاعِرٌ إِسْلَامِي نَسَبَ لَأُمِّهِ ضُبَّةَ، لِأَنَّ أَبَاهُ «مَقْسَمًا» مَاتَ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَهُوَ مِنْ
مَوَالِي ثَقِيفٍ. أَنْظَرَ الْأَغَانِي ٦ - ١٤٦، (سَاسِي) وَالْكَامِلُ ٥٢٠، وَاللِّسَانُ (بَغْتُ).
يُرِيدُ أَنْ أَحْبَبْتَهُ فَارْقُوهُ حِينَ لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُ فِرَاقَهُمْ، وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَفْاجَأَةُ شَاقَّةً عَلَيْهِ،
وَالْمَفْاجَأَاتُ دَائِمًا شَاقَّةٌ عَلَى النَّاسِ.

(٢) أَمْرٌ عَظِيمٌ يَحْدُثُ لَهَا.

(٣) الزَّمْرُ آيَةُ ٥٦.

(٤) فِي الْأَصْلِ أَلَدٌ، وَهِيَ غَيْرُ قِرَاءَةِ عَاصِمٍ. - وَالْأَلْفُ فِيهَا بَدَلٌ مِنْ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

(٥) سُورَةُ هُودٍ آيَةُ ٧٢.

(٦) سُورَةُ يَسٍّ آيَةُ ٥٢.

فإنك إذا كنت رأيتك، وكذلك يا حَسْرَتنا، قد علم أن الحَسْرَةَ لا تُدْعَى، فوقع التنبيه للمخاطبين.

ومعنى: ﴿فَرَطْنَا فِيهَا﴾: قَدَمْنَا الْعَجْزَ.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾.

أي يحملون ثقل ذُنُوبِهِمْ، وهذا مَثَلٌ. جائز أن يكون جُعِلَ ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يُحْمَلُ، لأن الثَّقل قد يستعمل في الوزر، وفي الحال، فتقول في الحال قد ثقل عليَّ خطاب فلان، تأويله قد كرهتُ خِطَابَه كراهةً اشْتَدَّتْ عَلَيَّ، فتأويل الوزر الثقل من هذه الجهة، واشتقاقه من الوزر^(١)، وهو الجبل الذي يَتَصَيَّمُ بِهِ الملك والنبي، أي يُعِينُهُ، ومنه قوله [تعالى]: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيرًا﴾^(٢). سأل موسى رَبَّهُ أن يجعل أخاه وزيراً له، وكذلك قوله [تعالى]: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾.

أي يَبْسُ الشَّيْءُ شَيْئاً أي يَحْمِلُونَهُ، وقد فسرنا عمل نعم وبس فيما مضى من الكتاب^(٣)، وكذلك ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾^(٤)، [أي] مثل القوم.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾.

ولا يُكَذِّبُونَكَ، ومعنى كَذَّبْتُهُ قُلْتُ لَهُ كَذَبْتَ، وَمَعْنَى أَكْذَبْتُهُ ادَّعَيْتُ أَنَّ مَا أَتَى بِهِ كَذِبٌ^(٥)، وتفسير قوله: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾، أي لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَقُولُوا لَكَ فِيمَا أَنْبَأْتَ بِهِ مِمَّا فِي كُتُبِهِمْ كَذِبٌ. ووجه آخر: إنهم لَا يَكْذِبُونَكَ بِقُلُوبِهِمْ، أي يَعْلَمُونَ أَنَّكَ صَادِقٌ.

(١) الوزر كما في القاموس الجبل المنيع وكل معقل والملجأ والمعتصم.

(٢) الفرقان ٣٥.

(٣) انظر الجزء الأول.

(٤) الأعراف آية ١٧٧.

(٥) نسبه للكذب.

﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾.

لأنهم إنما جحدوا براهين الله جلّ وعزّ وجائز أن يكون فإنهم لا يكذبونك، أي أنت عندهم صادق، لأنه ﷺ كان يُسمّى فيهم الأمين قبل الرسالة، ولكنهم جحدوا بالسنتهم ما تشهد قلوبهم يكذبهم فيه.

ثم عزّى الله نبيه وصبره بأن أخبره أنّ الرسل قبله قد كذبتهم أمم فقال:
﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا، وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ
نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾.

أي إذ قال الله لرسوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١)، و [إذ] قال:
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، فلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ أي لا يخلف الله وعده ولا يغلب أوليائه أحد.

ثم أعلم الله عزّ وجلّ رسوله أنه^(٢) يأتي من الآيات بما أحب، وأنه ﷺ
بشر لا يقدر على الإتيان بآية إلا بما شاء الله من الآيات فقال:
﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾.

أي إن كان عظم عليك أن أعرضوا إذ طلبوا منك أن تنزل عليهم ملكاً،
لأنهم قالوا: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾^(٣) ثم أعلم الله جلّ وعزّ أنهم لو نُزِلَتْ
عليهم الملائكة وأتاهم عظيم من الآيات ما آمنوا.

وقوله: ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾.

(١) المائدة - ٦٧.

(٢) أي الله سبحانه وتعالى.

(٣) آية ٨ من هذه السورة ولم تكمل الجملة يذكر جواب الشرط في كلامه، والمعنى العام للآية أنه إذا كان قد شق عليك إعراضهم وما طلبوا من الآيات فافعل ما تستطيع، وحقيقتهم أنهم لن يؤمنوا حتى ولو جتتهم بما طلبوا.

والنفق الطريق النافذ في الأرض، والنافقاء ممدود أحد جِحرَةِ اليرْبُوع يَخْرِقُهُ من باطن الأرض إلى جلْدَة الأرض فإذا بَلَغَ الجلْدَة أَرْقَهَا حتى إن رَابَةَ^(١) دَبِيبٌ رفع برأسه هذا المكان وخرج منه. ومن هذا سُمِّيَ المنافق منافقاً، لأنه أبطن غير ما أظهر، كالنافقاء الذي ظاهره غَيْرُ بَيِّنٍ، وباطنه حَفِر في الأرض.

وقوله: ﴿أَوْ سُلِّمَاءٍ فِي السَّمَاءِ﴾.

والسُّلَمُ مشتق من السَّلَامَةِ، وهو الشيء الذي يسلمك إلى مصعدك. المعنى فإن استطعت هذا فافعل، وليس في القرآن فافعل^(٢) لأنه قد يحذف ما في الكلام دليل عليه، ومثل ذلك قولك: إن رأيت أن تمضي معنا إلى فلان، ولا تذكر فافعل.

فأعلم الله نبيه ﷺ أنه لا يستطيع أن يأتي بآية إلا بإذن الله. وإعلامه النبي هذا هو إعلام الخلق أنهم إنما اقترحوا هم الآيات^(٣) وأعلم الله جلَّ وعزَّ أنه قادر على أن يُنْزِلَ آيَةً آيةً، وأنه^(٤) لو أنزلت الملائكة وكلمهم الموتى ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾.

فيه غير قول، فأحدها أنه لو شاء الله أن يَطْبَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى لفعل ذلك، وقول آخر: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [أي] لو شاء لأنزل عليهم آية تَضْطَرُّهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ كقوله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنْ

(١) كلمة غامضة في المخطوطات، وهذا أقرب ما تحمل عليه.

(٢) أي جواب الشرط غير مذكور في القرآن في هذه الآية ولكنه مفهوم من السياق.

(٣) أي هم الذين اقترحوا هذه المعجزات، ولو تحققت ما آمنوا.

(٤) ضمير الشأن.

السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿١﴾ فَإِنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَاتِ الَّتِي يُفَكِّرُ
النَّاسَ مَعَهَا، فَيُؤْجِرُ ذُو الْبَصَرِ، وَيَثَابُ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْآيَاتِ، وَلَوْ كَانَتْ نَارًا ﴿٢﴾
تَنْزِلُ عَلَى مَنْ يَكْفُرُ أَوْ يُرْمَى بِحَجَرٍ مِنَ السَّمَاءِ لَانَ كُلُّ وَاحِدٍ.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾.
أي الذين يسمعون سَمَاعَ قَابِلِينَ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ بِمَنْزِلَةِ الْأَصَمِّ،
قال الشاعر:

أَصَمٌّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ

﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾.
أي يحييهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.
وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾.
أي آية تجمعهم على الْهُدَى.
وقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾.

يجوز ولا طائر بالرفع على العطف على موضع دَابَّةٍ، التَّأْوِيلُ وَمَا دَابَّةٌ
فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ، وَالْجَرُّ أَجُودٌ وَأَكْبَرُ عَلَى مَعْنَى وَمَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَا طَائِرٍ.
وقال ﴿يطير بجناحيه﴾ على جهة التوكيد، لَأَنَّكَ قَدْ تَقُولُ لِلرَّجُلِ: طَرَفِي حَاجَتِي
أَيَّ أَسْرَعٍ، وَجَمِيعُ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَيْسَ يَخْلُو مِنْ هَاتَيْنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ، إِمَّا
أَنْ يَدْبَّ أَوْ يَطِيرَ.

﴿إِلَّا أَمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾.

[أي] فِي الْخَلْقِ وَالْمَوْتِ وَالْبَعْثِ.

(١) الشعراء آية ٤.

(٢) كان تامة أي لو وجدت نار.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ﴾.

الساعة اسم للوقت الذي يُصْعَقُ فيه العباد، واسم للوقت الذي يُبْعَثُ فيه العباد، والمعنى إن أتتكم الساعة التي وُعِدْتُمْ فيها بالْبَعْثِ والفناء، لأنَّ قبل البعث موت الخلق كله.

وقوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿أَغْيِرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾.

أي أتدعون هذه الأصنام والحجارة التي عبدتموها من دون الله، فاحتج الله عليهم بما لا يدفعونه، لأنهم كانوا إذا مَسَّهُمُ الضَّرُّ دعوا الله.

وقال النحويون في هذه الكاف التي في قوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ غَيْرَ قَوْلٍ: قال الفراء لفظها لفظ نصب، وتأويلها تأويل رفع، قال: ومثلها الكاف في قوله: دُونَكَ زِيداً، قال: الكاف في موضع خفض، وتأويلها تأويل الرفع، لأن المعنى خذ زيداً.

وهذا لم يقله من تقدّم من النحويين، وهو خطأ لأن قولك أَرَأَيْتَكَ زِيداً ما شأنه! تصير «أَرَأَيْتَ» قد تعدت إلى الكاف وإلى زيد، فيصير لـ (رَأَيْتَ) اسمان^(١)، فيصير المعنى أَرَأَيْتَ نفسك زيداً ما حاله. وهذا محال^(٢).

والذي يذهب إليه النحويون الموثوق بعلمهم أن الكاف لا موضع لها، وإنما المعنى أَرَأَيْتَ زيداً ما حاله. وإنما الكاف زيادة في بيان الخطاب. وهي المعتمد عليها في الخطاب، اعلم أنك تقول إذا كانت الكاف زائدة للخطاب، للواحد الذكر: أَرَأَيْتَكَ زيداً ما حاله بفتح التاء والكاف، وتقول للمؤنث أَرَأَيْتِكِ زيداً ما حاله يا امرأة، وتفتح على أصل خطاب الذكر، وتكسر الكاف لأنها قد صارت آخر ما في الكلمة والمبينة عن الخطاب، وتقول

(١) يصير لها فاعلان. هما التاء والكاف.

(٢) ناقش ابن هشام في المغني رأي الفراء وبين خطاه، وصحح أن الكاف حرف خطاب وأنه رأي سيويه (المغني ج ١ / ١٥٦).

للاثنين أَرَأَيْتُكُمَا زَيْدًا مَا حَالُهُ وَأَرَأَيْتُكُم زَيْدًا مَا حَالُهُ - للجماعة، فُتَوَّحِدَ التَّاءُ، فكما وجب أن تَوَحَّدَها في التثنية والجمع وجب أن تذكرها مع المؤنث، فإذا سَأَلْتَ النسوة قلت أَرَأَيْتُكُنَّ زَيْدًا مَا حَالُهُ. وتثنية المؤنث كثنية المذكر في كل شيء، فَإِنْ عَدَّيْتَ الفَاعِلَ إِلَى المفعول^(١) في هذا الباب، صارت الكاف مَفْعُولَهُ، تَقُولُ: رَأَيْتُنِي عَالِمًا بِفُلَانٍ، فإذا سَأَلْتَ عن هذا الشَّرْطِ قُلْتَ للرجل: أَرَأَيْتَكَ عَالِمًا بِفُلَانٍ، وتقول للاثنين على هذا: أَرَأَيْتَكما عَالِمِينَ بِفُلَانٍ، وللجميع أَرَأَيْتُكُمْ عَالِمِينَ بِفُلَانٍ، لأن هذا في تأويل أَرَأَيْتُمْ أَنْفُسَكُمْ. وتقول للمرأة: أَرَأَيْتِكَ عَالِمَةً بِفُلَانٍ - بكسر التاء والكاف - وتقول للاثنين أَرَأَيْتَكما عَالِمِينَ بِفُلَانٍ وللجماعة أَرَأَيْتُكُنَّ عَالِمَاتٍ بِفُلَانٍ فعلى هذا قياس هذين البابين^(٢).

وقوله: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾.

«بل» استدراك، وإيجاب بعد نفي، تقول: مَا جَاءَ زَيْدٌ بَلْ عَمْرٌو فَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنَّهُمْ لَا يَدْعُونَ فِي حَالِ الشَّدَائِدِ إِلَّا إِيَّاهُ، وفي ذلك أعظم الحجة عليهم، لأنهم قد عبدوا الأصنام.

وقوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾.

المعنى فيكشف الضر الذي من أجله دَعَوْتُمْ، وهذا على اتساع الكلام، مثل سَلِ الْقَرْيَةَ: المعنى سَلِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾.

«وتنسئون» ههنا على ضربين: جازئ أن يكون تَنْسَوْنَ تَتْرُكُونَ، وجزاء أن يكون المعنى إنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من يَسْهُونَ.

(١) وهو من خصوص هذه الأفعال. نقول - رأيتني وحسبتي ولا يجوز ضربتي وكلمتي، وهذا تعبير يخالف أَرَأَيْتَكَ وَقُلْ أَرَأَيْتُكُمْ.

(٢) باب أَرَأَيْتُكُمْ، وباب رأيتني.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾. قِيلَ الْبَأْسَاءُ الْجُوعُ، وَالضَّرَاءُ النَقْصُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ. وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ أَعْلَمَ نَبِيَّهِ أَنَّهُ قَدْ أَرْسَلَ الرِّسَالَ قَبْلَهُ إِلَى قَوْمٍ بَلَغُوا مِنَ الْقِسْوَةِ إِلَى أَنْ أُخِذُوا بِالشَّدَةِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ لِيخْضَعُوا وَيَذِلُّوا لِأَمْرِ اللَّهِ، لِأَنَّ الْقُلُوبَ تَخْشَعُ، وَالنَّفُوسَ تَضْرَعُ عِنْدَ مَا يَكُونُ (١) مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ. فَلَمْ تَخْشَعْ وَلَمْ تَضْرَعْ (٢).

وقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

وَمَعْنَى لَعَلَّ تَرْجٍ، وَهَذَا التَّرْجِي لِلْعِبَادِ، أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ مَا يَرْجُوهُ الْعِبَادُ مِنْهُ بِالتَّضَرُّعِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ فِرْعَوْنَ: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٣) قَالَ سَيَبُويه: الْمَعْنَى إِذْهَبَا عَلَى رَجَائِكُمَا، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَكُونُ وَرَاءَ ذَلِكَ.

وقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾.

الْمَعْنَى فَهَلَّا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا.

﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أَيِ أَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ.

وقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

أَيِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ مَغْلَقًا عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَيْرِ.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾.

أَيِ حَتَّىٰ إِذَا ظَنُّوا أَنَّ كُلَّ مَا نَزَلَ بِهِمْ لَمْ يَكُنْ انْتِقَامًا مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَأَنَّهُمْ لَمَّا فُتِحَ عَلَيْهِمْ ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ بِاسْتِحْقَاقِهِمْ ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾.

أَيِ فَاجَأَهُمْ عَذَابُنَا مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.

(١) عندما يحدث.

(٢) لم تخشع تلك القلوب، أي أخذوا بالشدة ليخضعوا فلم يخضعوا.

(٣) سورة طه آية ٤٤.

وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.

«المبلس» الشديد الحسرة، واليأس الحزين.

وقوله: ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

حَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ قَطَعَ دَائِرَهُمْ، وَاسْتَأْصَلَ شَاقَتَهُمْ^(١)،
لأنه جَلَّ وعزَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَأَنْظَرَهُمْ بَعْدَ كُفْرِهِمْ، وَأَخَذَهُمْ بِالْبِأْسَاءِ
وَالضَّرَاءِ، فَبَالِغَ جَلَّ وعزَّ فِي إِنْذَارِهِمْ وَإِمْهَالِهِمْ، فَحَمِدَ نَفْسَهُ، لِأَنَّهُ مَحْمُودٌ فِي
إِمْهَالِهِ مَنْ كَفَرَ بِهِ وَانْتَظَرَهُ تَوْبَتَهُ.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ
إِلَهَ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾.

أي بسمعكم، ويكون ما عطف على السمع داخلاً في القصة إذ كان
معطوفاً على السمع^(٢).

وقوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ﴾.

أي «يُغَرِّضُونَ». أَعْلَمَ اللَّهُ جَلَّ وعزَّ أَنَّهُ يُصَرِّفُ لَهُمُ الْآيَاتِ، وَهِيَ الْعَلَامَاتُ
الَّتِي تَدُلُّ عَلَى تَوْحِيدِهِ، وَصَحَّةِ نَبْوَةِ نَبِيِّهِ ﷺ ثُمَّ هُمْ يُغَرِّضُونَ عَمَّا وَضَحَ لَهُمْ
وظَهَرَ عَنْدهم.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾.

الْبَغْتَةُ الْمُفَاجَأَةُ، وَالْجَهْرُ أَوْ يَأْتِيهِمْ وَهُمْ يَرَوْنَهُ.

﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾.

(١) الشاقة القرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب، أو إذا قطعت مات صاحبها، واستأصل

الله شاقته أذهب كما تذهب تلك القرحة، أو معناه أزاله من أصله.

(٢) أولى أن يكون الضمير للمذكور، أي يأتيكم بهذا كله.

أَيُّ هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا أَنْتُمْ وَمَنْ أَشْبَهُكُمْ، لَأَنْكُمْ كَفَرْتُمْ مُعَانِدِينَ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنْكُمْ ظَالِمُونَ.

وقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾.

أَيُّ لَيْسَ إِرْسَالُهُمْ بِأَنْ يَأْتُوا النَّاسَ بِمَا يَقْتَرِحُونَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَإِنَّمَا يَأْتُونَ مِنَ الْآيَاتِ بِمَا يُبَيِّنُ اللَّهُ [بِهِ] ^(١) بُرَاهِينَهُمْ، وَإِنَّمَا قَصْدُهُمُ التَّبَشِيرُ وَالْإِنذَارُ.

وقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾.

هَذَا مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾. فَأَعْلَمَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ خَزَائِنُ اللَّهِ الَّتِي بِهَا يَرْزُقُ وَيُعْطِي، وَ[أَنَّهُ] ^(٢) لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَا غَابَ عَنْهُ مِمَّا مَضَى، وَمَا سَيَكُونُ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾.

أَيُّ الْمَلَكُ يُشَاهِدُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا لَا يُشَاهِدُهُ الْبَشَرُ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ يَتَّبِعُ الْوَحْيَ فَقَالَ: ﴿إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾.

أَيُّ مَا أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ مِنْ غَيْبٍ فِيمَا مَضَى، وَفِيمَا سَيَكُونُ فَهُوَ بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ، فَأَمَّا الْإِنْبَاءُ بِمَا مَضَى، فَأَخْبَارُ بِقِصَصِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَالْأَخْبَارُ بِمَا سَيَكُونُ كَقَوْلِهِ: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ ^(٣).

فَوَجَدَ مِنْ ذَلِكَ مَا أَنْبَأَ بِهِ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ^(٤).

(١) زيادة لا بد منها.

(٢) زيادة للإيضاح.

(٣) الروم آية ٢ - ٤.

(٤) المائدة ٦٧.

فاجتهدوا في قتله، فلم يصلوا إلى ذلك. وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١) وما يروى من الأخبار عنه بما يكون أكثر من أن يحصى.

وقوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

قوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾، أي بالقرآن، وإنما ذكر الذين يخافون الحشر، دون غيرهم وهو ﷺ منذر جميع الخلق، لأن الذين يخافون الحشر الحجة عليهم أوجب، لأنهم أفهم بالميعاد. فهم أحد رجلين، إما رجل مسلم فيؤدي حق الله في إسلامه، وإما رجل من أهل الكتاب، فأهل الكتاب أجمعون معتبرون بأن الله جل ثناؤه خالقهم، وأنهم مبعوثون.

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

لأن النصارى، واليهود ذكرت أنها أبناء الله وأجباؤه، فأعلم الله أنه لا ولي له إلا المؤمنون، وأن أهل الكفر ليس لهم من دون الله ولي ولا شافع.

وقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

كان قوم من المشركين أرادوا الحيلة على النبي فقالوا لو باعدت عنك هؤلاء السفلة والعبيد لجلس إليك الكبراء والأشراف. وكانوا عنوا بالذين قدرُوا أن يباعدهم النبي ﷺ صهيياً وخبأياً، وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وبلااً، فأعلم الله عز وجل، أن أمر الدين هو المقدم، ونهاه أن يباعد هؤلاء، وأعلمه أنهم يريدون ما عند الله فشهد لهم بصحة النيات وأنهم مخلصون في ذلك لله، فقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، أي يريدون الله ويقصدون الطرق التي أمرهم بقصدها وإنما قدرُوا بهذا أن يباعدهم فتكون لهم حجة عليه. والله قد أعلم

(١) التوبة - ٣٢ والصف - ٩.

في قصة نوح أنه اتَّبَعَ نُوحًا مَنْ كَانَ عَنْدهُمْ مِنْ أَرَادِلَهُمْ، فقال: ﴿قَالُوا أَنْوِمْنَ لَكَ وَاتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾^(١)، وقالوا: ﴿مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُكْفِّرُوا﴾^(٢).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

جواب ﴿وَلَا تَطْرُدْهُمْ﴾، وقوله «فتطردهم» جواب ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ - فَتَطْرُدَهُمْ﴾.

ومعنى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾.
أَيِ اخْتَبَرْنَا وَابْتَلَيْنَا، ﴿لِيَقُولُوا هَؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾.
أَيِ لِيَكُونَ ذَلِكَ آيَةً أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا الرُّسُولَ وَصَبَرُوا عَلَى الشَّدَّةِ، وهم في حال شديدة.

وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾، أَيِ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِحُجَجِنَا، وبراهيننا ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

سمعت أبا العباس محمد بن يزيد يذكر أن السلام في اللغة أربعة أشياء
فمنها سَلَّمْتُ سَلَاماً - مصدر^(٣) سَلَّمْتُ، ومنها السلام جمع سلامة^(٤)، ومنها السلام اسم من أسماء الله تعالى، ومنها السلام شجر^(٥)، ومنه قوله:
إِلَّا سَلَامٌ وَحَرَمْلٌ^(٦).

ومعنى السلام الذي هو مصدر سَلَّمْتُ، أنه دعاء للإنسان أن يَسْلَمَ من

(١) سورة الشعراء ١١١.

(٢) سورة هود آية ٢٧.

(٣) اسم مصدر.

(٤) اسم جنس جمعي كورق وورقة.

(٥) شجر السلم.

(٦) الحرمل حب السمسم، ولم أقف على بقية البيت ولا على قائله.

الآفات في دينه ونفسه، وتأويله التَّخْلُصُ. و«السَّلامُ اسمٌ من أَسْمَاءِ اللَّهِ» تأويله - واللَّهُ وأَعْلَمُ - ذُو السَّلامِ أي هو الذي يملك السلام الذي هو تَخْلِيصٌ من المكروه، فأما السَّلامُ الشَّجَرُ فهو شَجَرٌ عَظَامٌ قَوِيٌّ أَحْسَبُهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِسَلَامَتِهِ مِنَ الْآفَاتِ.

والسَّلامُ الْحِجَارَةُ الصُّلْبَةُ سميت بذلك لسلامتها من الرخاوة، والصُّلْحُ يُسَمَّى السُّلْمَ والسُّلْمَ والسَّلْمَ، سمي بهذا لأن معناه السلامة مِنَ الشَّرِّ. والسُّلْمُ دَلْوُهَا عُرْوَةٌ وَاحِدَةٌ نَحْوُ دَلْوِ السَّقَاتَيْنِ، سُمِيَتْ الدَّلْوُ سُلْمًا لَأَنَّهَا أَقْلُ عُرَى مِنْ سَائِرِ الدَّلَاءِ، فَهِيَ أَسْلَمُهَا مِنَ الْآفَاتِ وَالسُّلْمُ الَّذِي يَرْتَقِي عَلَيْهِ سُمِّيَ بِهَذَا لِأَنَّهُ يُسَلِّمُكَ إِلَى حَيْثُ تُرِيدُ، وَالسُّلْمُ السَّبَبُ إِلَى الشَّيْءِ، سُمِّيَ بِهَذَا لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى غَيْرِهِ، كَمَا يُؤَدِّي السُّلْمُ الَّذِي يُرْتَقَى عَلَيْهِ.

وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

بفتحهما جميعاً، ويجوز أن يكون «إِنَّه - فَإِنَّه» بكسرهما جميعاً ويجوز فتح الأولى وكسر الثانية، ويجوز كسر الأولى وفتح الثانية. فأما فتح الأولى والثانية فعلى أن موضع أن الأولى نصب، المعنى: كتب ربكم على نفسه المَغْفِرَةَ، وهي بَدَلٌ مِنَ الرَّحْمَةِ، كأنه قال: كتب رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ وهي المَغْفِرَةُ لِلْمُذْنِبِينَ الثَّانِيينَ، لأن معنى أنه ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المَغْفِرَةُ مِنْهُ، ويجوز أن تكون الثانية وقعت مؤكدة للأولى، لأن المعنى: كتب ربكم أنه ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فلما طال الكلام أعيد ذكر إنَّ. فأما كسرهما جميعاً فعلى مذهب الحكاية^(١)، كأنه لما قال ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ قال: ﴿إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بالكسر.

(١) استئناف لتوضيح الجملة السابقة.

وجعلت الفاء جواباً للجزاء وكُسِرَتْ إِنَّ دخلت على ابتداءٍ وخبرٍ، كأنك قلت فهو غفورٌ رَحِيمٌ. إِلَّا أن الكلام بِيَأْنُ أوكَّد. وَمَنْ كَسَرَ الأَوَّلَى فعل ما ذكرنا من الحكاية، وإذا فتح الثانية مع كسر الأولى. كان مَعْنَاهَا المَصْدَرُ، والخبرُ محذوفٌ. المعنى إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا فمَغْفِرَةُ اللَّهِ لَهُ، ومن فتح الأولى وكسَرَ الثَّانِيَةَ فالمعنى رَاجِعٌ إِلَى المَصْدَرِ، وكأنَّكَ لَمْ تَذْكُرِ أَنَّ الثانية، المعنى كتب ربكم على نفسه أنه غفورٌ رَحِيمٌ.

ومعنى ﴿كتب﴾ أَوْجَبَ ذَلِكَ إيجاباً مُؤَكِّداً، وجائز أن يكون كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وإنما خوطب الخلق بما يعقلون، فهم يعقلون أن توكيد الشيء المؤخَّر إنما يحفظ بالكِتَابِ، ونحن نشرح ذلك في موضعه شرحاً أوكَّد من هذا إِنَّ شَاءَ اللَّهُ.

ومعنى ﴿يعملون السوء بجهالة﴾، أي ليس بأنهم يجهلون أنه سوء. لو أتى المسلم ما يجهل أنه سوء لكان كمن لم يتعمد سوءاً، وَلَمْ يُوقِعْ سوءاً.

وقولك عمل فلان كذا وكذا بجهالة يحتمل أمرين، فأَحَدُهُمَا أنه عمله وهو جاهل بالمكروه فيه، أي لم يعرف أن فيه مكروهاً، والآخر أقدم عليه على بصيرة، وَعَلِمَ أن عاقبته مكروهة، فأثر العَاجِلُ فجعل جاهلاً، فإنه أثر القليل على الراحة الكثيرة والعافية الدائمة.

فهذا معنى: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾.
وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

يقرأ بالتاء والياء، فمن قرأ بالتاء فلأن السبيل الطريق، وهو يُذَكَّرُ ويؤنَّثُ، ويجوز وجه ثالث: وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ - ينصب السبيل -، لأن المعنى ولتستبين أنت يا محمد سبيلَ المجرمين، فإن قال قائل أفلم يكن النبي ﷺ مُسْتَبِيناً سَبِيلَ المجرمين، فالجواب في هذا أن جميع ما يخاطب به

المؤمنون يخاطب به النبي ﷺ . فكأنه قال ولتستبينوا المجرمين ، أي لتزددوا استبانة لها ، ولم يحتج أن يقول ولتستبين سبيل المؤمنين^(١) مع ذكر سبيل المجرمين ، لأن سبيل المجرمين إذا استبان ففقد بان سبيل المؤمنين ، وجائز أن يكون المعنى : ولتستبين سبيل المجرمين ولتستبين سبيل المؤمنين^(٢) . إلا أن الذكر^(٣) والخطاب ههنا في ذكر المجرمين فذكرُوا وترك ذكر سبيل المؤمنين ، لأن في الكلام دليلاً عليها كما قال عز وجل : ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾^(٤) ولم يقل تقيكم البرد ، لأن الساتر يستتر من الحر والبرد ، ولكن جرى ذكر الحر لأنهم كانوا في مكانهم أكثر معاناة له من البرد .

وقوله : ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ .

كانوا يعبدون الأصنام ، وقالوا ﴿ما نعبدهم إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٥) ، فأعلم الله عز وجل أنه لا يُعبد غيره .

وقوله : ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ .

أي إنما عبدتُموها على طريق الهوى لا على طريق البيِّنة والبرهان .
وقوله : ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَنْ﴾ .

معنى إذَنْ معنى الشرط ، المعنى قَدْ ضَلَلْتُ إِنْ عَبْدْتُهَا .

وقوله : ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ .

أي وما أنا من النبيين الذين سلكوا طريق الهدى^(٦)

وقوله : ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ .

(١) ط المجرمين وهو خطأ .

(٢) أي معنى الآية - نفصل الآيات لتستبين كل من السبيلين .

(٣) سياق الحديث .

(٤) سورة النحل - ٨١ .

(٥) سورة الزمر آية ٣ . (٦) أي إن اتبعت أهواءكم أكون ضالاً ولا أكون من المهتدين .

أَيُّ عَلَى أَمْرَيْنِ، لَا مُتَّبِعَ هَوَى.

﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ هذه الهاء كناية عن البيان^(١)، أَي وكذبتم بالبيان، لِأَنَّ البينة والبيان فِي مَعْنَى وَاحِدٍ، وَيَكُونُ ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ أَي بِمَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ، لِأَنَّهُ هُوَ الْبَيَانُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾.
وَالَّذِي اسْتَعْجَلُوا بِهِ الْآيَاتُ الَّتِي اقْتَرَحُوهَا عَلَيْهِ. فَأَعْلَمَ ﷺ أَنَّ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ:

﴿إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾.

هَذِهِ كَتَبْتُ هَهُنَا بِغَيْرِ يَاءٍ عَلَى اللَّفْظِ، لِأَنَّ الْيَاءَ أَسْقَطْتُ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ كَمَا كَتَبُوا. ﴿سَنَدُّعُ الزَّيَانِيَةِ﴾^(٢) بِغَيْرِ وَاوٍ. وَقُرِئْتُ: ﴿يَقْضُ الْحَقُّ﴾^(٣)، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ «يَقْضِي بِالْحَقِّ»، إِلَّا أَنَّ الْقُرَّاءَ لَا يَقْرَأُونَ «يَقْضِي بِالْحَقِّ» لِمُخَالَفَةِ الْمَصْحَفِ.

و«يَقْضِي الْحَقُّ» فِيهِ وَجْهَانِ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ صِفَةً لِلْمَصْدَرِ، الْمَعْنَى يَقْضِي الْقَضَاءَ الْحَقَّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ يَقْضِي الْحَقَّ يَصْنَعُ الْحَقَّ، أَيُّ كُلِّ مَا صَنَعَهُ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ حَقٌّ وَحِكْمَةٌ، إِلَّا أَنَّ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْقَضَاءِ الَّذِي هُوَ الْحَكْمُ، فَأَمَّا قَضَى فِي مَعْنَى صَنَعَ فَمِثْلُهُ قَوْلُ الْهَذَلِيِّ.

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُورَتَانِ قِضَاهُمَا دَاوُدَ، أَوْ صَنَعَ السُّوَابِغِ تُبْعُ^(٤)

(١) الِهَا فِي بِهِ.

(٢) سُورَةُ الْعَلَقِ آيَةُ ١٨.

(٣) وَهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ.

(٤) مِنْ عَيْنِي أَبِي ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيُّ فِي رِثَاءِ بَنِيهِ الْخَمْسَةِ. أَنْظَرَ الْمَفْضِلِيَّةَ ٧٨، وَدِيوَانَ الْهَذَلِيِّينَ ١٩، وَاللِّسَانَ (صَنَعَ)، وَالْقُرْطُبِيَّ ٢ - ٨٧ - وَمَوَاضِعُ أُخْرَى مِنْهُ.

أي صنعهما داود، ومن قرأ ﴿يَقْصُ الْحَقُّ﴾ فمعناه أن جميع ما أنبأ به وأمر به فهو من أقاصيص الحق.

وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾.

معنى مفاتيح الغيب، أي عنده الوصلة إلى علم الغيب، وكل ما لا يعلم إذا استُعلم يقال فيه افتُح علي^(١).

قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾.

المعنى: أنه يعلمها ساقطة وثابتة، وأنت تقول: ما يجيشك أحد إلا وأنا أعرفه، فليس معناه إلا وأنا أعرفه في حال مجيئه فقط.

ويجوز ﴿وَلَا حَبَّةٌ﴾ ويجوز ﴿وَلَا حَبَّةٌ﴾. فمن رفع فعلى ضربين، جائز أن يكون على معنى ما تسقط ورقة ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.

وفي كتاب مبين ههنا على معنيين يتصرف^(٢)، ويجوز أن يكون معنى ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أن يكون الله أثبت ذلك في كتاب من قبل أن يخلق كما قال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^(٣)، فأعلم أنه قد أثبت ما خلق من قبل خلقه.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾.

أي يُنِيمُكُمْ فيتوفى نفوسكم التي بها تميزون كما قال - عز وجل -: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾^(٤).

ومعنى: ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾.

(١) أي عرفني.

(٢) أي يجري الكلام فيه على وجهين.

(٣) سورة الحديد - ٢٢.

(٤) سورة الزمر آية ٤٢.

أَيُّ يَنْبَهُكُمْ مِنْ نَوْمِكُمْ فِيهِ فِي النَّهَارِ.
﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾.

أَيُّ يَتَعَثَّكُمْ مِنْ نَوْمِكُمْ إِلَى أَنْ تَبْلُغُوا أَجَالَكُمْ.
وقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾.
الحفظة الملائكة، واجدُهم حَافِظٌ والجمع حَفَظَةٌ. مثل كَاتِبٍ وَكَتَبَةٍ،
وَفَاعِلٍ وَفَعَلَةٍ.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾.
أَيُّ هَؤُلَاءِ الْحَفَظَةُ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾.
﴿وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾.

أَيُّ لَا يَغْفُلُونَ وَلَا يَتَوَانَوْنَ، ومعنى التفريط في اللغة، مقدمة العجز،
فالمعنى أنهم لا يعجزون.

وقوله: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.
يجوز في القراءة يُنَجِّيكُمْ بالتخفيف. لقوله: ﴿لَيْسَ أَنْجِيَّتَنَا﴾^(١). و﴿لَيْسَ
أَنْجَانَا﴾^(٢) والأجود يُنَجِّيكُمْ بالتشديد للكثرة.

ومعنى ﴿ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ شَدَائِدُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْيَوْمِ
الَّذِي تَلْقَى فِيهِ شِدَّةٌ يَوْمٌ مُظْلِمٌ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ يَوْمٌ ذُو كَوَاكِبٍ أَيُّ قَدْ
اشْتَدَّتْ ظُلْمَتُهُ حَتَّى صَارَ كَاللَّيْلِ، قَالَ الشَّاعِرُ^(٣).

(١) سورة يونس - ٢٢.

(٢) سورة الأنعام - ٦٣.

(٣) في شواهد الكشف الشطر الثاني هو: إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ أَشْنَعًا. وَقَالَ الشَّيْخُ الْمَرْزُوقِيُّ أَنَّ
الاسْتِفْهَامَ لِلْوَعِيدِ أَوْ لِلتَّقْرِيرِ. وَقَدْ رَأَيْتُ اسْمَ كَانَ مُحَذَّوفاً أَيُّ إِذَا كَانَ الْيَوْمُ يَوْمًا، أَوْ هُوَ ضَمِيرٌ يَعُودُ

بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يومٌ ذو كواكبٍ أشهب وأنشدوا:

فدئى لبني دهل بن شيبان ناقتي إذا كان يوماً ذا كواكبٍ أشنعاً^(١)
فمعنى: ﴿ظلمات البر والبحر﴾ شدائدهما.
وقوله: ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾.

بالضم والكسر في «خُفْيَةً»، والمعنى تدعونه مُظْهِرين الضَّرَاعَةَ، وهي شدة الفقر إلى الشيء والحاجة، وتدعونه خُفْيَةً أي تدعونه في أنفسكم تُضْمِرُونَ في فركم وحاجاتكم إليه كما تضمرون.

وقوله: ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.
أي في أي شدة وقعتم قلتم: لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشَّاكِرِينَ.

فأمر الله عز وجل - أن يسألهم على جهة التوبيخ لهم والتقرير بأنه ينجيهم ثم هم يشركون معه الأصنام التي علموا أنها من صَنَعَتِهِمْ، أنها لا تنفع ولا تضر، وأنه قادر على تعذيبهم فقال: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾.

نحو الحجارة التي أمطَرَهَا على قوم لوط، ونحو الطوفان الذي غَرَّقَ به قوم فرعون.

﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

= على البلاء - وكنى بالكواكب عن ظلمة اليوم أو عن السيوف - والظلمة تنشأ من الغبار. والبيت من شواهد سيبويه. والمراد أظلم حتى ظهرت الكواكب.
(١) لم أقف على قائله.

نحو الخسف الذي نال قَارُونُ وَمَنْ خَسِفَ بِهِ.
﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا﴾.

معنى ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾ يخلط أَمْركم خلطاً اضطراباً، لا خلط اتفاق يقال لِبَسْتُ
الْأَمْرَ اللَّبْسُ لم أبيتَه، وخلطت بعضه ببعض ويقال: لِبَسْتُ الثَّوبَ اللَّبْسُ.

ومعنى شِيْعًا: أي يجعلكم فرقاً، لا تكونون شيعة واحدة فإذا كنتم
مختلفين قاتل بعضكم بعضاً، وهو معنى قوله ﴿وَيَذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾.

ويروى أن النبي ﷺ سأل الله جلَّ وعزَّ ألاَّ يَبْتَلِيَ هذه الأمة بعذاب
يَسْتَأْصِلُهَا به، وألاَّ يَذِيقَ بعضها بَأْسَ بَعْضٍ، فأجابَه في صرف العذاب، ولم
يُجِبْهُ في ألاَّ يَذِيقَ بعضها بَأْسَ بَعْضٍ وأن لا تختلف.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾.

أي إنما أدعوكم إلى الله وإلى شريعته، ولم أؤمر بحريكم ولا أخذكم
بالإيمان كما يؤخذ الموكل بالشيء يُلْزَمُ بُلُوغَ آخره.

وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ﴾.

أي لأخذكم بالإيمان على جهة الحرب، واضطرابكم إليه ومقاتلتكم
عليه، مُسْتَقَرٌّ، أي وَقْتُ.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

جائز أن يكون وعدهم بعذاب الآخرة، وجائز أن يكون وعدهم
بالحرب، وأخذهم بالإيمان شاءوا أو أبوا، إلا أن يُعْطِيَ أَهْلَ الْكِتَابِ
الجزية^(١).

(١) أي يأخذهم بالحرب حتى يعطوا الجزية أو يسلموا.

وقوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي﴾.

أي وما عليك أيها النبي وعلى المؤمنين من حسابهم أي من كفرهم، ومخالفتهم أمر الله.

﴿وَلَكِنْ ذِكْرِي﴾.

أي ولكن عليكم أن تذكروهم.

وذكرى يجوز أن يكون في موضع رفع ونصب، فمن نصب فالمعنى ولكن ذكروهم ذكري، ومن رفع فعلى وجهين، أحدهما ولكن عليكم أن تذكروهم^(١)، كما قال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾^(٢). وجائز أن يكون: ولكن الذين تأمرون به ذكرى^(٣).

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

أي لترجى منهم التقوى.

وقوله: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾.

معنى تبسل - بَعَمَلِهَا [تكون] غير قادرة على التخلص، والمستبسلُ المُسْتَسْلِمُ الذي يعلم أنه لا يقدر على التخلص، قال الشاعر: ^(٤)

وَأَيْسَالِي بَنِي بَغِيرِ جُرْمٍ بَعُونَاهُ وَلَا يَدَمِ مُرَاقٍ

أي إسلامي إياهم، وقيل «أَنْ تُبْسَلَ» ترهن، والمعنى واحد ويقال أسد

(١) أي في عنقكم تذكيرهم - فهي مفعول مطلق.

(٢) الشورى ٤٨.

(٣) أي هي خبر لمبتدأ محذوف.

(٤) لعوف بن الأحوص الباهلي - كان أسلم أبناءه لرجل من بني قشير رهينة في دم رجل منهم ثم ندم على ذلك - وبعونه - بالعين المهملة أي جنيته - أي أنه أسلمهم من غير أن يكون هو أو أحد منهم ارتكب جريمة - انظر شواهد الكشف ٨٣.

بَاسِلٌ، وَشُجَاعٌ بَاسِلٌ، وَتَأْوِيلُهُ أَنْ مَعَهُ مِنَ الْإِقْدَامِ مَا يَسْتَبْسِلُ^(١) لَهُ قِرْنُهُ. وَيُقَالُ هَذَا بَسْلٌ عَلَيْكَ أَيُّ حَرَامٍ عَلَيْكَ فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَسَدٌ بَاسِلٌ مِنْ هَذَا، أَيُّ لَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ أَعْطَى الرَّافِي بَسَلَتَهُ، أَيُّ أَجَرَتَهُ، وَإِنَّمَا تَأْوِيلُهُ أَنَّهُ عَمِلَ الشَّيْءَ الَّذِي قَدْ اسْتَبْسَلَ صَاحِبُهُ مَعَهُ.

وقوله: ﴿وَنُزِدْ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾.

أَيُّ نَرْجِعْ إِلَى الْكُفْرِ، وَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ أَدْبَرَ قَدْ رَجَعَ إِلَى خَلْفٍ وَرَجَعَ الْفَقِيرُ.

وقوله: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾.

أَيُّ كَالَّذِي زَيَّنَتْ لَهُ الشَّيَاطِينُ هَوَاهُ^(٢).

وقوله: ﴿حَيْرَانَ﴾.

منصوب على الحال، أَيُّ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ فِي حَالِ حَيْرَتِهِ.

وقوله: ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾.

قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ يُعْنَى بِهَذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، ﴿إِثْنَانَا﴾ أَيُّ تَابِعَانِي إِيمَانَنَا.

﴿وَأَمْرًا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أَيُّ يَدْعُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ ﴿أَمْرًا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. الْعَرَبُ تَقُولُ أَمَرْتُكَ بِأَنْ تَفْعَلَ، وَأَمَرْتُكَ لِتَفْعَلَ، وَأَمَرْتُكَ بِأَنْ تَفْعَلَ، فَمَنْ قَالَ أَمَرْتُكَ بِأَنْ تَفْعَلَ فَالْبَاءُ لِلِإِلْصَاقِ، الْمَعْنَى وَقَعَ الْأَمْرُ بِهَذَا الْفِعْلِ، وَمَنْ قَالَ أَمَرْتُكَ أَنْ تَفْعَلَ فَعَلِيَ حَذَفَ الْبَاءُ، وَمَنْ قَالَ أَمَرْتُكَ لِتَفْعَلَ فَقَدْ أَخْبَرَ بِالْعِلَّةِ الَّتِي لَهَا وَقَعَ الْأَمْرُ. الْمَعْنَى أَمْرًا لِلْإِسْلَامِ.

(١) يستسلم.

(٢) ملكت عليه هواه.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

فيه وجهان أحدهما أن تكون أمرنا لأن نسلم ولأن نُقيم الصلاة ويجوز أن يكون محمولاً على المعنى، لأن المعنى أَمَرْنَا بِالْإِسْلَامِ. وبإقامة الصلاة، ومَوْضِعُ أَنْ نَصَبْ، لأن الباء لما سقطت أَفْضَى الفعل فنصب. وفيه وجه آخر، يجوز أن يكون محمولاً على قوله: ﴿يَدْعُوهُ إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَا﴾ ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. أي ويدعونه أن أقيموا الصلاة.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

نصب «يوم» على وجهين، أحدهما على معنى وَاتَّقُوهُ وَيَوْمَ [يَقُولُ] فيكون نسقاً على الهاء، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾^(١) والأجود أن يكون على معنى وأذكر يقول كن فيكون، لأن بعده.. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آذَنْ﴾ وفيه وجه ثالث وهو العطف^(٢) على السموات والأرض. المعنى وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق وخلق يوم يقول كن فيكون.

فإن قال قائل: إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ. فَإِنْ مَا أَنْبَأْنَا^(٣) اللَّهُ بكونه فحقيقته واقع لا محالة.

وقوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.

قال بعضهم: المخاطبة ههنا للصور المعنى ويوم يقول للصور كن فيكون، وما ذكر من الصور يدل عليه.

وقيل إِنَّ قَوْلَهُ «كن» فيه أسماء جميع ما يخلق في ذلك الوقت المعنى:

(١) سورة البقرة آية ٤٨، ١٢٣.

(٢) ط المعطوف.

(٣) جواب الشرط - أي إن قال فجأبته أن ما أنبأنا به.

«وَيَوْمَ يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ» وهذا ذِكْرٌ ليدل على سرعة أمر البعث والساعة، كأنه قال: ويوم يقول للخلق مُوتُوا فيموتون وانتشِروا فينتشرون. كأنه يأمر الحياة فتكون فيهم، والموت فيحل أولاً يفنى جميع الخلق.

وقيل «ويوم يقول: كُنْ فَيَكُونُ» «قوله» أي يأمر فيقع أمره، و«الحق» من نعت «قوله»^(١) كما تقول: قد قلت فكان^(٢) قولك، فالمعنى ليس أنك قلت فكان الكلام، إنما المعنى أنه كان ما دلَّ عليه القول. وعلى القول الأول قدر فَعَّ «قوله» بالابتداء و«الحق» خبر الابتداء.

وقوله: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ».

يجوز أن يكون نصب «يوم» على «وَلَهُ الْمَلَأُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» مُبَيَّنًا عن قوله: «يوم يقول: كن فيكون»، ويجوز أن يكون منصوباً بقوله «الحق»، المعنى و«قوله الحق يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ»، فإن قال قائل: لله الملك في كل وقت، فلم خصَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ؟ فالجواب في هذا أنه في اليوم الذي لا يظهر فيه من أحد نفع لأحد ولا ضرر. كما قال: «وَالْأَمْرَ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ»^(٣) والأمر في كل وقت لله جلَّ وعزَّ.

وقالوا في الصُّورِ قَوْلَيْنِ: قيل في التفسير: إن الصُّورَ اسمٌ لقرنٍ يُنْفَخُ فِيهِ وقيل: الصور جمع صورة^(٤)، وكلاهما جائز، وأثبتها في الحديث والرواية أن الصور قرنٌ، والصور جمع صورة: أهل اللغة على هذا^(٥).

(١) أي يوم يقول كن فيحدث قوله الحق الذي لا يتخلف.

(٢) ط مكان. ويوم يأمر فيحدث أمره الحق.

(٣) سورة الانفطار ١٩.

(٤) لم يقله أحد «قبل أبي عبيدة، ولم يجر الناس على رآيه. لوجود ما يعارض مثل «فإذا نقر في الناقور».

(٥) اسم جنس بمعنى لصورة، أي ينفع في صور آدميين.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آذَرَ﴾.

بالنصب والضم، فمن قرأ بالضم فعلى النداء^(١)، المعنى يا آذر ألتخذ أصناماً آلهة. وليس بين النسابين خلاف أن اسم أبي إبراهيم «تارح» والذي في القرآن يدل على أن: اسمه آذر، وقيل آذر عندهم دَمٌ في لغتهم، كأنه: وإذ قال إبراهيم لأبيه يا مخطيء ألتخذ أصناماً. وإذا كان كذلك فالاختيار الرُّفْعُ. وجائز أن يكون وصفاً له، كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه المخطيء، وقيل آذر اسم صنم، فإذا كان اسم صنم فموضعه نصبٌ على إضمار الفعل كأنه قال وإذ قال إبراهيم لأبيه ألتخذ آذر إلهاً؟ ألتخذ أصناماً آلهة؟.

وقوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. أي ومثل ما وصفنا من قصة إبراهيم من قوله لأبيه ما قال نُرِيه ملكوت السموات والأرض، أي القدرة التي تقوى بها دلالاته على توحيد الله جلَّ وعزَّ. وتقول في الكلام لمن فعل بك خيراً أو شراً كذلك أجزيك.

ومعنى قوله: ﴿وَلْيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي نريه ملكوت السموات والأرض لما فعل، وليثبت على اليقين، والملكوت بمنزلة الملك، إلا أن الملكوت أبلغ في اللغة من الملك، لأن الواو والتاء تزدان للمبالغة، ومثل الملكوت الرغبوت، والرهبوت، ووزنه من الفعل فَعَلُوت وفي المثل رَهْبُوتِي خَيْرٌ مِنْ رَغْبُوتِي، وهذا كقولهم، أو فرقاً خيراً من حُبٍّ، ومن رَوَى رَهْبُوتِي خَيْرٌ من رَحْمُوتِي فمعنى صحيح^(٢). يحقق من اللسان أن تكون له هيئة تهرب بها خير من أن يُرْحَمَ.

(١) الضم في «آذر» - أي وإذ قال إبراهيم لأبيه: يا آذر.

(٢) رهبوتي أو رهوت خير من رحمت، أي لأن يرهبك الناس خير من أن يرحموك - أو لأن يرهبك خير من أن يرغبوا أي يطعموا فيك. وجملة «فرق خير من حب» بهذا المعنى.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾.

يقال جَنَّ عليه الليلُ وأَجَنَّهُ الليلُ إذا أَظْلَمَ حَتَّى يَسْتَتِرَ بِظِلْمَتِهِ وَيَقَالُ لِكُلِّ مَا سَتَرَ قَدْ جَنَّ، وَقَدْ أَجَنَّ، وَيَقَالُ جَنَّهُ اللَّيْلُ، وَلَكِنْ الْاِخْتِيَارُ جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَأَجَنَّهُ اللَّيْلُ.

وَقِيلَ إِنَّ قَوْمَ إِبْرَاهِيمَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ^(١)، فَلَمَّا بَلَغَ إِبْرَاهِيمَ الْمَبْلَغَ الَّذِي يَجِبُ مَعَهُ النَّظَرُ، وَتَجَبَّ بِهِ عَلَى الْعَبْدِ الْحُجَّةِ، نَظَرَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَتْ^(٢) يَعْبُدُهَا قَوْمُهُ فَلَمَّا رَأَى الْكَوَكِبَ الَّذِي كَانُوا يَعْبُدُونَهُ، قَالَ لَهُمْ هَذَا رَبِّي أَيُّ فِي زَعْمِكُمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٣) فَأَضَافَهُمْ إِلَى نَفْسِهِ حِكَايَةً لِقَوْلِهِمْ.

﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾.

أَيُّ فَلَمَّا غَابَ، يُقَالُ أَفَلَ النَّجْمُ يَأْفُلُ وَيَأْفُلُ أَفُولًا، إِذَا غَابَ:
﴿قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾.

أَيُّ لَا أَحَبُّ مِنْ كَانَتْ حَالَتُهُ أَنْ يَطْلُعَ وَيَسِيرَ عَلَى هَيْئَةٍ يُتَبَيَّنُ مَعَهَا أَنَّهُ مُحَدَّثٌ مُنْتَقِلٌ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، كَمَا يَقْعَلُ سَائِرُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي أَجْمَعْتُمْ مَعِيَ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِآلِهَةٍ، أَيُّ لَا أَتَّخِذُ مَا هَذِهِ حَالُهُ إِلَهًا، كَمَا أَنَّكُمْ لَا تَتَّخِذُونَ كُلَّ مَا جَرَى مَجْرَى هَذَا مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ آلِهَةً، لَيْسَ أَنَّهُ جَعَلَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ أَنَّ مَا غَابَ لَيْسَ بِإِلَهِ، لِأَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ظَاهِرَتَانِ غَيْرُ غَائِبَتَيْنِ وَلَيْسَ يُدْعَى فِيهِمَا هَذِهِ الدَّعْوَى. وَإِنَّمَا أَرَادَ التَّبَيُّنَ لَهُمُ الْقَرِيبَ^(٤)، لِأَنَّ غَيْبِيَّتَهُ أَقْرَبُ مَا

(١) ط - والكوكب، أي كوكباً معيناً كانوا يعبدونه.

(٢) في الأصل كانوا.

(٣) سورة القصص آية: ٦٢.

(٤) الأولى أن يكون التعبير أراد التبين القريب لهم.

تَنَظَّرُونَ بِهِ فِيمَا يُظْهِرُ لَهُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾^(١).

وقد قيل إنه قال هذا وهو ينظر لنفسه، فكأنه على هذا القول بمنزلة قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾^(٢). وإبراهيم قد أنبأ الله عنه بقوله^(٣)، ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٤)، فلا شك أنه سَلِيمٌ من أن يكون الشك دَخَلَهُ في أمر الله. والله أعلم.

وجائز أن يكون على إضمار القول، كأنه قال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾، كأنه قال: تَقُولُونَ هذا ربي، أي أنتم تقولون هذا ربي، كما قال جل وعز: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾^(٥).

المعنى يقولان تقبل منا. والله أعلم بحقيقة هذا. والذي عندي في هذا القول أنه قال لهم: تَقُولُونَ هذا ربي، أي هذا يُدَبِّرُنِي، لأنه فيما يُرَوَى أنهم كانوا أصحاب نجوم، فاحتج عليهم بأن الذي تزعمون أنه مُدَبِّرٌ إنما يرى فيه أثر مُدَبِّرٍ لا غير.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ و.. ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾.

يقال قد بَزَغَ القمرُ إذا ابتدأ في الطلوع، وكذلك الشمس. والحجة في الشمس والقمر كالحجة في الكوكب.

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢) سورة الضحى: ٧ - أي أنه كان حائراً ثم اهتدى.

(٣) هذا تفنيد للقول السابق - وفي ط بأنه قال.

(٤) سورة الصافات آية: ٨٤.

(٥) سورة البقرة: ١٢٧ - أي قائلين ذلك.

واحتج الذين قالوا انه قال ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على وجه الظن والتفكر بقوله: ﴿لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾.

وهذا لا يوجب ذلك. لأن الأنبياء تسأل الله أن يُثَبِّتَهَا عَلَى الْهُدَى وتعلم أنه لولا هداية الله ما اهتدت، وإبراهيم يقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(١).

وقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا﴾ أي مائلاً إلى الإسلام مائلاً لا رجوع معه، والحنف أن يكون في القدم ميل، وهو أن تميل إبهام القدم إلى إبهام القدم، فتقبل هذه القدم على هذه القدم، ويكون ذلك خِلْقَةً. والحنيف الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت فيه.

ومعنى ﴿وَجَّهْتُ [وَجْهِيَ]﴾ أي جعلت قصدي بعبادتي توحيد الله عز وجل.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾.

المعنى حَاجَّوْهُ فِي اللَّهِ، فقال: ﴿أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ﴾.

ومحاجتهم إياه كانت - والله أعلم - فيما عبدوا مع الله عز وجل من الكواكب والشمس والقمر والأصنام، فقال: ﴿أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ﴾.

أَي فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ.

﴿وَقَدْ هَدَانِي﴾.

وقد بين لي ما به اهتديت.

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾.

أَي هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا أَخَافُهَا.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾.

(١) سورة إبراهيم آية: ٣٥.

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ أَنْ يَعَذِّبَنِي بِذَنْبٍ إِنْ كَانَ مِنْي . وَمَوْضِعُ «أَنْ» نَصْبٌ، أَيْ لَا أَخَافُ إِلَّا مَشِيئَةَ اللَّهِ .

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمُ اشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ .

أَيَّ وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ شِرْكَكُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ ^(١) يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا، أَيْ حُجَّةٌ بَيِّنَةٌ .

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ .

أَيُّ أَحَقُّ بِأَنْ يَأْمَنَ مِنَ الْعَذَابِ، الْمُوَحِّدُ أَمْ الْمُشْرِكُ وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ، أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ .

قَالُوا جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ هَذَا قَوْلُ اللَّهِ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ غَيْرَ حَكَايَةٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمَ قَالَ ذَلِكَ .

وقوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ .

دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ نَسَقَ عَلَى نُوحٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَهَدَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوحٍ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ، لِأَنَّ ذِكْرَهُمَا جَمِيعاً قَدْ جَرَى . وَأَسْمَاءُ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي جَاءَتْ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ نَسَقَ عَلَى نُوحٍ، إِلَّا أَنَّ الْيَسَعَ يُقَالُ فِيهِ الْيُسَعَ وَالْيَسَعُ، بِتَشْدِيدِ اللَّامِ وَتَخْفِيفِهَا .

وقوله: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ .

أَيَّ هَدَيْنَا هَؤُلَاءِ، وَهَدَيْنَا بَعْضَ آبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ .

مِثْلَ اخْتَرْنَاهُمْ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ جَبِيتِ الْمَاءِ فِي الْحَوْضِ إِذَا جَمَعْتَهُ .

(١) أَيَّ إِشْرَاكِكُمْ مَخْلُوقاً لَمْ يَنْزَلْ بِهِ حُجَّةٌ .

وقوله: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾.

[أي] الذين قد كفروا، ويكفرون، مِمَّنْ أرسلت إليه.

﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾.

أي قد وَّكَّلْنَا بالإيمان بها، وَقِيلَ في هذه ثلاثة أقوال.

قيل يعني بذلك الأنبياء الذين جرى ذكرهم آمنوا بما أتى به النبي ﷺ في وقت مبعثهم، وقيل يعني به الملائكة، وقيل أيضاً يعني به مَنْ آمَنَ مِنْ أصحاب النبي وأتباعه، وهو والله أعلم يعني به الأنبياء الذين تقدموا لقوله تبارك وتعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾.

أي الأنبياء الذين ذكرناهم الذين هدى الله فبهدهم اقتده أي إضبر كما صَبَرُوا، فَإِنْ قومهم قد كذبوهم فصبروا على ما كذبوا وأوذوا، فاقْتَدِ بِهِمْ.

وهذه الهاء التي في «اقْتَدِهِ» إنما تثبت في الوقف، تبين بها كسرة الدال، فَإِنْ وَصَلَتْ قُلْتَ «اقْتَدِ»^(١) ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ﴾.

قال أبو إسحق: والذي آخِثَارٌ مِنْ أَثِقٌ بعلمه أن يُوقِفَ عند هذه الهاء، وكذلك في قوله ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهْ﴾^(٢) و ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ وكذلك ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾^(٣) وكذلك ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾^(٤) وقد بينا ما^(٥) في «يتسَّنَّه» في سورة البقرة.

وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾.

(١) هاء السكت - وهي جائزة هنا.

(٢) سورة الحاقة: ١٩، ٢٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٥٩.

(٤) سورة القارعة آية: ١٠.

(٥) ج ١، ص ٢٤٣ - الآية ﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾.

معناه ما عظموا الله حقَّ عَظَمَتِهِ إِذْ جَحَدُوا تَنْزِيلَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْيَهُودِ - مِنْ مُنَافِقِيهِمْ - جَاءُوا وَهُمْ يِعَانِدُونَ النَّبِيَّ ﷺ يَجَادِلُونَهُ وَيُصَدُّونَ عَنْهُ، وَكَانَ سِمَتُهُمْ سِمَةُ الْأَخْبَارِ، وَكَانُوا يَتَنَعَّمُونَ وَلَا يَتَعْبُدُونَ، فَأَعْلَمَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ لَا يَحِبُّ الْحَبَرَ السِّمِينَ، فَجَحَدُوا التَّوْرَةَ، وَقَالُوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾.

يُظْهِرُونَ مَا يُحِبُّونَ مِنْ ذَلِكَ وَيُخْفُونَ كَثِيرًا.
﴿وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾.

أَيُّ عُلِّمْتُمْ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ كَانَ فِي عَمَلٍ لَا يَجِدِي إِلَّا أَنْتَ لَاعِبٌ.
وَقَوْلُهُ: ﴿وَلْتَنْذِرْ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

تَقْرَأُ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ جَمِيعًا فِي ﴿لْتَنْذِرْ﴾ الْمَعْنَى أَنْزَلْنَاهُ لِلْبَرَكَةِ وَالْإِنْذَارِ، وَمَعْنَى أُمُّ الْقُرَى أَيُّ أَهْلِ أُمِّ الْقُرَى، وَ«مَنْ حَوْلَهَا» عَطْفٌ عَلَيْهِمْ^(١)، وَأُمُّ الْقُرَى مَكَّةُ سُمِّيَتْ أُمُّ الْقُرَى لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ الْقُرَى شَأْنًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾.

جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُ يَعْنِي بِهِ مُسِيلِمَةً، وَصَاحِبَ صَنْعَاءَ، لِأَنَّهُمَا ادْعَايَا النَّبِوَةِ.

(١) أَيُّ عَطْفٌ عَلَى أَهْلِ أُمِّ الْقُرَى... وَهُوَ نَازِلٌ لِلْمَعْنَى.

﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

موضع «من» جرّ. المعنى : ومن أظلم ممن افترى ومن قال سأُنزلُ مثل ما أنزل الله ، وهذا جواب لقولهم : لو نشاء لقلنا مثل هذا .

وقوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ .

جواب «لو» محذوف ، المعنى : ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت لرأيت عذاباً عظيماً ، ويقال لكل من كان في شيء كثير : قد غمر فلاناً ذلك ، ويقال قد غمر فلاناً الدين ، تأويله : قد كثر فصار فيما يعلم بمنزلة ما يُتصرّ قد غمر وغطى من كثرتة .

وقوله عز وجل : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ .

(أي) عليهم بالعذاب .

ومعنى ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ .

فيه وجهان - الله أعلم . -

يقولون ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ : فجائز أن يكون كما تقول للذي تعذبه لأزهق نفسك ، ولأخرجن نفسك - فهم يقولون - والله أعلم .

أخرجوا [أنفسكم] على هذا المعنى (١) .

وجائز أن يكون المعنى خلصوا أنفسكم . أي لستم تقدرّون على الخلاص (٢) .

﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ .

أي العذاب الذي يقع به العذاب الشديد . .

(١) أي ذوقوا العذاب ولتزهق أنفسكم أي موتوا .

(٢) هو أمر للتحدي ، أي لستم قادرين على إخراج أنفسكم .

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.
أما معنى «فرادى» فكل واحدٍ مُنفردٍ من شريكه في الغيِّ وشقيقه^(١).
ومعنى: ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

جاء في التفسير: عُرَاءٌ غُرْلًا، والغُرْلُ هُمُ الغُلْفُ^(٢). والذي تحتمل
اللغة أيضاً. كما بدأناكم أول مرة، أي كان بعثكم كخلقكم.

وقوله: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾.
الرفع أجود، ومعناه لقد تقطع وصلكم. والنصب جائز.
المعنى: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم.
وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾.

أي يشق الحبة اليابسة الميتة والنواة اليابسة فيُخرجُ منها ورقاً أخضر،
وهو معنى، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾.

أي يخرج النبات الغضُّ الطريُّ الخضرَ من الحب اليابس، ﴿وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾.

ويخرج الحب اليابس من النبات الحيِّ النامي.
احتج الله جلَّ ثناؤه عليهم بما يُشاهدونَ من خَلْقِهِ لَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا البعث
فأعلمهم أنه الذي خلق هذه الأشياء وأنه قادر على بعثهم.

وقوله: ﴿فَأَنَّى تُؤْفِكُونَ﴾.
أي فمن أين تصرفونَ عن الحقِّ.
وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾.

(١) منفرد من شريكه وشقيقه.

(٢) جمع أغلف - الذي لم يختن.

معنى الإصباح والصبح واحد، جائز أن يكون خالقُ الإصباح وجائز أن يكون معناه شاقُّ الصبح، وهو راجع إلى معنى خالق الصبح.

وقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾.

النصب في الشمس والقمر هي القراءة. والجر جائز على معنى وجاعل ﴿الشمس والقمر حُسبانًا﴾، لأن في جاعل معنى جَعَلَ، وبه نصبت ﴿سكنًا﴾ ولا يجوز جَاعِلُ اللَّيْلِ^(١) سكنًا، لأن أسماء الفاعلين إذا كان الفعل قد رفع أضيفت إلى ما بعدها لَأَغْيَرُ تقول هذا ضاربٌ زَيْدٌ أَمْسَ.

فإجماع النحويين أنه لا يجوز في زيد النُّصْب، وعلى ذلك أكثر الكوفيين، وبعض الكوفيين يجيز النُّصْب. فإذا قلت هذا مُعْطِي زَيْدٍ درهمًا فنصب الدَّرْهَمَ محمول على أعطى.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾.

الأكثر في القراءة «مُسْتَقَرٌّ» بفتح القاف، وقد قرئت بكسرها و﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ بالفتح لا غير. وأما رفع مُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ فعلى معنى لكم مُسْتَقَرٌّ ولكم مُسْتَوْدَعٌ، ومن قرأ بالكسر، فمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ فعلى^(٢) معنى فمنكم مُسْتَقَرٌّ ومنكم مُسْتَوْدَعٌ. وتأويل مُسْتَقَرٌّ أي مُسْتَقَرٌّ في الرحم ومُسْتَوْدَعٌ أي منكم مُسْتَوْدَعٌ في أصلاب الرجال، وعلى هذا أيضاً فمُسْتَقَرٌّ بفتح القاف، ومُسْتَوْدَعٌ، أي فلکم مُسْتَقَرٌّ ولكم في الأصلاب مُسْتَوْدَعٌ^(٣) وجائز أن يكون فمُسْتَقَرٌّ - بالكسر - ومُسْتَوْدَعٌ [أي] فمنكم مُسْتَقَرٌّ في الأحياء ومنكم مُسْتَوْدَعٌ أي مُسْتَقَرٌّ في الدنيا موجود، ومُسْتَوْدَعٌ في الأصلاب لم يخلق بَعْدُ. وجائز أن يكون

(١) لا يجوز رفع الليل على أنه فاعل.

(٢) في الأصل على بدون فاء.

(٣) مصدر ميمي أو اسم مكان.

فمستقِرُّ بالكسر، ومستودَعُ فمنكم مستقر في الأحياء ومنكم مستودع في الثرى.

وهذه الأقوال كلها قد قبلت والله أعلم بحقيقة ذلك وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.

قال أهل اللغة أصل كلمة (١) ماء ماء إلا أن الهمزة أبدلت من الهاء لِحِفَاءِ الهاء، والدليل على ذلك قولهم أمواه في جمعه، ومياه، ويصغر مؤنه، قال الشاعر:

سقى الله أمواهاً عرفت مكانها جُرَاباً وملكوماً وبذرَ والغمرَ (٢)

وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ معنى خَضِر كمعنى أَخْضَرَ، يقال اخضر فهو أخضر وخضِر، مثل اعور فهو أعور وعور.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾.

[قِنْوَان] جمع قِنُو مثل صِنُو وصِنْوَان، وإذا ثَنِيَتِ القِنُو فهما قِنْوَانٍ يا هذا بكسر النون، والقِنُو العَذْقُ بكسر العين وهي الكباسة، والعَذْقُ النخلة، ودانية أي قريبة المتناول، ولم يقل ومنها قِنْوَانٌ بعيدة. لأن في الكلام دليلاً أن البعيدة السحيقة من النخل قد كانت غير سحيقة، واجتزأ بذكر القرية عن ذكر البعيدة، كما قال عز وجل: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ ولم يقل وسرايل تقيكم البرد. لأن في الكلام دليلاً على أنها تقي البرد لأن ما يستر من الحر يستر من البرد.

(١) في الأصل «كل ماء» وظاهر أنه تحريف.

(٢) هو كثير عزة، وجراب - بضم أوله - وملكوم وبذر كلها آبار بمكة يدعو لأهلها بالسقيا - وبذر - فعل - مشدد العين مفتوح الفاء وهذا الوزن قليل أو نادر في العربية للأسماء - ذكر صاحب اللسان ستة أسماء على هذا الوزن منها اسم عبراني وهو شلم ليبت المقدس، ويقم اسم أعجمي لشجر - أنظر اللسان (بذر) وأنظر الخزانة ٢ - ٣١٠، وسبويه ٢.

وقوله: ﴿وَجَنَاتٍ مِّنْ أَغْنَابٍ﴾.

عطف على قوله خَضِرًا، أي فأخرجنا من الماء خَضِرًا وَجَنَاتٍ من أغناب والجنة البستان، وإنما سمي البستان جنة، وكل نبت متكاثف يستر بعضه بعضاً فهو جنة، وهو مشتق من جنت الشيء إذا سترته، ومن هذا قيل للترس مَجَنٌّ لأنه يستر.

وقوله: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ تُشْتَبَاهُ وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾.

أي في الطعم وفيه ما يشبه طعم بعضه طعم بعض.

وَقَرَنَ الزَّيْتُونَ بِالرُّمَّانِ لِأَنَّهُمَا شَجَرَتَانِ تَعْرِفُ الْعَرَبُ أَنَّ وَرَقَهُمَا يَشْتَمِلُ عَلَى الْغَصْنِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ: (١)

بورك الميت الغريب كما بورك نَضْرُ الرُّمَّانِ والزيتون

ومعناه أن البركة في ورقه واشتماله على عوده كله.

وقوله: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾.

يقال ثمرة وثَمَرٌ وثِمَارٌ، وثَمَرٌ جمع ثِمَارٍ، فمن قرأ إلى ثَمَرِهِ بِالضَّمِّ أَرَادَ جَمَعَ الْجَمْعِ، وَإِنْ شَتَّ قُلْتُ إِلَى ثَمَرِهِ فَخَفَفْتُ لِثَقُلِ الضُّمَّةِ.

﴿وَيَنَعِهِ﴾.

الْيَنَعُ النَّضْجُ، يُقَالُ يَنَعُ الشَّجَرُ وَيَنَعُ إِذَا أَدْرَكَ. قَالَ الشَّاعِرُ: (٢)

(١) فِي اللِّسَانِ - (بِرْك) لَابِسِي طَالِبُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعِبَارَتُهُ: «... كَمَا بَوْرُكُ نَضَحِ الرُّمَّانِ وَالزَّيْتُونِ». وَفِي مَخْتَارِ الْأَغَانِي ٣٨٢/٦ «غَصْنُ الرِّيحَانِ» - وَهِيَ قَصِيدَةٌ لَيْسَتْ قَصِيرَةً، وَمَسَافِرُ أَخُو أَبِي مَعِيْطٍ شَقِيقٌ لَهُ، أَمَهُمَا أَمَةُ بِنْتُ أَبِيانَ بْنِ كَلِيبٍ بْنِ رَبِيعَةَ - وَهُمَا أَخَوَانُ لِأَعْمَامِهِمَا أَبِي الْعَاصِ وَإِخْوَتُهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، لِأَنَّ أَبَا عَمْرٍو - وَالِدَ مَسَافِرٍ - تَزَوَّجَ أَمَةَ هَذِهِ بَعْدَ أَبِيهِ، فَأَوْلَادُهُ مِنْهَا أَخَوَةٌ لِأَعْمَامِهِمْ. وَكَتَبْتُهُ مَسَافِرُ أَبُو أُمَيَّةَ، وَهُوَ وَالِدُ أُمِ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ أُمِ سَلِيمَةَ وَهُوَ أَحَدُ أَزْوَادِ الرَّائِكِ - وَلَهُ شَعْرٌ غَيْرُ كَثِيرٍ، وَكَانَ يَنَاقِضُ عِمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَكَانَ قَدْ خَطَبَ هِنْدَ بِنْتَ عَتَبَةَ، وَخَرَجَ إِلَى النُّعْمَانِ لِيَعِينَهُ، ثُمَّ عَادَ فَلَقِيَهُ أَبُو سَفْيَانَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ هِنْدًا - فَحَزَنَ وَمَاتَ وَانْظُرْ تَرْجَمَتُهُ فِي الْأَغَانِي.

(٢) يَنْسَبُ الْبَيْتُ لِلْأَحْوَصِ - وَقَالَ الْأَخْفَضُ رَاوِيَةَ الْكَامِلِ: الصَّحِيحُ أَنَّهَا لِيَزِيدٍ يَصِفُ جَارِيَةً. =

في قباب حول دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزيتون قَدْ يَنْعَا

قال أبو عبيدة البيت ليزيد بن معاوية أو للأحوص .

احتج الله عليهم بتصريف ما خلق ونقله من حال إلى حال ، بما يعلمون أنه لا يقدر عليه المخلوقون ، وأنه كذلك يبعثهم لأنهم كانوا يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ فقال لهم : ﴿إِنْ فِي ذَلِكَمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

فأعلمهم أن فيما قص دليلاً لمن صدق .

وقوله : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ .

المعنى أنهم أطاعوا الجنَّ فيما سولت لهم من شِرْكِهِمْ . فَجَعَلُوهم شركاءَ لله عزَّ وجلَّ وكان بعضهم ينسب إلى الجن الأفعال التي لا تكونُ إلا لله عزَّ وجلَّ فقال : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ .

فالهاء والميم إن شئت كانت عائدة عليهم ، أي فجعلوا لله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون . وجائز أن تكون الهاء والميم تعودان^(١) على الجن ، فيكون المعنى : وجعلوا لله شركاء الجن والله خلق الجن . وكيف يكون الشريك لله المحذث الذي لم يكن ثم كان .

فأما نصب الجن فمن وجهين أحدهما أن يكون الجن مفعولاً فيكون المعنى وجعلوا لله الجن شركاء ، ويكون الشركاء مفعولاً ثانياً كما قال : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً﴾^(٢) .

وجائز أن يكون الجن بدلاً من شُرَكَاءَ ، ومفسراً للشركاء .

وقوله : ﴿وَحَرِّقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ .

= انظر الكامل ٢٢٧/١ (تجارية) وهو في اللسان - ينح - بدون نسبة ، وفيه (دسكس) منسوباً للأخطل .

(١) في الأصل تعود ، وهو كما سيأتي - وهو يعني الهاء والميم في خلقهم .

(٢) سورة الزخرف : ١٩ .

كثيراً - يستعمل حروف الضمير ويعيد الضمير عليها مفرداً .

معنى خرقوا اختلقوا وكذبوا، وذلك لأنهم زعموا أن الملائكة بنات الله، وزعمت النصارى أن المسيح ابن الله، وذكرى اليهود أن عزيز ابن الله، فأعلم جل ثناؤه أنهم اختلقوا ذلك بغير علم، أي لم يذكروه^(١) عن علم، وإنما ذكروه تكذباً.

وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾.

[أي] براءته من السوء، ومعنى سبحانه التبرئة عن كل سوء، لا اختلاف بين أهل اللغة في معنى التسبيح أن التبرئة لله جل وعز.

وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي هو خالق السموات والأرض.

﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾.

أي من أين يكون له ولد، والولد لا يكون إلا من صاحبة.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

فاتحج جل وعز في نفي الولد بأنه خالق كل شيء، فليس كمثله شيء، وكيف يكون الولد لمن لا مثل له، فإذا نسب إليه الولد فقد جعل له مثل.

وقوله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.

أعلم عز وجل أنه يدرك الأبصار، وفي هذا الإعلام دليل أن خلقه لا يدركون الأبصار، أي لا يعرفون كيف حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر بعينه دون أن يبصر من^(٢) غيرهما من سائر أعضائه، فأعلم أن خلقاً من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه، ولا يحيطون بعلمه، فكيف به عز وجل:

(١) لم يذكروا هذا الذي أذاعوه واختلقوه.

(٢) دون أن يكون أبصاره من خلال أعضاء أخرى.

فالأبصار لا تحيط به ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ .

فأما ما جاء من الأخبار في الرؤية وصح عن رسول الله فغير مدفوع .

وليس في هذه الآية دليل على دفعه ، لأن معنى هذه الآية معنى إدراك الشيء ، والإحاطة بحقيقته . وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث .

وقوله : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .

أي قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر .

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ .

المعنى فلنفسه نفع ذلك .

﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ .

أي فعلى نفسه ضرر ذلك ، لأن الله جل ثناؤه غني عن خلقه .

وقوله : ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ .

أي لست آخذكم بالإيمان آخذ الحفيظ والوكيل ، وهذا قبل الأمر بالقتال ، فلما أمر النبي ﷺ بالقتال صار حفيظاً عليهم ومسيطرأ على كل من تولى .

وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ﴾ .

أي ومثل ما بينا نبين الآيات .

وموضع الكاف نصب . التي في أول كذلك . المعنى ونصرف الآيات في مثل ما صرفناها فيما تلي عليك .

وقوله : ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ .

فيها خمسة أوجه ، فالقراءة دَرَسْتَ . بفتح الدال وفتح التاء ومعناه وليقولوا قرأت كتب أهل الكتاب وتقرأ أيضاً دَارَسْتَ ، أي ذاكرت أهل

الكتاب. وقال بعضهم: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ أي هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست، أي قد مضت وامتحنت، وذكر الأخفش درست بضم الراء ومعناها «درست» إلا أن درست بضم الراء أشد مبالغة^(١)، وحكى درست بكسر الراء أي قرئت.

وقوله: ﴿وَلَنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

إن قال قائل: إنما صُرِّفَت الآيات ليقولوا درست^(٢)، فالجواب في هذا أن السبب الذي أداهم إلى أن يقولوا درست هو تلاوة الآيات، وهذه اللام يسميها أهل اللغة لام الصيرورة، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(٣) فهم لم يلتقطوه يطلبون بأخذه أن يعاديهم ولكن كانت عاقبة أمره أن صار لهم عدواً وحزناً. وكما تقول: كتب فلان هذا الكتاب ليحتفيه^(٤)، فهو لم يقصد بالكتاب أن يهلك نفسه، ولكن العاقبة كانت الهلاك.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾.

أي لو شاء الله لجعلهم مؤمنين، وقيل لو شاء الله لأنزل عليهم آية تَضطرهم إلى الإيمان، وقال بعضهم ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾.

أي لو شاء لاستأصلهم فقطع سبب شركهم.

وقوله: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

نُهِوا في ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الأضنَامَ التي يعبدُها المشركون.

(١) لأن فعل يدل على أن ذلك صار سجية وفطرة في الشيء.

(٢) الجملة في معنى الاستفهام، أي هل صرفت الآيات لهذا.

(٣) سورة القصص - ٨.

(٤) لهلاكه.

﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

أي فَيَسُبُّوا اللَّهَ ظُلْمًا، وقال بعضهم فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا. وعَدُوًّا ههنا في معنى جماعة، كأنه قيل: فَيَسُبُّوا اللَّهَ أَعْدَاءً.

وعَدُوًّا منصوب في هذا القول على الحال. وعَدُوًّا منصوب على المصدر^(١) على إرادة اللام، لأن المعنى فيعتدون عَدُوًّا، أي يظلمون ظُلْمًا، ويكون بإرادة اللام [أي فَيَسُبُّوا اللَّهَ لِلظلم] وفيها وجه آخر. فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا - بضم الدال - وهو في معنى عَدُوًّا ويقال في الظلم عَدَا فلان عَدُوًّا وعَدُوًّا، وعَدُوَانًا، وعَدَاءً. أي ظلمًا جاوز فيه القَدْرًا.

وقوله تعالى عز وجل: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾.

فيه غير قول: أنه بمنزلة ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فذلك تزين أعمالهم، قال اللَّه عز وجل: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾^(٢).

وقال بعضهم: ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ أي زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ الْعَمَلُ الَّذِي هُوَ فرض عليهم. والقول الأول أجود. لأنه بمنزلة ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. والدليل على ذلك، ونقض هذا^(٣) قوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا، فَإِنْ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤).

وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.

أي اجتهدوا في المبالغة في اليمين.
﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا﴾.

(١) على الأول تقديره يسبونه عادين، وعلى الثاني يسبونه لأجل العدو، فهو مفعول له، أو مصدر.

أي يعدون بسبه عدوًّا.

(٢) النساء - ١٥٥.

(٣) الدليل على صحة القول الأول ونقض الثاني.

(٤) سورة فاطر - ٨.

وإنما حلفوا على ما افترحوا هُمْ^(١) من الآيات، وإنما قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ
لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾^(٢) إلى قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا﴾^(٣).
أَي تَأْتِي بِهِمْ كَفِيلًا، أَي يَكْفُلُونَ.

فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْآيَاتِ عِنْدَ اللَّهِ.
ويروى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: لَوْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ آيَةً لَعَلَّهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ، فَقَالَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
أَي وَمَا يُدْرِيكُمْ، أَي لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، فَلَا تَدْرُونَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ،
كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا قَالَ لَكَ: أَفْعَلْ بِي كَذَا وَكَذَا حَتَّى أَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا مِمَّا لَا
تَعْلَمُ أَنَّهُ يَفْعَلُهُ لَا مُحَالَةً: مَا يُدْرِيكَ^(٤). ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ: ﴿أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾^(٥). هَذِهِ هِيَ الْقِرَاءَةُ، وَقُرِئَتْ أَيْضًا ﴿أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
وَزَعَمَ سِيبَوَيْهِ عَنِ الْخَلِيلِ أَنَّ مَعْنَاهَا لَعَلَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَهِيَ
قِرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَقَالَ الْخَلِيلُ: إِنَّهَا كَقَوْلِهِمْ إِيَّتِ السُّوقَ أَنْتَ تَشْتَرِي شَيْئًا،
أَي لَعَلَّكَ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهَا «أَنَّ» الَّتِي عَلَى أَصْلِ الْبَابِ، وَجَعَلَ «لَا» لَغَوًّا،
قَالَ: وَالْمَعْنَى وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ يُؤْمِنُونَ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَحَرَامٌ
عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٦).

(١) أَي عَلَى آيَاتٍ خَاصَّةٍ اقْتَرَحَهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُؤَلِّفُ.

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ الْآيَاتِ ٩٠ وَمَا بَعْدَهَا.

(٣) أَوَّلُ الْآيَةِ: «أَوْ تَسْقُطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْقَالًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا» وَبَعْدَهَا: «أَوْ

يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زَخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ».

(٤) أَي تَجْبِيهِ بِقَوْلِكَ مَا يُدْرِيكَ.

(٥) تَابِعٌ فِي هَذَا أَبَا عُبَيْدَةَ وَالْمَبْرَدُ وَانْظُرْ انْبَاءَ الرِّوَاةِ ٣ - ٢٤٣.

(٦) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ - ٩٥. وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ.

والقول الأول أقوى وأجود في العربية والكسر أحسنها وأجودها. والذي ذكر أن «لا» لغو غلط، لأن ما كان لغواً لا يكون غير لغو^(١).

من قرأ: إنها إذا جاءت - بكسر إن - فالإجماع أن «لا» غير لغو، فليس يجوز أن يكون معنى لفظه مرةً النفي ومرة الإيجاب. وقد أجمعوا أن معنى أن ههنا إذا فتحت معنى لعل، والإجماع أولى بالإتباع.

وقد بينت الحجة في دفع. ما قاله من زعم أن لا لغو.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

هذا جواب قول المؤمنين: ^(٢) لعلهم يؤمنون.

فأعلم الله عز وجل أنهم لا يؤمنون، وهذا كإعلام نوح: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ ^(٣).

ومعنى ﴿قُبَلًا﴾ جمع قبيل، ومعناه الكفيل. ويكون المعنى: وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً قبلاً. ويجوز أن يكون قُبَل جمع قبيل، ومعناه الكفيل، ويكون المعنى: لو حشرنا عليهم كل شيء ونجعل لهم بصحة ما نقول ما كانوا ليؤمنوا، ويجوز أن يكون ﴿قُبَلًا﴾ في معنى ما يقابلهم، أي لو حشرنا عليهم كل شيء فقابلهم.

ويجوز وحشرنا عليهم كل شيء قُبَلًا أي عياناً، ويجوز قُبَلًا على تخفيف قُبَل وكل ما كان على هذا المثال فتخفيفه جائز، نحو الصُحف والصحف والكتب والكتُب، والرسل والرسُل.

(١) لا تكون لغواً في مكان وأصيلة في مكان آخر.

(٢) في الأصل أنهم لعلهم.

(٣) انظر الآية - ٣٦ من سورة هود.

ومعنى إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَيَّ إِلَّا أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ، وجائز أن يكون نَزَلَ عليهم آية تضطرهم إلى الإِيْمَانِ.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾.

أَيَّ وكما جعلنا لك ولأُمَّتِكَ شياطين الجن والإنس أعداء كذلك جَعَلْنَا لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهِمْ. و«عَدُوًّا» في معنى أعداء، و«شياطين الإنس وَالْجِنِّ» منصوب على البدل مِنْ عَدُوٍّ، ومُفسِّراً له، ويجوز أن يكون «عَدُوًّا» منصوباً على أنه مفعول ثانٍ. المعنى وكذلك شياطين الجن والإنس أعداء للأنبياء وأممهم.

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

الزخرف في اللغة الزينة.

والمعنى أن بعضهم يُزَيِّنُ لبعض الأعمال القبيحة، و«غُرُورًا» منصوب على المصدر، وهذا المصدر محمول على المعنى، لأن مبنى إِيْحَاءِ الزخرف من القول معنى الغرور، وكأنه قال يَغُرُونَ غُرُورًا.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾.

أَيَّ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمَنَعَ الشَّيَاطِينَ مِنَ الْوَسْوَسَةِ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ الْأَبْلَغُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَجْزَلُ فِي الثَّوَابِ وَالْأَصْلَحُ لِلْعِبَادِ.

وقوله: ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْتَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾.

معنى «لتصغى» لتَمِيلَ، أَي وَلِيَصِيرَ أَمْرُهُمْ إِلَى ذَلِكَ.

ويجوز، وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْتَدَةُ.

يقال صَغَوْتُ أَصْغَى مِثْلَ مَحَوْتُ أَمْحَى، وإنما جاز أَصْغَى وكان ينبغي أن يكون أَصْغَوْ لِمَوْضِعِ الْغَيْنِ، لأنها تفتح هي وأخواتها. وهو أن يَفْعُلَ وَيَفْعِلُ

يصير معها في كثير من الكلام بفعل نحو صَبَغَ يَصْبِغُ وأصله يَصْبُغُ، وهو يقال ومِثْلُ ذَهَبٍ يَذْهَبُ، كأنه كان يَذْهَبُ، ويقال صَغَيْتُ أَصْغَى أيضاً، وصَغَيْتُ أَصْغَى شاذ^(١)، وَأَصْغَيْتُ أَصْغِي جَيِّدٌ بَالِغٌ كَثِيرٌ وَأَفْثَلَةٌ: جمع فؤاد، مثل غراب وأغربة.

ومعنى: ﴿وَلْيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾.

جائز أن يكون وليعملوا ما هم عاملون من الذنوب، يقال قد اقترف فلان ذنباً، أي قد عمل ذنباً.

ويجوز «وليقترفوا» أي ليختلقوا وليكذبوا، وهذه لام أن، المعنى ولأن يَرْضَوْهُ وَلْيَقْتَرِفُوا عَلَى أَنْ اللام لام أمر^(٢) ومعناه معنى التهديد والوعيد، كما تقول أفعَل ما شئت، فلفظه لفظ الأمر ومعناه معنى التهديد.

وقوله: ﴿وَلَنْ تَطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

أَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ أَكْثَرَهُمْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَكْبَارَهُمْ لَيْسَ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ عَلَى بَصَائِرٍ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَظُنُّونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَائِدٌ، وَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ النَّبِيَّ حَقٌّ.

فإن قال قائل: كيف يعذبون وهم ظاننون، وهل يجوز أن يعذب من كفر وهو ظان، وَمَنْ لَمْ يَكْفُرْ وَهُوَ عَلَى يَقِينٍ؟ فالجواب في هذا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ شَأْؤُهُ قَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ يَعَذِّبُ عَلَى الظَّنِّ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(٣) والحجة

(١) في القاموس: صغا يصغو، ويصغي صغواً، وصغى كرضى صغياً وصغياً - والشذوذ في أصغى - وعينه حرف حلق - لأن صغا المفتوح العين واوي وليس يائياً.

(٢) في ط ليقترفوا فقط.

(٣) سورة ص - ٢٧.

في هذا أنهم عَذَّبُوا عَلَى هذا الظن، لأنهم اتبعوا أهواءهم وتركوا التماس البصيرة من حيث يجب واقتصروا على الظن والجهل.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.
موضع «مَنْ» رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام.

المعنى: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ أَيُّ النَّاسِ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ، وهذا مثل قوله: ﴿لَنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

معناه كلوا مما أَخْلَصْتُمْ ذَبْحَهُ لِلَّهِ، والمنع من المَيْتَةِ دَاخِلٌ فِي هذا، وليس بين الناس اختلاف في أَنَّ الْمُشْرِكِينَ نَظَرُوا الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا لَهُمْ: تَتْرَكُونَهُ مَا سَبَقَكُمْ اللَّهُ إِلَى إِمَاتَتِهِ وَتَأْكُلُونَ مَا أَمْتُمْ أَنْتُمْ فَأَعْلَمَ جَلَّ وَعَزَّ أَنَّ الْمَيْتَةَ حَرَامٌ وَأَنَّ مَا قَصِدَ بِتَرْكِتِهِ اتِّبَاعُ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَذَلِكَ الْحَلَالُ، فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ إِلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

وَمَوْضِعُ «أَنَّ» نَصَبٌ لِأَنَّ «فِي» سَقَطَتْ فَوَصَلَ الْمَعْنَى إِلَى «أَنَّ» فَنَصَبَهَا. المعنى أَي شَيْءٍ يَقَعُ لَكُمْ فِي أَنْ لَا تَأْكُلُوا.

وسيبيوه يجيز أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ «أَنَّ» جَرًّا وَإِنْ سَقَطَتْ «فِي»، وَالنَّصَبُ عِنْدَهُ أَجُود.

قال أبو إسحق: وَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَنَّ الْمَوْضِعَ نَصَبٌ.
﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

وَحَرَّمَ جَمِيعًا، أَي فَصَلَ لَكُمْ الْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ، وَأَحَلَّ لَكُمْ فِي الْاضْطِرَارِّ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ.

(١) سورة الكهف - ١٢.

فموضع «ما» نصب في قوله: ﴿إِلَّا مَا اضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ .
ومعنى ما اضْطَرَرْتُمْ دَعَتْكُمْ شِدَّةُ الضَّرُورَةِ ، أي شِدَّةُ الْمَجَاعَةِ إِلَى أَكْلِهِ .

﴿وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ .

أي إِنْ الَّذِينَ يُجِلُّونَ الْمَيْتَةَ وَيُنَظِّرونَكُمْ فِي إِحْلَالِهَا ، وكذلك كل ما يضلُّونَ فِيهِ ، إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ فِيهِ الْهَوَى وَالشَّهْوَةَ وَلَا بَصِيرَةَ وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ .

وقوله: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ .

جاء في التفسير أَنَّ ظَاهِرَهُ الزُّنَا ، وباطنه اتِّخَاذُ الْأَخْدَانِ وَالْأَصْدِقَاءِ عَلَى جِهَةِ الرِّيْثَةِ . والذي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ أَنَّ الْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - اِتْرَكُوا الْإِثْمَ ظَهْرًا ، أَوْ بَطْنًا ، أَي لَا تَقْرَبُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ جَهْرًا وَلَا سِرًّا .

وقوله: جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ : أَي مِمَّا لَمْ يُخَلِّصْ ذَبْحُهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ ومعنى الْفِسْقُ الْخُرُوجُ عَنِ الْحَقِّ وَالسَّيِّئِ ، يُقَالُ فَسَقْتُ الرُّطْبَةَ ، إِذَا خَرَجَتْ عَنْ قَشَرَتِهَا .

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ .

أَي يُوسَّوسُ الشَّيْطَانُ لَوَلِيَّهِ فَيُلْقِي فِي قَلْبِهِ الْجِدَالَ بِالْبَاطِلِ ، وَهُوَ مَا وَصَفْنَا مِنْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ جَادَلُوا الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَيْتَةِ .

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ .

هذه الآية فيها دليل أَنَّ كُلَّ مَنْ أَحَلَّ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَوْ حَرَّمَ شَيْئًا مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ فَهُوَ مُشْرِكٌ . لو أَحَلَّ مُحِلُّ الْمَيْتَةِ فِي غَيْرِ اضْطِرَارٍّ ، أَوْ أَحَلَّ الزُّنَا لَكَانَ مُشْرِكًا بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ ، وَإِنْ أَطَاعَ اللَّهُ فِي جَمِيعِ مَا أَمَرَ بِهِ ، وَإِنَّمَا سَمِيَ مُشْرِكًا لِأَنَّهُ اتَّبَعَ غَيْرَ اللَّهِ ، فَأَشْرَكَ بِاللَّهِ غَيْرَهُ ،

وقوله: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِتًّا فَاخْتِنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نَوْرًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾.

جاء في التفسير أنه يعني به النبي ﷺ وأبو جهل بن هشام. فالنبي ﷺ هُدي وأُعطي نور الإسلام والنُّبوة والحكمة، وأبو جهل في ظلمات الكفر. ويجوز أن تكون هذه الآية عامة لكل من هداه الله ولكل من أضله الله. فأعلم الله جل وعز أن مثل المهتدي مثل الميت الذي أُحيى وجعل مستضيئاً يمشي في الناس بنور الحكمة والإيمان، ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات لا يتخلص منها.

وقوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾.

موضع الكاف نصبٌ معطوفة على ما قبلها، وهو قوله: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، المعنى مثل ذلك الذي قصصنا عليك زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ عملهم، وكذلك جعلنا، أي ومثل ذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها، لأن الأكابر ما هم فيه من الرياسة والسَّعة أدعى لهم إلى المكر والكفر، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَوْ يَسْطُرُ اللَّهُ الرُّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾^(١) وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ﴾^(٢).

ومعنى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

أي ذلك المكر يحيق بهم، لأنهم بمكرهم يُعَذِّبُونَ.

وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾.

هذه الهاء والميم تعودان^(٣) على الأكابر الذين جرى ذكْرُهُمْ لأنهم

(١) الشورى - ٢٧.

(٢) الزخرف - ٣٣.

(٣) في الأصل يعود أي كلمة هم، وتقدم مثل هذا.

قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُعْطَى مِنَ الْآيَاتِ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ الْأَنْبِيَاءُ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ يَصْلَحُ، فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.
أي هو أعلم بِمَنْ يَخْتَصُّ لِلرَّسَالَةِ.

وقال بعضهم لا يبلغ في تصديق الرسل إلا أن يكونوا قبل مبعثهم مُطَاعِينَ فِي قَوْمِهِمْ، لِأَنَّ الطَّعْنَ كَانَ يَتَسَعُ عَلَيْهِمْ، وَيُقَالُ إِنَّمَا كَانُوا أَكْبَرَ وَرُؤْسَاءَ فَاتَّبَعُوا.

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي هم وإن كانوا أَكْبَرَ فِي الدُّنْيَا سَيُصِيبُهُمْ صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ أَي مَذَلَّةٌ، وَ«عِنْدَ» مُتَصِلَةٌ بِسَيُصِيبُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ صَغَارٌ. وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ «عِنْدَ» مُتَصِلَةً بِصَغَارٍ فَيَكُونُ الْمَعْنَى سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ ثَابِتٌ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ.

وَلَا تَصْلَحُ أَنْ تَكُونَ «مِنْ» مَحْذُوفَةٌ مِنْ «عِنْدَ» إِنَّمَا الْمَحْذُوفُ «فِي» مِنْ «عِنْدَ» فِي الْمَعْنَى إِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ عِنْدَ عَمْرٍو وَالْمَعْنَى زَيْدٌ فِي حَضْرَةِ عَمْرٍو^(٢).

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾.

يُرَوَّى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: وَهَلْ يَنْشَرَحُ الصَّدْرُ، فَقَالَ نَعَمْ، يَدْخُلُ الْقَلْبُ النُّورُ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هَلْ لَذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ قَالَ نَعَمْ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ وَالْإِسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ الْمَوْتِ.

(١) الدخان - ٣٢.

(٢) يريد أن المحذوف من هذا الظرف هو «في» وليس «من».

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾.

يُروى عن ابن عباس أنه قال: الْحَرَجُ موضع الشجر الملتف، فكأن قلب الكافر لا تَصِلُ إليه الحكمة، كما لا تصل الراعية إلى الموضع الذي يلتف فيه الشجر. وأهل اللغة أيضاً يقولونه: الشجر الملتف يقال له الْحَرَجُ^(١). والحرَجُ في اللغة أضيق الضيق والذي قال ابن عباس صحيح حَسَنٌ. فالمعنى عند أهل اللغة أنه ضيق جداً.

ويجوز حَرَجاً - بكسر الراء - فمن قال حَرَجٌ فهو بمنزلة قولهم: رجل دَنَفٌ^(٢)، لأن قولك دَنَفٌ ههنا وَحَرَجٌ ليس من أسماء الفاعلين. إنما هو بمنزلة قولهم: رَجُلٌ عَدْلٌ أي ذو عدل.

وقوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾.

وَيَصَاعِدُ أيضاً، وأصله يَتَصَاعَدُ وَيَتَصَعَّدُ، إِلَّا أَنَّ التَّاءَ تدغم في الصَّاد لقربها منها.

ومعنى ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ - واللَّهُ أعلم - كأنه قد كلف أن يَصْعَدَ إلى السماء إِذَا دُعِيَ إلى الإسلام مِنْ ضَيْقِ صَدْرِهِ عنه، ويجوز أن يكون - واللَّهُ أعلم - كَأَنَّ قلبه يصعد في السماء نُبْؤاً على الإسلام واستماع الحكمة.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي مثل قصصنا عليك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون.

وَالرَّجْسُ اللَّعْنَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

(١) في القاموس الحرج جمع حرجة لمجتمع الشجر.

(٢) الدنف السقم والضنى، ودنف سقم.

أي للمؤمنين دار السلام، وقال بعضهم: السلام اسم من أسماء الله،
ودليله: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ﴾^(١). ويجوز أن تكون سميت الجنة دار
السلام لأنها دارُ السَّلامة الدائمة التي لا تنقطع.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾.
المعنى - والله أعلم - فيقال لهم: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ
الْإِنْسِ﴾.

المعنى قد استكثرتم ممن أضللتهم من الإنس.
﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ: رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾.

جاء في التفسير أن استمتع الإنس بالجن أن الرجل كان إذا سافر سافراً
فخاف أو أصاب صيداً، قال أَعُوذُ بِرَبِّ هَذَا الْوَادِي، وبصاحب هذا الوادي
يعني به الجن، واستمتع الجن بالإنس أن الإنسي قد اعترف له بأنه يقدر أن
يدفع عنه.

والذي يدل عليه اللفظ - والله أعلم - هو قبول الإنس من الجن ما كانوا
يَعُوذُونَهُمْ بِهِ لِقَوْلِهِ: اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ. فأما من كان يقول هذا أعني يستعيذ
بالجن فقليل.

﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾.

الْمَثْوَى الْمَقَامُ.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

منصوب على الحال، المعنى: النار مقامكم في حال خلود دائم.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

معنى الاستثناء عندي ههنا - والله أعلم - إنما هو من يوم القيامة، لأن

(١) سورة الحشر - ٢٣ - ويكون المعنى لهم دار الله - أي الجنة -.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً﴾ هو يوم القيامة، فقال خالدين فيها مُدَّ يُعْشُونَ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنْ مِقْدَارٍ حَشَرِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، ومقدار مدَّتِهِمْ في محاسبتهم، وجائز أن يكون إلا ما شاء الله أن يعذبهم به من أصناف العذاب، كما قال جل وعز: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾. خالدين فيها مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ^(١)، فيجوز والله أعلم إلا ما شاء ربك من مقدار حشرهم ومحاسبتهم ويجوز أن يكون إلا ما شاء ربك مما يزيدهم من العذاب.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

أي هو حكيم فيما جعله من جزائهم، وحكيم في غيره.
وقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾.

فقال: ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ وإنما المرسل من الإنس دون الجن، فإنما جاز ذلك لأن الجماعة تعقل وتخطب، فالرسل هم بعض من يعقل، وهذا كقوله: عز وجل: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(٢) وَإِنَّمَا يَخْرُجُ ذَلِكَ مِنَ الْمِلْحِ. أي البحر الذي ليس بعذب، فقال منهما لأن ذكرهما قد جُمِعَ، فهذا جائز في اللغة، في كل ما اتَّفَقَ في أصله كما اتفقت الجن مع الإنس في باب التمييز^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾: فَرَعَمَ سَيَئُوهُ أَنْ مَوْضِعَ ذَلِكَ رَفَعُ، المعنى: الأمر ذلك لأنه لم يكن ﴿رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾. وقال بعضهم: يجوز أن يكون موضعها نصباً، المعنى: قيل ذلك^(٤) لأنه

(١) سورة هود - ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) الرحمن ٢٢.

(٣) نوذي الجن والإنس معاً في الآية فجمعهما الخطاب، وكل منهما مميز.

(٤) على هذا التقدير يكون «ذلك» نائب فاعل مرفوعاً أيضاً، ولكنه يريد أنه مفعول لفعل محذوف.

مثل فعل ربك ذلك.

لم يكن ربُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ، والمعنى يخرج على جميع القولين لأنَّ المعنى يدل على أمر الإرسال، فكأنه - والله أعلم - ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرُّسل أمر عَذَاب مَنْ كَذَّبَ بِهَا لَأنه لم يكن مهلك القرى بظلم، أي لا يهلكهم حتى يبعث إليهم رسولاً، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾^(١).

وقوله: ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾.
موضع الكاف نصب، المعنى ﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء﴾ مثل ما أنشأكم.

يقال: أنشأ الله الخلق إذا خلقه وأبداه، وكل من ابتدأ شيئاً فقد أنشأه، ومن ذلك قولك فأنشأ الشاعر يقول، أي ابتدأ من نفسه، والنشأ الصغار من الأولاد، قال نَصِيبُ: ^(٢)

وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ صَبَا نَصِيبٌ لَقُلْتُ بِنَفْسِي النِّشَاءُ الصُّغَارُ
ولهذا يقال للصغار نشءٌ حَسَنٌ، ونُشوءٌ حَسَنٌ، أي قد ظهر له ابتداء حَسَنٌ.

وقوله: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾.
ومكاناتكم، المعنى اعملوا على تمكنكم. ويجوز أن يكون المعنى اعملوا على ما أنتم عليه، ويقال للرجل إذا أمرته أن يثبت على حال: على مكانتك يا فلان، أي أثبت على ما أنت عليه.

(١) سورة الإسراء آية ١٥.

(٢) البيت في اللسان «نشأ» ونصيب هو ابن رباح - كان أسود اللون عبداً لرجل من كنانة من آل ودان، وهو من فحول الشعراء الاسلاميين، ذو فصاحة - وتقدم في النسيب ولم يشب بغير امرأته، وكان عفيفاً كبير النفس، مدح عبد العزيز بن مروان، فأعطاه ألف دينار فك بها نفسه واتصل بعده سليمان بن عبد الملك - وله في معجم الادباء أشعار تنسب أيضاً إلى مجنون ليلى وله =

فإن قال قائل فكيف يجوز أن يأمرهم النبي ﷺ أن يُقيموا على الكفر فيقول لهم: ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ﴾، فإنما معنى هذا الأمر المبالغة في الوعيد، لأن قوله لهم: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

قد أعلمهم أن من عمل بعملهم فإلى النار مصيره، فقال لهم: أقيموا على ما أنتم عليه إن رضيتم العذاب بالنار.

والحامي الذي حمى ظهره أن يُركب، ﴿وَأَنعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

فاعلم الله عز وجل أن ذلك افتراء، أي يفعلون ذلك افتراءً عليه، وهو منصوب بقوله: ﴿لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ﴾.

وهذا يسميه سيبويه مفعول له. وَحَقِيقَتُهُ أن قوله: لَا يَذْكُرُونَ بمعنى يَفْتَرُونَ، فكانه قال يفترون افتراءً.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾.

وكأنه إذا جعلوا لأصنامهم مما في بطون الأنعام شيئاً جعلوه ما يكون ذكراً مولوداً حياً يأكله الذكوران خاصة، ولا يجيزون أن يأكل النساء شيئاً، فإن كان ذكراً ميتاً اشترك فيه الرجال والنساء، وهو قوله عز وجل:

﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾^(١).

ثم قال: ﴿خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا﴾.

فهو على ضربين: أجودهما أن يكون أنتَ الخَبَرُ، وجعل معنى «ما»^(٢) التائيت لأنها في معنى الجماعة، كأنهم قالوا جماعة ما في بطون هذه الأنعام

ترجمة في بغية الوعاة - انظر المعجم ٢٢٨/١٩ وما بعدها.

(١) تكن بالتاء قراءة، وقراءة عاصم: وأن يك مئنة.

(٢) «ما» في... ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام...﴾.

خالصةً لذكورنا، وَيُرَدُّ «وَعَرَّمُ» على لفظ ما^(١)، وقال بعضهم أنه لتأنيث الأنعام، والذي في بطون الأنعام ليس بمنزلة بعض الشيء، لأن قولك: سَقَطَتْ بعض أصابعه «بعض أصابع» إصْبَعٌ وهي واحدة منها، والذي في بطون الأنعام: مَا فِي بَطْنِ كُلِّ وَاحِدَةٍ غَيْرَهَا، وَمَنْ قَالَ يجوز على أن الجملة أنعام فكأنه قال: وقالوا الأنعام التي في بطون الأنعام خالصةً لذكورنا.

والقول الأول الذي شرحنا أيّين، لقوله «وَعَرَّمُ»، لأنه دليل على الحمل المعنى في «ما» على اللفظ^(٢).

وقرأ بعضهم «خالصةً لذكورنا»، فهو عندي - والله أعلم - ما خَلَصَ حَيًّا، ويجوز وإن يَكُنْ مَيِّتَةً بالياء، والتاءات^(٣)، ونَصَبَ مَيِّتَةً.

المعنى وإن تكن تلك الحمل التي في البطون مَيِّتَةً، ومن قرأ وإن يكن فعلى لفظ ما، المعنى إن يكن ما في البطن مَيِّتَةً، ويجوز «وإن تكن مَيِّتَةً» بالتاء ورفع الميِّتة، ويكون «تَكُنْ» بمعنى الحدوث والوقوع كأنه وإن تَقَعَ مَيِّتَةً وإن تَحْدَثَ مَيِّتَةً.

وقوله: «سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ».

المعنى - والله أعلم - سيجزيهم جزاء وصفهم الذي هو كَذِبٌ.

وقوله عز وجل: «سَفَهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ»، سفهاً منصوب على معنى اللام أي للسفه، مثل فعلت ذلك حذر الشر، ويجوز أن يكون منصوباً على تأويل المصدّر، لأن قتلهم أولادهم قد سفهوا فيه، فكأنه قال: سفهوا سفهاً، فقال

(١) محرم ذكر على لفظ «ما» أي ما في بطونها محرم.

(٢) دليل على أن «ما» محمولة على اللفظ.

(٣) مَيِّتَةً. وليس مَيِّتاً - الياء في يكن والتاءات في مَيِّتَةً.

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً [عَلَى اللَّهِ]﴾.

وقد فسرنا نصب افتراء.

ومعنى الافتراء ههنا الكذب. ثم احتج الله عليهم وَبَّهَ عَلَى عَظَمِ مَا أَتَوْهُ فِي أَنْ أَقْدَمُوا عَلَى الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَأَقْدَمُوا عَلَى أَنْ شَرَعُوا مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ فَقَالَ:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾.

فكأنه قال افتروا على الله وهو المحدث للأشياء الفاعل ما لا يقدر أحدٌ على الإتيان بمثله، فقال عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ (أَيِ ابْتَدَعَ) جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾، وَالْجَنَّاتُ الْبَسَاتِينُ. وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ﴾.

ومعنى المعروشات ههنا الكروم.

﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾.

في حال اختلاف أَكْلِهِ. وهذه مسألة شديدة في النحو إلا على من عرف حقيقتها، لأنَّ للقاتل أن يقول كيف أنشأه في حال اختلاف أَكْلِهِ وهو قد نشأ من قبل وَقُوعِ أَكْلِهِ. وأكَّله ثمره فالجواب في ذلك أنه عَزَّ وَجَلَّ قَدَّرَ إِنْشَاءَهُ بقوله: ﴿وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

فأعلم عَزَّ وَجَلَّ أنه المنشئ له في حال اختلاف أَكْلِهِ، ويجوز أنشأه ولا أكل فيه مختلفاً أَكْلُهُ، لأنَّ المعنى مُقَدَّرًا ذلك فيه، كما تقول: لتدخلن منزل زيد آكلين شاربين، المعنى تدخلون مُقَدَّرِينَ ذلك، وسيبويه دل على ذلك وبَيَّنَّه في قوله: مررت برجل معه صقر صائداً به غداً، فنصب صائداً على الحال، والمعنى مُقَدَّرًا الصيد.

ومعنى ﴿مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾.

على ضربين، فأحدهما أن بعضه يشبه بعضاً، وبعضه يخالف بعضاً ويكون أن يكون مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ، أَنَّ تَكُونَ الثَّمَارُ يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضاً فِي النَّظَرِ وَتَخْتَلِفُ فِي الطَّعُومِ.

وقوله: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾.

ثَمَرٌ جَمْعُ ثَمْرَةٍ، وَيَجُوزُ مِنْ ثَمَرِهِ، وَيَكُونُ الثَّمَرُ جَمْعُ ثَمَارٍ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ حُمْرٍ جَمْعِ حَمَارٍ. وَيَجُوزُ مِنْ ثَمَرِهِ.. بِإِسْكَانِ الْمِيمِ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

يَجُوزُ الْحَصَادُ وَالْحِصَادُ، وَتَقْرَأُ بِهِمَا جَمِيعاً، وَمِثْلُهُ الْجَدَادُ وَالْجِدَادُ لِصِرَامِ النَّخْلِ^(١).

اختلف الناس في تأويل وآتوا حقه يوم حصاده، فقليل إن الآية مكية. وروى أن ثابت بن قيس بن شماس^(٢) صَرَمَ خَمْسَمِائَةَ نَخْلَةٍ فَفَرَّقَ ثَمَارَهَا كُلَّهُ وَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ شَيْئاً إِلَى مَنْزِلِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

فيكون على هذا التأويل أن الإنسان إذا أعطى كلَّ ماله ولم يوصل إلى عياله وأهله منه شيئاً فقد أسرفَ، لأنه جاء في الخبر: ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ.

وقال قوم إنها مدنية، ومعنى ﴿وَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، أَدُّوا مَا اقْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فِي صَدَقَتِهِ، وَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْرِ الزُّكُوتِ أَنَّ الثَّمَارَ إِذَا

(١) الجد، والجدد. صرام النخل، وأجدت النخلة حان أن تجدد. وصرام النخل - جزه وحصد تمره.

(٢) أنصاري خزرجي، خطيب الأنصار - يكنى أبا عبد الرحمن أو أبا محمد، بشره رسول الله ﷺ بالجنة، وشهد بدرًا وما بعدها من الغزوات وقتل يوم البمامة، وراه أحد المسلمين في منامه يذكر له مكان درعه ويعرفه بدين عليه، ويطلب عتق رقيق له. ونفذت وصيته من الخليفة أبي بكر. انظر الإصابات ٩٠٤، والاستيعاب ص ١٩٢.

حصدت وجب إخراج ما يجب فيها من الصدقة فيما فرض فيه الصدقة، فعلى هذا التأويل يكون: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي لا تُنفِقُوا أموالكم وَصَدَقَاتِكُمْ على غير الجهة التي افترضت عليكم، كما قال المشركون: «هذا ليس كائناً» وحرّموا ما أحل الله، فلا يكون إسرافٌ أبين من صرف الأموال فيما يُسَخِّطُ الله.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ﴾.

نسق على الجنات، المعنى وهو الذي أنشأ جناتٍ، وأنشأ من الأنعام حَمُولَةً وَفَرَشَاءً والحَمُولَةُ الإبل التي تُحْمَلُ^(١). وأَجْمَعَ أهل اللغة على أن الْفَرَشَ صغارها.

وقال بعض المفسرين: الفرش صغار الإبل وإن البقر والغنم من الفرش الذي جاء في التفسير، يدل عليه قوله:

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾: وقوله:

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾.

فلما جاء هذا بدلاً من قوله ﴿حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ﴾ جعله للبقر والغنم مع الإبل.

وقوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي لا تُحَرِّمُوا ما حَرَّمْتُمْ مما جرى ذكره.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾.

في خُطَوَاتٍ ثلاثة أوجه: ضمُّ الطاء وفتحها وإسكانها. ومعنى خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ طُرُقُ الشَّيْطَانِ، قال بعضهم تَخْطِي الشَّيْطَانُ الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ. والذي تدل عليه اللغة أن المعنى لا تسلكوا الطريق الذي يُسَوِّلُهُ لَكُمْ الشَّيْطَانُ.

(١) أي التي تحمل، فيكون فعولة بمعنى مفعول. ولذا جاز أن تلحقه التاء.

(٢) ثمانية أزواج بدل من حمولة، ومن الضأن وما عطف عليه بيان للأزواج الثمانية.

وقوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾.

بَدَلٌ مِنْ ﴿حَمُولَةٍ وَفَرَشَاءٍ﴾ والزوج في اللغة الواحد الذي يكون معه آخر:
﴿مِنْ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾.

والضَّأْنُ جمع ضائن وضَّان، مثل تاجر وتَجَر.

﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ، قُلْ آلَذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإُنثَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ
الْإُنثَيْنِ﴾.

هذا احتجاج عليهم. بَيَّنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فَرِيَّتَهُمْ وَكَذِبَهُمْ فِيمَا ادَّعَوْهُ مِنْ
أَنْ مَا فِي بُطُونِ الْأَنْعَامِ حَلَالٌ لِلذَّكَورِ وَمَحْرَمٌ عَلَى الْإِنَاثِ وَمَا حَرَّمُوا مِنْ سَائِرِ
مَا وَصَفْنَا، فَقِيلَ لَهُمُ الْذَكَرَيْنِ حَرَّمَ فَإِنْ كَانَ حَرَّمَ مِنَ الْغَنَمِ ذُكُورَهَا فَكُلِّ
ذُكُورَهَا حَرَامٌ، وَإِنْ كَانَ حَرَّمَ الْإُنثَيْنِ فَكُلُّ الْإِنَاثِ حَرَامٌ، وَإِنْ كَانَ حَرَّمَ مَا
اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإُنثَيْنِ فَقَدْ حَرَّمَ الْأَوْلَادَ، وَكُلُّهَا أَوْلَادٌ فَكُلُّهَا حَرَامٌ.

وكذلك الاحتجاج في قوله: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾.

فَقِيلَ لَهُمْ ﴿تَبْتَوْنِي بِعِلْمٍ﴾.

أَيُّ فَسَرُوا مَا حَرَّمْتُمْ بِعِلْمٍ، أَيُّ وَأَنْتُمْ لَا عِلْمَ لَكُمْ لِأَنْكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ
بِكِتَابِ.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾.

أَيُّ هَلْ شَاهَدْتُمْ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ هَذَا^(١) إِذْ كُنْتُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِرَسُولٍ. ثُمَّ
بَيَّنَّ ظُلْمَهُمْ فَقَالَ:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

وَقَدْ بَيَّنَّ الْاِحْتِجَاجَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِنَبِيِّ وَلَا يَدْعُونَ أَنْ نَبِيًّا خَبَّرَهُمْ عَنِ
اللَّهِ أَنَّ هَذَا حَرَامٌ، وَلَا أَنَّهُمْ شَاهَدُوا اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ:

(١) بِمَعْنَى قَالَ لَكُمْ ذَلِكَ مَشَافَهَةً. وَسَمِعْتُمُوهُ مِنْهُ.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا...﴾.

فَاعْلَمِهِمُ ﷺ أَنَّ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَ إِنَّمَا يَقْبَلُهُ بِالْوَحْيِ أَوْ التَّنْزِيلِ فَقَالَ:
﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ: إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ
دَمًا مَسْفُوحًا﴾.

وَالْمَسْفُوحُ الْمَضْبُوبُ، فَكَأَنَّهُ إِذَا ذَبَحُوا أَكَلُوا الدَّمَ كَمَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ.

﴿أَوْ لَحْمٍ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾.

وَالرَّجَسُ اسْمٌ لِمَا يُسْتَقْدَرُ، وَلِلْعَذَابِ.

﴿أَوْ فَسْقًا لِّأَهْلِ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

أَيُّ رُفِعَ الصَّوْتُ عَلَى ذَبْحِهِ بِاسْمِ غَيْرِ اللَّهِ، وَكَانُوا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ
أَوْثَانِهِمْ عَلَى ذَبَائِحِهِمْ. «فَفَسَقَ» عَظِفَ عَلَى لَحْمِ خِنْزِيرٍ، الْمَعْنَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ
الْمَأْكُولُ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ أَوْ فَسْقًا. فَسُمِّيَ مَا ذَكَرَ عَلَيْهِ غَيْرُ
اسْمِ اللَّهِ فَسْقًا، أَيُّ خُرُوجًا مِنَ الدِّينِ.

﴿فَمِنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾.

أَيُّ دَعَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى أَكْلِهِ فَأَكَلَهُ غَيْرَ بَاغٍ، أَيُّ غَيْرِ قَاصِدٍ لِتَحْلِيلِ مَا
حَرَّمَ اللَّهُ.

﴿وَلَا عَادٍ﴾.

أَيُّ وَلَا مُجَاوِزٍ لِلْقَصْدِ وَقَدَّرَ الْحَاجَةَ. وَ«الْعَادِي» الظَّالِمُ.

﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أَيُّ يَغْفِرُ لِمَنْ لَمْ يَتَعَدَّ. فَأَمَّا إِعْرَابُ الَذَّكَرَيْنِ: فَالنُّصْبُ بِحَرَمٍ.

وَتَبَيَّنَتْ (١) أَلْفُ الْمَعْرِفَةِ مَعَ أَلْفِ الْاسْتِفْهَامِ لثَلَا يَلْتَبِسُ الْاسْتِفْهَامُ بِالْخَبَرِ،

(١) تدغم وتندمج.

لأنه لو قيل أَلَذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ بِأَلْفٍ وَاحِدَةٍ لَاتَّبَسَ الْاسْتِفْهَامُ بِالْخَبَرِ، وَقَدْ يَجُوزُ مَعَ
أَمْ حَذَفَ الْأَلْفَ لِأَنَّ أَمْ تَدُلُّ عَلَى الْاسْتِفْهَامِ لِأَنَّهُ لَوْ قِيلَ أَلَرَّجُلٌ ضَرَبَتْ أَمْ
الْغَلَامَ لَدَلَّتْ «أَمْ» عَلَى أَنَّ الْأَوَّلَ^(١)، دَاخِلٌ فِي الْاسْتِفْهَامِ.

وَقَدْ أَجَازَ سَبِيوهُ أَنَّ يَكُونُ الْبَيْتُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُهُ:
لَعَمْرُكَ مَا إِدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا شَعِيثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شَعِيثُ بْنُ مَنْقَرٍ^(٢)
فَأَجَازَ أَنَّ يَكُونُ عَلَى أَشْعِيثُ بْنُ سَهْمٍ، وَلَكِنَّ الْقِرَاءَةَ بِتَبْيِينِ الْأَلْفِ الثَّانِيَةِ
فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذَكَرَيْنِ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾.
يُعْنَى بِهِ الْإِبِلَ وَالنَّعَامَ، لِأَنَّ النَّعَامَ ذَوَاتُ ظُفَرٍ كَالْإِبِلِ.
﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾.
فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الثَّرُوبُ^(٣)، وَأَحْلَلْ لَهُمْ مَا سِوَاهَا مِمَّا
حَمَلَتْ الظُّهُورَ.

﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾.

وَهِيَ الْمَبَاعِرُ وَاحِدُهَا حَاوِيَةٌ وَحَاوِيَاءُ وَحَوِيَّةٌ.

﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

نَحْوُ شَحْمِ الْأَلْيَةِ. وَهَذَا أَكْثَرُ الْقَوْلَيْنِ^(٤)، وَقَالَ قَوْمٌ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الثَّرُوبُ،
وَأَحْلَلْ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ الظُّهُورَ وَصَارَتْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ إِلَّا مَا حَمَلَتْ
الظُّهُورَ فَإِنَّهُ غَيْرُ مُحَرَّمٍ، وَ «أَوْ» دَخَلَتْ عَلَى طَرِيقِ الْإِبَاحَةِ، كَمَا قَالَ جَلٌّ وَعَزٌّ:

(١) أَيِ الرَّجُلِ.

(٢) تَقْدِمُ ٨١ ج ١.

(٣) الثَّرِبُ: شَحْمٌ رَقِيقٌ يَغْشَى الْكَرْشَ وَالْأَمْعَاءَ. يَجْمَعُ عَلَى ثُرُوبٍ وَأَثْرَابٍ وَأَثَارِبٍ.

(٤) أَيِ وَصَارَ تَقْدِيرُ الْجُمْلَةِ هَكَذَا.

﴿وَلَا تَطْعَمُ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كُفُورًا﴾^(١)، فالمعنى كل هؤلاء أهل أن يُعصى، فأعصر هذا، وأعصر هذا و«أو» بليغة في هذا المعنى، لأنك إذا قلت: لا تطع زيدا وعمراً فجائز أن تكون نهيتي عن طاعتهما معاً في حال إن أطعت زيدا على حدته لم أكن عصيتك، وإذا قلت: لا تطع زيدا أو عمراً أو خالداً، فالمعنى أن هؤلاء كلهم أهل ألا يطاع فلا تطع واحداً منهم ولا تطع الجماعة.

ومثله جالس الحسن أو ابن سيرين أو الشعبي، فليس المعنى أني أمرك بمجالسة واحد منهم، ولكن معنى «أو» الإباحة. المعنى كلهم أهل أن يجالس، فإن جالست واحداً منهم فأنت مصيب وإن جالست الجماعة فأنت مصيب.

وقوله عز وجل: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾.

زعم سيويه أن العطف بالظاهر على المضمرة المرفوعة قبيح، يستقبح قمت وزيد، وقام وزيد، فإن جاءت «لا» حسن الكلام فقلت: [لا] قمت ولا زيد، كما أنه إذا أكد فقال قمت أنت وزيد حسن، وهو جائز في الشعر^(٢).

فأما معنى الآية فإن الله جل ثناؤه أخبر عنهم بما سيقولونه، وقولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ جعلوا هذا القول حجة في إقامتهم على شركهم، فأعلم الله عز وجل أن ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾.

والحجة عليهم في هذا أنهم إذا اعتقدوا أن كل من كان على شيء، والأشياء تجري بمشيئة الله تعالى - فهو على صواب فلا معنى إذن - على قولهم - للرسل والأنبياء، فيقال لهم: فالذين على دين يخالفكم، أليس هو على ما شاء الله، فينبغي ألا تقولوا إنهم ضالون، وهو عز وجل يفعل ما يشاء،

(١) سورة الإنسان - ٢٤ - وهي فهما للتنويع.

(٢) لا يجوز العطف على ضمير الرفع المتصل إلا بعد فاصل، وقد جاء في القرآن بلا فاصل وهو ضعيف.

وهو قادر على أن يَهْدِيَ الخلق أجمعين، وليس للعباد على الله أن يفعل بهم كل ما يقدِرُ عليه، فقال عز وجل:

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

فحجته البالغة تبيِّنُهُ أَنَّهُ الواحدُ وإِرسالُهُ الأنبياءَ بالحجج التي يعجز عنها المخلوقون:

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾.

زعم سيبويه أنها «ها» ضمت إليها «لَمْ» وجعلنا كالكلمة الواحدة. فأكثر اللغات أن يقال هَلُمَّ للواحد والاثنين والجماعة. بذلك جاء القرآن نحو قولهم: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾^(١).

ومعنى ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾ أي فهااتوا شهداءكم، وقربوا شهداءكم، ومن العرب من يشني ويجمع ويؤثث، فيقول للذكر هَلُمَّ، وللانثيين هَلِما وللجماعة هَلُمُّوا، وللمرأة هَلْمِي وللانثيين هَلِما، وللنسوة هَلُمُّنَّ.

وفتحت [الميم] لأنها مُدْغمة كما فتحت رُدُّ في الأمر لالتقاء الساكنين، ولا يجوز هَلُمَّ إلينا للواحد بالضم. كما يجوز في رُدُّ الفتح، والضم والكسر، لأنها لا تتصرف.

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

فـ «ما» في موضع نصب إن شئت بآتلُ، والمعنى تعالوا آتلُ الذي حرَّم ربكم عليكم، وجائز أن تكون «ما» منصوبة بحرَم، لأن التلاوة بمنزلة القول، كأنه قال: أقول أي شيءٍ حرَم ربكم عليكم، أهذا أم هذا، فجائز أن يكون الذي تلاه عليهم قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾، ويكون ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ منصوبة بمعنى طرح اللام أي، أبين لكم الحرام لثلاثاً تُشْرِكُوا به شيئاً، لأنهم

(١) سورة الأحزاب آية ١٨ ﴿وَالْقَاتِلِينَ إِخْوَانَهُمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾

إِذَا حَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَقَدْ جَعَلُوا غَيْرَ اللَّهِ - فِي الْقَبُولِ مِنْهُ - بِمَنْزِلَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ فَصَارُوا بِذَلِكَ مُشْرِكِينَ .

ويجوز أَنْ يَكُونَ ﴿الَّا تُشْرِكُوا﴾ مَحْمُولًا عَلَى الْمَعْنَى ، فَيَكُونُ : «أَتْلُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، فَالْمَعْنَى أَتْلُ عَلَيْكُمْ تَحْرِيمَ الشَّرِكِ بِهِ .

وجائز أَنْ يَكُونَ عَلَى مَعْنَى أَوْصِيَكُمْ ﴿الَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ لِأَنَّ قَوْلَهُ : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ مَحْمُولٌ عَلَى مَعْنَى أَوْصِيَكُمْ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا .

وقوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ .
أَيَّ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ فَقْرٍ ، أَيَّ مِنْ خَوْفِ فَقْرٍ ^(١) .
﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ .
بدل من الفواحش في موضع نصب .

المعنى لَا تَقْرُبُوا مَا ظَهَرَ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَمَا بَطَنَ ، جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ مَا بَطَنَ مِنْهَا الزُّنَا ، وَمَا ظَهَرَ اتِّخَاذُ الْأَخْدَانِ وَالْأَصْدِقَاءِ عَلَى جِهَةِ الرِّيْبَةِ ، وَظَاهَرِ الْكَلَامِ أَنَّ الَّذِي جَرَى مِنَ الشَّرِكِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَتْلُ الْأَوْلَادِ وَجَمِيعُ مَا حَرَّمَهُ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ ^(٢) عَزَّ وَجَلَّ فَوَاحِشٌ ، فَقَالَ : وَلَا تَقْرُبُوا هَذِهِ الْفَوَاحِشَ مُظْهِرِينَ وَلَا مُبْطِنِينَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقوله : ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ .
يدل على أَنَّ مَعْنَى ﴿الَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ .
وقوله : ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .

قال بعضهم : الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ رُكُوبٌ دَائِبَةٌ وَاسْتِخْدَامُ خَادِمِهِ ، وَلَيْسَ فِي

(١) من فقر واقع ، لا من فقر متوقع ، بخلاف ما جاء في الآية الأخرى خشية إملاق ، فذلك فقر مخشي لا واقع .

(٢) ما حرمه اليهود على أنفسهم من الأطعمة .

الظاهر أَنَّ هذا هو المراد، وإنما التي هي أحسن حفظ ماله عليه^(١)، وتثميـره بما وَجَدَ إليه السبيل،

وقوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

«حتى» محمولة على المعنى، المعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشدّه، أي فإذا بلغ أشده فادفعوه إليه.

ويبلغ أشدّه أن يؤنس منه الرشدُ مَعَ أن يكون بالغاً، وقال بعضهم: حتى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، حَتَّى يَبْلُغَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَلَسْتُ أَعْرِفُ مَا وَجَهُ ذَلِكَ بِأَن يَبْلُغَ قَبْلَ الثَّمَانِي عَشْرَةَ وَقَدْ اِنْسَ مِنْهُ رَشْدًا فَدَفَعُ مَالَهُ إِلَيْهِ وَاجِبٌ.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.

أي إذا شهدتم أو حكمتم فاعدلوا، ولو كان المشهود عليه أَوْ لَهُ ذَا قُرْبَى.

وقوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾.

الأكثر في القراءة بفتح النون^(٢)، ويجوز «أَحْسَنُ» على إضمارٍ على الذي هو أَحْسَنُ. فأما الفتح فعلى أن «أَحْسَنَ» فعلٌ ماضٍ مبني على الفتح. وأجاز الكوفيون أن يكون في موضع جَرٍّ، وأن يكون صفةً للذي، وهذا عند البصريين خطأً فاحشاً^(٣)، زعم البصريون أنهم لا يعرفون «الَّذِي» إلا مَوْصُولَةً، ولا تُوصَفُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ صَلَتِهَا، وقد أجمع الكوفيون مَعَهُمْ على أَنَّ الْوَجْهَ صَلَتُهَا، فيحتاجون أن يشبّوها أنها رفعت موصولة ولا صلة لها، فأما دخول «ثم» في قوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا﴾ وقد علمنا أن ثم لا يكون الذي بَعْدَهَا أَبَدًا مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ، وقد علمنا أن القرآن أنزل من بَعْدِ موسى، وبعد التوراة. فقال:

(١) في الأصل حفظ ماله عليه هي أحسن وتثميـره، الخ.

(٢) من أحسن أي جعلها فعلاً.

(٣) لأن الموصول لم يتم بذكر الصلة.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ فإنما دخلت ثم في العطف على التلاوة^(١)،
والمعنى قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ، أَتْلُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتْلُوا مَا آتَاهُ اللَّهُ مُوسَى.

ومعنى ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ يكون على^(٢) «تماماً على المحسن» المعنى
تماماً من الله على المحسنين، ويكون ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي على
الذي أَحْسَنَهُ مُوسَى مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، ويجوز تماماً على/الذي هُوَ
أَحْسَنُ الْأَشْيَاءِ.

و «تمام» منصوب مفعول له، وكذلك وتفصيلاً لكل شيء، المعنى آتيناه
لهذه العلة أي للتمام والتفصيل.

وقوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾.
والمبارك ما يأتي من قِبَلِهِ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وهو من نعت كتاب ومن قرأ
﴿أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكاً﴾ جاز ذلك في غير القراءة، لأن المصحف لا يُخَالَفُ الْبَيِّنَةُ.

وقوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.
أَي لِيَتَكُونُوا رَاجِعِينَ لِلرَّحْمَةِ.
وقوله عز وجل: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾.

قال بعضهم: معناه أَنْزَلْنَاهُ لثَلَاثًا تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ أَي أَنْزَلْنَاهُ لِنَقْطَعِ
حُجَّتَهُمْ، وَإِنْ كَانَتْ الْحُجَّةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ الْكِتَابَ الَّتِي أَنْزَلْتَ قَبْلَ
النَّبِيِّ ﷺ قَدْ كَانَتْ فِيهَا الْحُجَّةُ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لِيَتْرَكَ خَلْقَهُ سُدَى
بغير حجة، ولكن في تنزيل الكتاب والنبي ﷺ غاية الحجة، والزيادة في
الابانة.

(١) أي الانتقال من كلام لآخر بقطع النظر عن الزمن.

(٢) على هذا التقدير.

وقال البصريون: معناه أنزلناه، كراهة أن تقولوا، ولا يُجيزون إضمار «لا» لا يقولون جئت أن أكرمك، أي لثلا أكرمك، ولكن يجوز فعلت ذلك أن أكرمك، على إضمار محبة أن أكرمك، وكراهة أن أكرمك، وتكون الحال تنبئ عن الضمير. فالمعنى: أنزل الكتاب كراهة أن يقولوا: إنما أنزلت الكتب على أصحاب موسى وعيسى.

﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾

المعنى: وما كنا إلا غافلين عن تلاوة كتبهم^(١).

﴿أَوْتَقُولُوا﴾: المعنى أو كراهة أن تقولوا.

﴿لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾

وإنما كانوا يقولون ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ لأنهم كانوا مُدِلِّين^(٢) بالأذهان وحسن الأفهام، وذلك أنهم يحفظون أشعارهم وأخبارهم وآثارهم، وهم أُمِّيُونَ لا يَكْتُبُونَ.

وقوله: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

أي فقد جاءكم ما فيه البيان وقطع الشُّبُهَاتِ عَنْكُمْ.

وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾

أي إلا أن تأتيهم ملائكة الموت.

﴿أَوْيَأْتِي رَبُّكَ﴾

أو يأتي إهلاك ربك إياهم وانتقامه منهم، إما بعدذاب عاجل أو بالقيامة، وهذا كقولنا: قد نزل فلان بئلا كذا وكذا، وقد أتاها فلان أي قد أوقع بهم.

وقوله: ﴿أَوْيَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾

(١) ليس في الآية ما يفيد الحصر - ولكن «إن» المخففة واللام في خبرها تفيدان التوكيد.

(٢) متباهين متفاخرين.

نحو خروج الدابة: أو طلوع الشمس من مغربها.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾.

أي لا يَنْفَعُهَا الإِيْمَانُ عِنْدَ الْآيَةِ الَّتِي تَضْطَرُّكُمْ إِلَى الإِيْمَانِ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿إِنَّمَا تُحْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١) وبعث الرسل بالآيات التي تُتَذَكَّرُ، فيكون للمؤمنين بها ثوابٌ ولو بعث الله على كل من لم يؤمن عذاباً، لاضطر الناس إلى الإِيْمَانِ به: وسقط التكليف والجزاء.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾. قال بعضهم: هذه نزلت قبل الحرب، أي ليس عليك قتالهم إنما أمرهم إلى الله.

ومعنى ﴿وَكَانُوا شِيْعًا﴾ أي كانوا مُتَفَرِّقِينَ فِي دِينِهِمْ. يعنى به اليهود والنصارى، لأن النصارى بَعْضُهَا يَكْفُرُ بَعْضاً وَكَذَلِكَ الْيَهُودُ، وَهُمْ أَيْضاً أَهْلُ التَّوْرَةِ، وَبَعْضُهُمْ يَكْفُرُ بَعْضاً، أَعْنِي الْيَهُودُ تَكْفُرُ النَّصَارَى، وَالنَّصَارَى تَكْفُرُ الْيَهُودَ.

وفي هذه الآية حَتْ عَلَى أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةً، وَأَنْ لَا يَتَفَرَّقُوا فِي الدِّينِ وَأَنْ لَا يَبْتَدِعُوا الْبِدْعَ مَا اسْتَطَاعُوا.

فقوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

يدل على أَنَّ مَنْ فَرَّقَ دِينَهُ مِنْ أَهْلِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَابْتَدَعَ الْبِدْعَ فَقَدْ صَارَ بِهِ مِنْهُمْ^(٢).

ومعنى شَيِّعْتُ فِي اللُّغَةِ اتَّبَعْتُ. والعرب تقول: شاعكم السَّلْمُ وأشاعكم

(١) سورة التحريم آية: ٧.

(٢) صار يعمل التفريق ولا يبتدع منهم.

السَّلْمُ، وَمَعْنَاهُ: تَبِعْكُمْ السَّلْمُ، قَالَ الشَّاعِرُ: (١)

أَلَا يَا نَخْلَةَ مَنْ ذَاتِ عَرَقٍ بَرُودِ الظِّلِّ شَايَعِكَ الظَّلَامِ
وتقول: آتَيْتِكَ غَدًا أَوْ شَبَعَهُ [أَي] أَوْ الْيَوْمَ الَّذِي يَتَّبِعُهُ، فَمَعْنَى الشَّيْعَةِ
الَّذِينَ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَمَعْنَى الشَّيْعِ الْفِرْقُ الَّتِي كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ يَتَّبِعُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَلَيْسَ كُلُّهُمْ مُتَّفَقِينَ.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.

القراءة: فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، والمعنى: فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ أَمْثَالِهَا وَكَمَا يَجُوزُ
عِنْدِي خَمْسَةُ أَثَوَابًا، وَيَجُوزُ فَلَهُ عَشْرُ مِثْلِهَا فِي غَيْرِ الْقِرَاءَةِ فَيَكُونُ الْمِثْلُ فِي
لَفْظِ الْوَاحِدِ وَفِي مَعْنَى الْجَمِيعِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنْكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ (٢)، وَمَنْ قَالَ
أَمْثَالِهَا فَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (٣) وَإِنَّمَا جَاءَ عَلَى الْمِثْلِ التَّوْحِيدُ،
وَأَنْ يَكُونَ فِي مَعْنَى الْجَمِيعِ، لِأَنَّهُ عَلَى قَدَرِ مَا يَشْبَهُ بِهِ، تَقُولُ مَرَرْتُ بِقَوْمٍ
مِثْلَكُمْ، وَبِقَوْمٍ أَمْثَالَكُمْ.

(١) لَمْ يَعْرِفْ قَائِلُهُ وَجَاءَ فِي الْخَزَانَةِ فِي شَرْحِ الشَّاهِدِ الثَّالِثِ وَالسَّتِينَ وَقَالَ: أَنْشَدَهُ ثَعْلَبُ فِي
أَمَالِيهِ، وَصَاحِبُ الْجَمَلِ فِي بَابِ النَّدَاءِ. وَفَسَّرَ شَاعِكُمْ بِأَنَّهُ بِمَعْنَى تَبِعْكُمْ. أَمَّا النَّخْلَةُ فَقَدْ تَكُونُ
كُنَايَةً عَنِ الْمَرْأَةِ، وَذَاتُ عَرَقٍ مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ، وَقَدْ يَكُونُ أَرَادَ نَخْلَةَ حَقِيقَةً ذَكَرَهَا لِحَبِّهِ الْمَكَانَ
الَّذِي هِيَ بِهِ، وَبَرُودِ الظِّلِّ تَرَشُّعٌ لِهَذَا، أَيْ الْمَكَانَ الَّذِي تَظْلُهُ هَذِهِ النَّخْلَةُ بَارِدٌ لَطِيفُ الْهَوَاءِ،
وَيُرْوَى الْبَيْتُ بِرَوَايَةٍ أُخْرَى وَمَعَهُ آيَاتٌ ذَكَرَهَا صَاحِبُ الْخَزَانَةِ أَيْضًا عَلَى أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْكُنَايَةِ
الْمُسْتَحَبَّةِ عَنِ الْمَرْأَةِ:

أَلَا يَا نَخْلَةَ مَنْ ذَاتِ عَرَقٍ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامِ
سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكَ فَخَبَرُونِي هَذَا مِنْ ذَاكَ تَكْرَهُهُ الْكِرَامُ
وَلَيْسَ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَسٍ إِذَا هَوْلَمَ يَخَالِطُهُ الْحَرَامُ

وَهُوَ يَتَّهِمُهَا فَكُنِيَ عَنِ الرَّفْثِ بِكَلِمَةِ «هَنْ» أَيْ سَأَلْتُ النَّاسَ فَأَخْبَرُونِي بِسُوءِ مَسِيرَتِهَا.

(٢) سُورَةُ النِّسَاءِ ١٤٠.

(٣) سُورَةُ مُحَمَّدٍ الْآيَةُ ٣٨.

فأما معنى الآية فإنه من غامض المعاني التي عند أهل اللغة لأن المجازاة على الحسنة من الله جلّ ثناؤه بدخول الجنة شيء لا يبلغ وصف مقداره، فإذا قال: عَشْرُ أَمْثَالِهَا، أو قال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾^(١).

مع^(٢) قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾^(٣)، فمعنى هذا كله أن جزاء الله جلّ ثناؤه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية في التقدير في النفوس، ويضاعف الله ذلك بما بين عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

وأجمع المفسرون على قوله: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ - لأن السيئة ههنا الشرك بالله.

وقالوا: ﴿من جاء بالحسنة﴾: هي قول لا إله إلا الله، وأصل الحسنات التوحيد، وأسوأ السيئات الكفر بالله جلّ وعزّ.

﴿قُلْ إِنِّي هِدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

والصراط الدين الذي دلني على الدين الذي هو دين الحق، ثم فسر ذلك فقال: ﴿دِينًا قِيمًا﴾.

والقيم هو المستقيم، وقرئت ﴿دِينًا قِيمًا﴾ وقيم مصدر كالصغر والكبر، إلا أنه لم يقل «قَوْمٌ» مثل قوله: ﴿لَا يَتَّبِعُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾^(٤) لأن قولك قام قِيمًا

(١) سورة البقرة ٢٦١.

(٢) في الأصل وقوله.

(٣) سورة البقرة ٢٤٥.

(٤) سورة الكهف الآية: ١٠٨.

كَأَنَّهُ عَلَى قَوْمٍ أَوْ قَوْمٍ ، فلما اعتل فصار قام اعتل قِيمَ ، فَأَمَّا جَوْلُ فَهُوَ عَلَى أَنَّهُ جَارٌ عَلَى غَيْرِ فَعَلٍ . وَأَمَّا نَصَبُ ﴿دِينًا قِيَمًا إِبْرَاهِيمَ﴾ . فمحمول على المعنى ، لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ : هَذَانِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، دَلَّ عَلَى عَرَفْنِي دِينًا قِيَمًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ مَعْنَى هَذَانِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، الْمَعْنَى هَذَانِي صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، دِينًا قِيَمًا ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿وَصَدِّكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(١) و ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بَدَلَ مِنْ ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ و ﴿حَنِيفًا﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ، الْمَعْنَى هَذَانِي وَعَرَفْنِي مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ فِي حَالِ حَنِيفِيَّتِهِ ، وَهُوَ هَهُنَا لِإِبْرَاهِيمَ حَسَنٌ مِنْهُ لَغَيْرِهِ .

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

وقد فسرنا معنى الحنيفية وأنها الميل إلى الإسلام ميلاً لا رجوع معه .

وقوله : ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ .

قالوا : النُّسْكُ الذَّبْحُ ، وَالنُّسْكُ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ .

الياء ياء الإضافة ، فَتَحَتْ لِأَنَّ أَصْلَهَا الْفَتْحُ ، وَيَجُوزُ إِسْكَانُهَا إِذَا كَانَ مَا قَبْلَهَا مَتَحَرِّكًا . يَجُوزُ ﴿مَمَاتِي﴾ وَإِنْ شَتَّ قُرِئَتْ «مَمَاتِي اللَّهُ» بِفَتْحِ الْيَاءِ ، وَإِنْ شَتَّ أَسْكَنْتْ فَأَمَّا يَاءُ مَحْيَايَ فَلَا بُدَّ مِنْ فَتْحِهَا لِأَنَّ قَبْلَهَا سَاكِنٌ .

ومعنى الآية أَنَّهُ يُخْبِرُ بِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَقَرَّبُ بِالصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْمُنَاسِكَاتِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ لَا إِلَى غَيْرِهِ ، كَمَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَذْبَحُونَ لِأَصْنَامِهِمْ . فَأَعْلَمَ أَنَّهُ اللَّهُ وَحْدَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ .

وقوله : ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبُغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ .

أَيُّ هُوَ ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى ابْتِدَاعِ شَيْءٍ مِنْهَا .

(١) سورة الفتح الآية : ٢ .

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

أي لا تؤخذ نفس آثمة بإثم أخرى، لا يؤخذ أحدٌ بذنب غيره.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾.

قيل لخلائف الأرض أمة محمد ﷺ لأن النبي ﷺ خاتم النبيين فأمته قد خلفت سائر الأمم، وقال بعضهم: خلائف الأرض يخلف بعضهم بعضاً.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ﴾.

فدل بهذا أنه فضل بعض الناس ليختبرهم فيما رزقهم وهو جل ثناؤه عالم بما يكون منهم قبل ذلك، إلا أنه اختبرهم ليظهر منهم ما يكون عليه الثواب والعقاب.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

إن قال قائل: كيف قيل سريع العقاب. وعقابه إنما يكون في القيامة، وإن كان بعضه قد وقع في الدنيا؟ فإنما ذلك لأن أمر الساعة سريع، لأن كل ما زال وإن تطاول فهو بمنزله ما لم يُحَسَّ سُرْعَتُهُ، وكذلك قوله جل ثناؤه: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾^(١)، وكذلك قوله جل وعز: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾^(٢).

(١) سورة النحل آية: ٧٧.

(٢) المعارج الأيتان: ٦، ٧.

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿المص﴾.

قد فسرنا هذه الحروف في أول سورة البقرة، إلا أنا أعدنا ههنا شيئاً من تفسيرها لشيء في إعرابها، والذي اخترنا في تفسيرها. قول ابن عباس أن ﴿المص﴾ معناه أنا الله أعلم وأفصل وقال بعض النحويين موضع هذه الحروف رفع بما بعدها، قال: ﴿المص كتاب﴾، كتاب مرتفع بالمص، وكأن معناه المص حروف كتاب أنزل إليك، وهذا لو كان كما وصف لكان بعد هذه الحروف ابتداء ذكر الكتاب؛ فقله: ﴿الم الله لا إله إلا هو﴾^(١) يدل على أن ﴿الم﴾ لا مرافع^(٢) لها على قوله، وكذلك: ﴿يس والقرآن الحكيم﴾^(٣)، وكذلك: ﴿حم عسق كذلك يوحي إليك﴾^(٤)، وقوله: ﴿حم والكتاب المبين إنا أنزلناه﴾^(٥).

فهذه الأشياء تدل على الأمر على غير ما ذكر، ولو كان كذلك أيضاً لما كان ﴿الم﴾ مكرراً، ولا ﴿حم﴾ مكرراً^(٦).

(١) أول سورة آل عمران.

(٢) هكذا بالأصول والظاهر أنه يريد لا مرفوع لها أي لا خبر لها أولها لا موضع لها من الإعراب.

(٣) أول سورة يس.

(٤) أول سورة الشورى. وقراءة حفص: «يُوحى».

(٥) أول سورة الدخان.

(٦) كان يجب - لو كان المراد أن هذه حروف الكتاب - أن يكتفي بذكرها مرة واحدة. وهو استدلال =

وقد أجمع النحويون على أن قوله عز وجل ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنُ حَرْفٌ مَعْرُوفٌ﴾ مرفوع بغير هذه الحروف، المعنى هذا كتاب أنزل إليك، وهو مُجْمَعٌ مَعَهُمْ على أن ما قالوه جائز فيجب اتباعهم من قوله وَقَوْلِهِمْ، ويجب على قائل هذا القول التثبيت على مخالفتهم، ولو كان كما يصف لكان مُضْمِراً اسمين^(١) فكان المعنى الم بعض حروف كتاب أنزل إليك، فيكون قد أضمر المضاف وما أضيف إليه، وهذا ليس بجائز^(٢).

فإن قال قائل قد يقول ألف. با. تا. ثا^(٣). ثمانية وعشرون حرفاً، وإنما ذكرت أربعة فمن أين جاز ذلك، قيل قد صار اسم هذه ألف. با. تا. ثا، كما أنك تقول: الْحَمْدُ سَبْعُ آيَاتٍ فَالْحَمْدُ اسم لجمله السورة، وليس اسم الكتاب ألم، ولا اسم القرآن «طسم». وهذا فرق بين.

وهذه الحروف كما وصفنا حروف هجاء مَبْنِيَّةٌ على الوقف، وهي في موضع جَمَلٍ، والجمله إذا كانت ابتداءً وخبراً فقط لا موضع لها. فإذا كان معنى كهيعص، معنى الكاف كافٍ، ومعنى الهاء هادٍ، ومعنى الياء والعين من عليم ومعنى الصاد من صدوق، وكان معنى «آلم» أنا أعلم، فإنما موضعها كموضع الشيء الذي هو تأويل لها^(٤). ولا موضع في الإعراب لقولك: أنا الله أعلم، ولا لقولك؛ هو هاد، وهو كاف، إنما يرتفع بعض هذا ببعض، والجمله لا موضع لها.

= غير قوي، فقد كررت في القرآن أدلة كثيرة.

(١) لكان المحذوف مضافين.

(٢) انظر مدى تحامل الزجاج - ف فيما عدا الدليل الأول أدلته خطابية، وليس المراد في قوله تعالى واسأل القرية أن يسأل كل أهل القرية - بل أن يسأل بعض أهل القرية، فالمراد: واسأل بعض أهل القرية ولم يعبه أحد، وهنا المراد، تلك بعض أحرف الآيات. ولا يلزم أن يطرد التقدير في جميع فواتح السور، بل يجوز هذا التقدير حيث أمكن.

(٣) أي حروف الهجاء.

(٤) موضع هذه الحروف موضع الجمل التي جاءت هي في موضعها.

وقوله: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾.

فمعنى الحرج الضيق. وفيه وجهان، أحدهما أن يكون لا يَضِيقُ صَدْرَكَ بالإبلاغ ولا تخافن، لأنه يروى عن النبي ﷺ أنه قال: رب إني أخاف أن يثلغوا^(١) رأسي فيجعلوه كالخبيزة، فأعلم الله عز وجل أنه في أمان منهم، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢)، وقال: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾.

أي فلا يَضِيقَنَّ صَدْرَكَ من تَأْدِيَةِ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ.

وقيل أيضاً: فلا تُشَكَّنْ فيه.

وكلا التفسيرين له وجه، فأما تأويل فلا تُشَكَّنْ، وتأويل ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^(٣)، وتأويل: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٤) فإن ما خوطب به ﷺ فهو خطاب لأُمِّيِّهِ، فكأنه بمنزله «فلا تشكوا ولا ترتابوا».

وقوله: ﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾.

معناه التقديم، والمعنى والله أعلم - كتاب أنزل إليك لتبذر به وذكرى للمؤمنين، فلا يكن في صدرك حرج منه.

﴿وَذَكْرَى﴾ يصلح أن يكون في موضع رفع ونصب وَجَرٌّ فأما النصب فعلى قولك: أُنْزِلَ لِتُنذِرَ به وذكرى للمؤمنين، أي ولتذكر به ذكرى، لأن في الإنذار معنى التذكير.

(١) ثلغ رأسه كمنع: تدحه.

(٢) سورة المائدة الآية: ٦٧.

(٣) سورة البقرة آية: ١٤٧.

(٤) سورة يونس: ٩٤.

ويجوز أن يكون وَهُوَ ذَكَرَى للمؤمنين كقولك وهو ذكر للمؤمنين .

فأما الجر فعلى معنى لَتُنذِرَ، لَأَن معنى «لَتُنذِرَ» لَأَن تُنذِرَ فهو في موضع جر . المعنى للإنذار والذِّكْرَى . فأما ذَكَرَى فمصدرٌ فيه أَلِف التَّائِيثِ، بمنزلة دعوت دعوى، وبمنزلة رَجَعْتُهُ رُجْعَى . وَاتَّقَيْتُ تقوى، إِلَّا أَنَّهُ اسْمٌ فِي مَوْضِع المصدر .

وقوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ .
أَيِ اتَّبِعُوا الْقُرْآنَ، وَمَا أُتِيَ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَنَّهُ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ
جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) .

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ .
أَيِ لَا تَتَوَلَّوْا مِنْ عَدَلٍ عَنِ دِينِ الْحَقِّ، وَمَنْ ارْتَضَى مَذْهَبًا مِنَ الْمَذَاهِبِ،
فَالْمُؤْمِنُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِ،
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٢) .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ .
مَا زَائِدَةٌ مُؤَكَّدَةٌ، الْمَعْنَى قَلِيلًا تَذَكَّرُونَ، وَفِي تَذَكَّرُونَ وَجْهَانِ فِي
الْقِرَاءَةِ: قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ - بِالتَّشْدِيدِ - فِي الذَّالِ، وَالْمَعْنَى: قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ،
إِلَّا أَنَّ التَّاءَ تَدْعُمُ فِي الذَّالِ لِقَرَبِ مَكَانِ هَذِهِ مِنْ مَكَانِ هَذِهِ .

وَمِنْ قَرَأَ «تَذَكَّرُونَ»^(٣) فَلَأَصْلُ - أَيْضًا - تَذَكَّرُونَ، إِلَّا أَنَّهُ حُذِفَ إِحْدَى
التَّائِيثِينَ، وَهِيَ التَّاءُ الثَّانِيَةُ لِأَنَّهُمَا زَائِدَتَانِ، إِلَّا أَنَّ الْأُولَى تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى
الاسْتِقْبَالِ فَلَا يَجُوزُ حَذْفُهَا، وَالثَّانِيَةُ إِنَّمَا دَخَلَتْ عَلَى مَعْنَى فَعَلْتُ الشَّيْءَ عَلَى
تَمَهُّلٍ، نَحْوُ تَفَهَّمْتُ وَتَعَلَّمْتُ، أَيْ أَحْدَثْتُ الشَّيْءَ عَلَى مَهَلٍ، وَتَدَخَّلَ عَلَى

(١) سورة الحشر: ٧ .

(٢) سورة التوبة: ٧١ .

(٣) هذا هو الوجه الثاني .

معنى إظهار الشيء والحقيقة غيره، كقولك تَقَيَّسْتُ أَي أظهرت أَنِي قَيَّسِي^(١).

فإنما المحذوف من تتفعلون الثانية، لأن الباقي في الكلمة من تشديد العين من تفعل يدل على معنى الكلمة، ولو حذفت تاء «استقبال» لبطل معنى الاستقبال^(٢).

وقوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾.
المعنى وكم من أهل قرية أهلكتناهم، إلا أن أهل حذف لأن في الكلام دليلاً عليه.

وقوله: ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنًا بَيَّاتًا﴾.
محمول على لفظ القرية، ولو قيل فجاءهم لكان صواباً.
وقوله: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

قال بعض النحويين: المعنى وهم قائلون^(٣)، والواو فيما ذكر محذوفة وهذا لا يحتاج إلى ضمير الواو، ولو قلت: جاءني زيد راجلاً أو وهو فارس، أو جاءني زيد هو فارس لم تحتج إلى واو، لأن الذكر قد عاد إلى الأول.

ومعنى «بَيَّاتًا»: ليلاً، يقال بات بياتاً حسناً، وبيتة حسنة، والمصدر في الإصابات بياتاً. والبيت بيت الشعر وكذلك بيت المدر، وإنما أصل تسميته من أنه يصلح للمبيت، ويقال لفلان بيته وليلة وبيت ليلة، أي ما يكفيه من القوت في ليلة.

ومعنى ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.
أي أو جاءهم بأُسْنًا نهائراً في وقت القائلة، يقال قِلْتُ من القائلة،

(١) أي من قبيلة قيس أي انتسبت إليها.

(٢) المادة «قل» زيد عليها الألف والسين والتاء، وثلاثتها زيادة واحدة فلا يجوز حذف حرف منها.

(٣) والتقدير حينئذ: بياتاً أو وهم قائلون، وهو أوضح من رأي الزجاج.

فالمعنى إنهم جاءهم بأسنا غفلة، وهم غير متوقعين له، إما ليلاً وهم نائمون، أو نهاراً وهم قائلون كأنهم غافلون.

وأوهنا دخلت على جهة تصرف الشيء ووقوعه، إما مرة كذا، وإما مرة كذا، فهي في الخبر ههنا بمنزلة أو في الإباحة، تقول جالس زيداً أو عمراً، أي كل واحد منهما أهلاً أن يجالس، وأوهنا أحسن من الواو، لأن الواو تتضمن اجتماع الشئين، لو قلت: ضربت القوم قياماً وقعوداً، لأوجبت الواو أنك ضربتهم وهم على هاتين الحالتين، وإذا قلت: ضربتهم قياماً أو ضربتهم قعوداً، ولم تكن شاكاً، فإنما المعنى أنك ضربتهم مرة على هذه الحال، ومرة على هذه الحال^(١).

وموضع «كم» رفع بالابتداء، وخبرها أهلكناها، وهو أحسن من أن تكون في موضع نصب، لأن قولك زيد ضربته أجود^(٢) من زيداً ضربته. والنصب جيدٌ عربي أيضاً مثله قوله جل وعز: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٣).

وقوله: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

المعنى - والله أعلم - أنهم لم يحصلوا مما كانوا ينتحلونه من المذهب والدين ويدعونه إلا على اعتراف بأنهم كانوا ظالمين، والدعوى اسم لما يدعى، والدعوى يصلح أن تكون في معنى الدعاء لو قلت: اللهم أشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين جاز، حكى سيويه ذلك وأنشد: ^(٤)

(١) للتنويع. (٢) لأنه جملة اسمية، أما زيداً ضربته فجملته فعلية.

(٣) سورة القمر ٤٩، والرفع هنا ضعيف موه، لأن كل شيء «نكرة»، فيكون موقع «خلقناه» ههنا صفة، فيكون التقدير: وكل شيء مخلوق لنا بقدر، وهذا يومه أن هنالك شيئاً مخلوقاً لغير الله.

(٤) في اللسان (دعا) وفي كتاب سيويه ٢ - ٢٢٨ أن البيت لبشر ابن النكت - قال سيويه: وأما الدعوى فهو ما ادعيت، وأورد الآية وشطر البيت جميعاً - وكذلك أورد الأعلام الشنمري الشعر وقال إنه بناء الدعاء على دعوى، كما قالوا الرجعى في معنى الرجوع والذكرى في معنى الذكر.

وَلَسْتُ وَدَعَوَاهَا كَثِيرٌ صَخْبُهُ

وموضع «أَنْ» الأحسن أَنْ يكون رفعاً، وَأَنْ تكون الدعوى في موضع نصب، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾^(١) ويجوز أَنْ يكون في موضع نصب، ويكون الدعوى في موضع رفع إلا أَنْ الدعوى إذا كانت في موضع رفع فالأكثر في اللفظ «فَمَا كَانَتْ دَعَوَاهُمْ» كَذَا وَكَذَا، «إِلَّا أَنْ»، لِأَنَّ الدعوى مؤنثة. في اللفظ، ويجوز كان دعواه باطلاً وباطلة.

وقوله عز وجل: ﴿وَالْوِزْنُ يُوَمِّدُ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

اختلف الناس في ذكر الميزان في القيامة، وجاء في بعض التفسير أنه ميزان له كِفَتَانِ، وَأَنْ الميزانُ أُنْزِلَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَتَعَامَلَ النَّاسُ بِالْعَدْلِ وَتَوَزنَ بِهِ الْأَعْمَالُ، وقال بعضهم: الميزانُ الْعَدْلُ^(٢)، وذهب إلى قولك هذا في وزن هذا، وَإِنْ لم يكن مما يوزن، وتأويله أنه قد قام في النفس مساوياً لغيره كما يقوم الوزن في مِرَاةِ الْعَيْنِ. وقال بعضهم: الميزانُ الْكِتَابُ الَّذِي فِيهِ أَعْمَالُ الْخَلْقِ، وهذا كُلُّهُ فِي بَابِ اللَّغَةِ - وَالْاِحْتِجَاجِ سَائِغٌ، إِلَّا أَنْ الْأَوَّلَى مِنْ هَذَا أَنْ يُتَّبَعَ مَا جَاءَ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحَاحِ. فَإِنْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ مِيزَانٌ لَهُ كِفَتَانِ، مِنْ حَيْثُ يَنْقَلُ أَهْلُ الثِّقَةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ ذَلِكَ. وقد روي عن جرير عن الضحاك أَنَّ الْمِيزَانَ الْعَدْلُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ جُمْلَةَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ مَوْزُونَةٌ عَلَى غَايَةِ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ، وهو قوله:

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الجاثية الآية ٢٥.

(٢) أي الميزان معناه العدل، وإذن فمعنى نضع الموازين نقيم العدل بين الناس.

(٣) ولعل الأقرب في الميزان أنه التقدير والاحصاء - بمعنى تحصى حسنات الشخص وسيئاته وتقدر ثم يجزى على هذا الأساس. فهذا وزن.

وقد فسرنا المفlech فيما تقدم .

وقوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾

معنى التمكين في الأرض التملك والقدرة .

ومعنى المعاش يحتمل أن يكون ما يعيشون به ، ويمكن أن يكون
الوصلة إلى ما يعيشون به .

وأكثر القراء على ترك الهمز في معاش ، وقد رَوَوْهَا عَنْ نَافِعٍ مَهْمُوزَةً .
وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ ، وذكروا أن الهمز إنما
يكون في هذه الياء إذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف ، فأما معاش فمن
العيش ، الياء أصلية وصحيفة من الصُّحُف لأن الياء زائدة ، وإنما همزت لأنه
لاحظ لها في الحركة ، وقد قُرِبَتْ من آخر الكلمة وَلَزِمَتْهَا الْحَرَكَةُ فَأَوْجِبُوا فِيهَا
الهمز ، وَإِذَا جُمِعَتْ مَقَامًا قُلْتُ مَقَاوِمَ .

وأنشد النحويون :

وإني لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها^(١)

وقد أجمع النحويون على أن حكوا مصائب في جمع مصيبة ، بالهمز ،
وأجمعوا أن الاختيار مصاوب ، وهذه عندهم من الشاذ ، أعني مصايب ، وهذا
عندي إنما هو بدل من الواو المكسورة^(٢) ، كما قالوا في وسادة : إسادة ، إلا
أن هذا البدل في المكسورة يقع أولاً كما يقع في المضمومة ، نحو ﴿أَقْتَتَ﴾^(٣)
وإنما هو من الوقت والمضمومة تبدل في غير أول نحو أدؤر ، يقولون أدؤ
فحملوا المكسورة على ذلك .

(١) تقدم ص ٢٠٦ ج ١ .

(٢) إبدال شاذ ، إذا الواو متحركة بعد حرف مد :

(٣) في سورة المرسلات : ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ اقْتَتَتْ﴾ .

ولا أعلم أحداً فسر ذلك غيري، وهو أحسن من أن يجعل الشيء خطأ إذا نطقت به العرب وكان له وجه من القياس، إلا أنه من جنس البديل الذي إنما يتبع فيه السماع، ولا يجعل قياساً مستمراً.

فأما ما رواه نافع من معاش بالهمز فلا أعرف له وجهاً، إلا أن لفظ هذه الياء التي من نفس الكلمة أُسْكِنَ في معيشة فصار على لفظ صحيفة، فحمل الجمع على ذلك، ولا أحب القراءة بالهمز إذ كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِنَّمَا يَقْرَأُونَ بترك الهمز، ولو كان مما يهمز لجاز تحقيقه وترك همزه، فكيف وهو مما لا أصل له في الهمز؟ وهو كتاب الله عز وجل الذي ينبغي أن يمال فيه إلى ما عليه الأكثر لأن القراءة سنة فالأولى فيها الاتباع، والأولى اتباع الأكثر.

وزعم الأخفش أن مصائب إنما وقعت الهمزة فيها بدلاً من الواو^(١) أعلت في مصيبة، وهذا رديء. لا يلزم أن أقول في مقام مقائم وفي معنة معائن.

وقوله جل وعز: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

زعم الأخفش أن «ثم» ههنا في معنى الواو، وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعربيته، إنما ثم للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير، وإنما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداء خلق آدم أولاً، فإنما المعنى إنا بدأنا خلق آدم ثم صورناه، فابتداء خلق آدم التراب، الدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾.

فبدأ الله خلق آدم تراباً، وبدأ خلق حواء من ضلع من أضلاعه، ثم

(١) بدلاً من الواو المعلولة في مصيبة أي التي أعلت. لأن الفعل صاب يصوب.

وقعت الصورة بعد ذلك، فهذا معنى ﴿خلقناكم ثم صورناكم﴾. أي هذا أصل خلقكم. ثم خلق الله نطقاً ثم صوروا. فثم إنما هي لما بعد.
 وقوله جل وعز: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.
 أي بعد الفراغ من خلق آدم أمرت الملائكة بالسجود.
 وقوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.
 استثناء ليس من الأول، ولكنه^(١) ممن أمر بالسجود، الدليل على ذلك قوله.

﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أُمِرْتَ﴾.

فدل بقوله: ﴿إِذْ أُمِرْتَ﴾ أن إبليس أمر بالسجود مع الملائكة، ومعنى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ الغاء^(٢)، وهي مؤكدة، المعنى: ما منعك أن تسجد فمسأله^(٣) عن هذا والله قد علم ما منعه، توبيخ له ولِيُظْهِرَ أَنَّهُ معاند، وأنه ركب المعصية خلافاً^(٤) لله، وكل من خالف الله في أمره فلم يره واجباً عليه كافر بإجماع، لو ترك تارك صلاة قال إنها لا تجب كان كافراً بإجماع الأمة، فأعلم الله جل ثناؤه أن معصية إبليس معصية معاندة وكفر، وقد أعلم الله أنه من الكافرين فقال: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

فالفصل بين معصية إبليس ومعصية آدم وحواء أن إبليس عاند وأقام ولم يتب، وأن آدم وحواء اعترفا بالذنب وقالوا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِلَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥).

(١) أي إبليس.

(٢) أي «لا» زائدة.

(٣) سؤاله عن عدم السجود.

(٤) مخالفة وعصياناً.

(٥) ثم إنهما عصيا نسيانا لا معاندة.

ومثل «الَّا» في قوله: ﴿الَّا تَسْجُدْ﴾ قوله: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾
(أي) لَأَن يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ، وقول الشاعر:

أَبَى جَوْدُهُ «لَا» الْبَخْلُ وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ «نَعَمْ» مِنْ فَتَى لَا يَمْنَعُ الْجَوْدَ قَاتِلَهُ^(١)
قَالُوا مَعْنَاهُ أَبَى جَوْدُهُ الْبَخْلُ .
وقال أبو عمرو بْنُ الْعَلَاءِ: الرَّوَايَةُ أَبَى جَوْدُهُ الْبَخْلُ .

وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ «نَعَمْ»، وَالَّذِي قَالَهُ أَبُو عَمْرٍو حَسَنَ، الْمَعْنَى أَبَى جَوْدُهُ «لَا»
الَّتِي تُبْخَلُ الْإِنْسَانُ، كَأَنَّهُ إِذَا قِيلَ: لَا تَسْرِفْ وَلَا تَبْذِرْ مَالَكَ أَبَى جَوْدُهُ «لَا»
هَذِهِ، وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ «نَعَمْ»، فَقَالَ: نَعَمْ أَفْعَلْ وَلَا أَتْرِكَ الْجَوْدَ .

وَهَذَانِ الْقَوْلَانِ فِي الْبَيْتِ هُمَا قَوْلَا الْعُلَمَاءِ، وَأَرَى فِيهِ وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ
عِنْدِي حَسَنٌ . أَرَى أَنَّ تَكُونَ «لَا» غَيْرَ لَعْوٍ، وَأَنَّ يَكُونَ الْبَخْلُ مَنْصُوبًا بَدَلًا مِنْ
«لَا» . الْمَعْنَى أَبَى جَوْدُهُ الْبُخْلُ وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ «نَعَمْ» .

وَمَوْضِعُ «مَا» فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ الَّا تَسْجُدْ﴾ رَفْعٌ، الْمَعْنَى أَي شَيْءٍ
مَنَعَكَ فِي السَّجُودِ، فَلَمْ يَقُلْ مَنَعَنِي كَذَا وَكَذَا فَأَتَى بِالشَّيْءِ فِي مَعْنَى الْجَوَابِ،
وَلَفْظُهُ غَيْرُ جَوَابٍ، لَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ فِي مَعْنَى مَنَعَنِي مِنَ السَّجُودِ
فَضَلَّى عَلَيْهِ . وَمِثْلُ هَذَا فِي الْجَوَابِ أَنَّ يَقُولَ الرَّجُلُ كَيْفَ كُنْتُ، فَيَقُولُ: أَنَا
صَالِحٌ، وَإِنَّمَا الْجَوَابُ كُنْتُ صَالِحًا، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُ قَدْ أَجَابَهُ بِمَا احتَاجَ إِلَيْهِ
وَزَادَهُ أَنَّهُ فِي حَالِ مَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ صَالِحٌ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

(١) الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ «لَا» . وَالْخَصَائِصُ ٣٥/٢، وَشَوَاهِدُ الْمَغْنِيِّ ٢١٧ .

ذَكَرَ يُونُسُ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو كَانَ يَجِيزُ «الْبَخْلَ» - أَي بِإِضَافَةِ «لَا» إِلَيْهِ - وَقَدْ أَشْكَلَ إِعْرَابُهُ عَلَى الشَّرَاحِ -
وَأَقْرَبُهَا جَرُّ الْبَخْلِ وَنَصْبُ «قَاتِلَهُ» عَلَى الْحَالِ أَوْ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ أَي لَا يَمْنَعُ الْجَوْدَ مِمَّنْ يَرِيدُ
قَتْلَهُ، وَالرَّوَايَةُ إِذْنُ «لَا يَمْنَعُ الْجَوْدَ قَاتِلَهُ» أَمَّا رَوَايَةُ «الْجَوْدَ» فَمُضَامَضَةٌ . وَمَعْنَى «لَا الْبَخْلَ» لَا
الدَّالَّةَ عَلَى الْبَخْلِ وَفَسَّرَ السِّيُوطِيُّ الْبَيْتَ بِأَنَّهُ مَدْحٌ لِشَخْصٍ كَرِيمٍ، يَأْبَى لَهُ جَوْدُهُ أَنْ يَقُولَ «لَا»
الَّتِي تَسْتَعْمَلُ لِلْبَخْلِ، وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ كَلِمَةُ «نَعَمْ» أَي سَبَقَتْ «لَا» - كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَاسْتَعْجَلُونَا وَكَانُوا مِنْ صَحَابَتِنَا

﴿فَاخْرِجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاعِرِينَ﴾.

لأنه قد استكبر بهذا الجواب فأعلمه الله أنه صاغر بهذا الفعل.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

أي أخبرني إلى يوم البعث، فلم يجب إلى الإنظار إلى يوم البعث بعينه، وأعلم أنه منظور إلى يوم الوقت المعلوم.

﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

في قوله: ﴿أُغْوِيَنِي﴾ قولان. قال بعضهم: فيما أضللتني وقال بعضهم: فيما دعوته إلى شيء غويت به، أي غويت من أجل آدم.

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ولا اختلاف بين النحويين في أن «على» محذوفة، ومن ذلك قولك: ضرب زيد الظهر والبطن.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَأْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾.

معناه - والله أعلم - ثم لا تأنيهم في الضلال من جميع جهاتهم، وقيل من بين أيديهم أي لأضلنهم في جميع ما يتوقع، وقيل أيضاً: لأخوفنهم الفقر، والحقيقة - والله أعلم - أي أنصرف لهم في الإضلال في جميع جهاتهم.

وقوله: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا﴾.

معنى مَذْذُومٌ كمعنى مَذْمُومٌ، يُقَالُ: ذَامَتْهُ آذَامُهُ ذَامًا، إِذَا رَعَبَتْهُ وَذَمَّتْهُ^(١).

ومعنى ﴿مَدْحُورًا﴾. مُبْعَدًا من رحمة الله.

(١) رعبه - كمنعه - خوفه - فرعب، وذامه - كمنعه أيضاً: حقره وذمه وطرده، فإبليس هنا ذم باللعنة، وطرده من الجنة.

وقوله: ﴿لَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنْهُمْ﴾.

هذه اللام لام القسم تدخل توطئة للأمر.

﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾.

والكلام بمعنى الشرط والجزاء، كأنه قيل: من تبعك أعدُّ به، فدخلت اللام للمبالغة والتوكيد^(١)، ولام لأملأن لام القسم ولام «من تبعك» توطئة لها^(٢)، يجوز في الكلام: واللَّه من جاءك لأضربنه، ولا يجوز: واللَّه لَمَنْ جاءك أضربه^(٣)، وأنت تريد لأضربنه، ولكن يجوز: واللَّه لَمَنْ جاءك أضربه تريد لأضربنه^(٤)، وقال بعضهم في قوله: ﴿ثُمَّ لَا تَأْتِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي لأغوينهم فيما أمرُوا به.

وقوله: ﴿وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ﴾ أي لأغوينهم فيما نهوا عنه والذي أظنه - واللَّه أعلم - على هذا المذهب: أني أغويهم حتى يُكذَّبوا بأُمُور الأُمم السالفة وبالبعث، كما ذكر في هذا، ومعنى: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ﴾ أي لأضِلَّتهم فيما يَعْمَلُونَ، لأنَّ الكسب يقال فيه: ذَلِكَ بِمَا كَسَبْتَ يَدَاكَ، وإن كانت اليدان لم تجنبا شيئاً، إلا أنه يقال لكل ما عمله عامل كَسَبَتْ يَدَاكَ، لأنَّ اليدين الأصل في التصرف فجعلنا مثلاً لجميع ما عَمِلَ بغيرهما، قال الله عز وجل ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ^(٥)، وقال: ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ^(٦)، وقال:

(١) اجتمع الشرط والقسم - فاللام في «لأملأن» في جواب القسم.

(٢) اللام في «لمن تبعك» لام القسم. موطئه للام في «لأملأن».

(٣) لأن توكيده هنا واجب.

(٤) لأن المذكور جواب الشرط، وجواب القسم محذوف مقدر فيه التوكيد ولهذا جزم المضارع، والأولى دائماً حذف جواب المتأخر من الشرط والقسم.

(٥) لا توجد آية بهذا اللفظ ولكن يوجد: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ﴾ (آل عمران) ١٨٢.

(٦) لا توجد آية بهذا اللفظ. ولكن في القرآن: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾: سورة الروم الآية ٤١، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ سورة الشورى الآية ٣٠.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(١) ثم فُسِّرَ فقال: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.

وقوله: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾.

هذا الاختيار، أعني ذكر أنت، تقول إذهب أنت وزيد، ولو قلت: إذهب زيد كان قبيحاً^(٢).

وقد فُسِّرناه فيما سَلَفَ:

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾.

قال بعضهم: هي السُّنْبُلَةُ، وقيل هي شجرة الكَرَمِ.

وقوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

الأجود أن يكون. «فتكونا» في موضع نصب على جوانب الأمر بالفاء. أي فإنكما إن قربتماها كنتما من الظالمين. ويجوز أن يكون في موضع جزم عطفاً على قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا فَتَكُونَا﴾، أي فلا تكونا من الظالمين.

وقوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾.

تدل والله أعلم على معنى قوله:

﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً﴾.

ويجوزُ مَلَائِكِينَ، لأنَّ قوله: ﴿هَلْ أَذُنُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكُ لَا

يَبْلَى﴾^(٣) يدل على مَلَائِكِينَ وأحسبه قد قرئ به، فتدل - والله أعلم - على أن

القول إنما كان وسوسة من إبليس. والأجود أن يكون خطاباً^(٤)، لقوله:

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٥).

(١) لا تدل اليد هنا على الكل لأنه ذكر بعدها «وتب».

(٢) أي ممنوع، وإنما ينصب المعطوف هنا مفعولاً معه حيث لا فاصل بعد ضمير الرفع.

(٣) سورة طه آية ١٢٠.

(٤) جهراً وليس وسوسة، لأنه تقاسم وإياهما، والمخالفة لا تكون وسوسة.

(٥) على هذا «وسوس» بمعنى همس وزين.

أَيَّ فَحَلَفَ لَهُمَا :

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ .

أَيَّ دَلَّاهُمَا فِي الْمَعْصِيَةِ بِأَنْ غَرَّهُمَا .

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ .

أَيَّ ظَهَرَتْ لَهُمَا فُرُوجُهُمَا ، وَإِنَّمَا السَّوْءُ كُنَايَةٌ عَنِ الْفَرْجِ ، إِلَّا أَنَّ الْأَصْلَ - فِي التَّسْمِيَةِ السَّوْءُ .

وَقَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ .

مَعْنَى طَفِقَا أَخَذَا فِي الْفِعْلِ ، وَالْأَكْثَرُ طَفِقَ يَطْفِقُ . وَقَدْ رُوِيَ طَفَقَ يَطْفِقُ ، بِكَسْرِ الْفَاءِ .

وَقِيلَ : كَانَ وَرَقُ الْجَنَّةِ ذَلِكَ وَرَقُ التَّيْنِ ، وَمَعْنَى يَخْصِفَانِ ، يَجْعَلَانِ وَرَقَةً عَلَى وَرَقَةٍ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْخَصَافِ الَّذِي يَرْقَعُ النَّعْلَ : هُوَ يَخْصِفُ ، قَالَ الشَّاعِرُ : (١)

أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ لَهْفِي أَيْةً صَنَعَا

وَيَجُوزُ يَخْصِفَانِ وَيَخْصِفَانِ ، وَالْأَصْلُ الْكَسْرُ فِي الْخَاءِ ، وَفَتْحُهَا وَتَشْدِيدُ الصَّادِ (٢) ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى : يَخْتَصِفَانِ .

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَمْرَ التَّكْشُفِ وَإِظْهَارِ السَّوْءِ قَبِيحٌ مِنَ لَذْنِ (٣)

(١) هُوَ الْأَعْشَى مِنْ عَيْنَيْهِ الَّتِي تَقْدَمُ آيَاتُهَا مِنْهَا ، وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ زُرْقَاءِ الْيَمَامَةِ ، وَقَبْلَهُ :

مَا نَظَرْتُ ذَاتَ أَشْفَارٍ كَنَظَرْتَهَا حَقًّا كَمَا نَطَقَ الذُّثْيُ إِذَا سَجَعَا
وَصَدْرُهُ :

وَكَذَبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَحَهُمْ ذُو آلِ غَسَّانٍ يَزْجِي الْمَوْتَ وَالشَّرْعَا
انْظُرِ الْكَامِلَ ج ٣١/٢ .

(٢) يَخْصِفَانِ مِثْلَ يَخْطِفُ وَيَهْدِي . (٣) أَيَّ مِنْذُ عَهْدِهِ .

آدم. ألا ترى أنه ذكر عظم شأنها في المعصية فقال: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾. وأنهما بادراً يستتران لقبح التكشف.

وقوله: ﴿وَوُورِيَ عَنْهُمَا﴾.

يجوز فيه أوري، لأن الواو مضمومة، إن شئت أبدلت منها همزة، إلا أن القراءة تتبع في ذلك. والقراءة المشهورة وخط المصحف ﴿وَوُورِيَ﴾ بالواو.

ومعنى إلا أن تكونا ملكين، وقوله: ﴿ذَاقَا [الشَّجَرَةَ]﴾.

يدل على أنهما ذاقاها ذوقاً ولم يُبالغا في الأكل.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾. ويقراً ورياشاً.

والرَّيشُ اللباس. العرب تقول: أُعْطِيَتْهُ بَرِيشَتُهُ، أي بكسوته، والريش، كل ما ستر الرجل في جسمه ومعيشتِهِ، يقال: تَرِيشُ فلان أي صار له ما يعيش به، أنشد سيبويه وغيره^(١).

فريشي منكمو وهواي معكم وإن كانت زيارتكم لماما

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾.

برفع اللباس، فمن نصب عطف به على الرِّيش يكون المعنى: أنزلنا عليكم لباس التقوى، ويرفع خيراً بذلك^(٢)، ومن رفع اللباس فرفعه على ضربين: أحدهما أن يكون مبتدأ ويكون ذلك من صفته، ويكون ﴿خَيْرٌ﴾ خبر الابتداء. المعنى ولباس التقوى المشار إليه خيرٌ.

ويجوز أن يكون ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ مرفوعاً بإضمار «هو» المعنى [هو]

(١) تقدم ج ١ ص ٨٨.

(٢) أي يكون خيراً والمبتدأ ذلك. أي ذلك اللباس أفضل.

لباس التقوى: أي وستر العورة لبأس المتقين، ثم قال: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ويكون^(١) على أن لباس التقوى مرفوعٌ بالابتداء، ويكون «ذَلِكَ» خَيْرٌ يرتفع به «خَيْرٌ» على أنه خير ذلك^(٢). ويكون ذلك بمنزلة «هو» كأنه - والله أعلم - ولباس التقوى هو خير، لأن أسماء الإشارة تقرب فيما يعود من الذكر من المضممر^(٣)، والوجهان الأولان أبين في العربية.

وقوله: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾.

«حيث» في موضوع جر إلا أنها بُيِّنَتْ على الضم، وأصلها أن تكون موقوفة، لأنها ليست لمكان بعينه وأن ما بعدها صلة لها، لَيْسَتْ بمضافة إليه.

ومن العرب من يقول: . [«من حيث خرجت»]^(٤) فيفتح لالتقاء الساكنين، ومنهم من يقول من حوث خرجت. ولا تقرأ بهاتين اللغتين لأنهما لم يقرأ بواحد منهما ولا هما في جودة حيث المبنية على الضم.

وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥).

«جَعَلْنَا» في اللغة على ضروب، منها جعلت بعض الشيء فوق بعض، أي عملته وهَيَّأته على هذه الصيغة، ومنها جعل زيد فلاناً عاقلاً، تأويله: سماه عاقلاً، ومنها جعل يَقُولُ كذا وكذا، تأويله أنه أخذ في القول.

فأما معنى الآية فعلى ضربين - والله أعلم -.

أحدهما أن يكون الكفار عُقُوبوا بأن سُلِّطَتْ عليهم الشَّيَاطِينُ تزيدهم في غيهم عُقُوبَةً على كُفْرِهِمْ كما قال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى

(١) أي هذا وجه آخر. جعل فيه «ذلك خير» جملة مخبر بها عن لباس التقوى.

(٢) الخبر إذن جملة، وذلك هي الرابط.

(٣) ذلك رابط تقوم مقام المضمير.

(٤) سورة الأعراف. آية ٢٧.

الْكَافِرِينَ تَوَرَّهُمْ أَرْأَوْا^(١)، أَي تَحْمِلُهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي حَمْلًا شَدِيدًا، تَرَعَجُهُمْ فِي شِدَّةِ الْغَيِّ.

وَيَجُوزُ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، أَي سَوَيْنَا بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَالْكَافِرِينَ فِي الذَّهَابِ عَنِ اللَّهِ. كَمَا قَالَ: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^(٢).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾.

معنى الفاحشة ما يشتد قبحه من الذنوب.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.

فَاعْلَمْ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ لِأَنَّ حِكْمَتَهُ وَجَمِيعَ مَا خَلَقَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ إِلَّا الْمُسْتَحْسَنَ، فَكَيْفَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ. وَقَدْ احْتَجَّ عَلَيْهِمْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضُوعِ بِمَا قَدْ بَيَّنَّاهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ.

وقوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾.

أَي بِالْعَدْلِ، فَكَيْفَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ مَنْ يُعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ إِلَّا الْحِكْمَةَ، وَلَا يَثْبُتُ إِلَّا الْعَدْلَ مِنْ أَمْرِهِ، فَإِذَا كَانَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ - وَالْعَدْلُ مَا قَامَ فِي النَفْسِ أَنَّهُ مُسْتَقِيمٌ لَا يَنْكُرُهُ مِمِّيزٌ - فَكَيْفَ بِالْفَحْشَاءِ، وَالْفَحْشَاءُ مَا عَظُمَ قَبْحُهُ. ثُمَّ وَبَّخَهُمْ فَقَالَ:

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أَي أَتَكْذِبُونَهُ.

وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

أَي وَقْتُ كُلِّ صَلَاةٍ اقْصِدُوهُ بِصَلَاتِكُمْ.

(١) سورة مريم ٨٣.

(٢) سورة التوبة ٦٧.

﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

أي مخلصين له الطاعة. احتج عليهم في إنكارهم البعث، وهو متصل بقوله:

﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾. فقال:
﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

أي فليس بعثكم بأشد من ابتدائكم.

وقوله: ﴿فَرِيقًا هَدَى، وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾.

معناه إنه أضل فريقاً حق عليهم الضلالة. ثم قال:

﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

ولو قُرِئَتْ أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ لَكَانَتْ تَجُوزُ^(١)، ولكن الإجماع على الكسْرِ.

وقوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

يدل على أن قوماً يتحللون^(٢) الإسلام ويزعمون أن من كان كافراً، وهو لا يعلم أنه كافر فليس بكافر مُبْطِلُونَ^(٣)، لأن الله جل ثناؤه قد أعلمنا أنهم يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مهْتَدُونَ، ولا اختلاف بين أهل اللغة في أن الحُسْبَانَ ليس تأويله غير ما يُعلم من معنى حسب^(٤).

والدليل على أن الله قد سماهم بظنهم كَفَرَةً قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(٥) فأعلم أنهم بالظن كافرون، وأنهم معذبون.

(١) أي بتقدير لأنهم اتخذوا.

(٢) «يتحللون» نعت لقوم، أي إن أي قوم يعقلون ذلك مبطلون.

(٣) خير «إن قوماً».

(٤) أي هم يظنون أنهم مهْتَدُونَ وليس الأمر كذلك.

(٥) سورة ص آية ٢٧.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

هذا أمرٌ بالاستِئثارِ في الصلوات، وكان أهل الجاهلية يطوفون عُراً، ويقولون: لا نطوف حول البيت في ثياب قد أذنبنا فيها، وكانت المرأة تطوف عُريانةً أيضاً إلا أنها كانت تشدُّ في حقونها أشياء من سيورٍ مقطعة، تُسمَّى العرب ذلك الرهط، قالت امرأة تطوف وعليها رهط: ^(١)

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أَجْلَهُ ^(٢)
تعني الفرج، لأن السيور لا تستر سترًا تامًا.

فأمر الله بعد ذكره عقوبة آدم وحواء في أن بدت لهما سوءاتهما، بالاستتار في وقت كل صلاة، بعد أن أعلم أن التعري وظهور السوءة مكروه من لدن آدم، وقوله بعقب الاستتار:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾.

لأنهم ادَّعَوْا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قد حرم عليهم شيئاً مما في بطون الأنعام، وحرم عليهم البحيرة والسائبة، وكانوا يزعمون فيما يأتون من الفحشاء كالتعري وما أشبهه - أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ - أمرهم بذلك فأمرهم الله بالاستتار، وَأَن يَأْكُلُوا مَا زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حرَّمه مما لم يحرمه، وَأَن يَشْرَبُوا مما

(١) الرهط جلد يشق من أسفله ليتمكن المشي فيه، تلبسه الأطفال والحیض، أو جلد يشق سيوراً.
(٢) كان قوم من العرب يطوفون بالبيت عرايا، ويطوف النساء ليلاً أو يلبسون «رهطاً» حتى جاء الإسلام فحرم ذلك، وهذه المرأة تتحدث عن فرجها، تقول: إنها مع ما يبدون من فرجها عفيفة وما بدامن سوءتها لا تحله، بل هي مع هذا محافظة على عفتها. وصاحبة الشعر هي أسماء بنت مخربة أم أبي جهل والحرث، وتزوجت عبد الله بن ربيعة بن المغيرة فولدت له عياشاً - واختلف في إسلامها، واختار ابن حجر أنها أسلمت وماتت في خلافة عمر. وذكر مع هذا البيت بيتاً آخر: هو:

كَم مِنْ لَبِيبٍ عَاقِلٍ يَضِلُّهُ وَنَاضِرٍ يَنْظُرُ مَا أَعْلَهُ

انظر الإصابة جـ ٤/ ٢٣٢، ٥٥ من تراجم النساء، ويقال إن الآية نزلت فيها.

والبيت في معاني الفراء جـ ١ - ٧٧ والطبري ٨/ ١٠٤، ١٠٩.

زعموا أن الله جلّ وعزّ حرم عليهم شربه، لأن ألبان البحيرة والسائبة كانت عندهم حراماً.

وقوله: جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

والإسراف أن يأكل ما لا يحلّ أكله مما حرم الله تعالى أن يؤكل شيء منه، أو تأكل مما أحل لك فوق القصد ومقدار الحاجة، فأعلم الله عزّ وجلّ أنه لا يحب من أسرف، ومن لم يحبه الله عزّ وجلّ فهو في النار. ثم قرّرهم ووبّخهم فقال:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾.

أي من حرم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم.

﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.

أي ومن حرم الطيبات مما رزق الله، أي من حرم هذه الأشياء التي ذكرتم أنها حرام.

ثم قال عزّ وجلّ:

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

وتقرأ خالصة وخالصة يوم القيامة.

المعنى أنها حلال للمؤمنين، وقد يشركهم فيها الكافرون.

أعلم عزّ وجلّ أن الطيبات تخلص للمؤمنين في الآخرة ولا يشركهم فيها

كافر.

فأما إعراب «خالصة» فهو أنه خبر بعد خبر، كما تقول: زيد عاقل

لبيب. فالمعنى قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة،

ومن قرأ خالصة جعل خالصة منصوباً على الحال، على أن العامل في قولك

في الحياة الدنيا في تأويل الحال. كأنك قلت: هي ثابتة للمؤمنين مستقرة في

الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ .
 موضع أن نصب: المعنى حرم الله الفواحش تحريم الشرك .
 ومعنى ﴿لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ : أي لم ينزل به حجة .
 وقوله عز وجل ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ : أي وقت مؤقت .
 ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ .

المعنى : ولا يستقدمون ساعة، ولا أقل من ساعة، ولكن دُكِرتِ الساعة لأنها أقل أسماء الأوقات .

وقوله : ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ .

آدم لا ينصرف لأنه على قدر أفعَل وهو معرفة، وهو مشتق من أَدَمَ الأرض، وهو وجهها، فسمي بما خلق منه، والله عز وجل أعلم .

وقوله : ﴿إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ .

هذه «إن» التي للجزاء، ضُمَّت إليها ما . والأصل في اللفظ «إن ما» مفصولة، ولكنها مدغمة، وكتبت على الإدغام، فإذا ضُمَّتْ إن إلى ما، لزم الفعل النون الثقيلة أو الخفيفة، وجواب الجزاء في الفاء، أي في قوله : ﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ﴾ .

فإنما تلزم «ما» النون لأن ما تدخل مؤكدة فتلزمها النون كما تلزم اللام النون في القسم إذا قلت : والله لتفعلن، فما توكيد، كما أن اللام توكيد، فلزمت النون كما لزمت لام القسم .

وقوله : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ .

أي ظلم أشنع من الكذب على الله .

وقوله : ﴿أَوَلَيْكَ يَنَالُهُمْ نَصِيحُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ .

أي ما أخبر الله جل ثناؤه من جزائهم نحو قوله : ﴿فَانذَرْتُكُمْ نَارًا

تَلْظَى ﴿١﴾ ونحو قوله: ﴿يَسْلُكُهُ عَذَاباً صُغْداً﴾ (٢) ونحو قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (٣)، ونحو: ﴿إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ﴾ (٤)، فهذه أَنْصَبَتْهُمْ من الكتاب على قدر ذُنُوبِهِمْ في كفرهم. ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾.

زعم سيبويه - والخليل - أن «حَتَّى» و «إِذَا» و «إِلَّا» لا تجوز فيهن الإمالة. لا يجيز: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ ولا يجيز «أَمَّا»، ولا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (٥)، هذا لحن كله، وزعم أن هذه ألفات الفتح لأنها أواخر حروف جاءت لمعنى، ففُصِّل بينها وبين أواخر الأسماء التي فيها الألف نحو حُبْلَى وهُدَى، إلا أن حتى كُتِبَتْ بالياء، لأنها على أربعة أحرف، فأشبهت سكرى. و «إِذَا» التي للتخير شُبِّهَتْ بِإِن التي ضُمَّتْ إِلَيْهَا «مَا» مثل قوله: ﴿إِذَا أَنْ تُعَذَّبَ، وَإِذَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (٦)، كُتِبَتْ بِالْأَلْفِ لِمَا وَصَفْنَا، و «إِلَّا» أَيْضاً كُتِبَتْ بِالْأَلْفِ لأنها لو كُتِبَتْ بَالِيَاءَ لَأَشْبَهَتْ إِلَى.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ فيه - والله أعلم - وَجْهَان:

يكون: حتى إذا جاءتهم ملائكة الموت يتوفونهم سألوهم عند المعاينة، فيعرفون عند موتهم أنهم كانوا كافرين، لأنهم ﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾.

أَي بَطَلُوا وَذَهَبُوا.

(١) سورة الليل الآية ١٤.

(٢) سورة الجن ١٧.

(٣) سورة النساء الآية ١٤٥.

(٤) سورة غافر ٧١ - ٧٢.

(٥) لا يجوز إمالتها، وإمالتها لحن.

(٦) سورة الكهف الآية ٨٦.

ويجوز- والله أعلم- أن يكون: حتى إذا جاءتهم رسلنا ملائكة العذاب يتوفونهم، فيكون ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ في هذا الموضع على ضربين، أحدهما يتوفونهم عذاباً، وهذا كما تقول: قد قتلت فلاناً بالعذاب وإن لم يمت. ودليل هذا القول قوله عز وجل: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُمْ بِمُعْتَدِينَ﴾ (١).

وجائز وهو أضعف الوجهين أنهم يتوفون عدتهم والله أعلم.
وقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾.

لأنهم ضل بعضهم باتباع بعض.
﴿حَتَّىٰ إِذَا اذْكَرُوا فِيهَا﴾.

أي تداركوا، وأدغمت التاء في الدال، فإذا وقفت على قوله «حتى إذا» لم تبدئ حتى تأتي بألف الوصل، فتقول: اذركوا فتأتي بألف الوصل لسكون الدال فيها.

ومعنى تداركوا اجتمعوا.

وقوله ﴿جَمِيعاً﴾ منصوب على الحال، المعنى حتى إذا تداركوا فيها مجتمعين.

﴿قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾.

أي قالت أخرجهم: دعته أولاهم فاتبع الآخر الأول. فأعلم التابعون أن المتبوعين أضلوهم بأن دعوهم إلى الضلال، والمعنى قالت أخرجهم يا ربنا هؤلاء أضلونا، لأولاهم، تعني أولاهم (٢).

وقوله: ﴿فَاتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ﴾.

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧.

(٢) قالت أخرجهم مشيرة إلى أولاهم يا رب هؤلاء أضلونا، وقوله تعني أولاهم أي تعني بكلمة هؤلاء الإشارة إليهم.

أي عذاباً مُضاعفاً لأن الضعف في كلام العرب على ضربين أحدهما المثل، والآخر أن يكون في معنى تضعيف الشيء.

﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ﴾.

أي للتابع والمتبوع لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعاً، أي لكل عذاب مضاعف، فمن قرأ: ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ بالتاء.

أي ولكن لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم من العذاب، ومن قرأ ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالياء، أي ولكن لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر.

ويجوز - والله أعلم - ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾.

أي كذبوا بحججنا وأعلامنا^(١) التي تدل على نبوة الأنبياء وتوحيد الله.

﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾.

أي لا تصعد أرواحهم ولا أعمالهم، لأن أعمال المؤمنين وأرواحهم تصعد إلى السماء، قال الله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(٢).

ويجوز لا تفتح ولا تفتح بالتخفيف والتشديد، وبالياء والتاء.

وقال بعضهم: لا تفتح لهم أبواب السماء، أي أبواب الجنة، لأن الجنة

في السماء، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾.

فكأنه لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا يدخلونها ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ

الْخِيَاطِ﴾.

(١) جمع علم أي إخباراتنا.

(٢) سورة فاطر الآية ١٠.

فالخياط الإبرة، وسمها ثقبها.
المعنى لا يدخلون الجنة أبداً.
وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال هو زوج الناقة. كأنه استجهل من
سأله عن الجمل.

وقرأ بعضهم الجمل، وفسروه فقالوا قلس^(١) السفينة.
وقوله عز وجل ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾، أي ومثل ذلك الذي وصفنا
نجزي المجرمين.

والمجرمون - والله أعلم - ههنا الكافرون، لأن الذي ذكر من قصتهم
التكذيب بآيات الله، والاستكبار عنها.

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾.
أي فراش من نار.
﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾.
أي غاشية فوق غاشية من النار.
وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.
والظالمون ههنا الكافرون.

وقوله «غَوَاشٍ» زعم سيويه والخليل جميعاً أن النون ههنا عوض من
الياء، لأن غواشي لا تنصرف، والأصل فيها غَوَاشِي، بإسكان الياء^(٢). فإذا
ذهبت الضمة أَدْخَلَتِ التنوين عوضاً منها، كذلك فسر أصحاب سيويه، وكان
سيويه يذهب إلى أن التنوين عوض من ذهاب حركة الياء، والياء سقطت
لسكونها وسكون التنوين. فإذا وقفت فالاختيار أن تتف بغير ياء، فتقول

(١) الجبل الضخم الغليظ.

(٢) في الوقف، والفتح في حال الوصل.

غَوَاشٍ، لتدل أن البياء كانت تحذف في الوصل. وبعض العرب إذا وقف قال غَوَاشِي، بإثبات البياء، ولا أرى ذلك في القرآن لأن البياء محذوفة في المصحف، والكتاب^(١) على الوقف.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

أي عملوا الصالحات بقدر طاقتهم، لأن معنى الوسع ما يقدر عليه. وقوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

أولئك رفع بالابتداء، وأصحاب خبر، وهم والجملة خبر الذين، ويرجع على الذين أسماء الإشارة، أعني أولئك.

قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾.

قال بعضهم: ذهب الأحقاد التي كانت في قلوبهم، وحقيقته - والله أعلم - أنه لا يحسد بعض أهل الجنة بعضاً في علو الرتبة، لأن الحسد غلٌّ.

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾.

في معنى الحال، المعنى ونزعنا ما في صدورهم من غل في هذه الحال، ويجوز أن يكون «تجري» إخباراً عن صفة حالهم، فيكون تجري مستأنفاً.

ومعنى ﴿هَذَا نَاهَا﴾.

أي هذان لما صيرنا إلى هذا، يقال: هديت الرجل هداية وهدى وهدياً، وأهديت الهدية فهي مُهداة، وأهديت العروس إلى زوجها وهديتها.

وقوله جل وعز: ﴿وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ﴾.

(١) أي الكتابة والرسم.

في موضع نصب، وههنا الهاء مضمرة^(١)، وهي مخففة من الثقيلة^(٢).
والمعنى نودوا بأنه تلکم الجنة.

والأجود - عندي - أن تكون أن في موضع تفسير النداء^(٣)، كان
المعنى، ونودوا أن تلکم الجنة، أي قيل [لهم]: تلکم الجنة، وإنما قال:
تلکم، لأنهم وعدوا بها في الدنيا، فكأنه قيل: هذه تلکم التي وعدتم بها.
وجائز أن يكون عاينوها فقل لهم من قبل دخولها إشارة إلى ما يروونه: تلکم
الجنة، كما تقول لما تراه: ذلك الرجل أخوك. ولو قلت: هذا الرجل لأنه
يراک جاز، لأن هذا وهؤلاء لما قرب منك، وذاك وتلك لما بعد عنك، رأيت أو
لم تره.

وقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا
حَقًّا﴾.

معنى «أن» ههنا إن شئت كان مفسراً لما نادى به أصحاب الجنة،
والمعنى أي قد وجدنا، ويجوز أن تكون أن الشديدة وخففت، المعنى أنه قد
وجدنا، قال الشاعر:

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى ويتعل^(٤)
وقوله: ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾.

وفي بعض اللغات قالوا نَعَمْ في معنى نَعَمْ - موقوفة الآخر - لأنها حرف
جاء للمعنى.

(١) في هذا الموضع هاء ضمير الشأن مضمرة بعد أن.

(٢) أن هنا مخففة من الثقيلة والتقدير أنه أي الحال والشأن.

(٣) وهو جيد لأن «أن» المفسرة تأتي بعدما فيه معنى القول دون حروفه.

(٤) تقوم شرح البيت، والاستشهاد هنا غير جيد، لأن أن في البيت سبقت يعلم التي يأتي بعدها أن
المخففة، أما في الآية فهي مسبقة بما فيه معنى القول دون حروفه.

وقوله: ﴿فَإِذْ نُؤَذِّنُ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ .
 وَيَجُوزُ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ، وقد قرئ بهما جميعاً والمخففة
 مخففة من الشديدة، ويجوز أن تكون المخففة في معنى أي الخفيفة التي هي
 تفسير، كأنها تفسير لما أذّنوا فيه.

وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَاسِهِمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ .
 أي نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم [هذا].
 ومعنى: ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ .

و «كجحدِهِم» و «ما» نسق على «كما» في موضع جر^(١).

وقوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).
 هدى في موضع نصب، أي فصلناه هادياً وذا رحمة. ويجوز هدى
 ورحمة لقوم يؤمنون على الاستئناف، المعنى هو هدى ورحمة لقوم يؤمنون.

وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ .
 معناه هل ينظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من البعث، وهذا التأويل واللّه
 أعلم - هو قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٣)، أي ما يعلم متى يكون البعث،
 وما يؤول إليه إلا اللّه: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾^(٣) أي آمنا
 بالبعث - واللّه أعلم - .

وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ .
 ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بقوله: ﴿يقول﴾: و ﴿الذين نسوه﴾ على ضربين:

(١) ما مصدرية والمعنى نناسهم جزاء نسيانهم وجحدهم.

(٢) نص الآية: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة﴾ . الخ وفي الأصل: وهدى
 ورحمة، وهو خطأ.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

جائز أن يكون صاروا في الإعراض عنه بمنزلة من نسي وجائز أن يكونوا نسوه وتركوا العمل له والإيمان به .

وقوله : ﴿أَوْ تُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ .

﴿أو﴾ نسق على قوله ﴿من شفعاء﴾ ، كأنهم قالوا : هل يشفع لنا شافع أو هل نرد .

وقوله عز وجل ﴿فَنَعْمَلْ﴾ منصوب على جواب الفاء للاستفهام . ويجوز أن تنصب أو تُرَدُّ فَنَعْمَلْ ، أي إن رددنا استغنيينا عن الشفاعة .
وقوله : ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ .

ويُغْشِي الليل النهار ، جميعاً يقرأ بهما .

والمعنى أن الليل يأتي على النهار فيغطيه ، ولم يقل يغشى النهار الليل ، لأن في الكلام دليلاً عليه ، وقد جاء في موضع آخر : ﴿يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ ، وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمُ مَسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ .

أي خلق النجوم جاريات مجاريهن بأمره .

وقوله : ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ .

وقوله : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾ (٢) .

اختلف الناس في أصحاب الأعراف ، فقال قوم : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم يستحقوا الجنة بالحسنات ، ولا النار بالسيئات ، فكانوا على الحجاب الذي بين الجنة والنار ، والأعراف أعالي السور ، ويقال لكل عال عرف وجمعه أعراف .

(١) سورة الزمر الآية ٥ .

(٢) هذه الآيات موضعها في المصحف قبل ذلك .

ويجوز أن يكون - والله أعلم - على الأعراف على معرفة - أهل الجنة وأهل النار هؤلاء الرجال، فقال قوم ما ذكرنا، وإنَّ الله يدخلهم الجنة، وقال قوم أصحاب الأعراف أنبياء، وقال قوم ملائكة.

ومعرفتهم كلاً بسيمائهم يعرفون أصحاب الجنة بأن سيمائهم إسفار الوجوه والضحك والاستبشار كما قال عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾^(١). ويعرفون أصحاب النار بسيمائهم وسيمائهم اسوداد الوجوه وغبرتها - كما قال جل وعز: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^(٢)، و﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾^(٣) والفترة كالذخان.

وقوله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

هذا - والله أعلم - خطاب أصحاب الأعراف لأهل النار، وقرئت تستكثرون بالثاء.

وأما قوله: ﴿أَهْؤْلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾.

يعني أهل الجنة كأنه قيل لهم: يا أهل النار أهؤلاء الذين حلفتם لا ينالهم الله برحمة.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾.

وإن شئت بالفتح لا خوف عليكم.

فجائز أن يكون ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ خطاباً من أصحاب الأعراف لأهل

(١) سورة عبس آية ٣٨ - ٣٩.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٦.

(٣) الغبرة ما يعتري الوجه من تغير وإربداد، وزنه فعله كحمرة وصفرة وزرقة، والغبرة أيضاً اسم للتراب، وكذلك الغبرة محركة هي التراب - فغبرة الوجوه، وغبرتها بالتحريك تحتمل أن عليها غباراً وأنها متغيرة مسودة.

الجنة، لأن كل ما يقوله أصحاب الأعراف فعن الله تعالى . وجائز أن يكون خطاباً من الله عز وجل لأهل الجنة .

وقوله : ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنِ افِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ .

فأعلم الله عز وجل : أن ابن آدم غير مستغن عن الطعام والشراب وإن كان معذباً .

فأعلمهم أهل الجنة أن الله حرّمها على الكافرين، ينعنون أن الله حرم طعام أهل الجنة وشرابهم على أهل النار، لأنهم إنما يشربون الحميم الذي يَصْهَرُ به ما في بطونهم .

وقوله : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ .

قال قوم : تضرعوا تملقاً، وحقيقته - والله أعلم - أن يدعوه خاضعين متعبدين .

وخُفْيَةً أي اعتقدوا عبادته في أنفُسكم، لأن الدعاء معناه العبادة .

وقوله : ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ .

والمعتدون المجاوزون ما أمروا به، وهُم الظالمون .

وقوله : ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ .

أي ادعوه خائفين عذابه وطامعين في رحمته، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله، قال ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته .

وقوله : ﴿إِنْ رَحْمَةُ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

إنما قيل قريب لأن الرحمة والغفران في معنى واحد وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي . وقال الأخفش جائز أن تكون الرحمة ههنا في معنى المطر .

وقال بعضهم: هذا ذَكَرَ ليفصل بين القريب من القرابة، والقريب من القُرب، وهذا غلط، لأن كل ما قُرب من مكان أو نَسَب فهو جارٍ على ما يصيبه من التانيث والتذكير.

وقوله: ﴿بُشْرَىٰ بَيْنَ يَدَي رَحْمَةٍ﴾.

ونُشراً أيضاً بضم النون وفتحها - وقرأ عاصم بُشْرَىٰ بالياء. فمن قرأ نُشراً فالمعنى وهو الذي يُنْشِر الرياح مُنْشِرةً نُشْراً، ومن قال نُشْراً فهو جمع نشورٍ ونُشِر. ومن قرأ بُشْراً فهو جمع بشيرةٍ وبُشِرَ كما قال جل وعز: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْراً﴾^(١).

وقوله: ﴿بَيْنَ يَدَي رَحْمَةٍ﴾.

أي بين يدي المطر الذي هو رحمةٌ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾ أي حتى إذا أقلت الريح سحاباً، يقال: أقل فلان الشيء إذا هو حملة، وفلان لا يَسْتَقِلُّ بِحَمَلِهِ.

فالمعنى حتى إذا حملت سحاباً ثقالاً، والسحاب جمع سحابة، ﴿ثِقَالًا﴾ أي ثقالاً بالماء.

﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾.

ومَيِّتٍ جميعاً.

﴿فَأَنْزَلْنَاهُ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾.

جائز أن يكون: فَأَنْزَلْنَا بالسحاب الماء، فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ.

الأحسن - والله أعلم - فأخرجنا بالماء من كل الثمرات، وجائز أن يكون فأخرجنا بالبلد من كُلِّ الثَّمَرَاتِ، لأنَّ الْبَلَدَ ليس يُخَصَّصُ به ههنا بلدٌ سوى سائر الْبُلْدَانِ.

(١) سورة الاعراف. الآية ٥٧.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ .
أي مثل ذلك الإخراج الذي أشرنا إليه نُخرج الموتى .
وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

لعل ترج، وإنما خوطب العباد على قدر علمهم، وما يرجوه بعضهم من
بعض، والله يعلم أيتذكرون أم لا .

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .
أي لعلكم بما بيناه لكم تستدلون على توحيد الله وأنه يبعث الموتى .
وقوله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا
نَكِدًا﴾ .

وقرأها أهل المدينة نكدًا - بفتح الكاف - ويجوز فيه وجهان آخران: إلّا
نكدًا ونكدًا - بضم النون وإسكان الكاف ولا يقرأ بالمضمومة، لأنه لم تثبت به
رواية في القرآن .

وقوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ .
وهم الرؤساء والأشراف، وقال بعضهم يعنى به الرجال .
وقد بينا الملاء فيما سبق من الكتاب^(١) .

وقوله: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .
هذه الواو واو العطف . دخلت عليها ألف الاستفهام، فبقيت مفتوحة،
وقد بينا أمرها في الكتاب .

وقوله: ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ .
والفلك السفينة، يكون الفلك واحداً، ويكون جمعاً .

(١) ج ١ ص ٣٢٥ .

وقوله: ﴿قَوْمًا عَمِينَ﴾.

أي قد عموا عن الحق والإيمان.

وقوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾.

المعنى: لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هوداً، وقيل للأنبياء أخوهم وإن كانوا كفرة، يعني به أنه قد أتاهم بشرٌ مثلهم من ولد أبيهم آدم، وهو أرجح^(١) عليهم. وجائز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم ليكون أفهم لهم بأن يأخذوا عن رجل منهم.

وقوله: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾.

السفاهة خفةُ الحلم والرأي، يقال ثوبٌ سفیه إذا كان خفيفاً.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

وكفروا به ظانين لا مُستيقنين.

وقوله: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾.

هذا موضع أدب للخلق في حسن الجوار وفي المخاطبة، أنه دفع ما نسبوه إليه من السفاهة بأن قال ليس بي سفاهة، فدفعهم بنفي ما قالوا فقط.

وقوله: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أي الذي أنبئكم به من عند الله، لأنه أمرهم بعبادة الله جل وعزَّ

وتوحيده:

وقوله: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُم خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ

بَسْطَةً﴾.

وخُلَفَاءُ جمع خليفة على التذكير لا على اللفظ، مثل ظريف وظُرَفَاءُ.

(١) أوجب في الحجة على من كفر منهم.

وجائز أن يجمع خلائف على اللفظ، مثل طريقة وطرائف.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾.

في التفسير أنه كان أَقْصَرُهُمْ، طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعاً وَأَطْوَلُهُمْ مِائَةُ ذِرَاعٍ.

وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾.

معناه نِعَمَ اللَّهِ، واحدها إِلَيَّ، قال الشاعر^(١):

أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ الْهَزَالَ وَلَا يَقْطَعُ رَحْماً، وَلَا يَخُونُ إِلَّا

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدَهَا إِلَيَّ وَإِلَى.

وقوله: ﴿وَإِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾.

أَيَّ أَرْسَلْنَا إِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً.

وثُمُودُ في كتاب الله مصروفٌ وغيرُ مصروف. فأما المصروف فقوله:

﴿إِلَّا إِنْ ثُمُوداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثُمُودَ﴾^(٢)، الثاني غيرُ مصروف، فالذي

صرفه جَعَلَهُ اسماً للحَيِّ، فيكون مُذَكِّراً سَمِيَ بِهِ مُذَكَّرٌ وَمَنْ لَمْ يَصْرِفْهُ جَعَلَهُ

اسماً للْقَبِيلَةِ.

وقوله: ﴿مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وتقرأ غَيْرُهُ، فمن رفع فالمعنى ما لكم إله غيرُهُ، ودخلت «مِنْ» مؤكدةً،

وَمَنْ جَرَّ جَعَلَهُ صِفَةً لِإِلَهِ. وأجاز بعضهم النصبَ في غَيْرٍ وهو جائز في غير

القرآن، على النصب على الاستثناء وعلى الحال من النكرة، ولا يجوز في

القرآن لأنه لم يقرأ به، وأجاز الفراء. ما جاءني غيرُكَ بِنَصْبٍ غير، وهذا خطأ

(١) هو الأعشى يمدح سلامة ذي فائش، من قصيدته: إن محلاً وإن مرتحلاً - أي لا ينقض عهداً -

الديوان. ١٧٥، واللسان - إلى - والمرتضى ٢٨/١ وشواهد المغني ٢٣٨ (ط بيروت) والطبري

١١٧/٥، ومجاز أبي عبيدة ٢٧١/١ والخزانة ٣٨١/٤.

(٢) سورة هود الآية ٦٨.

بَيْنَ، إِنَّمَا أُنْشِدَ الْخَلِيلَ وَسَيُويِهِ بَيْتًا أُجَازَا فِيهِ نَصَبٌ غَيْرٌ، فَاسْتَشْهَدَ هُوَ بِذَلِكَ
الْبَيْتِ وَاسْتَهْوَاهُ اللَّفْظُ فِي قَوْلِهِمَا إِنَّ الْمَوْضِعَ مَوْضِعُ رَفْعٍ. وَإِنَّمَا أُضِيفَتْ غَيْرُ
فِي الْبَيْتِ إِلَى شَيْءٍ غَيْرٍ مَتَمَكِّنٍ فَبْنِيتَ عَلَى الْفَتْحِ كَمَا يَبْنِي يَوْمَ إِذَا أُضِيفَ إِلَى
إِذْ عَلَى الْفَتْحِ (١).

والبيت قول الشاعر:

لَمْ يَمْنَعْ الشَّرْبُ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقْتُ (٢) حَمَامَةً فِي غُصُونِ ذَاتِ أَوْ قَالَ
وَأَكْثَرَهُمْ يَنْشُدُهُ غَيْرَ أَنْ نَطَقْتُ، فَلَمَّا أَضَافَ غَيْرَ إِلَى «أَنْ» فَتَحَ غَيْرَ، وَلَوْ
قُلْتُ: مَا جَاءَ فِي غَيْرِكَ لَمْ يَجْزِ. وَلَوْ جَازَ هَذَا لَجَازَ مَا جَاءَنِي زَيْدًا.

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَدَلَّهُمْ عَلَى نُبُوتِهِ بِالنَّاقَةِ فَقَالَ:

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾.

[آيَةٌ] انْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ، أَيِ انْظُرُوا إِلَى هَذِهِ النَّاقَةِ آيَةٌ أَيْ عَلَامَةٌ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي خَبَرِهَا، فَقِيلَ فِي بَعْضِ التَّفْسِيرِ: إِنَّ الْمَلَأَ مِنْ قَوْمٍ
صَالِحٍ كَانُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَأَلُوهُ آيَةً وَكَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ صَفَاءً - وَهِيَ الصَّخْرَةُ - فَأَخْرَجَ
اللَّهُ مِنْهَا نَاقَةً مَعَهَا سَقَبُهَا أَيُ وَلَدُهَا.

وَجَاءَ فِي بَعْضِ التَّفْسِيرِ أَنَّهُ أَخَذَ نَاقَةً مِنْ سَائِرِ النُّوْقِ، وَجَعَلَ اللَّهُ لَهَا

(١) يَوْمُئِذٍ لَيْسَتْ مَبْنِيَّةٌ عِنْدَ جُمْهُورِ النُّحَوِيِّينَ الْبَصَرِيِّينَ، وَإِنَّمَا هِيَ ظَرْفٌ مَنْصُوبٌ.

(٢) هُوَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ رِفَاعَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ، يَصِفُ نَاقَتَهُ بِالْحَلْدَةِ وَرَهَافَةِ الْحَسِّ، فَقَدْ هَمَّتْ أَنْ تَشْرَبَ
فَسَمِعَتْ حَمَامَةً تَهْتَفُ فِي شَجَرَةٍ مَقْلٍ فَتَرَكْتُ الشَّرْبَ وَالْأَوْقَالَ جَمْعَ وَقْلٍ كَجَبَلٍ وَهُوَ شَجَرٌ قَالَ
فِي الْقَامُوسِ: الْوَقْلُ شَجَرٌ الْمَقْلُ - بَضْمُ الْمِيمِ - أَوْ ثَمَرُهُ أَوْ يَابِسُهُ، وَأَمَّا رَطْبُهُ فَبِهَشٍّ إِيَّاهُ - وَقِيلَ
هِيَ الْحِجَارَةُ أَوْ مَا بَقِيَ مِنْ جَذْوَعِ الشَّجَرِ بَعْدَ تَقْلِيمِهِ - وَالشَّرْبُ - بِالضَّمِّ - مَصْدَرٌ، وَبِالْكَسْرِ،
الْحِظُّ مِنَ الْمَاءِ. وَالْمَقْلُ شَجَرُ الْكَندَرِ (كَفْلَفْل) يَتَدَخَّنُ بِهِ وَيَسْتَعْمَلُ عَقَارًا لِأَدْوَاءَ كَثِيرَةٍ.
انْظُرِ الْخَزَانَةَ الشَّاهِدَ ٢٣٧، وَشَوَاهِدَ الْكَشَافِ (حَرْفُ اللَّامِ).

شَرِبًا^(١) يَوْمًا وَلَهُمْ شَرِبُ يَوْمٍ . وَذُكِرَتْ قِصَّتُهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ : ﴿ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٌ ﴾^(٢) فَكَانَتْ تَشْرَبُ يَوْمًا ثُمَّ تُفْجِعُ^(٣) يَوْمًا آخَرَ فِي وَادٍ فَلَا تَزَالُ تَحْتَلِبُ وَلَا يَنْقُطِعُ حَلَبُهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ .

فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَمْرُ خُرُوجِهَا مِنَ الصَّخْرَةِ صَحِيحًا ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَمْرُ حَلَبِهَا صَحِيحًا . وَكُلُّ مَنِهْمَا آيَةٍ مُعْجِزَةٌ تَدُلُّ عَلَى النَّبَوَةِ . وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ لِرَوَايَتَيْنِ صَحِيحَتَيْنِ فَيُجْمَعُ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ صَخْرَةٍ وَأَنَّ حَلَبَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا . وَلَمْ يَكُنْ لِيَقُولَ : قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَكُونَ آيَةً فِيهَا لِبَسٌ .

وقوله : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ ﴾ .

أَيُّ لَمَّا أَهْلَكَهُمْ وَوَرَّثَكُمْ الْأَرْضَ .

﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

أَيُّ أَنْزَلَكُمْ ، قَالَ الشَّاعِرُ :^(٤)

وَبَوَّأْتُ فِي صَمِيمٍ مَعْشَرَهَا فَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مَبَوَّؤُهَا

أَيُّ أَنْزَلْتُ مِنَ الْكَرَمِ فِي صَمِيمِ النَّسَبِ .

وقوله : ﴿ وَتَنَحَّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ ﴾ .

يُقَالُ : نَحَتَ يَنْحِتُ ، وَيُقَالُ أَيْضًا نَحَتَ يَنْحِتُ ، لِأَنَّ فِيهِ حَرْفًا مِنْ حُرُوفِ

الْحَلْقِ .

وَيُرْوَى أَنَّهُمْ لَطُولُ أَعْمَارِهِمْ كَانُوا يَحْتَاجُونَ أَنْ يَنْحَتُوا بَيَوتًا فِي الْجِبَالِ ،

(١) الشرب - بالكسر - الماء والحظ منه ، والمورد ، ووقت الشرب .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٥٥ .

(٣) من أفجع بمعنى أحجم .

(٤) هو ابن هرمة . اللسان (بؤا) ومجاز أبي عبيدة ١ - ٢١٨ وشواهد المغني ٢٧٩ ، قيل انه ذكر له

أن قريشاً لا تهمز فأنشأ هذه القصيدة مهموزة كلها أولها :

إن سليماً والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزوها

وهذا البيت من شواهد المغني والقصيدة جيدة - ويكلؤها يحفظها ويرزوها ينقصها .

لأن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم .

وقوله : ﴿وَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ .

أي جاوزوا المقدار في الكفر .

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ .

والرجفة : الزلزلة الشديدة .

ويروى أنه لما قال لهم : ﴿مَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ^(١) أصبحوا في أول

يوم مصفرة وجُوههم ، وفي اليوم الثاني محمرة وجوههم وفي اليوم الثالث

مسودة وجوههم ، وفي اليوم الرابع أتاها العذاب .

ويقال إن ابتداء عقرهم الناقة كان في يوم الأربعاء ، وأخذهم العذاب

في يوم السبت .

وقوله : ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ ^(٢) .

[أي] في وقت لا ينفعهم الندم .

وَأَصْبَحُوا جَائِعِينَ . في اليوم الذي أخذتهم فيه الرجفة .

ومعنى ﴿جَائِعِينَ﴾ قد خمدوا من شدة العذاب .

وقال بعضهم أصبحوا كالرماد الجائِم .

وقوله : ﴿وَلَوْطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ .

أي وأرسلنا لوطاً إذ قال لقومه ، وقال الأخفش ويجوز أن يكون منصوباً

على واذكر لوطاً إذ قال لقومه . والوجه أن يكون معطوفاً على الإرسال .

وقال بعض أهل اللغة : لوط مشتق من لَطْتُ الحَوْضَ إِذَا مَلَسْتَهُ بِالطَّيْنِ .

وهذا غلط . لأن لوطاً من الأسماء الأعجمية ليس من العربية ، فأما لَطْتُ

(١) سورة هود آية ٦٥ .

(٢) سورة الشعراء ١٥٧ . وذكرت للمناسبة بين التعبيرين .

الحوض وهذا ألوط بقلبي من هذا، فمعناه ألصق بقلبي . واللَّيْطُ الْقِشْرُ . وهذا صحيح في اللغة . ولكن الاسم أعجمي كإبراهيم وإسحق ، لا نقول إنه مشتق من السُّحْقِ وهو البعدُ . وهو كتاب الله الذي لا ينبغي أن يقدم على تفسيره إلا برواية صحيحة وحجة واضحة^(١) .

وقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ .

هذا دليل أن فاحشة اللواط لم يفعلها أحد قبل قوم لوط .

وقد اختلف الناس في حَدِّ اللُّوَطِيِّ ، فقال بعضهم هو كالزاني .

وروي أن أبا بكر حرق رجلاً يقال له الفجاعة بالنار في اللواط^(٢) .

وقال بعضهم: يجب أن يقتل مُحْصَنًا أو غير مُحْصَنٍ ، لأن الله تبارك وتعالى قتل فاعليه بالحجارة .

فخاطبهم لوط فقال: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ . وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾^(٣) .

والفاحشة الشيء الغليظ القبيح .

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾ .

يجوز أن يكون «جواب» مرفوعاً . ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ والأجود النصب وعليه القراءة^(٤) .

(١) سبق للمؤلف أن ذكر اشتقاق آدم من أديم الأرض، وذكر اشتقاق هذه الأسماء لا لبيان أنها أطلقت لهذا السبب ولكن لبيان الصلة بينها وبين أصل الكلمة، والنحويون يفعلون ذلك في الأسماء غير العربية - وليس هذا تفسيراً للقرآن وإنما هو بيان لما تدل عليه حروف اللغة .

(٢) أحرق أبو بكر الفجاءة السلمي في حرب الردة، لأنه ارتد وحارب المسلمين وتجاوز في عداوته لهم . ويقال إنه قال عند موته وددت أني لم أحرقه .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٢٨ .

(٤) لأن المصدر المؤول من «أن» والفعل أحق أن يكون مبتدأ - كقوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾ .

﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

أي يتطهرون عن عملكم.

وقوله: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ.

في التفسير أن أهله ابتلاه.

﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

قيل في الغابرين ههنا قولان. قال أهل اللغة: من الغابرين من الباقين، أي من الباقين في الموضع الذي عذبوا فيه، وَأَنْشَدَ أَبُو عَبِيدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمَثْنَى.

فما ونى محمداً مذ أن غفر له الإله ما مضى وَمَا غَبَرَ^(١)
أي ما بقي.

وقال بعضهم: ﴿من الغابرين﴾ أي من الغائبين عن النجاة.

وكلاهما وجه. والله أعلم.

وقوله: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾.

مَدْيَنُ لا يتصرف لأنه اسم للقبيلة أو البلدة، وجائز أن يكون أعجمياً.

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾.

قال بعض النحويين؛ لم يكن لشعيب آية إلا النبوة، وهذا غلط فاحش.

قال قد جاءكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل فجاء بالفاء جواباً للجزاء، فكيف يقول: قد جاءكم بينة من ربكم ولم يكن له آية إلا النبوة، فإن كان مع النبوة آية فقد جاءهم بها. وقد أخطأ القائل بقوله: لم تكن له آية، ولو ادعى مدّع النبوة بغير آية لم تُقبل منه، ولكن القول في شعيب أن آيته كما قال بَيِّنَةٌ. إلا

(١) من رجز المعجاج، وهما في مجاز أبي عبيدة ١ - ٢١٩، والطبري ١١ - ١٩٨ (بولاق)،

والقرطبي ٧ - ٢٤٦، ١٣ - ١٣٢.

ان الله جلّ ثناؤه ذكر بعض آيات الأنبياء في القرآن وبعضهم لم يذكر آيته، فمن لم تذكر آيته لا يقال: لا آية له. وآيات محمد النبي ﷺ لم تذكر كلها في القرآن ولا أكثرها.

وقوله: ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾.
البَخْسُ النَقْصُ والْقِلَّةُ، يقال بَخَسْتُ أَبْخَسَ بالسین، وبَخَسْتُ عَيْنَهُ بالصاد لا غير مثل فَقَاتَ عَيْنِهِ.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.
أي لا تعملوا فيها بالمعاصي وبَخَسَ الناس بعد أن أصلحها الله بالأمر بالعدل وإرسال الرُّسل.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾.
أي بكل طريق.

ومعنى توعدون أي توعدون من آمن بشعيب بالعذاب والتهديد يقال: وعدته خيراً، ووعدته شراً، فإذا لم تذكر واحداً منهما. قلت في الخير وعِدته وفي الشر وأوعدته.

وقوله: ﴿وَتَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.
أي عن الطريق التي آمن^(١) الله من آمن بها.
﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾.

أي وتريدون الاعوجاج والعدول عن القصد. يقال في الدين وفيما يعلم إذا كان على غير استواء عوج بكسر العين وفي الحائط والعود عَوْج بفتح العين.

(١) آمنه محه الأمن من العذاب، أي من صدق بها جعله الله في مأمن من العذاب.

وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرَكُمْ﴾.

جائز أن يكون ﴿فكثركم﴾ جعلكم أغنياء بعد أن كنتم فقراء، وجائز أن يكون كان عددهم قليلاً فكثرتهم، وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة وأقدار فكثرتهم، إلا أنه ذكرهم بنعمة الله عليهم كما قال: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ أي نعم الله.

وقوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَ فِي مِلَّتِنَا﴾.

المعنى: ليكونن أحد الأمرين، ولا تُقارُ على مخالفتنا^(١).

وقوله: ﴿قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾.

أي أتعيدوننا في ملتكم وإن كرهناها. فإن قال قائل: كيف قالوا لشُعَيْب: أَوْ لَتَعُوذُنَ فِي مِلَّتِنَا، وشُعَيْب نبيٌّ ففيه قولان^(٢).

أحدهما: لما أشركوا الذين كانوا على ملتهم قالوا: أَوْ لَتَعُوذُنَ فِي مِلَّتِنَا^(٣). وجائز أن يقال: قَدِ عَادَ عَلَيَّ مِنْ فُلَانٍ مَكْرُوهٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ سَبْقُهُ مَكْرُوهٌ قَبْلَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا تَأْوِيلُهُ أَنَّهُ قَدْ لَحَقَنِي مِنْهُ مَكْرُوهٌ.

وقوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

اختلف الناس في تأويل هذه، فأولى التأويلات باللفظ أن يكون: مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَأَنَّهُ لَا يَكُونُ غَيْرَ مَا يَشَاءُ اللَّهُ. وهذا مذهب أهل السنة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٤). والمشيئة في اللغة بينة لا تحتاج إلى تأويل.

(١) لا ندعك تستقر على هذه المخالفة، لا تتركك ولأنها دنك.

(٢) يريد أن شعيباً لم يكن وثنيّاً من قبل فكيف يقال له «لتعودن».

(٣) حين حملوا قوماً على الشرك وجعلوهم وثنيين معهم.

(٤) سورة الإنسان آية ٣٠.

فالمعنى : ما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يكون الله عز وجل قد سبق في علمه ومشيئته أننا نعود فيها . وتصديق ذلك قوله : ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ .

ثم قال : ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ .

وفي موضع آخر : ﴿وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت﴾^(١) .

وقال قوم : وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا : أي فالله لا يشاء الكفر ، قالوا : هذا مثل قولك : لا أكلمك حتى يبيض الفأر ويشيب الغراب ، والفأر لا يبيض ، والغراب لا يشيب . قالوا فكذلك تأويل الآية .

قال أبو إسحق : وهذا خطأ لمخالفته أكثر^(٢) من ألف موضع في القرآن لا تحتل تأويلين ، ولا يحدث شيء إلا بمشيئته وعن علمه . إما أن يكون عِلْمُهُ حادثاً فشاء حادثاً ، أو عِلْمُهُ غير حادث فشاء غير حادث . ولا يجوز لما مَكَّنَ الخلق من التصرف أن يحدث الممتنع موجوداً^(٣) ، ولا يكون ما علمه أنه يُوجَدُ ممتنعاً . وسنة الرسول عليه السلام تشهد بذلك ولكن الله تبارك وتعالى غيب عن الخلق علمه فيهم ، ومشيئته من أعمالهم فأمرهم ونهاهم ، لأن الحجة إنما تثبت من جهة الأمر والنهي ، وكل ذلك جائز على ما سبق في العلم وجرت به المشيئة ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ . . الآية^(٤) .

فسقوط الورقة منسوب إليها وهو خلقه فيها كما خلقها ، وكذلك إلى آخر الآية .

(١) سورة هود الآية ٨٨ .

(٢) في الأصل أقل من ألف ولا معنى له .

(٣) يجعل الممتنع موجوداً .

(٤) سورة الأنعام - ٥٩ .

وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾^(١)، وما في النفوس من الخواطر الجائلة والهم الجائل والعزم الجائل فيها. فلا يجوز عدم ما علمه كائناً فيها، ولا يجوز كون ما علمه معدوماً.

فحذرهم مخالفة ظاهر أمره ونهيه لأن عليهم السمع والطاعة للأمر إذا أمرُوا به، وهم جارون على ما عَلِمَ منهم أَنَّهُم يختارون الطاعة، ويختارون المعصية، فلا سبيل إلى أن يختاروا خلاف ما علم أَنَّهُم يختارونه. وإن لم يكن الأمر على ما قلنا وجب أن يكون قولهم: علم الله أفعال العباد قبل كونها إنما هو علم مجاز لا علم حقيقة. والله تعالى عالم على حقيقة لا مجاز، والحمد لله.

وقال قوم - وهو بعد القول الأول قريب -: إن المعنى. وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا. أي قد تبرأنا من جميع ملئكم فما يكون لنا أن نعود في شيء منها إلا أن يشاء الله وجهاً من وجوه البر الذي^(٢) تتقربون [به] إلى الله، فيأمرنا به، فنكون بهذا قد عُذْنَا.

قال أبو إسحق: والذي عندي - وهو إن شاء الله الحق - القول الأول، لأن قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾، إنما [هو] النجاة من الكفر وأعمال المعاصي لا من أعمال البر.

وقوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾.

«علماً» منصوب على التمييز.

وقوله: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾.

أهل عُمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح.

(١) البقرة - ٢٣٥.

(٢) في الأصل الذين.

وجائز أن يكون افتح بيننا وبين قومنا بالحق، أي أظهر أمرنا حتى يفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف، فجائز أن يكون يسألون بهذا أن ينزل بقومهم من العذاب والهلكة ما يظهر به أن الحق معهم.

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾.

هي الزلزلة الشديدة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ﴾.

أي أجساماً ملقاة في الأرض كالرماد الجائِم.

وقوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

[أي] كأن لم ينزلوا فيها. قال الأصمعي: المغانى المنازل التي نزلوا بها، يقال غنينا بمكان كذا وكذا، أي نزلنا به. ويكون ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كأن لم ينزلوا كأن لم يعيشوا فيها مستغنين، كما قال حاتم طي: ^(١)

غنينا زماناً بالتصعلك والغنى فكلاً سقانه، بكأسيهما الدهرُ
فما زادنا بغياً على ذي قرابة غناناً ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ
والعرب تقول للفقير الصعلوك.

وقوله: ﴿فتولّى عنهم﴾.

أي حين نزل بهم العذاب تولى عنهم.

﴿وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فكيف آسى على قوم كافرين﴾.

(١) الأغاني ١٧ - ٣٧٦، دار الكتب. ونقل شارحه من ديوانه البيتين هكذا

عنينا زماناً. . . . كما الدهر في أيامه العسر واليسر
لبسنا صروف الدهر ليناً وغلظة وكلاً سقانه بكأسيهما العصر
ورواية أبي الفرج في البيت الأول هي العصر، وليس الدهر كما ذكر الزجاج.

معنى آسى أُحْزَن - أي كيف يَشْتَدُّ حُزْنِي .

يقال : أُنِيتُ عَلَى الشَّيْءِ آسَى أَسَى إِذَا اشْتَدَّ حُزْنُكَ عَلَيْهِ .
قال الشاعر : (١)

وَانْحَلَبْتُ عَيْنَاهِ مِنْ فَرْطِ الْأَسَى

وقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾ .

يقال لكل مدينة قرية، وإنما سُمِّيَتْ بأنه يجتمع فيها الناس، يقال قرية الماء في الحوض إِذَا جمَعَتْه فيه، فَسُمِّيَتْ قَرْيَةً لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا، وَمَكَّةُ أَمُّ الْقُرَى، لِأَنَّ أَهْلَ الْقُرَى يُؤْمِنُونَهَا أَيْ يَقْصِدُونَهَا .

وقوله : ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ .

قيل : الْبَأْسَاءُ كُلُّ مَا نَالَهُمْ مِنْ شِدَّةٍ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَالضَّرَاءُ مَا نَالَهُمْ مِنَ الْأَمْرَاضِ، وَقِيلَ : الضَّرَاءُ مَا نَالَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ، وَالْبَأْسَاءُ مَا نَالَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ .

وقوله : ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ .

أَيَّ يَخْضَعُونَ، وَالْأَصْلُ يَتَضَرَّعُونَ، فَأَدْغَمْتَ التَّاءَ فِي الضَّادِ .

وقوله : ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا﴾ .

أَيَّ كَثُرُوا وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ .

وقوله : ﴿قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ﴾ .

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ لِيَعْتَبَرُوا وَيُقْلَعُوا عَنِ الْكُفْرِ وَتَكْذِيبِ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالُوا مَسَّ

(١) هو العجاج في ديوانه ٢٠، وشواهد الكشف، والكامل ١ - ٣٥٢ (تجارية) ومعاني القرآن للفراء ٢ - ٣٢٣، وقبلة :

يا صاح هل تعرف رسماً مكروساً قال نعم أعرفه، وأبلساً

وانحلبت عيناه من فرط الأسى

وأورده كذلك اللسان (كرس) - والمكرس الذي بعرت فيه الإبل وبولت فركب بعضه بعضاً - وأبلس صمت من الحزن - ثم فاضت عيناه بالدمع كالدمع .

اباءنا مثل هذا، أي قد جرت عادة الزمان بهذا، وليست هذه عقوبة، فبين الله تأولهم بخطيئهم، وقد علموا أن الأمم قد أهلكت بكفرهم قبلهم.

وقوله: ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ بِغَتَّةٍ﴾ أي فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. فهذا ما أخبر الله تعالى به عن الأمم السالفة لتعتبر أمة محمد ﷺ فقال:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي أتاهم الغيث من السماء، والنبات من الأرض. وجعل ذلك زاكياً كثيراً.

وقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾. أي ليلاً، [أي] أفأمنت الأمة التي كذبت النبي محمداً ﷺ أن يأتيهم بأسنا بياتاً. أي ليلاً.

﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

يقال نام الرجل ينام نوماً فهو نائم. وهو حسن النيمة، ورجل نومة إذا كان خسيساً لا يؤبه له، ورجل نومة إذا كان كثير النوم، وفلان حسن النيمة أي حسن هيئة النوم، والنيم - الفرو، والفاء في قوله: أفأمن، والواو في قوله أو أمن، فتحت لأنها واو عطف وفاء عطف دخلت عليها ألف الاستفهام.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

يقال لكل من كان في شيء لا يُجدي أو في ضلال: إنما أنت لاعب، وإنما قيل لهم: ﴿ضَحَىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. أي وهم في غير ما يجدي عليهم.

وقوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾.

أي وأمنوا عذاب الله أن يأتيهم بغتة وهم لا يشعرون.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

وتقرأ «نَهْد» بالثَوْنِ، فمن قرأ نهدي بالنون فمعناه أَوْلَمْ يُبَيِّنْ . لأن قولك: هديته الطريق معناه بَيَّنَّتْ له الطريق .

ومن قرأ بالياء كان المعنى أَوَلَمْ يُبَيِّنِ اللَّهُ لَهُمْ أَنَّهُ لَوْ يَشَاءُ أَصَابَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ .

وقوله: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ .
ليس بمحمول على أَصْبَنَاهُمْ .

المعنى ونحن نطبع على قلوبهم، لأنه لو حمل على أَصْبَنَاهُمْ لكان ولطبعنا، لأنه على لفظ الماضي، وفي مَعْنَاهُ .

ويجوز أن يكون مجمولا على الماضي، ولفظه لفظ المستقبل كما أن لو نشاء معناه لو شئنا .

وقوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ .

وهذا إخبار عن قوم لا يُؤْمِنُونَ . كما قال جل وعز:

﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾^(١)، وكما قال للنبي ﷺ:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾^(٢) .

فهذا إخبار من الله جل وعز أن هؤلاء لا يُؤْمِنُونَ .

(١) سورة هود - ٣٦ .

(٢) سورة الكافرون ١ - ٣ .

وقال قوم: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ..﴾ أَي لَيْسُوا مُؤْمِنِينَ بتكذيبهم، وهذا ليس بشيء، لَأَن قَوْلَهُ: كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ.. يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

وموضع الكاف في «كذلك»^(١) نَصَبٌ. المعنى مثل ذلك يطبع الله على قُلُوبِ الْكَافِرِينَ.

وقوله: ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

هذه «إِنْ» تدخل واللام على معنى التوكيد واليمين^(٢). وتدخل على الْأَخْبَارِ. تقول: إِنْ ظَنَنْتَ زَيْدًا لَقَائِمًا.

وقوله: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾.

أَي بِالْآيَاتِ الَّتِي جَاءَتْهُمْ، لِأَنَّهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ الْآيَاتُ فَكَفَرُوا بِهَا فَقَدْ ظَلَمُوا أَبْيَنَ الظُّلْمِ، لِأَنَّ الظُّلْمَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَجَعَلُوا بَدَلَ وَجوب الأيمان بها الكفر، فذلك معنى قوله ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾.

وقوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.

وتقرأ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَّا أَقُولَ. ومن قرأ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَّا أَقُولَ فالمعنى واجب عَلَيَّ تَرْكُ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ إِلَّا بِالْحَقِّ.

وقوله: ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

قد أوجب فرعون أَنَّهُ لَيْسَ بِآيَةٍ كَمَا ادَّعَى، لِأَنَّهُ قَدْ أُوجِبَ لَهُ الصَّدَقُ إِنْ أَتَى بِآيَةٍ يَعْبُزُّ عَنْهَا الْمَخْلُوقُونَ.

وقوله: ﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ﴾.

(١) في الأصل: في ذلك.

(٢) القسم. وهي إِنْ الْمُخَفَّفَةُ.

إن شئت قلت: «عَصَا هُوَ» بالواو. والأَجُودُ حَذْفُهَا، أَغْنِي الْوَائِلَ لِسُكُونِهَا
وسكون الألف، والهاء ليست بحاجز.

وقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ﴾.

قال أبو عبيدة وغيره: الثعبان الحية. وقال غيره: الْحَيَّةُ الذَّكْرُ^(١). وقال
[الله] في موضع آخر ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾^(٢).

ومعنى ﴿مُبِينٌ﴾.

أي مبين أنها حية.

وقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾.

معنى نزع يده أظهرها وأبانها، وقال في موضع آخر ﴿وَأَدْخِلْ
يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءٍ﴾^(٣)، وفي موضع آخر ﴿وَاضْمِمْ يَدَكَ
إِلَى جَنَاحِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾^(٤). فهذا دليل أن معنى نزع يده
إخراجها من جيبه. وإخراجها من جناحه، وجناح الرجل عَصَدُهُ وَقَلْ جَنَاحُ
الرجل عِطْفُهُ^(٥).

وتأويل الجناحين من الإنسان أنهما كالجناحين من الطائر، وهما
العُصْدَانِ.

وقوله: ﴿تَخَرُّجَ بَيْضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾.

أي تخرج لونها أبيض حوريًا.

(١) أي الثعبان هو ذكر الحيات.

(٢) سورة طه الآية ٢٠. أي وهذا يؤيد رأي أبي عبيدة.

(٣) سورة النمل الآية ١٢.

(٤) سورة طه الآية ٢٢.

(٥) يسمى عطف الرجل جناحاً أيضاً ولكن ذلك قليل.

وكان موسى فيما يُرَوَى أديم^(١).

﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾.

أي تخرج بياضاً بياضاً ليس ببرص، بياضاً يدل على أنه آية. وكانت عصا موسى إنما تكون حيّة، عند إظهارها بها الآية^(٢)، ثم تعود عصا، كما قال الله عز وجل: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾^(٣).

وقوله: ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٤).

وفي هذا الموضع^(٥) ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾.

المَلَأُ هُمُ الْوُجُوهُ، وذوو الرأي، وإنما سُمُّوا مَلَأً أَنَّهُمْ مُلِئُوا بما يحتاج إليه منهم، وقرئت لسحارٍ عَلِيمٍ.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾.

قال فرعون مجيباً لهم: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

ويجوز أن يكون «فَمَاذَا تَأْمُرُونَ» من قول المَلَأِ، كأنَّهُمْ خاطبوا فرعون ومن يَخْصُهُ^(٦)، وجائز أن يكون الخطاب لفرعون وحده، لأنه يقال للرئيس المطاع: ما ترون في هذا، أي ما ترى أنت وجندك^(٧).

و«مَاذَا» يصلح أن تكون «مَاذَا» اسماً واحداً، ويكون في موضع نصب، ويكون المعنى أي شيء تأْمُرُونَ.

(١) من الأدمة وهي سمة البشرية.

(٢) أي عند ما يظهرها لبيّن بها المعجزة - جملة «بها الآية» حال - أي تظهر مينة المعجزة.

(٣) سورة طه الآية ٢١.

(٤) سورة الشعراء الآية ٣٤.

(٥) في الحديث عن قوم فرعون في هذه السورة.

(٦) من يتصل به ويطلع على خواصه.

(٧) لا داعي لهذا إذا كان الخطاب للعظيم.

ويصلح أن يكون «ذا» في موضع الذي، وتكون ما في معنى رفع،
ويكون المعنى ما الذي تأمرون.

وقوله ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾.

تفسير أَرْجِهْ أَخِرَّةً، ومعناه أَخَّرْ أَمْرَهُ ولا تعجل في أَمْرِهِ بحكم فتكون
عَجَلْتَك حجة عليك.

وفي قوله «أَرْجِهْ» ثلاثة أَوْجُه قد قرئ بها. قرأ أَبُو عَمْرٍو: أَرْجِئْهُ وَأَخَاهُ،
وقرأ جماعة من القراء: أَرْجِهْ وَأَخَاهُ، وقرأ بَعْضُهُمْ أَرْجِئْهُ وَأَخَاهُ - بإسكان الهاء.

وفيها أَوْجُه لا أعلمه قرئ بها. يجوز أَرْجِئْهُ وَأَخَاهُ، وأَرْجِئْهُ،
وأَرْجِئْهُ بغير همز. فأما من قرأ أَرْجِهْ بإسكان الهاء فلا يعرفها
الحذاق بالنحو، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ هَاءَ الإِضْمَارِ اسم لا يجوز إسكانها. وزعم
بعض النحويين أن إسكانها جائز، وقد رويت لعمري في القراءة إلا أن
التحريك أكثر وأَجُود، وزعم أيضاً - هذا أن هاء التَّأْنِيثِ يجوز إسكانها وهذا لا
يجوز. واستشهد في هذا بشعر مجهول، قال أنشدني بعضهم:

لَمَّا رَأَى الْأَدْعَى وَلَا شَبَعٌ مَالٌ إِلَى أَرْطَاةٍ حَقْفٍ فَالطَّجَعِ^(١)

وهذا شعر لا يعرف قائله ولا هو بشيء، ولو قاله شاعر مذكور لقليل
أَخْطَأْتُ، لَأَنَّ الشَّاعِرَ قد يجوز أن يخطئ.

(١) لمنظور بن حية الأسدي يصف ذئباً طارد ظبية فلم يلحقها فلما يش من إدراكها أوى إلى شجرة
فاستلقى تحتها، وقيله:

يَا رَبُّ أَبَازٍ مِنَ الْعَفْرِ صَدَعٌ تَقْبِضُ الذَّنْبَ إِلَيْهِ واجتمع
والأباز الذي يجيد القفر، العفر جمع عفر - أعفر - الظبي يعلوه حمرة، والأرطاة جمع أرطى
- شجر - وصدع أي شق الفلاة وأسرع في جريه - والدعة الهدوء - أي لم يجد الذئب أن هناك
راحة من الجري ولا لحم يؤكل.

انظر اللسان (ضجع) وابن يعيش ٩-٨٢، ١٠-٤٦، والخصائص ١/٣٦٢.

وأُشَدُّ أيضاً آخرُ أَجْهَلٍ^(١) من هذا وهو قوله^(٢)
لست إذن لزغبلة إن لم أُغَيَّرْ بِكَلْتِي
إن لم أساو بالطول

فجزم الهاء في زغبلة، وجعلها هاء، وإنما هي تاء في الوصل.
وهذا مذهب لا يعرج عليه.

وقوله: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاجِرٍ﴾: وَسَحَّارٍ جميعاً قد قرئ بهما.

وقوله: ﴿وَأَنْكُمْ لِمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

أي لكم مع الأجر المنزلة الرفيعة عندي.

وقوله: ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾.

أي استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس.

وقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

وتلقف مخففة ومثقلة، يقال لقفت الشيء [القفه].

ومعنى قوله ﴿يَأْفِكُونَ﴾: أي يأتون بالإفك وهو الكذب، وذلك أنهم زعموا
أن حبالهم وعصيتهم حيات فكذبوا في ذلك، وإنما قيل أنهم جعلوا الزئبق
وصوروها بصور الحيات، فاضطرب الزئبق لأنه لا يستقر.

وقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾^(٣).

فلما ألقى موسى عصاه بلغت عصيتهم وحبالهم، قال الشاعر^(٤).

أنت عصا موسى التي لم تنزل تلقف ما يتأفكه الساجر

(١) عيب خطأ إذ هو يريد أكثر مجهولية لا أكثر جهلاً، فبنى «أفعل» من فعل مبني للمجهول.

(٢) لم أف على قائله - وهو مجهول كما ذكر المؤلف.

(٣) سورة طه. آية ٦٦.

(٤) لم أف على قائله.

هذا البيت أنشد لأبي عبيدة، وزعم التوزي صاحب أبي عبيدة أنه لا يعرفه. وهو صحيح في المعنى.

وقوله جل وعز: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾.

يقال نَقِمْتُ أَنْقِمُ، وَنَقِمْتُ أَنْقَمُ، والأجود نَقِمْتُ أَنْقِمُ والقراءة مَا تَنْقِمُ وهي أفصح اللغتين.

وقوله: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾.

[أي] يشتمل عَلَيْنَا.

وقوله: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾.

وَيُفَرِّقُوا وَإِلَآهَتَكَ. ويجوز ويَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ. فَمَنْ نَصَبَ «ويَذَرُكَ» رده على جواب الاستفهام بالواو. المعنى أَيْكون منك أن تذر موسى، وَأَنْ يَذَرَكَ، ومن قال وَيَذَرُكَ جَعَلَهُ مُسْتَأْنَفًا، يكون المعنى: أَتَذَرُ موسى وهو يَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ، والأجود أن يكون معطوفاً على «أَتَذَرُ» فكون أَتَذَرُ موسى وَأَيَذَرُكَ موسى، أي أَتَطْلِقُ هذا له. وأما من قرأ وَآلِهَتَكَ، فَإِنَّ المعنى أن فِرْعَوْنَ كانت له أصنام يعبدها قومه تقرباً إليه.

وقوله: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِدْوُكُمْ﴾.

«عَسَىٰ» طمع وإشفاق، إلا أن ما يطمع الله فيه فهو واجب، وهو معنى قول المفسرين: أَنَّ عَسَىٰ من الله واجب.

ومعنى: ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

أي يرى ذلك بوقوع منكم، لأن الله جل وعز لا يجازيهم على ما يعلمه منهم من خطيئاتهم التي يعلم أنهم عاملوها لا محالة، إنما يجازيهم على ما وقع منهم.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾.
السنين في كلام العرب الجدوب، يقال مستهم السنة، ومعناه جذب
السنة وشدة السنة ونقص الثمرات.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾.

إنما أخذوا بالضراء لأن أحوال الشدة ترق القلوب وترغب فيما عند الله
وفي الرجوع إليه، ألا ترى إلى قوله جل وعز:

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ﴾^(١)، وقال جل
وعز: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ
عَرِيضٍ﴾^(٢).

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾.

أي إذا جاءهم الخصب قالوا أعطينا هذا باستحقاق.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾.

أي جذب أو ضر.

﴿يَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾.

المعنى: يطيروا. فادغمت التاء في الطاء، لأنهما من مكان واحد من
طرف اللسان وأصول الثنايا.

وتفسير قوله: يطيروا: يتشاءموا، وإنما قالت العرب الطيرة ويتطير فيما
يكرهون، على ما اصطلاحوا عليه بينهم، جعلوا ذلك أمراً يتشامون به فقال
عز وجل: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

(١) سورة الإسراء الآية ٦٧.

(٢) سورة فصلت آية ٥١.

المعنى : ألا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا، وقال بعضهم : «طأثرهم» حظهم، والمعنى واحد.
وقوله عز وجل : ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِيُتَسَحَّرَنَا بِهَا﴾.

زعم بعض النحويين أن أصل «مهما» : مَا تَأْتِيَانَا، ولكن أبدل من الألف الأولى الهاء، ليختلف اللفظ، فما الأولى هي ما الجزاء، وما الثانية هي التي تزد تأكيداً للجزاء، ودليل النحويين على ذلك أنه ليس شيء من حروف الجزاء إلا و «ما» . . تزد فيه، قال الله جل ثناؤه : ﴿فَإِمَّا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدْ بِهْم مِّنْ خَلْقِهِمْ﴾^(١) كقولك إن تثقفهم في الحرب فشردهم. وقوله : ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾^(٢) أيضاً وهذا في كتاب الله كثير.

وقالوا : جائز أن تكون «مه» بمعنى الكف، كما تقول مه أي أكف، وتكون «ما» الثانية للشرط والجزاء، كأنهم قالوا والله أعلم - أكف ما تأتينا به من آية^(٣).

والتفسير الأول هو الكلام وعليه استعمال الناس. وهذا ليس فيما فيه من التفسير شيء لأنه يخل اختلاف هذين التفسيرين بمعنى الكلام.

وقوله : ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾.

قال الأخفش : الطوفان جمع طوفانه^(٤)، وقيل في التفسير إن الطوفان المطر الذي يغرق من كثرته، قال الله جل وعز في قصة نوح : ﴿فَأَخَذَهُمُ

(١) سورة الأنفال الآية ٥٧.

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٨.

(٣) ويتم الكلام عند «مه» بمعنى اكف، ويقضي هذا أن تفصل «مه» في الكتابة عن ما.

(٤) اسم جنس جمعي.

الطوفان وهم ظالمون ﴿١﴾. وقيل الطوفان الموت العظيم.

وقوله: ﴿وَالْقَمَلَ﴾.

قال فيه أبو عبيدة هو الحنمان صغار القردان ﴿٢﴾.

واختلف في تفسيره فقال بعضهم هي دواب أصغر من القمل.

﴿وَالدَّمَ﴾.

قيل إن الله جل وعزّ: جعل ماءهم دماً، فكان الإسرائيلي يستقي الماء عذبا صافيا، فإذا أخذه القبطي تحول دما صافيا.

وقوله: ﴿آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾.

أي إن بعضها منفصل من بعض، ويقال إنه كان بين الآية والآية ثمانية أيام، وأرسلت عليهم الضفادع تدخل في ثيابهم وفي طعابهم.

و﴿آيَاتٍ﴾ منصوب على الحال، وهي العلامات.

وقوله: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾.

والرجز اسم للعذاب.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

وكانوا قد أخذوا بني إسرائيل بالكذب الشديد ﴿٣﴾ حتى قالوا لموسى:

﴿أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾.

فيقال إنهم كانوا يستعملون بني إسرائيل في تلبين ﴿٤﴾ اللبّين، وكان

(١) سورة العنكبوت ٦٤.

(٢) القردان جمع مفردة قرد كصرد، وقرد كغراب، - وهو دويبة كالحشرة، والحنّ والحمنان صغار القردان واحدهما بالياء.

(٣) العمل الدائب الذي لا هوادة فيه.

(٤) عمل الطين ليصنعوا منه الطوب النّيء.

فرعون وأصحابه من القبط يفعلون ذلك ببني إسرائيل، فلما بعث موسى أعطوهم اللبن يَلْتَبُونَهُ^(١) ومنعوهم التبن ليكون ذلك أشق عليهم.

وقوله: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ .
وهو البحر، وكذلك هو في الكتب الأول .
﴿وكانوا عنها غافلين﴾ .

أي كانوا لا يعتبرون بالآيات التي تنزل بهم .
وقوله: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ .
يعني بني إسرائيل، وكان منهم داود وسليمان ملكوا الأرض^(٢)
وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ .

يعنى ما وعدهم الله به من إهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض .
﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ .
ويعرشون جميعاً . يقال عرش: يعرش ويعرش، إذا هو بنى .
ومعنى: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ .

أي يواظبون عليها ويلازمونها، يقال لكل من لزم شيئاً وواظب عليه،
عكف يعكف ويعكف . ومن هذا قيل للملازم للمسجد معتكف .

وقوله: ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ [مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]﴾ .
﴿مُتَّبَرُّ﴾ مهلك ومدمر، ويقال لكل إناء مكسّر متبرّ، وكُسَارَتُهُ^(٣) يقال
له التبر .

وقوله: ﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾ .

(١) أعطوهم الطين ليصنعوا منه الأجر بدون تبن . وتماسكه بدون تبن شاق .

(٢) لم يملك داود ولا سليمان الأرض المصرية، ولكن ملكا أرض فلسطين وهي الأرض التي بارك الله فيها .

(٣) قطعه وفتاته .

أَيُّ أَغْيَرَ اللَّهُ أَطْلُبُ لَكُمْ إِهْلًا: ﴿وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾.

المعنى: واذكروا إذ أنجيناكم من آل فِرْعَوْنَ.

﴿يُسْؤِمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

معنى يسومونكم يُولُونَكُمْ.

وقوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى﴾: وَوَعَدْنَا مُوسَى.

﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾.

قيل أمره الله أن يصوم ثلاثين يوماً، وأن يعمل فيها بما يُقَرِّبه إِلَى اللَّهِ، وقيل في العَشْرِ أَنْزِلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ وَكُلَّمْ فِيهَا.

وقال بعضهم لما صام ثلاثين يوماً أَنْكَرَ خُلُوفٌ^(١) فِيهِ فَاسْتَاكَ بَعْدَ خَرْوَبٍ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْشِئُ مِنْ فَيْكِ رَائِحَةَ الْمِسْكِ فَأُفْسِدَتْهُ بِالسَّوَاكِ. فزِيدَتْ عَلَيْهِ عَشْرُ لَيَالٍ. وقد قال في موضع آخر: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(٢). فهذا دليل أن المواعدة كانت أَرْبَعِينَ لَيْلَةً كَامِلَةً، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَعْلَمُ.

وقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ [اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي].

يجوز هَارُونَ بِالْفَتْحِ وَهُوَ فِي مَوْضِعٍ جَرَّ بَدَلًا مِنْ أَخِيهِ، وَيَجُوزُ لِأَخِيهِ هَارُونَ بِضَمِّ الثَّوْنِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ، يَا هَارُونَ ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾.

أَيُّ لِلْوَقْتِ الَّذِي وَقَّتْنَا لَهُ.

﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾.

(١) خلوف فمه: رائحته وهي تتغير عند الجوع.

(٢) سورة البقرة الآية ٥١.

كلم الله موسى تكليماً. خصَّه الله أنه لم يكن بينه وبين الله جل ثناؤه وفيما سمع أحد، ولا ملك أسمع الله كلامه، فلما سمع الكلام ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي﴾ انظر إليك.

أي قد خاطبتني من حيث لا أراك، والمعنى ارني نفسك.
وقوله: ﴿ارْنِي أَنْظُرُ﴾: مجزوم جواب الأمر.

﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾: ولن نفي لما يستقبل.
﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾.
أي ظهر وبان.
﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾.

يجوز «دكاً» بالتنوين، ودكاً بغير تنوين، أي جعله مذقوقاً مع الأرض، يقال دككت الشيء إذا دققته، أدكه دكاً، والدكأ والدكأوات الروابي التي مع الأرض ناشزة عنها، لا تبلغ أن تكون جبلاً.

وقوله: ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾.
صعقاً منصوب على الحال، وقيل إنه خر ميتاً، وقيل خر مغشياً عليه.
﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾.

ولا يكاد، يقال للميت قد أفاق من موته، ولكن للذي غشي عليه والذي يذهب عقله قد أفاق من علته، لأن الله جل ثناؤه قال في الذين ماتوا: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾^(١).

وقوله: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾.

(١) سورة البقرة الآية ٥٦، أي لم يقل أفاقوا.

أي تنزيهاً لك من السوء. جاء عن النبي ﷺ، أن قوله «سبحان الله» تنزيه لله من السوء. وأهل اللغة كذلك يقولون من غير معرفة بما فيه، عن النبي ﷺ ولكن تفسيره يجمعون عليه^(١).

وقوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا.
هذا معنى ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ إلى آخره الآية، وهو قول أهل العلم وأهل السنة.

وقال قوم: معنى ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، أَرِنِي أمراً عظيماً لا يرى مثله في الدنيا مما لا تحتمله بنية موسى، قالوا فأعلمه أنه لن يرى ذلك الأمر، وأن معنى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾: تجلى أمر ربه.

وهذا خطأ لا يعرفه أهل اللغة، ولا في الكلام دليل أن موسى أراد أن يرى أمراً عظيماً من أمر الله، وقد أراه الله من الآيات في نفسه ما لا غاية بعده. قد أراه عصاه ثعباناً مبيئاً، وأراه يده تخرج بيضاء من غير سوء وكان آدم^(٢)، وفرق البحر بعصاه. فأراه من الآيات العظام ما يستغنى به عن أن يطلب أمراً من أمر الله عظيماً، ولكن لما سمع كلام الله قال: رب أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، سمعت كلامك فأنا أحب أن أراك. فأعلمه الله جل ثناؤه أنه لن يراه. ثم أمره الله أن يشكره، فقال:

﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾.

أي اتخذتك صفوة على الناس.

﴿بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾.

(١) أي لا يعرفون اشتقاقه.

(٢) كانت يده بيضاء تتلأ مع أن لونه أسود.

ولو كان إنما تبعَ كلامَ غير الله لما قال برسالاتي وبكلامي، لأن الملائكة تنزل إلى الأنبياء بكلام الله.

وقوله: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

ثم أعلم الله جل ثناؤه أنه قد أعطاه من كل شيء يحتاج من أمر الدين مع ما أراه من الآيات فقال جل وعز:

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

وقيل في التفسير إنهما كانا لوحين. ويجوز في اللغة أن يقال للوحين ألواح. ويجوز أن يكون ألواح جمع أكثر من اثنين.

وقوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ، أَي خُذْهَا بِقُوَّةٍ فِي دِينِكَ وَحُجَّتِكَ﴾.

وقوله: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾.

في هذا وجهان، وهو نحو قوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(١) ونحو قوله: ﴿اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٢).

فيحتمل وجهين: أحدهما أنهم أُمِرُوا بِالْخَيْرِ ونُهِوا عَنِ الشَّرِّ، وعرفوا مَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فقيل ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ ويجوز أن يكون نحو ما أُمِرْنَا بِهِ مِنَ الْإِنتِقَارِ بَعْدَ الظُّلْمِ، ونحو القصاص. في الجُرُوحِ إِذْ^(٣) قال: ﴿وَلَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنْ ذَلِكَ لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ﴾^(٤)، ﴿وَلَنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٥) فهذا كله حَسَنٌ وَالْعَفْوُ أَحْسَنُ مِنَ الْقِصَاصِ وَالصَّبْرُ أَحْسَنُ مِنَ الْإِنتِقَارِ.

(١) سورة الزمر آية ١٨.

(٢) سورة الزمر آية ٥٥.

(٣) أي من أن العفو خير من القصاص، وكل جائز.

(٤) سورة الشورى الآية ٤٣.

(٥) سورة الشورى الآية ٤١.

وَقَوْلُهُ: ﴿سَاصِرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ [الْحَقِّ]﴾.
 أَيُ أَجْعَلُ جَزَاءَهُمُ الْإِضْلَالَ عَنْ هِدَايَةِ آيَاتِي، وَمَعْنَى ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ أَيُ أَنَّهُمْ
 يَرُونَ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَنْ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ مَا لَيْسَ لغيرِهِمْ. وَهَذِهِ الصِّفَةُ لَا
 تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ خَاصَّةً لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي لَهُ الْقُدْرَةُ
 وَالْفَضْلُ الَّذِي لَيْسَ مِثْلُهُ، وَذَلِكَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ: الْمَتَكَبِّرُ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ
 يَتَكَبَّرَ لِأَنَّ النَّاسَ فِي الْحَقُوقِ سَوَاءٌ. فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مَا لَيْسَ لِغيرِهِ وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ
 الْمَتَكَبِّرُ.

أَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ
 سَبِيلًا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِي يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾.
 وَسَبِيلُ الْغِي هُوَ سَبِيلُ الضَّلَالِ، يُقَالُ: غَوَى الرَّجُلُ يَغْوِي غِيًّا وَهُوَ غَاوٍ
 إِذَا ضَلَّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.
 «ذَلِكَ» يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ رَفْعًا، أَيُ إِنَّ أَمْرَهُمْ ذَلِكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 نَصْبًا عَلَى مَعْنَى فَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا.
 ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.
 «غَافِلِينَ» يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - كَانُوا فِي تَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ بِهَا
 وَالنَّظَرَ فِيهَا وَالتَّدَبُّرَ لَهَا بِمَنْزِلَةِ الْغَافِلِينَ.
 وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿وَكَانُوا﴾ عَنْ جَوَابِهَا غَافِلِينَ كَمَا تَقُولُ: مَا أَغْفَلَ فَلَانًا عَمَّا
 يُرَادُّ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾.
 وَ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ وَمِنْ حُلِيِّهِمْ.

فمن قرأ من ﴿حَلِيهِمْ﴾ فَالْحَلْيُ اسم لما يُحَسِّنُ به من الذهب والفضة، ومن قرأ ﴿من حُلِيهِمْ﴾ بضم الحاء - فهو جمع حَلْيٍ على حُلْيٍ مثل حَقْوٍ وحُقْيٍ^(١)، ومن كسر الحاء فقال من حِلْيِهِمْ - اتَّبَعَ الحاء كسر اللام.

ومعنى ﴿من بَعْدَهُ﴾ أي من بعد ما جَاء الميقات، وخَلَفَهُ هَارُونَ في قومه، وكان لهم حَلْيٌ يجمعونه في أيام زِيَّتِهِمْ، وكان لِلْقُبَّةِ حَلْيٌ عند بني إِسْرَائِيلَ. فقال لهم السامري، وكان رجلاً مطاعاً فيهم ذَا قَدْرٍ، وكانوا قد سألوا موسى أَنْ يجعل لهم إلهاً يعبدونه كما رأوا قوم فرعون يَعْبُدُونَ الأصنام. فجمع السامريُّ، ذلك الحلَى، وهو قولهم:

﴿وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا﴾^(٢) أي ألقيناها.
﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾^(٣) أي وكذلك طرح السامريُّ ما كان عنده من الحلَى فصاغه في العجل.

فقال [الله تعالى]:

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً﴾.
والجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما معنى الْجَسَدُ معنى الجثة فقط.

﴿لَهُ خُورٌ﴾: أي له صوت.

وقيل له خُورٌ - بالحاء والجيم - وكلاهما من الصوت، وكان قد عمله، كما تُعْمَلُ هذه الآلات التي تصَوَّتُ بِالْخَيْلِ، فجعله في بيت وأعلمهم أن إِلَهُهُمْ وإله موسى عنده. ويقال في التفسير إنه سَمِعَ صَوْتَهُ مرةً واحدةً فقط، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ:

(١) الحقو: الكشح والإزار أو معقده كالحقوة والحقاء، ويجمع على أحق وأحقاء وحقي وحقاء.
والحقو الموضع الغليظ المرتفع عن السيل وموضع الريش من السهم.
(٢) سورة طه الآية ٨٧.

﴿الَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ .
أَي لَا يُبَيِّن لَهُمْ طَرِيقًا إِلَى حِجَّة .
وقوله: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ .

يقال للرجل النادم عَلَى مَا فَعَلَ الْخَيْرَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ، قَدْ سَقَطَ فِي يَدِهِ وَأَسْقَطَ، وَقَدْ رُوِيَ سَقَطَ فِي الْقِرَاءَةِ، فَاَلْمَعْنَى: وَلَمَّا سَقَطَ النَّدَمُ فِي أَيْدِيهِمْ، كَمَا تَقُولُ لِلَّذِي يَحْصُلُ عَلَى شَيْءٍ - وَإِنْ كَانَ مِمَّا لَا يَكُونُ فِي الْيَدِ - قَدْ حَصَلَ فِي يَدِهِ مِنْ هَذَا مَكْرُوهُ، تُشَبَّهُ مَا يَخْصُلُ فِي الْقَلْبِ وَفِي النَّفْسِ بِمَا يَرَى بِالْعَيْنِ .

وقوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ .
﴿غَضْبَانٌ﴾ منصوب على الحال، وهو على مثال فعلان، وله فعلى^(١) نحو غَضَبِي - لم ينصرف، لَأَنَّ فِيهِ الْأَلْفَ وَالنُّونَ، كَأَلْفِي حَمْرَاءَ، وَالْأَسْفَ: الشَّدِيدُ الْغَضَبِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقِمْنَا مِنْهُمْ﴾^(٢)، أَي فَلَمَّا أَغْضَبُونَا .

وقوله: ﴿أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ .
يقال عجلت الأمر والشئ سبقتة، وأعجلته استحثثته .
﴿قَالَ ابْنُ أُمٍّ﴾ .

بالفتح وَإِنْ شئتَ بَنَ أُمٍّ بالكسر، فَمَنْ قَالَ ابْنُ أُمٍّ بِالْفَتْحِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا فَتَحُوا فِي ابْنِ أُمٍّ وَابْنَ عَمٍّ لَكثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ هَذَا الْاسْمَ . وَأَنَّ النَّدَاءَ كَلَامَ مُحْتَمَلٍ لِلْحَذَفِ فَجَعَلُوا «ابْنَ» وَ«أُمَّ» شَيْئًا وَاحِدًا نَحْوَ خَمْسَةِ عَشَرَ . وَمَنْ قَالَ ابْنُ أُمٍّ - بِالْكَسْرِ - فَإِنَّهُ أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ جَعَلَهُ اسْمًا وَاحِدًا، وَمَنْ الْعَرَبُ مِنْ

(١) أَي وَلَهُ هَذَا الْوِزْنُ مُؤَنَّثًا وَلَا يَقَالُ لِأَنثَاهُ فَعْلَانَةٌ .

(٢) سُورَةُ الزَّخْرَفِ الْآيَةُ ٥٥ .

يقول: يا ابن أُمِّي بِاثْبَاتِ الْيَاءِ، قال الشاعر: ^(١)

يا ابن أُمِّي ويا شَقِيقَ نَفْسِي أَنْتَ خَلَيْتَنِي لَدَهْرٍ شَدِيدٍ

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَأْتِيهِمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ﴾.

المعنى اتخذوا العجل إلهاً.

وقوله: ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

لحققتهم الذلة أنهم رأوا أنهم قد ضلوا وذلوا، والذلة هو ما أمروا به من قتل أنفسهم، وقيل إن الذلة أخذ الجزية، وأخذ الجزية لم يقع في الذين عبدوا العجل، لأن الله جل وعزّ تاب عليهم بقتلهم أنفسهم ^(٢).

وقوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾.

يقال سكت يسكت سكناً إذا هو سكن، وسكت يسكت سُكُوتاً وَسَكْناً إذا قطع الكلام، ويقال: رجل سَكِيتَ بَيْنَ السُّكُوتِ وَالسَّاكُوتَةِ إذا كان كثير السكوت، وأصاب فلاناً سُكَّاتٌ إذا أصابه داء منعه من الكلام، والسُّكُوتُ - بالتخفيف والتشديد - الذي يجيء آخر الخيل، وروى بعضهم: «ولما سَكَتَ عن موسى الغضب» ولا تقرأن به لأنه خلاف المصحف، قول بعضهم: ولما سكت عن موسى الغضب معناه: وَلَمَّا سَكَتَ مُوسَى عَنِ الْغَضَبِ، على القلب، كما قالوا: أَدْخَلْتُ الْقَلَنْسُوَّةَ فِي رَأْسِي، المعنى أدخلت رأسي في الْقَلَنْسُوَّةَ، والقول الذي معناه سكن قول أهل العربية.

وقوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾.

(١) البيت لأبي زيد الطائي من قصيدة يرثي بها أخاه، وشقيق تصغ. شقيق صغره للرحمة. والبيت في العيني ٤ - ٢٢٢ وابن يعيش ٢ - ١٢، وابن الشجري ٢ - ١٧٩، والكتاب ٢ - ٢١٣ ت هرون. ومن شواهد النحو الشائعة.

(٢) المراد بهذا الحديث بنو إسرائيل جميعاً أي الطائفة التي فعلت ذلك.

معناه واختار موسى من قومه، وكان موسى اختار من اثني عشر سبطاً من كل سبط سبعة رجال، فبلغوا اثنين وسبعين رجلاً فَخَلَفَ منهم رجُلَيْنِ.

ومعنى اختار قومه، اختار من قومه فحذفت «من» وَوُصِلَ الفعلُ فَنُصِبَ، يقال اخترت من الرجال زيداً واخترت الرجال زيداً.

وأنشدوا: (١)

ومنا الذي اختارَ الرجالَ سماحةً وجوداً إذا هب الرياح الزعارع

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾.

وهي الحركة الشديدة والزلزلة الشديدة.

يقال إنه رجف بهم الجبلُ فماتوا فقال:

﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾.

أي لو شئت أمتهم من قبل أن تأتيهم بما أوجب عليهم الرجفة.

وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْكَ﴾.

معناه تَبَّنَا إِلَيْكَ.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

أي كُلُّ ما خَلَقْتُهُ فبرحمتي وفضلي يعيش، فمعناه ورحمتي وَسِعَتْ كل شيءٍ في الدنيا.

وقوله عز وجل: ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

في الآخرة، أي أجازيهم بها في الآخرة.

(١) البيت للفرزدق من قصيدة يتقض بها عينيه على هذا الوزن لحريز ورواية البيت اختير الرجال - أي اختير من الرجال والزعازع واحدها زعزع، وزعزوع، والزعزع وهي الرياح الشديدة - يريد زمن الشتاء والجدب، أي الناس يقصدون أهلهم للعتاء حين يشح الناس ويجذب الزمان انظر شواهد المغني ص ٣ وديوان الفرزدق ٥١٩.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾.

الأمي هو على خلقه الأمة، لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته.

وقوله: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾.

وهذا أبلغ [في] الاحتجاج عليهم لأنه إخبار بما في كتبهم، والنبي ﷺ لم يكن يكتب ولا قرأ التوراة والإنجيل، ولا عاشر أهلها فإتيانه بما فيهما من آيات الله العظام. ومحال أن يحيى مدع إلى قوم فيقول لهم ذكرني في كتابكم، وليس ذلك فيه. وذكره قد أنبأ من آمن من أهل الكتاب [به].

وقوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾.

يجوز أن يكون يأمرهم مستأنفاً.

وقوله: ﴿وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾.

أي يحل لهم ما حرم عليهم من طيبات الطعام. ويجوز ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي ما أخذ من وجهه طيباً.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾.

والإصر ما عقدته من عقد ثقيل.

﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

والأغلال تمثيل، ألا ترى أنك تقول: جعلت هذا طوقاً في عنقك، وليس هناك طوق، وإنما تأويله أنني قد ولّيتك هذا وألزمتك القيام به، فجعلت لزومه لك كالطوق في عنقك.

والأغلال التي كانت عليهم: كان عليهم أنه من قتل قتل، لا يقبل في ذلك دية، وكان عليهم إذا أصاب جلودهم شيء من البول أن يقرضوه، وكان عليهم ألا يعملوا في السبت. فهذه الأغلال التي كانت عليهم.

وقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾.

أي بمحمد ﷺ.

﴿وَعَزَّوْهُ وَنَصَّرُوهُ﴾.

اختلف أهل اللغة في معنى فوله: ﴿وَعَزَّوْهُ﴾ وقوله: عَزَّزْتُ فلاناً أعزَّزته وأعزَّزه عززاً، قال بعضهم: معنى عَزَّزْتَهُ رَدَدْتُهُ، وقال بعضهم معنى عَزَّزْتَهُ أَغَثَّته، وقال بعضهم: يقال عَزَّزْتُ الرجلَ أعزَّزته إذا لمتُهُ، ويقال عَزَّزْتُ فلاناً، قال بعضهم عَزَّزْتُ فلاناً نصرته، وقال بعضهم منعتُ منه، فالمعنى:

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّوْهُ وَنَصَّرُوهُ﴾ معنى عزَّروه منعوا أعداءه من الكُفْرِ به، وقال بعضهم: عزَّروه بمعنى نصروه، والمعنى قريب لأنَّ مَنَعَ الأعداء منه نصرته.

ومعنى عَزَّزْتُ فلاناً إذا ضَرَبْتُهُ ضرباً دونَ الحدِّ، يمنعه بضربه إياه عن معاودةٍ مثل عمله.

وقوله: عَزَّزْتَهُ رَدَدْتُهُ يجوز أن يكون منه التعزيز، أي فَعَلْتُ به ما يَرُدُّه عَنِ المَعْصِيَةِ.

وقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾.

أي وَاتَّبَعُوا الحقَّ الَّذِي بيَّنه في القلوب كبيان النُّورِ في العيون.

وقوله: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَى أُمَمٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾.

أي يَدْعُونَ الناسَ إلى الهداية بالحق.

﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

أي وبالحق يحكمون.

وقوله: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتِي عَشْرَةَ أُسْبَاطًا﴾.

ويجوز عشرة - بكسر الشين - المعنى قطعناهم اثنتي عشرة فرقة أسباطاً

من نعت «فرقه»^(١) كأنه قال: جَعَلْنَاهُمْ أَسْبَاطًا وُفِرَقْنَاهُمْ أَسْبَاطًا فَيَكُونُ أَسْبَاطًا بدلاً من اثنتي عشرة. وهو الوجه.

وقوله: ﴿أُمَمًا﴾ من نعت أَسْبَاطًا.

قال بعضهم: «السَّبْطُ القرن الذي يجيء بَعْدَ قَرْنٍ، والصحيح أن الأسباط في وَلَدِهِ إِسْحَاقَ^(٢) بمنزلة الْقَبَائِلِ فِي وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ» فَوَلَدَ كُلُّ مَنْ وَلَدَ مِنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ سَبْطًا^(٣) وَوَلَدَ كُلُّ مَنْ وَلَدَهُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ قَبِيلَةً. وَإِنَّمَا سُمِّيَ هَؤُلَاءِ بِالْأَسْبَاطِ، وَهَؤُلَاءِ بِالْقَبَائِلِ، لِتَفْصَلُ بَيْنَ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَوَلَدِ إِسْحَاقَ. وَمَعْنَى الْقَبِيلَةِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ مَعْنَى الْجَمَاعَةِ يَقَالُ لِكُلِّ جَمَاعَةٍ مِنْ وَلَدِ قَبِيلَةٍ وَكَذَلِكَ يَقَالُ لِكُلِّ جَمْعٍ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ: قَبِيلٌ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٤)، فَأَمَّا الْأَسْبَاطُ فَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ السَّبْطِ، وَالسَّبْطُ ضَرْبٌ مِنَ الشَّجَرِ تُعْلَفُهُ الْإِبِلُ، وَيَقَالُ لِلشَّجَرَةِ لَهَا قَبَائِلُ. فَكَذَلِكَ الْأَسْبَاطُ مِنَ السَّبْطِ. كَأَنَّهُ جَعَلَ إِسْحَاقَ بِمَنْزِلَةِ شَجَرَةٍ، وَجَعَلَ إِسْمَاعِيلَ بِمَنْزِلَةِ شَجَرَةٍ.

وكذلك يُفَعَّلُ النَّسَابُونَ فِي النَّسَبِ يَجْعَلُونَ الْوَالِدَ بِمَنْزِلَةِ الشَّجَرَةِ وَيَجْعَلُونَ الْأَوْلَادَ بِمَنْزِلَةِ أَغْصَانِهَا، وَيَقَالُ: طُوبَى لِبَطْنِ فُلَانٍ، وَفُلَانٌ مِنْ شَجَرَةٍ صَالِحَةٍ - فَهَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مَعْنَى الْأَسْبَاطِ وَالسَّبْطِ.

وقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾.

(١) قدر فرقة لأن الأسباط جمع سبط وهو مذكر، فقدر تمييز العدد محذوفاً - و «أسباط» نعت له.

(٢) الأسباط هم أبنا يعقوب الأثنا عشر، ويعقوب ابن إسحاق. وكان الأقرب نسبة الأسباط إلى يعقوب.

(٣) في الأصل سبطاً.

(٤) سورة الأعراف الآية ٢٧.

(٥) أي لأولاده - والطرح الثمر والتاج.

السؤال على ضربين، فأحد الضربين أن تسأل لِتَسْتَخْبِرَ عما لَا تَعْلَمُ
لَتَعْلَمَ، والضرب الثاني أن تسأل مستخبراً على وجه التقرير، فتقول للرجل أأنا
فعلت كذا؟ وأنت تعلم أنك لم تفعل، فإنما تسأله لِتَقَرَّرَهُ وَتُؤَيِّدَهُ. فمعنى أمر
النبي ﷺ أن يسأل أهل الكتاب عن أهل هذه القرية - وقد أخبر الله جل ثناؤه -
بِقِصَّتِهَا لِيقَرَّرَهُمْ بِقديم كفرهم، وأن يُعَلِّمَهُمْ ما لَا يُعْلَمُ إِلَّا بكتاب أو وحي.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾.

أي إذ يظلمون في السبت، يقال [عداً] فلان يَعْدُو عُدواناً، وعداء
وعُدواً، وعدواً - إِذَا ظَلَمَ.

وقوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾.

حيتان - جمع حوت، وأكثر ما تُسمَّى العرب السمك الحيتان
والنينان^(١).

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾.

موضع «إذ» نصب، المعنى سلَّهم عن عُدُوِّهِمْ في السبت، أي سلَّهم عن
وقت ذلك.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾.

في موضع نصب أيضاً بـ«يعدون». المعنى سلَّهم إذ عَدَوْا في وقت
الإتيان.

﴿شُرْعاً﴾.

أي ظاهرة، وكانت الحيتان تأتي ظاهرة فكانوا يحتالون بِحَبْسِهَا في يوم
السبت ثم يأخذونها في يوم الأحد، ويقال إنَّهم جاهرُوا بِأَخْذِهَا في يوم
السبت.

(١) جمع نون وهو الحوت، وبه سمي يونس عليه السلام ذا النون أي صاحب الحوت.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ﴾.

أي مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم.

وموضع الكاف نصب بقوله: ﴿نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

أي شددت عليهم المحنة يفسقهم. ويحتمل - على بعد - أن يكون:
ويوم لا يَسْتَبِتونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ^(١) أي لا تَأْتِيهِمْ شُرْعاً، ويكون نَبْلُوهُمْ
مستأنفة، وذلك القول الأول قول الناس^(٢) وهو الجيد.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾.

الأصل لِمَا، ولكن الألف تحذف مع حروف الجر نحو لِمَ وَعَمَّ وَبِمَ،
قال الله تعالى: ﴿فِيمَ تَبْشُرُونَ﴾^(٣)، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٤).

ومعنى الآية أنهم لَأُمُوهُمْ في عظة قوم يعلمون أنهم غير مُقْلِعِينَ. هذا
الْأَغْلَبُ عَلَيْهِمْ في العلم بهم.

﴿اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

ومعنى «أَوْ» - واللَّهُ أَعْلَمُ - أنهم أَخْبَرُوهُمْ - على قدر ما رَأَوْا من
أَعْمَالِهِمْ - أنهم مُهْلِكُونَ في الدنيا أَوْ مُعَذَّبُونَ في الآخرة لا محالة.

وقوله: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾.

المعنى قالوا موعظتنا إياهم معذرة إلى ربكم وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ.

فالمعنى أنهم قالوا: الأمر بالمعروف وَاجِبٌ عَلَيْنَا، فَعَلِينَا موعظة هؤلاء
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، أي وجائز عندنا أن ينتفعوا بالمعذرة.

(١) لا تَأْتِيهِمْ على هذه الحالة.

(٢) قول جمهور المفسرين.

(٣) سورة الحجر الآية: ٥٤.

(٤) سورة النبا الآية: ١.

ويجوز النصبُ في «مَعْدِرَةٍ» فيكون المعنى في قوله: ﴿قَالُوا مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ﴾ على معنى يعتذرون مَعْدِرَةً^(١).

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

﴿نَسُوا﴾ يجوز أن يكون في معنى تركوا، ويجوز أن يكون تركهم بمنزلة من نسي.

وقوله: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾.

أي شديد، يقال بَئِيسٌ يَبُئِسُ بَأْسًا إِذَا اشْتَدَّ، وقيل إنَّ القوم كانوا ثلاث فِرَقٍ، فرقة عملت بالسوء، وفرقة نهت عن السوء، وفرقة أمسكت عن النهي، وقيل كانوا فرقتين، فرقة نهت عن السوء وفرقة عملت بالسوء، وبعض الفرقة التي فيها من نهى عن السوء مؤمن غير راض بما فَعَلَ أَهْلُ السُّوءِ فدخلوا في النجاة مع الذين ينهون عن السوء، ونَزَلَ الْعَذَابُ بِالَّذِينَ عَدَوْا فِي السَّبْتِ. وقوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ﴾.

العاتي: الشديدُ الدخولُ في الفساد، المتمرد الذي لا يَقْبَلُ مَوْعِظَةً.

وقوله: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

جائز أن يكونوا أمروا بأن يكونوا كذلك بقول سُمِعَ، فيكون أبلغ في الآية والنازلة بِهِمْ، وجائز أن يكون «فقلنا لهم» من قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

ومعنى «خَاسِئِينَ»: أي مُبْعَدِينَ.

(١) الأولى أنها مفعول له، أي وعظناهم لأجل المعذرة، وعلى تقديره هي مفعول مطلق، أي فليعتذروا معذرة، أي هو مصدر بمعنى الأمر وكلاهما بعيد.

(٢) سورة يس آية ٨٢، أي غيرناهم قردة.

وقال قوم: جائز أن تكون هذه القردة المتولدة أصلها منهم وقال قوم المسخ لا يبقى ولا يتولد، والجملة أنا أخبرنا بأنهم جعلوا قردة، والقردة هي التي نعرفها. وهي أكثر شيء في الحيوان شهاً بابن آدم، والله أعلم كيف كان أمرهم بعد كونهم قردة.

وقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾.

قال بعضهم: تأذن: تألى^(١) ربك ليعتن عليهم، وقيل: إن تأذن أعلم، والعرب تقول: تعلم أن هذا كذا، في معنى اعلم، قال زهير:

تَعَلَّمْ أَنْ شَرَّ النَّاسِ حَيٌّ يَنَادِي فِي شَعَارِهِمْوَيْسَارُ^(٢)
وقال زهير أيضاً:

فَقُلْتُ تَعَلَّمْ أَنْ لِلصَّيْدِ غِرَّةً وَإِلَّا تَضِيعُهَا فَإِنَّكَ قَاتِلُهُ^(٣).

وقوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.
أي من يوليهم سوء العذاب.

فإن قال قائل قد جعلوا قردة فكيف يبقون إلى يوم القيامة فالمعنى أن الذكر لليهود، فمنهم من مسخ، وجعل منهم القردة والخنازير ومن بقي فمعانيد لأمر الله، فهم مذنون بالقتل، إلا أن يُعطوا الجزية، فهم مذنون بها وهم في كل مكان أذل أهلهم، قال الله عز وجل: ﴿ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَمَا تَقِفُوا إِلَّا

(١) أي حلف وأقسم.

(٢) من شعر زهير بن أبي سلمى، ويسار راع له، كان الحرث بن ورقاء من بني أسد أغار على بني عطفان واستاق يساراً هذا وإبلا لزهير فهجاهم زهير، فرده الحرث عليه، وكان قومه يريدون قتله، فمدحهم زهير. انظر الأغاني ٣٠٨ جـ ١٠.

(٣) الديوان - ص ٧٨.

بَحْبَلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴿١﴾ أَيَّ إِلَّا أَنْ يَعْطُوا الذِّمَّةَ وَالْعَهْدَ.

وقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾.

يقال للذي يجيء في أثر قرنٍ خَلَفَ. والخَلْفُ ما أَخْلَفَ عَلَيْكَ بُدْلاً مما أخذ منك، ويُقال: في هذا خَلَفٌ أيضاً، فأما ما أَخْلَفَ عَلَيْكَ بُدْلاً مما ذهب منك فهو الخَلْفُ بفتح اللام.

وقوله: ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾.

قيل إنهم كانوا يَرْتَشُونَ على الحكم، ويحكمون بجورٍ، وقيل إنهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق، وكل ذلك عَرَضٌ خسيس.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا، وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾.

فالفائدة أنهم كانوا يذنبون بأخذهم الرِّشْيَ، ويقولوا سيغفر لنا من غير أن يُتَوَبَّأ، لأن قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ دليل على إصرارهم على الذنب، والله جلَّ وعزَّ وَعَدَ بِالْمَغْفِرَةِ في العظامم التي توجب النار مع التوبة. فقال:

﴿أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾.

أي فهم ذاكرون لما أخذ عليهم.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

«الذين» في موضع رفع، وفيها قولان، أعني في ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾، قال قوم: إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ منهم^(٢)، وهو الذي نختار

(١) سورة آل عمران ١١٢.

(٢) الخبر جملة ليس بها رابط، فاختار هو تقدير محذوف أي «منهم» وذكر الآراء الأخرى بعد

لأن كل من كان غير مؤمن وأصلح فأجره ساقط، قال الله جل وعز:
﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(١)، وقال:
﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةً غَامِلَةً تَصْلَى نَارًا خَامِيَةً﴾^(٢).

فالمعنى: ﴿وَالَّذِينَ يُسْكُونُ بِالْكِتَابِ﴾ أي يؤمنون به، ويحكمون بما فيه
إننا لا نضيع أجر المصلح منهم. والمصلح المقيم على الإيمان المؤدى
فرائضه اعتقاداً وعملاً، ومثله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا
نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٣). أي لا نضيع أجر من أحسن منهم عملاً.

وقال قوم: المصلحون لفظٌ يخالف لفظ الأول، ومعناه معنى الأول فعاد
الذكر في المعنى وإن لم يكن عائداً في اللفظ، ولا يجيز هؤلاء زيد قام أبو
عمرو^(٤). لأن أبا عمرو لا يوجب لفظ زيد^(٥).

فإن قال قائل: المؤمن أنا أكرم من اتقى الله، جاز، لأن معنى من اتقى
الله معنى المؤمن، فقد صار بمنزلة قولك زيد ضربته، لأن الذكر إذا تقدم
فالهاء عائدة عليه، لا محالة، وإن كان لفظها غير لفظه، لأن ضمير الغائب لا
يكون إلا هاء في النصب.

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾.

ذلك. ولا يحتاج الأمر لهذا كله، فإنه إذا كان الخبر «الجملة» عين المبتدأ، نحو «قل هو الله
أحد» أو كان عاماً يشمل المبدأ كآلآية التي ذكرها من سورة الكهف ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾. فلا حاجة لرباط. والمراد لسقوط أجره أنه لا
يثاب على صلاحه.

(١) القتال آية: ١.

(٢) الغاشية آيات ٢ - ٤.

(٣) الكهف الآية ٣٠.

(٤) لأنه لا عائدة، وإذا كان «أبو عمر» كنية زيد. فإن كلمة زيد لا توحى به.

(٥) لا يتضمنه.

موضع «إذ» نصب . المعنى واذكر ﴿إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ .

[من ظهورهم] بدل من قوله : ﴿من بني آدم﴾ المعنى وإذ أخذ ربك ذريتهم وذرياتهم جميعاً .

وقوله : ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ .

قال بعضهم : خلق الله الناس كالذر من صلب آدم ، وأشهدهم على توبيخه ، وهذا جائز أن يكون جعل لأمثال الذر فهما تعقل به أمره ، كما قال : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِينَكُمْ﴾^(١) : وكما قال : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾^(٢) ، وكل مولود يولد على الفطرة معناه أنه يولد وفي قلبه توحيد الله ، حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه .

وقال قوم : معناه أن الله جل ثناؤه ، أخرج بني آدم بعضهم من ظهور بعض .

ومعنى ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ .

أن كل بالغ يعلم أن الله واحد ، لأن كل ما خلق الله تعالى دليل على توبيخه ، وقالوا لولا ذلك لم تكن على الكافر حجة ، وقالوا فمعنى ﴿أشهدهم على أنفسهم ألسن ربكم﴾ دلهم بخلقهم على توبيخه .

وقوله : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ .

هذا نسق على ما قبله ، المعنى اتل عليهم إذ أخذ ربك من بني آدم .

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ .

هذا فيه غير قول ، قيل إنه كان عنده اسم الله الأعظم فدعا به على

(١) سورة النمل .

(٢) لا يتضمنه .

موسى وأصحابه، وقيل إنه أُمِّيَّة بن أبي الصلت، وكان عنده علم من الكتب،
وقيل إنه يعني به منافقو أهل الكتاب.

وقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

أي الفاسدين الهالكين.

وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾.

أي لو شئنا أن نحول بينه وبين المعصية لفعلنا، ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى
الْأَرْضِ﴾.

معناه ولكنه سكن إلى الدنيا، يقال أَخْلَدَ فلان إلى كذا وكذا، وخلع إلى
كذا وكذا، وأَخْلَدَ أَكْثَرُ في اللغة، والمعنى أنه سكن إلى لذات الأرض.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

أي لم يرفعه بها لاتباعه هواه.

وقوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾.

ضرب الله عز وجل: بالتأرك لآياته والعادِل عنها. أحسن مثل في أَحْسَر
أحواله، فقال عز وجل: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ إذا كان الكلب لهتان، وذلك أن
الكلب إذا كان يلهث فهو لا يقدر لنفسه على ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ، لأن التمثيل به
على أنه يلهث على كل حال حملت عليه أو تركته، فالمعنى فمثله كمثل
الكلب لاهثاً ثم قال:

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنًا﴾.

وقال: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾.

المعنى: ساء مثلاً مَثَلُ القوم.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.

وصفهم بأنهم لا يُتَصَرَّونَ بِعُيُونِهِمْ ولا يعقلون بقلوبهم. جَعَلَهُمْ فِي

تركهم الحق وإعراضهم عنه، بمنزلة من لا يُبصر ولا يعقل. ثم قال جلّ وعزّ ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.

وذلك أن الأنعام تُبصرُ منافعها ومضارّها فتلزم^(١) بعض ما لا تُبصره، وهؤلاء يعلم أكثرهم أنه مُعانَدُ فيقدم على النار.

وقال جلّ وعزّ: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(٢). أي على عمل أهل النار.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

لا ينبغي أن يدعو أحد بما لم يصف نفسه [به]، أو لم يسم به نفسه، فيقول في الدعاء. يا الله يا رَحْمَنُ يا جَوَادُ، ولا ينبغي أن يقول:

«يا سبحان» لأنه لم يصف نفسه بهذه اللفظة. وتقول يا رحيم، ولا يقول: يا رفيق، وتقول يا قوي، ولا تقول يا جَلْدُ.

وقوله: ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾.

أي ألم يستدلوا بما أنبأهم به من ملكوت السماوات والأرض. ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾.

أن إن كانوا يُسَوِّفُونَ بالتوبة فعسى أن يكون قد اقترب أجلهم.

فالمعنى: أو لم ينظروا فيما دلّهم الله جلّ ثناؤه على توحيده فكفروا به بذلك فلعلّهم قد قُرِبَتْ آجالهم فيموتون على الكفر.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

(١) تفهم أن لهما منفعة في أشياء لا تبصرها فتلزمها.

(٢) سورة البقرة - ١٧٥.

وقوله: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، الطغيان: الغلو في الكفر.
ويعمّهون: يتحيرون.

ويجوز الجزم والرفع في ﴿يَذَرُهُمْ﴾. فمن جَزَمَ عطف على موضع الفاء،
المعنى من يضل الله يذره في طغيانه عامهاً. ومن قرأ ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ فهو رفع على
الاستئناف.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾.
والساعة ههنا التي يموت فيها الخلق.

ومعنى مُرساها مُثَبَّتْها، يقال - رسا الشيء يرسو إذا ثبت فهو راس
وكذلك جبال راسيات، أي ثابتات. وأُرسِيَتْه إذا أُثْبِتَتْه.
فالمعنى يسألونك عن الساعة متى وقوعها^(١).
وقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ﴾.
أي لا يظهرها في وقتها إلا هو.
ومعنى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

قيل فيه قولان، قال قوم: ثقلت في السماوات [والأرض] ثقل وقوعها
على أهل السماوات والأرض^(٢). ثم أعلم جل ثناؤه كيف وقوعها فقال
جل وعز:

﴿لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾.
أي إلا فجأة.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَافِيٌّ عَنْهَا﴾.

المعنى - والله أعلم - يسألونك عنها كأنك فرح بسؤالهم، يقال تحفيت بفلان

(١) مرساها إذن مصدر ميمي.

(٢) لم يذكر القول الثاني.

في المسألة إذا سألت سؤلاً أظهرت فيه المحبة والبرية، وأخفى فلان بفلان في المسألة، وإنما تأويله الكثرة ويقال خفيت الدابة تحفى خفى، مقصود إذا كثر المشي حتى يؤلمها^(١) والحفاء ممدود أن يمشي الرجل بغير نعل.

وقيل: ﴿كَأَنَّكَ خَفِيَ عَنْهَا﴾، كأنك أكثر المسألة عنها.

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

معنى: ﴿إِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا يعلمها إلا هو.

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾.

أي لا دخرت زمن الخصب لزمن الجذب.

وقيل ﴿لو كنت أعلم الغيب﴾ أي لو كنت أعلم ما أسأل عنه من الغيب في

الساعة وغيرها.

وقوله: ﴿وَمَا مَسْنِي السُّوءِ﴾.

أي لم يلحقني تكذيب.

وقيل أيضاً: وما مَسْنِي السُّوءِ أي ما بي من جنون، لأنهم نسبوا

النبي ﷺ إلى الجنون، فقال: ﴿مَا مَسْنِي السُّوءِ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

ثم بين لهم ما دلهم على توحيد الله عز وجل فقال:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

يعني آدم.

﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾

﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾.

(١) في الأصول: خفي الدابة يخفي.. إذا كثر عليه المشي حتى يؤلمه.

(٢) أي ان «ما» نافية والكلام غير مرتبط بلو.

كناية عن الجماع أحسن كناية .
﴿حَمَلْتُ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ .

يعني المني ، والحمل ما كان في البطن - بفتح الحاء - أو أخرجه
الشجرة ، والحمل بكسر الحاء ما يُحمل .
وقوله : ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ .

معنى مرت به استمرت ، قعدت وقامت لم يُثقلها .
﴿فَلَمَّا أَثْقَلْتُ﴾ .

أي دنت ولادتها ، لأنه أول أمره كان خفيفاً ، فلما جعل إنساناً ودنت
الولاد أثقلت .

وقوله : ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ .
أي دعا آدم وحواء ربهما .

﴿لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ
شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ .

يروى في التفسير أن إبليس - عليه اللعنة - جاء إلى حواء فقال : أتدري
ما في بطنك ، فقالت لا أدري ، قال فلعله بهيمة ثم قال : إن دعوت الله أن
يجعله إنساناً أَسْمِيَنَّهُ باسمي ؟ : فقالت نعم فسمته عَبْدَ الْحَارِثِ ، وهو
الحارث . وهذا يروى في التفسير^(١) .

وقيل أن آدم وحواء أَصْلُ . فضرب هذا مثلاً لمشركي العرب وَعُرِفُوا
كيف بدأ الخلق ، ف قيل فلما آتاهما الله - لكل ذكر وأنثى - آتاه الله ولداً ذكراً
أو أنثى - هو خَلَقَهُ وصَوَّرَهُ^(٢) .

(١) وهو بعيد كل البعد ، فآدم وحواء لا يشركان بالله أحداً .

(٢) وهذا واضح ولعله الصحيح .

﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾: يعني الذين عبدوا الأصنام .
﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

الأول هو الذي عليه التفسير، ومن قرأ «شُرَكَاءَ» فهو مصدرُ شَرِكْتُ الرَّجُلَ
أشركه شِرْكَاً.

قال بعضهم: كان ينبغي أَنْ يكونَ على قراءة من قرأ شِرْكَاً جعلاً لغيره
شِرْكَاً، يقول لأنهما لا ينكران أَنَّ الأصلَ الله عزَّ وجلَّ فالشرك إنما يجعل
لغيره، وهذا على معنى جعلاً له ذَا شِرْكَ فحذف ذا مثل ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ .

وقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ .

والعفو الفضل، والعفو ما أتى بغير كلفة .

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ .

أي بالمعروف .

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ .

وقوله: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ .

لأدنى حركة تكون، تقول: قد نَزَغْتُ إِذَا حَرَّكَتُهُ .

فالمعنى إِنَّ نَالَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ أَدْنَى نَزْغٍ [أي] وسوسة .

وقوله: ﴿مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ .

يقال: طُفَّتْ أَطُوفٌ، وطاف الخيالُ يَطِيفُ .

وقوله: ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ .

أي تفكروا فيما [هو] أوضح لهم من الحجة .

﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾: على بصيرة .

وقوله: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ .

هذا معناه التَّقْدِيمُ، المعنى «لَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا، وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ»^(١).

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾.
يعني الشياطين، لَأَنَّ الكفار أُخْوَانُ الشياطين، وَالْغَيِّ الْجَهْلُ، والوقوع في الحركة. ويقال أَقْصَرُ يُقْصِرُ، وَقَصَرَ، يُقْصِرُ.

وقوله: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾.
أي هلا اختلقتها، أي هلا أَتَيْتُ بها من نفسك، فَأَعْلَمَهُمْ ﷺ أَنَّ الآيات من قِبَلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

وقوله: ﴿إِنَّمَا اتَّبَعَ مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ مِنْ رَبِّي. هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.
أي هذا القرآن الذي أَتَيْتُ به بصائرُ من ربكم، واحدة البصائر بصيرة، والبصيرة والبصائر طرائق الدَّم^(٢)، قال الْأَشْعَرُ الْجُعْفِيُّ^(٣).

راحوا بصائرهم على أَكْتَاْفِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتْدُ وَأَيُّ
والبصيرة التُّرْس، وجمعها بصائر.
وجميع هذا أيضاً معناه ظهور الشيء وبيانه.

(١) يريد أنه متصل بالآية التي سبقت وهي: «والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون» يعني أن الشياطين التي تغريهم بهذا كالألهة التي يعبدونها لا يستطيعون عمل شيء لهم ولا لأنفسهم.

(٢) خطوطه وبقعه.

(٣) قال الأملدي في المؤلف والمختلف (ص ٥٨) أنه شاعر فارس مشهور وأنه الأسعر بالسين لقوله:

فلا يدعني قومي لسعد بن مالك إذا أنا لم أسعر عليهم وأثقب
أي لا أستحق النسب إليه إذا لم أسعر الحرب، وهو مرثد بن أبي خمران الحرث بن معاوية،
شاعر جاهلي. وأكثر رواية البيت: «حملوا صائرهم» على أن البصيرة هي الترس، أو الدرع،
والبيت في اللسان (بصر - عقد) وفي مجاز أبي عبيدة ١ - ٢٣٨ - وروايته: حملوا بصائرهم.

وقوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾.

يروى أن الكلام في الصلاة كان جائزاً، فكان يدخل الرجل فيقول: كم صَلَّيْتُمْ فيقال: صلينا كذا. فلما نزلت فاستمعوا له وأنصتوا حرم الكلام في الصلاة إلا ما كان مما يتقرب به إلى الله جلّ ثناؤه. ومما ذكرته الفقهاء نحو التسبيح والتهليل والتكبير والاستغفار وما أشبه ذلك. من ذكر الله جلّ وعزّ ومسألته العفو.

ويجوز أن يكون فاستمعوا له وأنصتوا، اعملوا بما فيه ولا تجاوزوا لأن معنى قول القائل: سمع الله دعاءك. تأويله: أجاب الله دعاءك، لأن الله جلّ ثناؤه سميع عليم.

وقوله: ﴿بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾.

الأصال جمع أَصْلٍ، والأصل جمع أَصِيل، فالأصال جمع الجمع، والأصال العشيّات.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾.
يعنى به الملائكة.

﴿ويسبحونه﴾ ينزهونه عن السوء، فإن قال قائل: الله جلّ ثناؤه في كل مكان، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾^(١) فمن أين قيل للملائكة: عِنْدَ رَبِّكَ، فتأويله إنه من قُرْب من رحمة الله ومن تَفْضِيلِهِ وإحسانه.

(١) سورة الأنعام من الآية ٣.

سورة الأنفال (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ﴾.

﴿الْأَنْفَالُ﴾: الْغَنَائِمُ، واحدها نَفْلٌ، قال لبيد: ^(١)

إِنْ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرَ نَفْلٍ وَإِذْنُ اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَلٌ

وإنما يسألوها لأنها فيما روي كانت حراماً على من كان قبلهم، ويروى أن الناس في غزاة بدر كانوا قليلين، فجعل النبي ﷺ لمن جاء بأسير غنماً ومن جاء بأسيرين على حسب ذلك، وقيل أيضاً إنه نفل في السرايا فقال الله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ﴾.

وقوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾.

أي بالحق الواجب، ويكون تأويله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾. كذلك ننقل من رأينا وإن كرهوا. لأن بعض الصحابة قال للنبي ﷺ حين جعل لكل من أتى بأسير شيئاً، قال يبقى أكثر الناس بغير شيء.

(*) كما في سور أخرى كثيرة بضع الزجاج بسم الله الرحمن الرحيم قل اسم السورة، ولأن هذا غير مطرد، ويختلف بين نسخة وأخرى أثرنا الطريقة المتبعة وهي جعل البسملة بعد عنوان السورة لتكون قبل القراءة مباشرة.

(١) يعني أن تقوى الله خير ما يغتنمه الإنسان، وكل عملي بإذن الله وحده. والبيت في ديوان لبيد =

فموضع الكاف في «كما» نصب، المعنى الأنفال ثابتة لك مثل إخراج رَبِّكَ إِيَّاكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ.

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾.
معنى ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: حقيقة وُضِّلَكُمْ^(١)، والْبَيْنُ: الوَصْلُ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي وصلكم.

فالمعنى: اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وكذلك اللهم أصلح ذات البين، أي أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون.

وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.
أي اقبلوا ما أَمَرْتُمْ بِهِ فِي الْغَنَائِمِ وَغَيْرِهَا.
وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

تأويله: إِذَا ذُكِرَتْ عَظَمَةُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ، وَمَا خَوْفٌ بِهِ مَنْ عَصَاهُ، وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ أَي فَرَعَتْ لَذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ: (٢)

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينما تعدو المنية أول^(٣)
يقال: وَجَلَ يَوجَلُ وَجَلًا، ويقال في معنى يَوجَلُ يَاجَلُ يَيجَلُ وَيَيجَلُ،

= ١١/٢ - وتفسير الطبري ١٠٨/٩ (بولاق) واللسان (نفل) وشواهد الكشاف والقرطبي ٣٦١/٧.

(١) الصلاة والروابط التي بينكم.

(٢) هو معن بن أوس المزني. وكان قد طلق زوجته وتزوج بأخرى، فغضب أخوها وآلى ألا يكلمه. وكان صديقاً له. فأخذ معن يستعطفه بهذه الأبيات وهي قصيدة جيدة في العتاب - انظرها في الحماسة ٣ - ١٣٢، وقد ادعى عبد الله بن الزبير لنفسه بعض هذه الأبيات أمام معاوية، ثم دخل معن فقرأها - وكان عبد الله مسترضعاً في مزينه، انظر الكامل ١ - ٣٦٤ - ٣٦٥، ٢ - ١٤.

(٣) يريد إنه يؤثر أن يكون هو السابق، وهو شي لا يعرفه، وهو وجل أن يبقى بعد صاحبه فيذوق مرارة فراقه «أوجل» بمعنى وجل ومؤنثه وجلة ولا يوجد فعلاً له - فهو ليس أفعل تفضيل.

هذه أربع لغات حكاها سيويه وأجودها يوجل، قال الله عز وجل: ﴿لَا تَوَجَلْ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾^(١).

وقوله: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾.
تأويل: الإيمان التصديق، وكل ما تلى عليهم من عند الله صدقوا به
فزاد تصديقهم بذلك زيادة إيمانهم.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.
حقاً منصوب بمعنى دلت عليه الجملة، والجملة [هي] «أولئك هم
المؤمنون» حقاً.

فالمعنى أحق ذلك حقاً.
وقوله: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: أي لهم منازل في الرفعة على قدر
منازلهم.

وقوله: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾.
وعدهم الله جلّ وعزّ في غزاة بدر أنّهم يظفرون بأهل مكة وبالعير وهي
الإبل لكرهتهم القتال، فجادلوا النبي ﷺ وقالوا إنما خرجنا إلى العير.

وقوله: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾.
[أي] وهم كانوا في خروجهم للقتال كأنهم يساقون إلى الموت لقلّة
عددهم وأنهم رجالة^(٢)، يروى أنهم إنما كان فيهم فارسان فخافوا.

وقوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾.
المعنى: وأذكروا إذ يعدكم الله أن لكم إحدى الطائفتين.

(١) سورة الحجر الآية ٥٣.

(٢) مشاة لا ظهور كافية معهم.

﴿أَنَّهُا لَكُمْ﴾ في موضع نصب على البذل من ﴿إحدى﴾ ومثله قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَّوُّوهُمْ﴾^(١) المعنى: ولولا أن تطَّوُّوهم.

وقوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾. أي تودُّونَ أَنَّ الطائفة التي ليست فيها حرب ولا سلاح، وهي الإبل تكونُ لكم، وذاتُ الشُّوْكَةِ ذاتُ السلاح، يقال: فلان شاك في السلاح، وشائك في السلاح وشاك في السلاح بتشديد الكاف من الشُّكَّةِ، ومثل شاكِي قول الشاعر:

فتوسموني إنني ذاكُم شاك سلاحي في الحوادث مُعَلَّمُ^(٢)

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾.

أي ظفركم بذات الشوكة أقطع لدابرهم.

وقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

لما رأوا أنفسهم في قلة عدَدٍ استغاثوا فأمدَّهم الله بالملائكة.

قال الله - عز وجل -: ﴿إِنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾.

يقال: رَدِفَ الرجل إذا ركبته خلفه، وأَرَدَفَتْه إذا أركبته خلفي، ويقال: هذه دابة لا ترادف^(٣)، ولا يقال لا تُرَدَفُ، ويقال أَرَدَفَتْ الرَّجُلُ إذا جثت بعده، فمعنى ﴿مُرْدَفِينَ﴾ يأتون فرقة بعد فرقة، ويقرأ مُرْدَفِينَ، ويجوز في اللغة

(١) سورة الفتح الآية ٢٥.

(٢) لطريف بن تميم العنبري. شاعر جاهلي من الفرسان. ويروى البيت. فتعرفوني. هو بمعنى فتوسموني، شاك سلاحي، لابس، وهو مقلوب. شائك في كتاب سيبويه ٣ - ٤٦٦، وشرح شواهد الشافية ٣٧٠ شائك. ومعلم. بمعنى ظاهر معروف بعلامتي. يريد أنه شجاع مشهور.

وانظر ترجمة لطريف في المقتضب ١١٦/١.

(٣) لا تلحقها دابة أخرى فتكون خلفها.

مُرْدَفِين، ويجوز مُرْدَفِين ومُرْدَفِين. يَجُوزُ فِي الرَّاءِ مَعَ تَشْدِيدِ الدَّالِ: كَسْرُهَا وَفَتْحُهَا وَضَمُّهَا، وَالدَّالُ مُشْدَدَةٌ مَكْسُورَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ: قَالَ سَيِّبُوه: الْأَصْلُ مُرْتَدِفِين. فَادْغَمْتَ التَّاءُ فِي الدَّالِ فَصَارَتْ مُرْدَفِين، لِأَنَّكَ طَرَحْتَ حَرَكَةَ التَّاءِ عَلَى الرَّاءِ، قَالَ: وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تَطْرَحْ حَرَكَةَ التَّاءِ وَكَسَرْتَ الرَّاءَ لِالتَّقَاةِ السَّاكِنِينَ، وَالَّذِينَ ضَمُّوا الرَّاءَ جَعَلُوهَا تَابِعَةً لَضَمَّةِ الْمِيمِ.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾.

أَيُّ مَا جَعَلَ اللَّهُ الْمَدَدَ إِلَّا بُشْرَى.

وقوله: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾.

«إِذْ» مَوْضِعُهَا نَصَبٌ عَلَى مَعْنَى وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى [فِي] ذَلِكَ الْوَقْتُ، وَيجوزُ عَلَى أَنْ يَكُونَ: اذْكُرُوا إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ.

يَقَالُ: نَعَسَ الرَّجُلُ يَنْعَسُ نُعَاسًا وَهُوَ نَاعَسٌ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: نَعَّسَانِ وَلَكِنْ لَا أَشْتَهِيهَا.

وَ﴿أَمْنَةً﴾ مَنْصُوبٌ مَفْعُولٌ لَهُ ^(١) بِقَوْلِكَ: فَعَلْتَ ذَلِكَ حَذَرَ الشَّرِّ.

وَالْتَّوِيلُ أَنَّ اللَّهَ أَمَّنَّهُمْ أَمْنًا حَتَّى غَشِيَهُمُ النُّعَاسُ لَمَّا وَعَدَهُمْ مِنَ النَّصْرِ،

يَقَالُ:

قَدْ آمَنْتُ آمَنَ أَمْنًا - بَفَتْحِ الْأَلْفِ - وَأَمَانًا وَأَمْنَةً ^(٢).

وقوله: ﴿وَيُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ﴾.

كَانَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ نَزَلُوا عَلَى الْمَاءِ وَسَبَقُوا الْمُسْلِمِينَ، وَنَزَلَ الْمُسْلِمُونَ فِي رَمْلِ تَسْوِخٍ فِيهِ الْأَرْجُلُ، وَأَصَابَتْ بَعْضُهُمُ الْجَنَابَةُ فَوْسُوسُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ بِأَنْ عَدَّوْهُمْ يَقْدِرُونَ عَلَى الْمَاءِ وَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْمَاءِ، وَخِيلَ إِلَيْهِمْ أَنْ

(١) أَيُّ لِأَجْلِ أَمْنِكُمْ، فَأَمْنَةٌ مَصْدَرُ أَمِنَ.

(٢) الْمَعْنَى يَجْعَلُ النَّوْمَ يَسْتَوِلِي عَلَيْكُمْ لِأَجْلِ أَمْنِكُمْ وَاطْمِئْنَانِ نَفْسِكُمْ.

ذلك عَوْنٌ من الله لعدوهم، فأمر الله المكان الذي كانوا فيه فَتَطَهَّرُوا من الماء، واستوت الأرض التي كانوا عليها حتى أمكن الوقوف فيها والتصرف، وهذا من آيات الله جل ثناؤه التي تدل^(١) على نبوة النبي ﷺ. وأمر بدر كان من أعظم الآيات لأنَّ عَدَدَ الْمُسْلِمِينَ كان قليلاً جداً، وكانوا رجالة فأيدهم الله، وكان المشركون أَضْعَافَهُمْ، وَأَمَدَّهُمُ اللهُ بالملائكة، قال بعضهم: كان الملائكة خمسة آلاف، وقال بعضهم تسعة آلاف^(٢).

وقوله: ﴿وَيَذْهَبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾.

أَيَّ وَسَاوِسَهُ وَخَطَايَاهُ.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾.

أَيَّ يُثَبِّتَ بِالماء الذي أنزله على الرَّمْلِ حَتَّى اسْتَوَى، وجائز أن يكون زَيْنٌ به للربط على قلوبهم، فيكون المعنى «وَلْيَرْبِطْ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتْ بِالرَّبْطِ الْأَقْدَامَ».

وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾.

«إِذْ» في موضع نصب على «وَلْيَرْبِطْ إِذْ يُوحِي»^(٣) ويجوز أن يكون على

«اذكروا».

﴿فَتَبَتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

جائز أن يكون [أنهم] يُثَبِّتُوهم بأشياء يَلْقُونَهَا في قُلُوبِهِمْ تَقْوَى بها^(٤). وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا يَرَوْنَهُمْ مَدَدًا، فإذا عاينوا نصر الملائكة ثبتوا.

(١) في الأصل والتي.

(٢) في الأصل تسعة ألف.

(٣) أي على هذا التقدير فتكون الآية متصلة إعراباً بما قبلها، وليس بجيد إذ يقتضي الربط في وقت الإيحاء. وتعليقه بآذكر يجعله جملة مستأنفة مستقلة وهو أولى.

(٤) تقوى بها قلوبهم.

وقوله: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.
أباحهم الله قتلهم بكل نوع في الحرب... وَاحِدُ الْبَنَانِ: بَنَانَةٌ، وَمَعْنَاهُ
ههنا الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء.

وإنما اشتقاق البنان من قولهم أَبْنَى بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ بِهِ، فالبناء به يَعْتَمَلُ
كُلُّ مَا يَكُونُ لِلْإِقَامَةِ وَالْحَيَاةِ.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.
﴿شَاقُوا﴾. جانبوا، صَارُوا فِي شَيْءٍ غَيْرِ شَيْءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِثْلُ شَاقُوا جَانَبُوا
وَحَازَبُوا وَحَارَبُوا.

معنى حَازَبُوا صَارَ هُؤُلَاءِ حِزْبًا وَهُؤُلَاءِ حِزْبًا.
﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ [اللَّهَ وَرَسُولَهُ] فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[يُشَاقِقُ] وَيُشَاقِقُ جَمِيعًا، إِلَّا أَنَّهَا ههنا يَشَاقِقُ، بإظهار التضعيف مع
الجزم وهي لغة أهل الحجاز، وغيرهم يدغم، فإذا أَدْغَمْتَ قُلْتَ: مَنْ يَشَاقِقُ
زَيْدًا أَهْنَهُ، بفتح القاف، لأن القافين ساكتتان فحركت الثانية بالفتح لالتقاء
الساكنين ولأن قبلها ألفًا، وإن شئت كَسَرْتَ فَقُلْتَ يَشَاقِقُ زَيْدًا، كسرت القاف
لأن أصل التقاء الساكنين الكسر. فإذا اسْتَقْبَلْتَهَا أَلْفٌ وَلامٌ اخْتَرْتَ الْكُسْرَ فَقُلْتَ
﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ اللَّهَ﴾. ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وقوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾.
يقال: أَرْحَفْتُ لِلْقَوْمِ إِذَا ثَبَّتَ لَهُمْ، فالمعنى: إِذَا وَاقَفْتُمُوهُمْ^(١) للقتال.
﴿فَلَا تُولَوْهُمْ الْأَدْبَارُ﴾.
أي لا تنهزموا حتى تُدْبِرُوا^(٢).

(١) واجهتموهم ووقفتم معهم في موقف واحد.

(٢) لا تستسلموا لدرجة تجعلكم تفرون وتولون الأعداء أدباركم.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مَنْتَحَرَفًا﴾.

يعني يوم حربهم، إلا متحرفاً. منصوب على الحال ويجوز أن يكون النصب في متحرف، ومتحيز على الاستثناء^(١)، أي إلا رجلاً متحيزاً، أي يكون منفرداً فينحاز ليكون مع المقاتلة.

وأصل مُتَحَيِّزٌ مُتَحَيِّزٌ^(٢) فأدغمت الياء في الواو.

وقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾.

ويقراً، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ، فمن شَدَّدَ نَصَبَ لَنَصَبٍ إِنَّ^(٣)، وَمَنْ خَفَفَ أبطل عملها ورفع قوله: اللَّهُ بالابتداء.

أضافَ اللَّهُ قتلهم إليه، لأنه هو الذي تَوَلَّى نَصْرَهُمْ، وَأَظْهَرَ فِي ذَلِكَ الآيات المعجزات.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾.

ليس هذا نَفْيَ رمي النبي ﷺ ولكن العرب خطبت بما تعقل.

ويروى أن النبي ﷺ قال لأبي بكر الصديق: ناولني كفاً من بَطْحَاء^(٤)، فناوله كفاً فرمى بها فلم يبق منهم أَحَدٌ - أعني من الْعَدُوِّ - إِلَّا شُغِلَ بعينه فأعلم الله - جَلَّ وَعَزَّ - أن كفاً من تُرابٍ أَوْ حَصَى لَا يَمْلَأُ عِيُونَ ذلك الجيش الكثير

(١) هو مستثنى على كلتا الحالتين والاختلاف في تقدير المستثنى منه، فعلى الأول هو مستثنى من عموم الأحوال، والتقدير ومن يؤلهم دبره في حال من الأحوال إلا في حال اتخاذ حرفة لغلبيتهم أو حال تحيز لطائفة - مسلمة وعلى التقدير الثاني يكون تركيب الجملة وأي رجل يؤلهم دبره إلا رجلاً له هذه الصفة.

(٢) لأنها من حاز يحوز، فالفعل واوي العين.

(٣) من شدد «لكن» الله قتلهم نصب لفظ الجلالة اسماً لها، ومن خفف «لكن» كانت مجرد حرف استدراك فيرفع ما بعدها بالابتداء.

(٤) أي ناولني حفنة من تراب هذه البطحاء، أي الأرض التي كانوا عليها.

بَرْمِيَّةَ بَشَرٍ، وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَوَلَّى إِصْصَالَ ذَلِكَ إِلَى أَبْصَارِهِمْ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾. أَي لَمْ يُصَبِّ رَمِيكَ ذَاكَ وَيَبْلُغُ ذَلِكَ الْمَبْلَغَ بِكَ، إِنَّمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَوَلَّى ذَلِكَ، فَهَذَا مَجَازٌ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَلْيُبَلِّغِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾.
أَي لِيَنْصُرَهُمْ نَصْرًا جَمِيلًا، وَيَخْتَبِرَهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ.
وَمَعْنَى يَبْلِيهِمْ هَهُنَا يُسَدِّي إِلَيْهِمْ.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾.
بِتَشْدِيدِ الْهَاءِ وَالنَّصْبِ فِي «كَيْدٍ» وَبِجُوزِ الْجَرِّ فِي «كَيْدٍ» وَإِضَافَةِ «مُوهِنٌ»
إِلَيْهِ. فِيهِ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ. فِي النَّصْبِ وَجْهَانِ، وَفِي الْجَرِّ وَجْهَانِ. وَمَوْضِعُ ذَلِكَ
رَفْعٌ، الْمَعْنَى الْأَمْرُ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ، وَالْأَمْرُ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ.
وقوله: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾.

مَوْضِعُ ذَلِكَ رَفْعٌ عَلَى إِضْمَارِ الْأَمْرِ، الْمَعْنَى: الْأَمْرُ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ، فَمَنْ
قَالَ: إِنَّهُ يَرْفَعُ ذَلِكَ بِمَا عَادَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَاءِ أَوْ بِالْإِبْتِدَاءِ وَجَعَلَ الْخَبَرَ فَذُوقُوهُ،
فَقَدْ أَخْطَأَ مِنْ قَبْلِ أَنْ مَا بَعْدَ الْفَاءِ لَا يَكُونُ خَبَرًا لِمَبْتَدَأٍ. لَا يَجُوزُ زَيْدٌ
فَمَنْطَلِقٌ، وَلَا زَيْدٌ فَاضْرِبُهُ، إِلَّا أَنْ تَضْمَرَ «هَذَا» تَرِيدُ هَذَا زَيْدٌ فَاضْرِبُهُ، قَالَ
الشَّاعِرُ: (١)

وَقَائِلَةُ خَوْلَانٌ فَانْكَحَ فَتَاتَهُمْ وَأَكْرَمُوهُ الْحَيِّينَ خَلَوْ كَمَا هِيَ

(١) لَمْ يَعْرِفْ قَائِلُهُ. وَهُوَ مِنَ الْخَمْسِينَ الَّتِي لَمْ يَعْرِفْ قَائِلُهَا مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبَوِيهِ، وَالْمَعْنَى رَبُّ قَائِلَةٍ
لِي تَزُوجَ هَذِهِ الْفَتَاةَ مِنْ قَبِيلَةِ خَوْلَانٍ، فَاجْتَبَتْ: هَذِهِ الْفَتَاةَ الْكَرِيمَةَ الْأَبَ وَالْأُمَّ خَلَوْ مِنَ الزَّوْجِ
وَهِيَ أَوْلَى بِأَنْ أَتَزَوَّجَهَا - وَخَوْلَانٌ حَيٌّ مِنَ الْيَمَنِ أَوْ قَبِيلَةٌ وَلِهَذَا يَرُودُ الْبَيْتُ: «فَانْكَحَ فَتَاتَهَا»
وَأَكْرَمُوهُ بِمَعْنَى مَكْرَمَةٍ، وَالْحَيَّانِ قَبِيلَةُ الْأَبِ وَقَبِيلَةُ الْأُمِّ. وَزِيَادَةُ الْفَاءِ هُوَ مَذْهَبُ الْأَخْفَشِ وَانْكَحَ
خَبَرٌ، وَبِجُوزِ عَلَى هَذَا نَصْبِ خَوْلَانٍ، وَمَذْهَبُ سَيَبَوِيهِ مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ وَالْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ
الْكَشَافِ، وَفِي الْخَزَانَةِ الشَّاهِدُ ٧٧ ص ٤١٠ / ح ١ (السُّلْفِيَّةُ).
وَابْنُ يَعِيشَ ٩٥/٨، وَشَوَاهِدُ الْمَغْنِيِّ ١٥٩.

وذكر بعضهم: أن تكون في موضع نصب على إضمار واعلموا أن للكافرين عذاب النار. ويلزم على هذا أن يقال: زيد منطلق وعمراً قائماً، على معنى وأعلم عمراً قائماً، بل يلزمه أن يقول عمراً منطلقاً، لأن المخبر مُعْلِمٌ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجُزْ إِضْمَارُ أَعْلَمَ ههنا، لأن كل كلام يُخْبِرُ به أو يستخبر فيه فأنت مُعْلِمٌ [به]. فاستغنى عن إظهار العلم أو إضماره.

وهذا القول لم يقله أحد من النحويين.
وقوله: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾.

معناه: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، ويجوز أن يكون معناه إن تستحكموا فقد جاءكم الحكم. وقد أتى التفسير بالمعنيين جميعاً.

رووا أن أبا جهل قال يوم بدر: «اللهم أقطعنا للرحم، وأفسدنا للجماعة فأحنه اليوم» فسأل الله أن يحكم بخين^(١) من كان كذلك، فنصر النبي ﷺ ونال الخين أبا جهل وأصحابه، فقال الله جل وعز:

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾: أي إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء.
وقيل إنه قال: اللهم انصر أحب الفئتين إليك، فهذا يدل على أن معناه: إن تستنصروا. وكلا الوجهين جيد.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.
يعنى به الذين قالوا: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا.

فسماهم الله جل ثناؤه لا يسمعون، لأنهم استمعوا استماع عداوة وبغضاء، فلم يفهموا، ولم يتفكروا، فكانوا بمنزلة من لم يسمع.

وقوله: ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ﴾.

(١) بموت ونهاية أقطعهم للرحم.

يعنى به هؤلاء الذين يسمعون ويفهمون فيكونون في ترك القبول بمنزلة من لم يسمع ولم يَعْقِل .

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ .
أي لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه .
ثم قال جلّ وعزّ:
﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ .
أي لو بين لهم كلّ ما يعتلج في نفوسهم لتولّوا - وهم مُعْرِضُونَ -
لمعاندتهم .

وقوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ .
أي لما يكون سبباً للحياة [وهو] العلم . وجائز أن يكون [لما يكون]
سبباً للحياة الدائمة، في نعيم الآخرة .

ومعنى استجيبوا في معنى أجيوا . قال الشاعر:
وداع دعا يا من يجيب إلى النداء فلم يستجبه عند ذاك مجيب^(١)
أي فلم يُجِبْه .

وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ .
قيل فيه ثلاثة أقوال، قال بعضهم يحول بين المؤمن والكفر، ويحول
بين الكافر والإيمان بالموت، أي يحول بين الإنسان وما يسوف به نفسه
بالموت، وقيل: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ معناه: واعلموا أن الله مع المرء في
القرب بهذه المنزلة . كما قال: جلّ وعزّ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ
الْوَرِيدِ﴾^(٢) وقيل إنهم كانوا يفكرون في كثرة عدوهم وقلة عددهم فيدخل في

(١) تقدم ص ٢٥٥ ج ١ .

(٢) سورة ق الآية ١٦ .

قلوبهم الخوف، فأعلم الله جل ثناؤه أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدله بالخوف الآمن، ويبدل عدوهم - بظنهم أنهم قادرون عليه - الجبن والخور^(١).

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

أي اتقوا أن يبدل الظالمون بنقمة من الله، يُعنى بهذا مردّه المنافقين الذين كانوا يصدّون عن الإيمان بالله.

وزعم بعض النحويين أن الكلام جزاء، فيه طرف من النهي، فإذا قلت: أنزل عن الدابة لا تطرحك ولا تطرحنك، فهذا جواب الأمر بلفظ النهي، فالمعنى: إن تنزل عنها^(٢) لا تطرحك فإذا أتيت بالنون الخفيفة أو الثقيلة كان أوكد للكلام، ومثله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾^(٣) إنها أمرت بالدخول ثم نهتهم أن يخطمهم سليمان فقالت: ﴿لَا يَخْطُمَكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾^(٣). فلفظ النهي لسليمان، ومعناه للنمل، كما تقول: لا أرينك ههنا، فلفظ النهي لنفسك ومعناه: «لا تكونن ههنا فإني أراك».

وقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾.

المعنى: وأذكر إذ يمكر بك الذين كفروا. فأذكره الله جل ثناؤه نعمة ما أنعم عليه من النصر والظفر يوم بدر ذلك فقال ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي اذكر تلك الخلال.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

لأن مكر الله إنما هو مجازاة ونصر للمؤمنين، فالله خير الماكرين.

(١) يبدل عدوهم الجبن والضعف بما يلقي في قلوبهم من الرعب.

(٢) في الأصل عنه، وبقية الكلام بصيغة المذكر، وهو غير مناسب.

(٣) سورة النمل الآية ١٨.

﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

وقد دُعُوا بِأَن يَأْتُوا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مِثْلِ الْقُرْآنِ فَلَمْ يَأْتُوا.
وقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.
واحدتها أسطورة، يعنون ما سَطَّرَهُ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْأَكَاذِيبِ.
ثم قالوا:

﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾.

القراءة على نصب «الحق» على خَبَرِ «كَانَ» وَدَخَلَتْ «هُوَ» لِلْفَصْلِ^(١). وقد
شرحنا هذا فيما سلف من الكتاب.

وَأَعْلَمَ أَنَّ «هُوَ» لَا مَوْضِعَ لَهَا فِي قَوْلِنَا، وَأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ «مَا» الْمُؤَكَّدَةِ،
وَدَخَلَتْ لِيُعْلَمَ أَنَّ الْحَقَّ لَيْسَ بِصِفَةٍ لِهَذَا أَوْ أَنَّهُ خَبَرٌ، وَيَجُوزُ هُوَ الْحَقُّ مِنْ
عِنْدِكَ^(٢) وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا قَرَأَ بِهَا. وَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ النُّحَوِيِّينَ فِي إِجَازَتِهَا وَلَكِنْ
الْقِرَاءَةُ سُنَّةٌ لَا يَقْرَأُ فِيهَا إِلَّا بِقِرَاءَةِ مَرْوِيَّةٍ.

وقوله: ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.
المعنى: واذكر إذ قالوا هذا القول، وقالوا على وجه الدفع له^(٣) وقالوه
والنبي ﷺ بين أظهرهم. فَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُعَذِّبْهُمْ وَرَسُولُهُ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ.
فَقَالَ:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

(١) لو أن الجملة كانت بغير ضمير فصل «ان كان هذا الحق» لكان محتملاً أن يلتبس كلمة «الحق»
بأنها بدل من اسم الإشارة، أما مع ضمير الفصل فلا ليس.

(٢) يخرج هذا على أن هو «مبتدأ» والحق خبر - والجملة خبر «هذا».

(٣) على وجه إنكار أن القرآن حق.

يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١﴾ أَيَّ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤُولُ أَمْرُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ .

قال: ﴿وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ .

المعنى : أي شيء لهم في ترك العذاب ، أي في دفعه عنهم .

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ .

المعنى : وهم يَصُدُّونَ عن المسجد الحرام أولياءه^(١) وما كانوا أولياءه .

﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمَتَّقُونَ﴾ .

المعنى : ما أولياؤه إلا المتقون .

فأعلم الله النبي ﷺ أنه لم يكن ليعذبهم بالعذاب الذي وقع بهم من القتل والسبي وهو بين أظهرهم ، ولا ليوقع ذلك العذاب بمن يؤول أمره إلى الإسلام منهم ، وأعلمه أنه لا يدفع العذاب عن جملتهم الذي أوقعه بهم ، ثم أعلم أنهم ما كانوا مع صَدِّهِمْ أَوْلِيَاءَ^(٢) المسجد الحرام وأَوْلِيَاءَ اللَّهِ ، إنما كان^(٣) تَقَرُّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ بالصغير والتصفيق فقال جَلَّ وَعَزَّ :

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ .

فالمكاء الصغير ، والتصدية التصفيق .

وقوله : ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ .

أي ليميز ما أنفقه المؤمنون في طاعة الله مما أنفقه المشركون في معصية الله ، ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ﴾ [فَيَرْكُمُهُ جَمِيعاً] .

(١) أي مفعول يصدون محذوف ، قدره بكلمة «أولياءه» أي هم يصدون المسلمين عنه وهم أولى به ، وجعل المفعول المحذوف عاماً أولى أي هم يصدون الناس عنه وهم ليسوا أولياءه ، أي لا حق لهم في هذا الصد .

(٢) لم يكونوا بارين به إذ صدوا الناس عنه .

(٣) في الأصل إنما كانوا تقربهم - وهو مستقيم إذ يكون الخبر جملة .

وَالرَّكْمُ أَنْ يَجْعَلَ بَعْضُ الشَّيْءِ عَلَى بَعْضٍ، وَيُقَالُ رَكِمْتُ الشَّيْءَ أَرَكُمُهُ رَكْمًا، وَالرُّكَامُ الْأَسْمُ.

﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾.

أَيُّ يَجْعَلُ بَعْضُ مَا أَنْفَقَهُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى بَعْضٍ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِمْ فِي النَّارِ، فَيَكُونُ مِمَّا يُعَذِّبُونَ بِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾.

وقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

أَيُّ حَتَّى لَا يُفْتَنَ النَّاسُ فِتْنَةً كُفِّرَ، وَيَدُلُّ عَلَى مَعْنَى فِتْنَةٍ كُفْرٌ^(١) قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾.

المعنى: فَإِنْ أَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعَدَاوَتِهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ، أَيُّ هُوَ الْمَوْلَى لَكُمْ، فَلَا تَضُرُّكُمْ مَعَادَاتِهِمْ.

وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

كثُرَ اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ وَالْعَمَلُ بِهَا وَجُمَلْتُهَا أَنَّهَا مَالٌ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ فِيهَا الْفُرُوضُ، وَالْأَمْوَالُ الَّتِي جَرَى فِيهَا ذِكْرُ الْفُرُوضِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَمَنْ أَشْبَهُهُمْ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ، سَمَى اللَّهُ كُلَّ صَنْفٍ مِنْهَا، فَسَمَى مَا كَانَ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي يَأْخُذُهَا الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي حَالِ الْحَرْبِ أَنْفَالًا وَعَنَائِمَ، وَسَمَى مَا ضَارَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ مِمَّا لَمْ يُؤْخَذْ فِي الْحَرْبِ مِنَ الْخَرَاجِ وَالْجَزْيَةِ فَيْثًا، وَسَمَى مَا خَرَجَ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ

(١) عَلَى أَنَّ الْفِتْنَةَ هُنَا يَرَادُ بِهَا الْكُفْرُ.

كالزكاة، وما نذروا من نذر، وتقربوا به إلى الله جلّ وعزّ صدقةً، فهذه جملة تسمية الأموال.

ونحن نبين في هذه الآية ما قاله جمهور الفقهاء وما توجه اللغة إن شاء الله.

قال أبو إسحاق: أجمعت الفقهاء أن أربعة أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة، والخمس الذي سُمّي في قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ إلى آخر الآية في الاختلاف^(١).

فأما الشافعي فذكر أن هذا الخمس مقسوم على ما سمي الله جلّ وعزّ من أهل قسمته وجعل قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ افتتاح كلامٍ.

قال أبو إسحاق، وأحسب معنى «افتتاح كلام» عنده في هذا أن الأشياء كلها لله عزّ وجلّ، فابتدأ وافتتح الكلام^(٢).

فإن قال قائل: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ كما قال ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، ثم قسّم هذا الخمس على خمسة أنصباء، خمس للنبي ﷺ وخمس ليتامى المسلمين لا ليتامى آل النبي ﷺ وخمس في المساكين - مساكين المسلمين لا مساكين النبي ﷺ، وخمس لابن السبيل، ولا يرى الشافعي أن يترك صنفاً من هذه الأصناف يغير حظ في القسمة^(٣).

قال أبو إسحاق: وبلغني أنه يرى أن يُفْضَلَ بعضهم على بعض على قدر الحاجة، ويرى في سهم الرسول أن يُصْرَفَ إلى ما كان النبي ﷺ يصرفه فيه، والذي رُوِيَ أنه كان يصرف الخمس في عُددٍ للمسلمين نحو اتخاذ

(١) أي محل خلاف بين الفقهاء.

(٢) إذ لا تصلح كلمة فإن لله أن تكون أول جملة. فالخبر محذوف.

(٣) لم يأت جواب الشرط في «فإن قال قائل» ولم يذكر غير أربعة أخماس لأنه ترك ذوي القربى.

السلاح الذي تقوى به شوكتهم. فهذا مذهب الشافعي وهو على لفظ ما في الكتاب^(١).

فأما أبو حنيفة - ومن قال - بقوله - فيقسم هذا الخمس على ثلاثة أصناف، يسقط ما للرسول من القسمة، وما لذوي القربى، وحجته في هذا أن أبا بكر وعمر لم يعطيا سهم ذوي القربى، وأن سهم النبي ﷺ ذهب بوفاته، لأن الأنبياء لا تورث. فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل على قدر حاجة كل فريق منهم ويعطي بعضاً دون بعضٍ منهم خاصة، إلا أنه لا يخرج القسم عن هؤلاء الثلاثة.

وأما مذهب مالك فيروى أن قوله في هذا الخمس، وفي الفيه أنه إنما ذكر هؤلاء المسمون لأنهم من أهم من يدفع إليهم، فهو يجيز أن يقسم بينهم، ويجيز أن يعطي بعضاً دون بعض، ويجوز أن يخرجهم من القسم إن كان أمر غيرهم أهم من أمرهم، فيفعل هذا على قدر الحاجة.

وحجته في هذا أن أمر الصدقات لم يزل يجري في الاستعمال على ما يراه الناس. وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا، وَالْمَوْلُوفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(٢). فلو أن رجلاً وجبت عليه خمسة دراهم^(٣) لأخرجها إلى صنف من هذه أو إلى ما شاء من هذه الأصناف، ولو كان ذكر التسمية بوجب الحق للجماعة لما جاز أن يخص واحد دون غيره، ولا أن ينقص واحد بما يعطى غيره^(٤).

(١) على لفظ ما في القرآن، وقد ترك ذوي القربى ولعله سهو.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٠.

(٣) في الأصل: خمسة درهم.

(٤) أي كان يجب أن تعطى كل زكاة للأنواع الثمانية بالتساوي.

قال أبو إسحاق: مِنْ حُجَجِ مَالِكٍ فِي أَنْ ذَكَرَ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا وَقَعَ لِلْخُصُوصِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(١). فذكر جملة الملائكة، فقد دخل جبريل وميكايل في الجملة وذُكِرَا بِأَسْمَائِهِمْ لْخُصُوصِهِمَا، وكذلك ذكر هَؤُلَاءِ فِي الْقِسْمَةِ وَالْفِيءِ وَالصَّدَقَةِ، لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْمِ مَنْ يَصْرَفُ إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ مِنَ الْبَرِّ وَالصَّدَقَةِ.

قال أبو إسحاق: وَمِنَ الْحُجَّةِ لِمَالِكٍ أَيْضاً قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾^(٢)، فَلِلرَّحْلِ أَنْ يَنْفَقَ فِي الْبَرِّ عَلَى هَذِهِ الْأَصْنَافِ وَعَلَى صَنْفٍ مِنْهَا، وَلَهُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ.

قال أبو إسحاق: هَذَا جَمْلَةٌ مَا عَلَّمْنَاهُ مِنْ أَقْوَالِ الْفُقَهَاءِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾. ويجوز أَنْ يَكُونَ «إِنْ كُنْتُمْ» مُعْلَقَةً بِقَوْلِهِ: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرُ... إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ﴾ فَأَيَّقِنُوا أَنَّ اللَّهَ نَصَرَكُمْ إِذْ كُنْتُمْ قَدْ شَاهَدْتُمْ مِنْ نَصْرِهِ مَا شَاهَدْتُمْ.

وبيجوز أَنْ يَكُونَ «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ» مَعْنَاهَا: اْعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ يَأْمُرَانِ فِيهِ بِمَا يَرِيدَانِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَاقْبَلُوا مَا أَمَرْتُمْ بِهِ فِي الْغَنِيمَةِ.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾. هو يَوْمُ بَدْرٍ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَظْهَرَ فِيهِ مَنْ نَصَرَهُ بِإِرْدَافِ الْمَلَائِكَةِ

(١) سورة البقرة ٩٨.

(٢) سورة البقرة - ٢١٥.

والإمداد بهم للمُسْلِمِينَ مَا كَانَ فِيهِ فُرْقَانٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، ثُمَّ أَكَّدَ التَّبَيِّنَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا﴾ .

أي الدنيا منكم^(١) ، والعدوة شفير^(٢) الوادي ، يقال : عدوة ، وعدوة وعدى الوادي مقصور ، فالمعنى إذ أنتم بالعدوة الدنيا ، أي بشفير الوادي الذي يلي المدينة .

﴿وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَى﴾ .

بشفير الوادي الذي يلي مكة .

﴿وَالرُّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ .

الرُّكْبُ العير التي كان فيها أبو سفيان على شاطئ البحر .

فَاعْلَمْ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ نَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَمَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِرْقَانُ^(٣) .

قال أبو إسحاق : قد بينا أنه كان زملاً تسوخ فيه الأرجل ، ولم يكونوا على ماء ، وكان المشركون نازلين على موضع فيه الماء ، وهم مع ذلك يُحَامُونَ عن العير ، فهو أشدُّ لِسُوكَتِهِمْ ، فجعل الله جَلَّ وَعَزَّ النصر في هذه الحال ، مع قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين وشدة سُوكَتِهِمْ ، فُرْقَاناً .

ويجوز في قوله : ﴿وَالرُّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ [وجهان] ، الوجه أن تنصب ﴿أَسْفَلَ﴾ ، وعليه القراءة ، ويجوز أن ترفع أسفل على أنك تريد والرُّكْبُ أَسْفَلُ مِنْكُمْ أي أشدَّ تَسْفُلاً^(٤) . ومن نصب أراد والرُّكْبُ مكاناً أسفل منكم .

(١) القرية منكم .

(٢) شاطئ الوادي وجانبه .

(٣) في الأصل «فرقناً» .

(٤) الكلمة ليست ظرفاً في هذه الحالة .

وقوله: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ﴾.

جعل الله عز وجل القاصد للحق بمنزلة الحي، وجعل الضال بمنزلة الهالك، ويجوز حيي بياءين، وحي بياءٍ مشددة مُدْغمة، وقد قرئ بهما جميعاً. فأما الخليل وسيبويه فيجيزان الإدغام والإظهار إذا كانت الحركة في الثاني لازمة، فأما من أدغم فلا اجتماع حرفين من جنس واحد. وأما من أظهر فلأن الحرف الثاني ينتقل عن لفظ الباء، تقول حيي يحيي، والمحيا والممات. فعلى هذا يجوز الإظهار. فأما قوله عز وجل: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(١) وقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾^(٢). فلا يجوز فيه عند جميع البصريين إلا يحيي بياءين ظاهرتين وأجاز بعضهم^(٣). يحيي بياء واحدة مشددة مُدْغمة، وذكر أن بعضهم أنشد:

وكانها بين النساء سبيكة تمشي بسدة بئتها فتعي^(٤)

ولو كان هذا المنشد المستشهد أعلمنا من هذا الشاعر، ومن أي القبائل هو وهل هو ممن يؤخذ بشعره أم لا ما كان يضره ذلك. وليس ينبغي أن يُحمل كتاب الله على «أنشدني بعضهم» ولا على بيت شاذ لو عرف قائله وكان ممن يؤخذ بقوله لم يجز.

وهذا عندنا لا يجوز في كلام ولا شعر، لأن الحرف الثاني إذا كان

(١) سورة يونس، ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾، الآية ٥٦.

(٢) سورة القيامة الآية ٤٠.

(٣) أجاز ذلك الفراء وبعض الكوفيين - واحتجوا بالبيت الآتي:

(٤) كأنها بين النساء قطعة من الذهب المذاب صبت في قالب، وسدة البيت فناؤه. يصفها، على عادة العرب بالكسل والتراخي لامتلاء جسمها فهي تعى إذ تمشي بفناء بيتها، أي يرهقها قليل المشي لترفها، وتعى من أعيا إذا ضعف ووهن.

والبيت في معاني الفراء ٣ - ٢١٣ - وانظر البحر المحيط ٨ - ٣٩١.

وكلام الزجاج بعد هذا موجه للفراء لا احتجاجه ببيت لم يعرف قائله.

يسكن من غير المعتل نحو: «لَمْ يَوَدَّ» فالاختيار إظهار التضعيف، فكيف إذا كان من المعتل.

وقوله: ﴿إِذْ يَرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾.

رويت عن الحسن أن معناها في عينك التي تنام بها. وكثير من أصحاب النحو يذهبون إلى هذا المذهب، ومعناه عندهم: إِذْ يَرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَوْضِعِ مَنَامِكَ أَيِ بَعَيْنِكَ ثُمَّ حَذَفَ الْمَوْضِعُ، وَأَقَامَ الْمَقَامَ مَكَانَهُ، وَهَذَا مَذْهَبُ حَسَنٍ. ولكنه قد جاء في التفسير أن النبي ﷺ رَأَاهُمْ فِي النَّوْمِ قَلِيلًا^(١)، وقص الرؤيا على أصحابه فقالوا: صَدَقْتَ رُؤْيَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَذَا الْمَذْهَبُ أَسْوَغُ فِي الْعَرَبِيَّةِ، لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ: وَإِذْ يُرِيكُهُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا، وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَذَلَّ بِهَذَا أَنَّ هَذَا رُؤْيَا الْإِلْتِقَاءِ، وَأَنَّ تِلْكَ رُؤْيَا النَّوْمِ.

ويجوز على هذا المذهب الأول أن يكون الخطاب الأول للنبي ﷺ وأن الخطاب الثاني لجميع من شاهد الحرب وللنبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ﴾.

أي لتأخرتم عن حربهم وكِعْتُمْ^(٢) وَجِبْتُمْ، يقال فشَل فشلاً إذا جَبَنَ وَهَابَ أَنْ يَتَقَدَّمَ.

وقوله: ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

عنى أن هؤلاء لا يؤمنون أبداً، كما قال لنوح: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾^(٣).

وقوله: ﴿فَإِذَا تَفَقَّهْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾.

(١) رأى عددهم قليلاً رؤياً نوم.

(٢) أي جبستم من كما يكعوا والأكعاء الجبناء، والكاعى المنهزم.

(٣) سورة هود الآية ٣٦.

معناه افعل بهم فعلاً من القتل تفرق به من خلفهم .
وقوله عز وجل : ﴿ تَتَقَفَّنَهُمْ ﴾ معناه تصادفهم وتلقينهم .
وقوله عز وجل : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ .
أي نقضاً للعهد .

﴿ فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ .
أي انبذ عهدهم الذي عاهدتهم عليه أي أرم به .
على سواء ، أي لتكون وهم سواء في العداوة .
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ .
أي الذين يخونون في عهدهم وغيره .
وقوله : ﴿ كَذَّابٌ أَزِلٌ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ .

معناه عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم ، فجوزي هؤلاء
بالقتل والسبي كما جوزي آل فرعون بالإغراق والإهلاك ، كذا قال بعض أهل
اللغة ، في الدأب أنه العادة .

وقال أبو إسحاق : وحقيقة الدأب إدامة العمل ، تقول : فلان يدأب في
كذا وكذا أي يداوم عليه ويواظب ، ويُتعب نفسه فيه . وهذا التفسير معنى
العادة إلا أن هذا أبين وأكشف .

وقوله : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .
موضع «إذ» نصب ، المعنى اذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم .
﴿ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ﴾ .

تمثل لهم إبليس في صورة رجل يقال له سراقه بن مالك بن جعشم من
كنانة^(١) ، وقال لهم : لَنْ يَغْلِبَكُمْ أَحَدٌ ، وَأَنَا جَارٌ لَكُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ، ﴿ فَلَمَّا
تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ ﴾ .

(١) هو سراقه صاحب قصة الهجرة الشهيرة ، إذ طارد النبي ﷺ وأبا بكر وكاد يمسك بهما ليظفر =

تَوَافَقَتَا حَتَّى رَأَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ الْأُخْرَى، فَبَصُرَ إِبْلِيسُ بِالْمَلَائِكَةِ تَنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ فَانْكَصَ عَلَى عَقْبِيهِ.

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾.

وذلك أنه عَنَّفَ لَهُرَبِهِ، فقال:

﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

ومعنى نكص رجع بخزي، فإن قال قائل: كيف يقول إبليس: إني أخاف الله وهو كافر. فالجواب في ذلك أنه ظن الوقت الذي أنظر إليه قد حصر. وقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾.

معناها: لا يحسبن من أفلت من هذه الحرب قد سبق إلى الحياة. والقراءة الجيدة لا تحسبن بالتاء على مخاطبة النبي ﷺ وتكون «تحسبن» عاملة في الذين، ويكون «سبقوا» الخبر^(١).

ويجوز فتح السين وكسرها^(٢)، وقد قرأ بعض القراء، ولا يحسبن الذين كفروا، بالياء ووجهها ضعيف عند أهل العربية إلا أنها جائزة على أن يكون المعنى، ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا، لأنها في حرف ابن مسعود أنهم سبقوا، فإذا كانت كذلك فهو بمنزلة قولك: حسبت أن أقوم وحسبت أقوم على حذف أن، وتكون أقوم وقام تنوب عن الاسم والخبر كما أنك إذا قلت: ظننت لزيد خير منك. فقد نابت الجملة عن اسم الظن وخبره وفيها وجه آخر: ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا.

= بجائزة قريش. ودعا عليه رسول الله فساجت أقدام فرسه، فتطير وطلب منه الخلاص على ألا يدل عليه ففعل وكتب له أمانا، وقال له: كيف بك إذا لبست سواري كسرى - وقد كان سواره وتاجه ومنطقته من نصيب كسرى في موقعة القادسية، ألبيه عمر إياها. أسلم سراقه يوم الفتح ومات سنة ٢٤ هـ.

(٢) في «يحسبن».

(١) المفعول الثاني.

ويجوز فيها أوجهٌ لم يُقرأ بها، ويجوز «ولا يُحَسِّنَ الذين كفروا سبقوا» و «لا يَحَسِّنَ الذين كفروا»، أي لا يحسب المؤمنون الذين كفروا سبقوا.

ولكن القراءة سنة، لا يُقرأ إلا بما قرأت به القراء.
ويجوز إنهم بكسر إن، ويجوز أنهم، فيكون المعنى: ولا يَحَسِّنَ الَّذِينَ كفروا أنهم يعجزون، ويكون أن بدلاً من سبقوا.

قال أبو إسحاق: هذا الوجه ضعيف، لأن «لا» لا تكون لغواً في موضع يجوز أن تقع فيه غير لغو.

وقوله: ﴿يُعْجِزُونَ﴾ فتح النون الاختيار، ويجوز كسرهما على أن يكون المعنى أنهم لا يعجزونني، بحذف النون الأولى لاجتماع النونين. قال الشاعر: ^(١)

رأته كالنعام يُعلُّ مسكاً يسوء الغاليات إذا فليني
يريد فلينتني.

وقوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ. اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.
﴿آخِرِينَ﴾ عطف على قوله ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾. أي وترهبون آخرين من دُونِهِمْ.

وقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾.
السلم: الصلح والمسالمة، يقال: سَلِمَ وَسَلَّمَتْ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ،
أي إن مالوا إلى الصلح فَمِلْ إِلَيْهِ.
﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾.

أي إن أرادوا بإظهار الصلح خديعتك، ﴿فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ﴾.

(١) تقدم في الجزء الأول ٢١٦ - ويروى «تراه».

أَيِّ فَإِنَّ الَّذِي يَتَوَلَّى كَفَايَتِكَ اللَّهُ .
﴿وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

موضع «مَنْ» نَصَبٌ وَرَفْعٌ، أَمَّا مَنْ نَصَبَ فَعَلِي تَأْوِيلُ الْكَافِ، الْمَعْنَى فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِيكَ وَيَكْفِي مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ رَفَعَ فَعَلِي الْعُطْفَ عَلَى اللَّهِ وَالْمَعْنَى : فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ وَتَّبَاعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ﴾ .

وَمَعْنَى أَيْدَكَ قَوَاكَ .

﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَالْفِئَةِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ .

أَيَّ جَمْعُهُمْ عَلَى الْمَوَدَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ .

[جَمِيعًا] مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ .

﴿مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ .

أَعْلَمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنَّ تَأْلِيفَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْآيَاتِ الْعِظَامِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بُعِثَ إِلَى قَوْمٍ أَنْفَقَتْ شَدِيدَةً، وَنَصْرُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَمَعَاوَنَتُهُ أُبْلَغُ نَصْرَةٍ وَمُعَاوَنَةٍ، كَانَ يُلَطِّمُ مِنَ الْقَبِيلَةِ لَطْمَةً فَيَقَاتِلُ عَنْهُ حَتَّى يُدْرِكَ ثَأْرَهُ، فَالْفَ الْإِيمَانُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ حَتَّى قَاتَلَ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ وَابْنَهُ^(١)، فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ هَذَا مَا تَوَلَّاهُ مِنْهُمْ إِلَّا هُوَ .

وَقَوْلُهُ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ .

تَأْوِيلُهُ حُثُّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ .

وَتَأْوِيلُ التَّحْرِيزِ فِي اللُّغَةِ أَنَّ يَحِثُّ الْإِنْسَانَ عَلَى الشَّيْءِ حَتَّى يَعْلَمَ مَعَهُ أَنَّهُ حَارِضٌ إِنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، وَالْحَارِضُ الَّذِي قَدْ قَارَبَ الْهَلَكَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

(١) أَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ وَاحِدَةً حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ يَحَارِبُ ذَوِيهِ إِقْبَاءً عَلَى وَاحِدَةِ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾^(١) أي حتى تَذُوبَ غَمًّا فتقارب الهلاك فتكون من الهالكين .

وقوله : ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ .
لا يجوز إلا كسر العين . وزعم أهل اللغة أن أول عشرين كُسِرَ كما كُسِرَ أول اثنين ، لأن عِشْرِينَ من عَشْرَةٍ مثل اثنين من واحدٍ . ودليلهم على ذلك فتحهم ثلاثين كفتح ثلاثة ، وكسرة تسعين ككسرة تسعة .

وقوله : ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ .
قرئت على ثلاثة أوجهٍ : قرئت ضَعْفًا بفتح الضاد ، وضَعْفًا بضم الضاد والمعنى واحدٌ ، يقال هو الضَّعْفُ والضُّعْفُ ، والمَكْتُ والمَكْتُ ، والفَقْرُ والفَقْرُ ، وباب فَعَلَ وفُعِلَ بمعنى واحدٍ في اللغة كثير .

وقرأ بعض الشيخة : وعلم أن فيكم ضُعَفَاءَ على فُعَلَاءَ^(٢) ، على جمع ضعيف وضُعَفَاءَ ولم يَصْرَفْ^(٣) ولم يُنَوَّنْ لأن فُعَلَاءَ في آخرها ألف التانيث .
﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةً﴾ .

وقرئت «فإن تكن» بالتاء ، فمن أنث فلأن لفظ المائة مؤنث ، ومن ذكر فلأن المائة وقعت على عددٍ مذكر .

وقوله : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ .
ويقرأ أُسَارَى ، فمن قرأ أَسْرَى فهو جمع أسير وأسْرَى .
وفعلَى جمعٌ لكل ما أُصِيبُوا به في أبدانهم وعُقُولهم ، يقال : هالك وهلكى ، ومريض ومرضى ، وأحمق وحمقى ، وسكران وسكرى .

(١) سورة يوسف الآية ٨٥ .

(٢) هذا هو الوجه الثالث .

(٣) أي هو ضُعَفَاء - حذفت منه الهمزة ، وهو ممنوع من الصرف لألف التانيث .

ومن قرأ أسارى فهو جمع الجمع ، تقول أسير وأسارى .
قال أبو إسحاق : ولا أعلم أحداً قرأها أسارى . وهي جائزة ولا تقرأن بها
إلا أن تثبت رواية صحيحة .

﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ .
معناه حتى يبالغ في قتل أعدائه ، ويجوز أن يكون حتى يتمكن في
الأرض . والإثخان في كل شيء قوة الشيء وشدته يقال قد أثختته .

ومعنى : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ .
أي بعضهم في الموارث أولى ببعض .
وهذه الموارث في الولاية بالهجرة منسوخة ، نسخها ما في سورة النساء
من الفرائض .

وقوله : ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ .
معناه تذهب صولتكم وقوتكم ، ويقال في الدول : الرِّيحُ مَعَ فُلَانٍ ، أي
الدَّوْلَةُ .

سورة براءة

قوله جَلَّ وَعَزَّ ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

سئل أبيُّ بن كعب: ما بال براءة لم تفتح ببسم الله الرحمن الرحيم.

فقال: لأنها نزلت في آخر ما نزل من القرآن، وكان رسول الله ﷺ يأمر في أول كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم: ولم يأمر في سورة براءة بذلك فَضُمَّتْ إلى سورة الأنفال لشبهها بها.

يعني أن أَمَرَ العهودَ المذكور في [سورة] الأنفال وهذه نزلت بنقض العهود فكانت ملتبسة بالأنفال في الشبه^(١).

قال أبو إسحاق: أخبرنا بعض أصحابنا عن صاحبنا أبي العباس محمد ابن يزيد المبرد أنه قال: لم تفتح بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»، لأن «بسم الله» افتتاح للخير. وأول «براءة» وعيد ونقض عهود، فلذلك لم تفتح ببسم الله الرحمن الرحيم.

و«براءة» نزلت في سنة تسع من الهجرة، وافتتحت مكة في سنة ثمان. وَوَلَّى رسولُ الله ﷺ عَتَابَ بنَ أُسَيْدٍ^(٢) للوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في

(١) مرتبطة بها لما بينهما من الشبه.

(٢) عتاب هو أبو عبد الرحمن أموي من عبد شمس، أسلم يوم الفتح وولاه رسول الله مكة حين خرج لحنين، وثبته أبو بكر وقد حدث أنه لما أراد علي بن أبي طالب أن يزوج بنت أبي جهل أن أسرع عتاب فتزوجها فولدت له عبد الرحمن وبه يكنى الإصابتة ت ٥٣٩١.

تلك السنة في الموقف ومعالم الحج وأسبابه المسلمون والمشركون، فلما كان في سنة تسع ولى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أبا بكر الصديق الوقوفَ بالناس وأمر بتلاوة براءة، وولى تلاوتها علياً^(١) وقال في ذلك: لن يُبْلَغَ عني إلا رجُلٌ مني، وذلك لأنَّ العربَ جرت عاداتها في عقد عقودها ونقضها أن يتولى ذلك على القبيلة رجُلٌ منها، فكان جائزاً^(٢) أن يقول العربُ إذا تلى عليها نقض العهد من الرسول:

هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود، فأزاح رسول الله ﷺ هذه العلة، فُتْلِيَتْ براءة في الموقف:

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي قد برئ من إعطائهم العهود والوفاء لهم، ذلك أن نكثوا^(٣).

﴿بَرَاءَةٌ﴾ مرتفعة على وجهين أحدهما على خبر الابتداء، على معنى هذه الآيات براءة من الله ورسوله، وعلى الابتداء، يكون الخبر ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ لأن براءة موصولة بيمين^(٤)، وصار كقولك: القصد إلى زيد، والتبرؤ إليك، وكلاهما جائز حسن، يقال برئت من الرجل والدين براءة، وبرئت من المرض وبرأت أيضاً برءاً، وقد رَوَوْا برأت أبرؤ برؤاً، ولم نجد فيما لأمه همزة فعلت أفعل، نحو قرأت أقرأ، وهنأت البعير أهئؤه^(٥).

(١) أرسل النبي علياً بها بعد أن فصل أبو بكر بالحجيج ليتلوها على الناس لأن إبرام العقود ونقضها لا يكون إلا من كبير الجماعة أو أحد أقاربه.

(٢) متوقفاً محتملاً إذا قرأه أبو بكر.

(٣) أي بأنهم نكثوا العهد - نكثت بعض القبائل فبرئ منها - وبقي بعض على عهده وهم الذين استثنوا في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ﴾.

(٤) أي هي نكرة موصوفة يجوز الابتداء بها.

(٥) لا يوجد هذا في اللغة.

وقد استقصى العلماء باللغة هذا فلم يجدوه إلا في هذا الحرف^(١).
ويُقال بِرَيْتَ الْقَلَمَ - وكل شيءٍ نَحْتُهُ - أَبْرِيهِ بَرِيًّا، غير مهموز، وكذلك
بَرَاءُ السَّيْرِ غير مهموز، والبُرَّةُ حَلَقَةٌ من حَدِيدٍ في أنفِ الناقة، فإذا كانت من
شعر فهي خِزَامَةٌ.

والذي في أنف البعير من خَشَبٍ يقال له الخِشَاش، يقال أَبْرَيْتِ الناقة
أَبْرِيهَا بَرَاءً إِذَا جَعَلْتَ لَهَا بُرَّةً.

ولا يقال إلا بِالْأَلْفِ أَبْرَيْتُ، ومن الخِزَامَةِ خَزَمْتُ - بغير ألف - وكذلك
من الخِشَاشِ خَشَشْتُ، والبُرَّةُ الخلخال من هذا، وتجمع البرة بُرَيْنَ والبُري.

وقوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾.

أي اذهبوا؛ وأقبلوا وأدبروا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾.

[أي] وإن أَجَلْتُمْ هذه الأربعة الأشهر فلن تفوتوا الله ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي

الكَافِرِينَ﴾.

الأَجُودُ فتح «أ» على معنى اعلموا أَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الكافرين، ويجوز
كُسْرُهَا على معنى الاستئناف، وهذا ضمان من اللَّه عزَّ وجلَّ بِنَصْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ
على الكافرين.

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

عطفٌ على ﴿بَرَاءَةٌ﴾ ومعناه: وإعلان من اللَّه ورسوله، يقال أذنته بالشَّيءِ

إِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهِ.

﴿إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

قيل يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ هو يوم عرفة، والحجُّ الْأَكْبَرُ الْوُقُوفُ بعرفة، وقيل
الحجُّ الْأَصْغَرُ الْعِمْرَةُ.

(١) أي برأت أبرؤ فقط.

والإجماع أنه من فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج، وقال بعضهم إنما سمي يوم الحج الأكبر لأنه اتفقت فيه أعياد أهل المِلَّة، كان اتفاق في ذلك اليوم عيدُ النصرى واليهود والمجوس. وهذا لا يُسمى به يومُ الحج الأكبر، لأنه أعيادُ غير المسلمين، إنما فيها تعظم كفر بالله، فليست من الحج الأكبر في شيء.

إجماع المسلمين على أن الوقوف بعرفة أكبرُ الحج.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

«الذين» في موضع نصب، أي وقعت البراءة من المعاهدين الناقضين للعهد.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾.

أي ليسوا داخلين في البراءة ما لم ينقضوا العهد.

وقوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

أي اقتلوا هؤلاء الذين نقضوا العهد، ونُقِضَ عَهْدُهُمْ وَأَجَلُوا هذه المدة.

ويقال إن الأربعة الأشهر كانت عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيعاً الأول، وعشراً من ربيع الآخر، لأن البراءة وقعت في يوم عرفة، فكان هذا الوقت ابتداءً الأجل.

﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾.

قال أبو عبيدة: المعنى كل طريق. قال أبو الحسن الأخفش «على»

محذوفة، المعنى اقعدوا لهم على كل مَرَصَدٍ وأنشد:

نُغَالِي اللحمَ لِلأَضْيَافِ نِيئاً وَنُرْخِصُهُ إِذَا نَضَجَ الْقُدُورُ^(١)

(١) تقدم - ص ١٠ - ص ٢١٠

المعنى نغالي باللحم، فحذف الباء ههنا، وكذلك حذف «على» .
قال أبو إسحاق: كل مَرَصَد ظرف، كقولك ذهب مَذْهَباً .

وذهبت طريقاً، وذهبت كل طريق . فلست تحتاج أن تقول في هذا إلا
ما تقوله في الظروف مثل خلف وأمام وقدام .

وقوله: ﴿فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ .

أي إن تابوا وآمنوا فهم مثلكم، قد درأ عنهم إيمانهم وتوبتهم إثم كفرهم
ونكثهم العهود .

وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ
اللَّهِ﴾ .

المعنى إن طلب منك أحد منهم أن تجيره من القتل إلى أن يسمع كلام
الله، فأجِرْهُ ثم أبلغه مأمَنَهُ .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

أي الأمر ذلك، أي وجب أن يعرفوا وأن يُجَازُوا بجهلهم وبما يتبينون
الإسلام .

وأما الإعراب في أحد مع «إن» فالرفع بفعل مُضْمَر الذي ظهر يفسره .
المعنى وإن استجارك أحد .

ومن زعم أنه يرفع أحداً بالابتداء فخطأ^(١) .

لأن الجزاء لا يتخطى ما يرفع بالابتداء ويعمل فيما بعده^(٢) .

(١) «إن» مختصة بالأفعال، فلا بد من تقدير فعل قبل أحد .

(٢) يريد أن «إن» الشرطية عملت في موضع «أجارك» وفي «فأجره»، فلو كان «أحد» مبتدأ ما تخطته
للعمل فيما بعده .

فلو أظهرت المستقبل لقلت: إن أحد يقم أكرمه ولا يجوز إن يقم أحد زيد يقم. لا يجوز أن ترفع زيدا بفعل مضمر الذي ظهر يفسره ويجزم^(١). وإنما جاز في «إن»^(٢) لأن «إن» يلزمها الفعل، وجواب^(٣) الجزاء يكون بالفعل وغيره، ولا يجوز أن تُضمر وتجزم بعد المبتدأ، لأنك تقول ههنا إن تأتي فزيد يقوم، فالموضع موضع ابتداء.

وإنما يجوز الفصل في باب «إن» لأن «إن» أم الجزاء، ولا تزول عنه إلى غيره، فأما أخواتها فلا يجوز ذلك فيها إلا في الشعر.
قال عدي بن زيد^(٤).

فمتى واغل يزهرهم يحيو ه وتعتطف عليه كأس الساقى
وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.
أي ليس العهد إلا لهؤلاء الذين لم ينكثوا.
﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾.
أي ما أقاموا على الوفاء بعهدهم، وموضع «الذين» نصب بالاستثناء.

(١) لا مساع لإضمار فعل قبل زيد، لأن إن الشرطية ذكر بعدها فعل وكفى. وجملة زيد يقوم هي جواب الشرط فيجب قرنها بالفاء ورفع الفعل بعدها وتقدير الجملة في الأصل ان يقم أحد فزيد يقوم.

(٢) جاز تقدير فعل محذوف بعد إن وجعل الاسم بعدها فاعلاً له، لأن إن مختصة بالأفعال.

(٣) جواب الشرط.

(٤) عدي بن زيد شاعر جاهلي من شعراء النصرانية - لم يكن من فحول الشعراء ولكنه بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها. اتصل بملوك الحيرة، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى - سجنه النعمان بن المنذر لوشاية ومات في سجنه، وقد استعطف النعمان بقصائد منها هذه القصيدة أولها:

ليس شيء على المنون بباقي غير وجه المسيح الخلاق
والواغل الذي يشارك في الشراب بدون دعوة. الشاهد ١٦١ في الخزانة ٣ - ٤٠.

وقوله: ﴿كَيفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾.
وحذف مع كيف [جملة] «يكون لهم عهد» لأنه قد ذكر قبل ذلك.

قال الشاعر يرثي أخاً له مات:

وخبّر ثمانني أنما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقلب^(١)

أي فكيف مات وليس بقرية. ومثله قول الحطيئة:

وكيف ولم أعلمهمو خذلوكمو على مُعْظَمٍ وَلَا أَدِيمَكُمُو قَدْوَا^(٢)

أي فكيف تلومونني على مدح قوم، وتذمُّونهم، واستغنى عن ذكر
«ذلك» مع ذكر كيف، لأنه قد جرى في القصيدة ما يدل على ما أضمر.

قال أبو عبيدة الإل: العهد، والذمة ما يتذمُّ منه، وقال غيره: الذمة.
العهد، وقيل في الإل غير قول.

قيل: الإل القرابة، وقيل: الإل: الحلف، وقيل: الإل: العهد، وقيل
الإل اسم من أسماء الله، وهذا عندنا ليس بالوجه لأن أسماء الله جلّ وعزّ
معروفة معلومة كما سُمِعَتْ في القرآن وتُليّت في الأخبار قال الله جلّ وعزّ:
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٣).

فالداعي يقول: يا الله، يا رحمن، يا رب، يا مؤمن، يا مهيمن.

(١) لكعب الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار - «هاتا» إشارة إلى الهضبة والقلب يقول: لقد ذكرتماني
أن الموت بالقرى المأهولة لزامة هوائها، فكيف أصاب الموت أخي وهو ليس بالقرى - وإنما
حوله هضبة وبثر ماء، والبيت في كتاب سيبويه ٣ - ١٣٩ (بولاق) وفي ابن يعيش ٣ - ١٣٦
«نبأتماني».

(٢) من داليتيه في مدح البغيض وهجاء الزبرقان، أي لم تطلبوا منهم أمراً عظيماً لم يجيبوكم إليه،
ولا نالوا منكم بقول شيء فكيف تلومونني على مدحهم. والبيت في الديوان ٧٢ ومعاني الفراء
١ - ٤٢٤.

(٣) سورة الأعراف ١٨٠.

ولم يَسْمَعْ «يا إل» في الدعاء.

وحقيقة «الإل» عندي على ما توحىه اللغة تحديد الشيء^(١) فمن ذلك:
الإلّة: الحربة، لأنها محدّدة، ومن ذلك: إِذْنٌ مُؤَلَّلَةٌ، إذا كانت محدّدة.

والأل يُخْرَجُ في جميع ما فُسِرَ من العهد والجوار على هذا، وكذلك
القراة، فإذا قلت في العهد بَيْنَهُمَا إِلٌ فمعناه جواراً يحادّ الإنسان، وإذا قُلْتُهُ في
القراة فتأويله القراة الدائنة التي تحادّ الإنسان^(٢).

وقوله جَلَّ وعزّ: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ
فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾.

أي رؤساء الكافرين^(٣)، وقادتهم، لأن الإمام متبّع.
وهذه الآية توجب قتل الذمي إذا أظهر الطعن في الإسلام لأن العهد
معقود عليه بالأل يطعن، فإذا طعن فقد نكث.

وقوله: ﴿أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾ فيها عند النحويين لغة واحدة: أُمّة بهمزة وياء،
والقراء يقرأون أُمّة بهمزتين، وأُمّة بهمزة وياء، فأما النحويون فلا يجيزون
اجتماع الهمزتين ههنا، لأنهما لا يجتمعان في كلمة، ومن قرأ أُمّة -
بهمزتين - فينبغي أن يقرأ يا بني آدم، والاجتماع أن آدم فيه همزة واحدة،
فالاختلاف راجع إلى الإجماع، إلا أن النحويين يستصعبون هذه المسألة،
ولهم فيها غير قول:

يقولون إذا فضلنا رجلاً في الإمامة: هذا أَوْمٌ من هذا ويقول بعضهم أَيْمٌ
من هذا، فالأصل في اللغة أُمّة لأنه جمع إمام، مثل مثال وأمثلة، ولكن

(١) إرهافه وجعله دقيقاً.

(٢) تمنحه قوة وشدة ومضاء.

(٣) في الأصل أي أُمّة الكفر رؤساء الكفر.

الميمين لما اجتمعتا ادغمت الأولى في الثانية وألغيت حركتها على الهمزة، فصار أُئمةً، فأبدل النحويون من الهمزة الياء.

ومن قال: هذا أَيْمٌ من هذا جعل هذه الهمزة كلما تحركت أُبدلَ منها ياءً.

قال أبو إسحاق: والذي قال: «هذا أَوْمٌ من هذا» كانت عنده أصلها أُم، فلم يمكنه أن يُبدلَ منها ألفاً لاجتماع الساكنين، فجعلها واواً مفتوحة، لأنه قال: إذا جمعت آدمَ قلتَ أَوِدمَ.

وهذا هو القياس الذي جعلها ياءً.

قال: قد صارت الياء في أئمة بدلاً لازماً.

وهذا مذهب الأخفش، والأول مذهب المازني.

قال أبو إسحاق وأظنه أقيس الوجهين، أعني: هذا أَوْمٌ من هذا، فأما أئمة باجتماع الهمزتين، فليس من مذاهب أصحابنا، إلا ما يحكى عن ابن إسحاق فإنه كان يحب اجتماعهما وليس ذلك عندي جائزاً، لأن هذا الحرف في أئمة قد وقع فيه التضعيف والإدغام، فلما أدغم وقعت علة في الحرف، وطرحت حركته على الهمزة فكان تركها دليلاً على أنها همزة قد وقع عليها حركة ما بعدها، وعلى هذا القياس يجوز: هذا أُمٌ من هذا والذي بدأن به هو الاختيار من أن لا تجتمع همزتان.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَا إِيْمَانَ لَهُمْ﴾.

وتقرأ لا إيمان لهم، فمن قرأ: ﴿لَا إِيْمَانَ لَهُمْ﴾ بالفتح فقد وصفهم بالنكث في العهد، وهو أجود القراءتين، ومن قرأ: ﴿لَا إِيْمَانَ لَهُمْ﴾ فقد وصفهم بالردة، أي لا إسلام لهم، ويجوز أن يكون نفى عنهم الإيمان لأنهم لم يؤمنوا، كما تقول: لا علم لفلان.

ويجوز أن يكون لا إيمانَ لَهُمْ إِذَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ آمَنْتُمُوهُمْ، فنقضوا هم عهدكم، فقد بطل الأمان الذي أعطيتموهم، أي لا إيمانَ لَهُمْ: على «آمته إيماناً على المصدر».

﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾.

أي ليرجى منهم الانتهاء، والنكت: النقض في كل شيء.
وقوله عز وجل: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا﴾.

هذا على وجه التوبيخ، ومعناه الحضُّ على قتالهم، وقيل في قوله: ﴿وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أنهم كانوا قاتلوا حلفاء الرسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾.

معناه أَتَخْشَوْنَ أَنْ يَنَالَكُمْ مِنْ قِتَالِهِمْ مَكْرُوهٌ.

﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾.

أي فمكروه عذابِ اللهِ أَحَقُّ أَنْ يُخْشَى.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: أي مصدقين بعقاب الله وثوابه.

وقوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾.

فيه دليل أنه اشتد غضبهم لله عز وجل، فوعد الله في هذه الآية النصر، وفيها دليل على تثبيت النبوة، لأنه قال عز وجل: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾.

فوعدهم الله النصرَ وَوَفَّى به، ودل على صدق ما أتى به النبي ﷺ،
وقوله تعالى:

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾.

ليس بجواب لقوله: ﴿فَاتْلُوهُمْ﴾ ولكنه مستأنف، لأن «يتوب» ليس من جنس ما يُجاب به «قاتلوهم».

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾.

اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ قد علم قَبْلَ أمرهم بِالْقِتَالِ مَنْ يُقَاتِلُ مِنْهُمْ لَا يُقَاتِلُ ولكنه كان يعلم ذلك غيباً، فأَرَادَ العلمَ الذي يُجَازِي عَلَيْهِ لَأَنَّهُ جَلَّ وَعَزَّ إنما يجازي على ما عملوا.

وسورة «براءة» كانت تُسَمَّى الحافرة، لأنها حَفَرَتْ عن قلوبِ المنافقين، وذلك أَنَّهُ لما فُرِضَ الْقِتَالُ تبينَ المنافقُ من غيره، ومن يُوالي المؤمنين مِنْ يوالي أعداءهم فقال جَلَّ وَعَزَّ:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾.

والوليجة: البطانة، وهي مأخوذة مِنْ وَلَجَ الشيء، يلجُ إذا دَخَلَ. [أي] ولم يَتَّخِذُوا بينهم وبين الكافرين دُخيلةً مودَّةً.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾.

﴿شَاهِدِينَ﴾ حال. المعنى ما كانت لهم عمارة المسجد الحرام في حال إقرارهم بالكفر.

﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾.

أي كُفِرُهُمْ قد أَذْهَبَ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾.

ولم يذكر الرسول في هذا^(١)، لأن فيه دليلاً بقوله وأقام الصلاة التي أتى بتحديداتها الرسول.

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾.

تأويله لم يخف في باب الدين إلا الله.

﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

عسى واجبة من الله.

وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

المعنى أجعلتم أهل سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَأَهْلَ عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ.

واختلف الناس في تفسير هذه الآية؛

ف قيل: إنه سأل المشركون اليهود فقالوا نحن سِقَاةُ الْحَاجِّ وَعُمَّارُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. أَفَنَحْنُ أَفْضَلُ أَمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ؟ فقالت لهم اليهود عناداً للنبي ﷺ: أنتم أفضل.

وقيل إنه تفاخر المسلمون المجاهدون والذين لم يهاجروا ولم يجاهدوا، فأعلم الله جلَّ وعزَّ أن المجاهدين والمهاجرين أعظمُ دَرَجَةً عند الله، فقال:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾.

﴿درجَةً﴾ منصوب على التمييز، المعنى أعظمُ من غيرهم دَرَجَةً.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

(١) لم يأت في الآية «من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر»، لأن الرسول معلوم ضمناً لأنه الذي أتى بتحديد الصلاة.

والفائز الذي يظفر بأمنيته من الخير.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾.

أَي يُعَلِّمُهُمْ فِي الدُّنْيَا مَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

وقوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾.

أَي وَفِي حُنَيْنٍ، أَي وَنَصَرَكُمْ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ، وَحُنَيْنٍ: اسْمُ وَادٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ.

وقوله: ﴿فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾: أَي فِي أُمْكِنَةٍ، كَقَوْلِكَ فِي مَقَامَاتٍ.

تَقُولُ اسْتَطَوَّنَ فُلَانٌ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ فِيهِ.

وَزَعَمَ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ أَنَّ «مَوَاطِنَ» لَمْ يَنْصَرَفْ ههنا لِأَنَّهُ جَمْعٌ. وَأَنَّهَا لَا تُجْمَعُ.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: وَإِنَّمَا لَمْ تُجْمَعْ لِأَنَّهَا لَا تَدْخُلُ عَلَيْهَا الْأَلْفُ وَالنَّاءُ، لَا نَقُولُ مَوَاطِنَاتٍ، وَلَا حَدَائِدَاتٍ إِلَّا فِي شِعْرِ، وَإِنَّمَا سَمِعَ قَوْلَ^(١) الْخَلِيلِ أَنَّهُ جَمَعَ لَا يَكُونُ عَلَى مِثَالِ الْوَاحِدِ، وَتَأْوِيلُهُ عِنْدَ الْخَلِيلِ أَنَّ الْجُمُوعَ أَبَدًا تَتَنَاهَى إِلَيْهِ فَلَيْسَ بَعْدَهُ جَمْعٌ، لَوْ كَسَّرْتَ أَيَّ جَمَعْتَ عَلَى التَّكْسِيرِ أَقْوَالٍ، فَقُلْتَ^(٢) أَقَاوِيلَ لَمْ يَتَهَيَأْ لَكَ أَنْ تَكْسُرَ أَقَاوِيلَ، وَلَكِنَّكَ قَدْ تَقُولُ أَقَاوِيلَاتٍ، قَالَ الشَّاعِرُ: (٣)

فَهَنَ يَعلُكَنَ حَدَائِدَاتَهَا

(١) أَي سَمِعَ هَذَا النُّحَوِيُّ قَوْلَ الْخَلِيلِ وَلَمْ يَفْهَمْهُ.

(٢) فِي الْأَصْلِ لَقُلْتُ.

(٣) الشُّطْرُ فِي اللِّسَانِ مَنْسُوبٌ لِلْأَحْمَرِ، وَفِي مَعَانِي الْفَرَاءِ ١-٢٨٤ يَجْمَعُنَ حَدَائِدَاتَهَا. وَهُوَ حَدِيثٌ عَنْ خَيْلٍ تَعْلَكَ لَجْمَهَا كَمَا جَاءَ فِي شِعْرِ النَّابِغَةِ:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ وَأُخْرَى تَعْذُكُ اللَّجْمَا
وَلَمْ أَقِفْ عَلَى صَدْرِ الْبَيْتِ... وَانْظُرِ الْقُرْطُبِيَّ فِي الْآيَةِ نَفْسَهَا.

وإنما لم ينصرف ﴿مواطن﴾ عند الخليل لأنه جمع وأنه ليس على مثال الواحد ومعنى ليس على مثال الواحد، أي ليس في ألفاظ الواحد ما جاء على لفظه وأنه لا يجمع كما يجمع الواحد جمع تكسير.

ومعنى الآية أن الله جلّ وعزّ أعلمهم أنه ليس بكشرتهم يغلبون وأنهم إنما يغلبون بنصر الله إياهم فقال جلّ وعزّ:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾.

يروى أنهم كانوا اثني عشر ألفاً في ذلك اليوم، وقال بعضهم: كانوا عشرة آلاف^(١) فأعجبوا بكشرتهم، فجعل الله عقوبتهم على إعجابهم بالكثرة - وقولهم: «لن نغلب اليوم من قلة» بأن رعبهم^(٢) حتى ولّوا مُدْبِرِينَ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا العباس بن عبد المطلب وأبوسفيان بن حرب^(٣)، ثم أنزل الله عليهم السكينة حتى عادوا وظفروا فأراهم الله في ذلك اليوم من آياته ما زادهم تبيناً بنبوة النبي ﷺ.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾.

وقرئت مسجد الله، فمن قرأ «مسجد الله» عني به المسجد الحرام ودخل معه غيره، كما تقول: ما أسهل على فلان إنفاق الدرهم والدينار، أي هذا الجنس سهل عليه إنفاقه.

ويجوز أن يكون مساجد الله يعني به المسجد الحرام، كما تقول إذا

(١) في الأصول عشرة ألف وهو خطأ.

(٢) أخافهم وأرهبهم من الرعب.

(٣) هكذا في الأصول وهو سهو فالذي ثبت مع الثابتين هو أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب - وقد دعا له رسول الله ﷺ - وسامحه فيما كان منه - أما أبو سفيان بن حرب فكان لا يزال مدخول الإسلام، وقال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر. انظر سيرة النبي، وأنساء العيون في غزوة حنين.

ركب الرجل الفرس، قد صار فلانٌ يركب الخَيْلَ، فعلى هذا تجري الأسماء التي تُعَبَّرُ عَنِ الْأَجْنَاسِ .

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ .

يقال لكل مُسْتَقْذِرٍ نَجَسٌ، فإذا ذكرتِ الرَّجْسَ قلتُ: هُوَ رَجَسٌ نَجِسٌ .
وهذا وقع في سنةٍ تسع من الهجرة، أُمِرَ المسلمون بمنع المشركين من الحج وَبِقَتْلِهِمْ حَيْثُ يَقْفُوهُمْ .

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ .
كان لأهل مكة مكسبة، ورفق^(١) ممن كان يحج من المشركين، فأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ يَعْوِضُهُمْ مِنْ ذَلِكَ .

والعيلة: الفقر، قال الشاعر: (٢)
وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيلُ
وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ .

معناه: الذين لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إِيْمَانِ الْمُوَحِّدِينَ، لِأَنَّهُمْ أَقْرَأُوا بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُمْ، وَأَنَّهُ لَهُ وَلَدٌ . وَأَشْرَكَ الْمُشْرِكُونَ مَعَهُ الْأَصْنَامَ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ هَذَا غَيْرُ إِيْمَانٍ بِاللَّهِ، وَأَنَّ إِيْمَانَهُمْ بِالْبَعْثِ لَيْسَ عَلَى جِهَةِ إِيْمَانِنَا لِأَنَّهُمْ لَا يَقْرُونَ بِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَلَيْسَ يَقْرُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ كَمَا أَعْلَمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ وَلَيْسَ يَدِينُونَ بِدِينِ الْحَقِّ، فَأَمَرَ اللَّهُ بِقَتْلِ الْكَافِرِينَ كَافَّةً إِلَّا أَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ، وَفَرَضَ قَبُولَ الْجِزْيَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهُمْ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ .

(١) ما يستعينون به من الارتفاق بمعنى الكسب .

(٢) تقدم ص ٤٤١ من هذا الجزء .

وَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجُوسِ وَالصَّابِئِينَ أَنْ يَجْرُوا مَجْرَى أَهْلِ
الْكِتَابِ فِي قَبُولِ الْجِزْيَةِ . فَأَمَّا عَبْدَةُ الْأَوْثَانِ مِنَ الْعَرَبِ فَلَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا الْقَتْلُ .
وكَذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ .

وقوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ .
قيل معنى ﴿عَنْ يَدٍ﴾ ، عَنْ دُلٍّ ، وقيل عن يَدٍ عن قهرٍ ودُلٍّ ، كما تقول اليدُ
في هذا لِفُلانٍ . أي الأمر النافذ لِفُلانٍ .

وقيل ﴿عَنْ يَدٍ﴾ أي عن إِنْعَامٍ عليهم بذلك ، لأن قبول الجزية منهم وترك
أَنْفُسِهِمْ نعمة^(١) عليهم ، ويد من المعروف جزيلة .

وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ .
قُرئتُ ﴿عُزَيْرُ﴾ بالتنوين وبغير تنوين ، والوجه إثبات التنوين لأن «ابناً» خبر ،
وإنما يحذف التنوين في الصِّفَةِ نحو قولك : جاءني زيدُ بنُ عمرو ، فيحذف
التنوين لالتقاء الساكنين وأنَّ ابناً مضاف إلى عَلَمٍ وأنَّ النعت والمنعوت
كالشيء الواحد . فإذا كان خبراً فالتنوين^(٢) وقد يجوز حذف التنوين على
ضعف لالتقاء الساكنين وقد قرئت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ، بحذف
التنوين ، لسكونها وسكون الباء في قوله: ﴿عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ﴾ .

وفيه وجه آخر : أن يكون الخبر محذوفاً ، فيكون معناها^(٣) عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ
معبودنا ، فيكون «ابنٌ» نَعْتاً .

ولا اختلاف بين النحويين أنَّ إثبات التنوين أجود .

وقوله: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ .

(١) في الأصل : وترك أنفسهم عليهم نعمة عليهم .

(٢) أي فحكمه أن ينون .

(٣) في الأصل معناهم .

إن قال قائل: كل قول هو بالضم فما الفائدة في قوله بأفواههم فالفائدة فيه عظيمة بيّنة. المعنى أنه ليس فيه بيان ولا برهان إنما هو قول بالضم لا معنى تحته صحيح، لأنهم معترفون بأن الله لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون له ولداً، فإنما هو تكذب وقول فقط.

وقوله: ﴿يُضَاهِثُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾. أي يُشابهون في قولهم هذا ما تقدم من كَفَرْتَهُمْ، أي إنما قالوه اتباعاً لمن تقدم من كَفَرْتَهُمْ. الدليل على ذلك قوله:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. أي قبلوا منهم أن العزير والمسيح ابنا الله تعالى. وهذا معنى: ﴿يُضَاهِثُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ وقرئ يضاهيئون، وأصل المضاهاة في اللغة المشابهة، والأكثر ترك الهمة، واشتقاقه من قولهم: امرأة ضيهاة. وهي التي لا ينبت لها ثدي، وقيل هي التي لا تحيض. وإنما معناها أنها أشبهت الرجال في أنها لا تُدَي لها، وكذلك إذا لم تحض. وضياء فعلاء.

الهمزة زائدة كما زيدت في شمال^(١)، وغرقى^(٢) البيضة، ولا نعلم [أنها] زيدت غير أول، إلا في هذه الأشياء.

ويجوز أن تكون^(٣) «فَعِيل» وإن كانت بَيِّنَةٌ ليس لها في الكلام نظير، فإننا قد نعرف كثيراً مما لا ثاني له^(٤). من ذلك قولهم كَنَهَبِل وهو الشجر العظام، تقديره فَنَعْلِل، وكذلك قَرَنُفَل، لا نظير له وتقديره فَعَنُل. وقد قيل:

(١) الهمزة في يضاهئون زائدة كما زيدت في شمال، أي شمال، ومنه عن اليمين والشمال. فهي جمع شمال.

(٢) غرقى البيض الجلدة الرقيقة التي تحت القشرة.

(٣) يجوز أن تكون ضياء من فعيل - أي الباء زائدة.

(٤) توجد كلمات على وزن لا نظير له.

إِطْلَ لا نظير له وإن كان قد جاءَ إِطْلَ وهو الخَصْرُ، وقالوا إِطْلَ ثم حذفوا فقالوا
إِطْلَ، فيجوز أن يكون «يُضَاهِثُونَ» من هذا بالهمز، وتكون همزة ضهياءً أصلاً
في الهمز^(١).

وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

معناها تنزيهاً له عن شركهم.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

أكثر التفسير إنما هو للمشركين، وقد قيل إنها فيمن منع الزكاة من أهل
القبيلة^(٢) لأن من أدى من ماله زكاته فقد أنفق في سبيل الله ما يجب من ماله.

وقوله: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾.

دخلت إلّا، ولا جُحِدَ في الكلام، وأنت لا تقول ضربت إلّا زَيْدًا، لأن
الكلام غير دال على المحذوف، وإذا قلت: وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ،
فالمعنى يأبى الله كل شيء إلّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ.

وزعم بعض النحويين أن في «يأبى» طرفاً من الجحد، والجحد والتحقيق
ليساً بذى أطراف^(٣)، وآلة الجحد لا، ومَا، ولم، ولن، وليس، فهذه لا
أطراف لها. ينطق بها على جمالها^(٤)، ولا يكون الإيجاب جُحِداً ولو جاز هذا
على أن فيه طرفاً من الجحد لجاز: كرهت إلّا أخاك، ولا دليل ههنا على

(١) أي أصل الفعل «ضهياء».

(٢) من المسلمين، إذ هم يسمون أهل القبلة.

(٣) أي أن هذا البعض يقول إن يأبى فيها جزء من الجحد وهو مخطئ لأن النفي والإثبات لا
يتجزأان، فإما إثبات وإما نفي، ولا يقال جزء نفي - وجزء إثبات.

(٤) أي على جملتها ولا داعي لكل هذا فكل ما أراه أن بأبى تحمل معنى النفي، وليست أداة
نفي، ولا متمحضة له.

المكروه، ما هو ولا من هو، فكرهتُ مثل أُبَيْتُ، إلا أن أُبَيْتُ الحذف مستعمل معها.

وقوله: ﴿وَلَا يَنْفُقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

فقال: ﴿الذهب والفضة﴾ ولم يقل ولا ينفقونها في سبيل الله، وإنما جاز ذلك لأن المعنى يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقون المكنوز في سبيل الله، ويجوز أن يكون محمولاً على الأموال، فيكون: ﴿ولا ينفقونها﴾، ولا ينفقون الأموال، ويجوز أن يكون: ولا ينفقونها. ولا ينفقون الفضة، وحذف الذهب لأنه داخل في الفضة كما قال الشاعر: ^(١)

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف.

يريد نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض، فحذف ^(٢) «راضون» فكذاك يكون المعنى: «والذين يكتزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل الله، والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله».

وقوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

أعلم الله جلَّ وعزَّ: أن عدة شهور المسلمين، الذين تُعَبَّدُوا بأن يجعلوا لِسَنَتِهِمْ ^(٣) - اثنا عشر شهراً، على منازل القمر، فجعل حجهم وأعيادهم ^(٤)

(١) لقيس بن الخطيم من قصيدة أولها:

رد الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

وهو شاعر جاهلي كان شجاعاً جميل المنظر، وهو والد ثابت بن قيس الصحابي الجليل - انظر

العيني ٢٢٨/١، معاهد التنقيص ٩٠، وتفسير الطبري ج ١٠/١٢٢ ط الحلبي، وابن

الشجري ٣٣/١، وينسب أيضاً إلى عمرو بن أمريئ القيس الخزرجي ٣٩/١.

(٢) في الأصل ينفقونها.

(٣) يقدروا لها، أو يجعلوا لها نظاماً خاصاً.

(٤) ط - عباداتهم.

وَصَلَاتُهُمْ فِي أَعْبَادِهِمْ هَذَا الْعَدَدَ، فَالْحَجُّ وَالصَّوْمُ يَكُونُ مَرَّةً فِي الشِّتَاءِ وَمَرَّةً فِي الصَّيْفِ، وَفِي فصولِ الْأَزْمَانِ عَلَى قَدَرِ الشُّهُورِ وَدَوْرَانِ السِّنِّينِ، وَكَانَتْ أَعْيَادُ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمَتَّبِعَاتُهُمْ فِي سَنَتِهِمْ يَعْمَلُونَ فِيهَا عَلَى أَنَّ السَّنَةَ ثَلَاثُمِائَةٍ يَوْمٍ وَخَمْسَةٌ وَسِتُونَ يَوْمًا وَبَعْضُ يَوْمٍ، عَلَى هَذَا يَجْرِي أَمْرُ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ. فَأَعْلَمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنَّ سِنِّي الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْأَهْلَةِ.

وقوله: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾.

الأربعة الحرم: المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾.

قيل في الأربعة، وقيل في الاثني عشر. فمن قال في الأربعة قال: أراد تعظيم شأن المعاصي - كما قال جلَّ وعزَّ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ فالفسوق لا يجوز في حج ولا غيره، ولكنه عزَّ وجلَّ عرَّفَ الأيام التي تكون فيها المعاصي أكثر إثمًا وعقابًا.

وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾.

فـ «كافَّة» منصوب على الحال، وهو مصدر على فاعله كما قالوا العاقبة والعافية. وهو في موضع قَاتِلُوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مقاتلتهم^(١).

وهذا مشتق من كُفَّة الشيء، وهي حُرْفُهُ، وإنما أخذ من أن الشيء إذا انتهى إلى ذلك كُفَّ عن الزيادة، ولا يجوز أن يُشْنَى ولا يَجْمَعُ، ولا يقال قاتلوهم كافات ولا كافين، كما أنك إذا قلت: قاتلوهم عامة لم تُشَنَّ ولم تَجْمَعْ، وكذلك خاصة.

(١) بسبب ما لمقاتلتهم من اعتقاد فاسد.

(٢) في الأصل «وهو».

هذا مذهب النحويين،

وقوله عز وجل: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

تأويله أنه ضامن لهم النصر.

وقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾.

النسيء - هذا - تأخير الشيء، وكانوا يُحَرِّمُونَ القتال في المحرم فإذا

عزموا على أن يقاتلوا فيه جعلوا صفرًا كالمحرم، وقاتلوا في المحرم وأبدلوا

صفرًا منه، فأعلم الله جل وعز أن ذلك زيادة في الكفر.

﴿لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾.

فيجعلوا صفرًا كالمحرم في العدة، ويقولوا: إن هذه أربعة بمنزلة

أربعة. والمواطأة المماثلة والاتفاق على الشيء.

وقوله عز وجل: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى

الْأَرْضِ﴾.

الإجماع في الروايات أن هذا كان في غزوة تبوك، وذلك أن الناس

خرجوا فيه على ضيقة شديدة شاقة.

وقوله عز وجل: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾.

المعنى ثاقلتم، إلا أن التاء أُدْغِمَتْ في التاء، فصارت تاء ساكنة،

فابتدئت بألف الوصل - الابتداء -.

وفي ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ عندي غير وجه.

منها أن معناه ثاقلتم إلى الإقامة بأرضكم، ومنها اثَّاقَلْتُمْ إلى شهوات

الدنيا.

وقوله: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾.

أي أرضيتم بنعيم الحياة الدنيا من نعيم الآخرة^(١).

(١) بدلاً من نعيم الآخرة.

﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.
 أي ما يتمتع به في الدنيا قليل عندما يتمتع به أولياء الله في الجنة.
 وقوله: ﴿إِلَّا تَتَفَرُّوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾.

هذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد، وأعلم أنه يستبدل لنصر دينه
 ونبيه قوماً غير مثاقيلين عن النصر إلى أعدائه إذ أعلمهم الله عز وجل أنهم إن
 تركوا نصره فلن يضره ذلك شيئاً كما لم يضره إذ كان بمكة لا ناصرين له،
 فقال عز وجل:

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هَمَّا فِي
 الْغَارِ﴾.

وكان المشركون قد أجمعوا على قتله ﷺ فمضى هو وأبو بكر الصديق
 هارباً منهم في الليل، وترك علياً على فراشه ليروا شخصه على الفراش فلا
 يعلمون وقت مضيه، وأطلعا أسماء بنت أبي بكر على مكانهما في الغار، ومَرَّ
 رسول الله ﷺ على ثُمَامَةٍ، وهي شجرة صغيرة ضعيفة فأمر أبا بكر أن يأخذها
 معه، فلما صارا إلى الغار، أمر أبا بكر فجعلها على باب الغار، ثم سبق أبو
 بكر إلى دخول الغار فانبطح فيه، وألقى نفسه، فقال رسول الله: لم فعلتَ
 ذلك فقال: لَأَنَّ هَذِهِ الْغَيْرَانَ^(١) تكون فيها الهوامُ المؤذية والسباع فأحْبَبْتُ إِنْ
 كان فيها شيء أن أَقْبِكَ بِنَفْسِي يا رسول الله. ونظر أبو بكر إلى جحر في الغار
 فسده برجله، وقال إِنْ خَرَجَ مِنْهُ مَا يُؤْذِي وَقَيْتُكَ مِنْهُ.

فلما أصبح المشركون اجتازوا بالغار فبكى أبو بكر الصديق فقال له
 رسول الله ﷺ ما يُبْكِيكَ، فقال: أَخَافُ أَنْ تُقْتَلَ فَلَا يُعْبَدُ اللَّهُ بَعْدَ الْيَوْمِ، فقال
 له رسول الله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، أي إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَمْنَعُهُمْ مِنَّا وَيَنْصُرُنَا،

(١) جمع غار. أي هذه الكهوف عادة يكون بها الحشرات.

فقال: أهكذا يا رسول الله: قال نعم فرقاً دمعُ أبو بكر وسكن. وقال المشركون حين اجتازوا بالغار: لو كان فيه أحدٌ لم تكن بيابه هذه الثمامة. ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾.

أيده بملائكة يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه.
وقوله: ﴿سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾.

يجوز أن تكون الهاء التي في عليه لأبي بكر، وجائز أن تكون ترجع على النبي ﷺ لأن الله جل ثناؤه ألقى في قلبه ما سكن به وعلم أنهم غير واصلين إليه.

فأعلم الله أنهم إن تركوا نصره، نصره كما نصره في هذه الحال.
وثاني اثنين منصوب على الحال، المعنى فقد نصره الله أحد اثنين، أي نصره منفرداً إلا من أبي بكر رضي الله عنه.

وقال جل وعز: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا، وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾.

ف قيل ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، أي موسرين ومُعسرين، وقيل ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ خفت عليكم الحركة أو ثقلت، وقيل ركبناً ومُشاة، وقيل أيضاً شباباً وشيوخاً.

ويروى أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبي ﷺ فقال أعلي أن أنفر، فقال نعم، حتى أنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾^(١).

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾.

العرض كل ما عرض لك من منافع الدنيا، فالمعنى: لو كانت غنيمة قريبة، أي لو كان ما دُعوا إليه غنماً، وسفراً قاصداً أي سهلاً قريباً لاتبعوك لَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ.

(١) سورة الفتح الآية ١٧.

أي بعدت عليهم الغاية التي تقصدها . وكان هذا حين دُعُوا إلى غزوة تبوك، فَتَقَلَّ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجُ إِلَى نَوَاحِي الشَّامِ .

وقوله : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ .

أي حتى يَتَبَيَّنَ لك من يُنَافِقُ مِمَّنْ يَصُحِّحُ . ثم أعلمه جَلَّ وعلا أن علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان في التخلف عن الجهاد فقال :

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾ .

موضع «أَنْ» نَصَبٌ . المعنى لا يستأذنك هؤلاء في أن يجاهدوا، ولكن «في» حُذِفَتْ فَأَفْضَى الْفِعْلُ فَتَنَصَبَ «أَنْ» . قال سيويه، ويجوز أن يكون موضعها جرًّا، لأنَّ حَذْفَهَا هَهُنَا إِنَّمَا جَازَ مَعَ ظُهُورِ «أَنْ» فَلَوْ أَظْهَرْتَ الْمَصْدَرَ لَمْ تَحْذَفْ فِي «لَا يَسْتَأْذِنُكَ الْقَوْمَ الْجَاهِدَ» حَتَّى تَقُولَ فِي الْجِهَادِ وَيَجُوزُ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الْقَوْمَ أَنْ يَجَاهِدُوا .

وقوله : ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ .

وَأَعْلَمَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ مَنْ ارْتَابَ وَشَكَ فِي اللَّهِ وَفِي الْبَعْثِ فَهُوَ كَافِرٌ .
﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ .

أي فَتَرَكَهُمُ الْعُدَّةَ دَلِيلَ عَلَى إِرَادَتِهِمُ التَّخَلُّفَ .
﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ .

والتثبيط ردُّكَ الْإِنْسَانَ عَنِ الشَّيْءِ بِفِعْلِهِ ، أي كره الله أن يخرجوا معكم فردهم عن الخروج . ثم أعلم عز وجل : لم كره ذلك فقال :
﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ .

والخبال الفساد، وذهاب الشيء. قَالَ الشاعر: (١)

أَبْنِي لُبْنِي لَسْتُمَا بِيَدٍ إِلَّا يَدًا مَخْبُولَةَ الْعَضْدِ
أَي فاسدة الْعَضْدِ.

﴿وَلَا وَضَعُوا جَلَالَكُمْ﴾.

يقال أَوْضَعْتُ فِي السَّيْرِ إِذَا أَسْرَعْتُ، وَلَاسِرَعُوا فِيمَا يَخْلُ بِكُمْ.

﴿يَتَغَوْنُكُمْ الْفِتْنَةُ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾.

أَي فَيُكِمُّ مِنْ يَسْمَعُ وَيُؤَدِّي إِلَيْهِمْ مَا يَرِيدُونَ.

وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ﴿سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ مِنْ يَقْبَلُ مِنْهُمْ.

وفي المصحف مكتوب «وَلَا وَضَعُوا» ولا أَوْضَعُوا (٢)، ومثله في القرآن:

﴿أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُ﴾ (٣) بزيادة ألف أيضاً، وهذا إنما حَقَّه عَلَى اللَّفْظِ وَلَا وَضَعُوا،

ولكن الفتحة كانت تكتب قبل العَرَبِيِّ (٤) أَلْفًا. والكتاب (٥) أبتدئ به في

العربي بقرب نزول القرآن فوق وقع فيه زيادات في أمكنة واتباع الشيء بتقص عن

الحروف. فكتبت «ولا أَوْضَعُوا» بلام وألف، بدلاً من الفتحة، وبهمزة.

فهذا مجاز ما وقع من هذا النحو في الكتاب.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾.

أَي لَا تُؤْثِمْنِي (٦) بِأَمْرِكَ إِيَّاي بِالْخُرُوجِ، وذلك غير متيسر لي فآثم.

وقيل إن المنافقين هزئوا بالمسلمين في غزوة تبوك، فقالوا أتريدون بنات

(١) تقدم هذا الشاهد في الجزء الأول. ص ٤٦٢.

(٢) كتبت اللام لام ألف وبعدها ألف.

(٣) سورة النمل الآية - ٢١.

(٤) قبل أن يوجد الخط العربي - ويظهر أنه يعني الخط الآرامي.

(٥) الكتابة.

(٦) لا تعرضني للإثم.

الأَصْفَرُ: فقال: ﴿لَا تَفْتِنِّي﴾ [أي] لَا تَفْتِنِّي بِنَاتِ الْأَصْفَرِ. فأعلم الله تعالى أنهم قد سقطوا في الفتنة أي سقطوا في الأثم^(١).

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ، وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ﴾.

أي قد علمنا بالحزم في التخلف عنك. فأعلم الله جل وعز أن المسلمين لن يُصيبهم إلا ما كتب الله لهم فقال جل وعز: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾.

أي ما قدر علينا كما قال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^(٢). ثم أكد ذلك فقال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٣).

وفيه وجه آخر أنه ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ ما بين لنا في كتابه، من أننا نظفر، فتكون تلك حسنى لنا أو نُقْتَل فتكون الشهادة حسنى لنا أيضاً، أي فقد كتب الله لنا ما يصيبنا أو عَلِمْنَا ما لنا فيه حظ، ثم بين جل ثناؤه فقال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بَنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾.

إِلَّا الظَفَرُ أَوِ الشَّهَادَةُ.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾.

فأنتم ترَبِّصون بنا إحدى الحسينين، ونحن نَتَرَبَّصُ بكم إحدى الشَّرتين، فبين ما تنتظرونه ونتظره فرق عظيم.

(١) أي بتباطؤهم وتخلفهم عن القتال. قال الجدي بن قيس: لقد علم قومي أنه ما من أحد أشدَّ عجباً بالنساء مني، وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر إلا أصبر - فأذن لي ولا تفتني، وقال جماعة من المنافقين - إذن لنا ولا تفتنا والآية بعدها أشبه بالمنافقين.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٢

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ .
 وإن شئت كُرْهاً بالضم ، هذا لفظ أَمْر ومعناه معنى الشرط والجزاء .
 والمعنى أَنْفِقُوا طائعين أو مكرهين لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ .

ومثل هذا من الشعر قول كثير: ^(١)
 أَسَيْتِي بِنَا أَوْ أَحْسَنِي لَا مَلُومَةَ لَدِينَا وَلَا مَقْلِيَةَ إِنْ تَقَلَّتْ
 فَلَمْ يَأْمُرْهَا بِالْإِسَاءَةِ ، وَلَكِنْ أَعْلَمَهَا أَنَّهَا إِنْ أَسَاءَتْ أَوْ أَحْسَنْتْ فَهُوَ عَلَى
 عَهْدِهَا .

فإن قال قائل كيف كان الخبر في معنى الأمر ، [قلنا هو] كقولك : غفر
 الله لزيد ، ورحم الله زيدا ، فمعناه : اللهم ارحم زيدا .

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ .
 مَوْضِعُ «أَنْ» الأولى نَصْبٌ ، ومَوْضِعُ «أَنْ» الثانية رفع . المعنى ما منعهم من
 قبول نفقاتهم إِلَّا كَفَرُوهُمْ ، ويجوز «أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَاتِهِمْ» ^(٢) لأن النفقات في
 معنى الإنفاق ، . . ، ويجوز : وما منعهم من أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ
 كَفَرُوا ، وهذا لا يجوز أن يقرأ به لأنه لم يرو في القراءة .

وقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ .
 وَكُسَالَى - بالضم والفتح - جمع كسلان ، وكقولك سكران وسكارى
 وسكارى . ويجوز ولا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى ، ولا يجوز ذلك في
 القرآن .

﴿وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ .

(١) من تائيته المشهورة ، وتقدم . بيت منها ص ٣٨١ ج ١ وانظر الأمالي ج ١ ص ١٠٨ ، وكتاب

سبويه ٤٦/٢ (بولاقي) .

(٢) بتذكير الفعل يقبل .

القراءة على فتح الكاف^(١)، ويجوز الكسر إلا وهم كارهون، ولم يرو في القرآن^(٢).

وقوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

معناه - والله أعلم - فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الدنيا، إنما يريد الله ليُعَذِّبهم بها في الآخرة.

ويجوز والله أعلم: إنما يريد الله ليُعَذِّبهم بها في الدنيا أي هم ينفقونها في الدنيا، وهم منافقون فهم متعذِّبون بأنفاقها إذ كانوا ينفقونها على كره.

وقوله: ﴿وَتَزَهَّقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

معناه، وتخرج أنفسهم أي يغلظ عليهم المكروه حتى تزهق أنفسهم.

﴿وَيُحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾.

أي يحلفون بالله أنهم مؤمنون كما أنتم مؤمنون، وما هم منكم لأنهم يظهرون الإيمان ويُطِنون الكفر ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾.

أي يفرقون أن يُظْهِروا ما هم عليه فيقتلوا، ثم أعلم جل وعز أنهم لو وجدوا مخلصاً فيه لفارقوكم، فقال جل وعز:

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلِجاً أَوْ مَغَارَاتٍ﴾.

والمليج واللجأ، مقصور ومهموز، وهو المكان الذي يُتَحَصَّن فيه.

ومَغَارَات جمع مغارة، وهو الموضع يغور فيه الإنسان، أي يستتر فيه. ويقراً:

أو مغارات بضم الميم لأنه يقال أَغَرْتُ وَغَرْتُ، إذا دخلت الغور.

(١) بدون إمالة، والمراد بالكسر الإمالة.

(٢) في القراءة بهذه الإمالة.

وقوله: ﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾.

ويقراً أو مُدْخَلًا بالتخفيف، ويقراً أو مُدْخَلًا.

فأما مُدْخَلٌ فأصله مُدْتَخِلٌ، ولكن التا والبدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحد أخف، ومن قال مُدْخَلًا فهو من دَخَلَ يَدْخُلُ مُدْخَلًا، ومن قال مُدْخَلًا فهو من أَدْخَلْتُهُ مُدْخَلًا.

قال الشاعر: (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُمَسَّنَا وَمُصْبِحُنَا بِالْخَيْرِ صَبَحْنَا رَبِّي وَمَسَّنَا

وَمَعْنَى مُدْخَلٍ وَمُدْخَلٍ أَنَّهُمْ لَوْ وَجَدُوا قَوْمًا يَدْخُلُونَ فِي جُمْلَتِهِمْ أَوْ يَدْخُلُونَهُمْ فِي جُمْلَتِهِمْ: ﴿لَوَلُّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾. المعنى لَوْ وَجَدُوا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ﴿لَوَلُّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾.

أَيَّ يَسْرِعُونَ إِسْرَاعًا لَا يَرُدُّ وَجُوهَهُمْ شَيْءٌ. ومن هذا قيل: فرس جُمُوحٌ للذي إِذَا حَمَلَ لَمْ يَرُدَّهُ اللَّجَامُ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾.

وتقرأ يَلْمِزُونَكَ: يُقَالُ لَمَزْتُ الرَّجُلَ أَلْمَزُهُ بِكسر الميم، وَأَلْمَزُهُ بِضَمِّ الميم إِذْ عَيْبَتْهُ، وكذلك هَمَزْتُهُ أَهْمَزُهُ إِذَا عَيْبَتْهُ، قال الشاعر: (٢)
إِذَا لَقَيْتُكَ تَبَدَّى لِي مُكَاسَّرَةٌ وَإِنْ تَغَيَّيْتُ كُنْتُ الْهَامِزَ اللَّمَزَةَ

(١) لأمية بن أبي الصلت. وهو بديوانه ٦٢، واللسان (مسي) وخزانة الأدب ١ - ١٢٨ (سلفيه) ومعاني القرآن للفرء ١ - ٢٦٤ وأمية هو عبد الله بن أبي ربيعة - ثقيفي كان يتوقع أن يكون النبي، قال فيه رسول الله ﷺ آمن شعره وكفر قلبه، وقال فيه الأصمعي: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة. وترجمته في الخزانة ح ٢٢٧/١. ومختار الأغاني ٧٣ - ٨٣ - وهو شاعر وأبوه شاعره وأخ له شاعر.

(٢) في اللسان (همز). إِذَا لَقَيْتُكَ عَنْ شَمِطٍ تَكَاشَرْنِي، وهو في القرطبي ١٨١/٢٠ - مع بيت مشابه لزياد الأعجم ولم يذكر قائل هذا البيت.

وَاللُّمَزَةُ الْكَثِيرُ الْعَيْبُ لِلنَّاسِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ^(١) اللَّمَزَةُ الْعَيْبُ. بِكَسْرِ
الْعَيْنِ أَيْ بِكَسْرِ عَيْنِهِ ^(٢) [عَيْبٌ كُنْهِم] إِذَا عَابَ. يَرَادُ بِهِ عَيْبٌ صَاحِبِهِ وَقَالُوا:
اللُّمَزَةُ الْعَيْبُ بِالمُسَارَّةِ. وَهَذَا كُلُّهُ يَرْجِعُ إِلَى الْعَيْبِ.

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا
وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.

وَهُمْ قَوْمٌ كَانُوا يُعْطَوْنَ: يُتَأَلَّفُونَ عَلَى أَنْ يُسَلِّمُوا. وَهَذَا غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ
الْيَوْمَ لظهور الإسلام.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾.

كَأَنْ يُعَارُونَ الْمُكَاتَبَ حَتَّى يَفْكَ رِقَبَتَهُ ^(٣):

﴿وَالْغَارِمِينَ﴾.

وَهُمُ الَّذِينَ لَزِمَهُمُ الدِّينُ فِي الْحِمَالَةِ، وَالْحِمَالَةُ، الْإِعْطَاءُ فِي الذِّمَّةِ
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْغَارِمُ الَّذِي لَزِمَهُ الدِّينُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، فَالْأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ
الدِّينُ الَّذِي يَقْضَى عَنْهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، لِأَنَّ ذَا الْمَعْصِيَةِ إِنْ أُدِّيَ عَنْهُ الدِّينُ
كَانَ ذَلِكَ تَقْوِيَةً عَلَى الْمَعَاصِي.

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

أَيُّ وَلِلْمُجَاهِدِينَ حَقٌّ فِي الصَّدَقَةِ ^(٤).

﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: ابْنُ الطَّرِيقِ.

وَتَأْوِيلُهُ الَّذِي قُطِعَ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ.

﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾.

(١) فِي الْأَصْلِ: وَيُقَالُ بَعْضُهُمْ.

(٢) وَهِيَ الْبِئَاءُ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: رِقَبَتَيْنِ. وَلَعَلَّ الْعِبَارَةَ التَّالِيَةَ: الَّذِي لَزِمَهُ الدِّينُ فِي مَعْصِيَةٍ.

(٤) يَرِيدُ الْإِنْفَاقَ فِي إِعَانَةِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى جِهَادِهِمْ.

مَنْصُوبٌ عَلَى التَّوَكِيدِ، لِأَن قَوْلَهُ: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لَهُؤُلَاءِ كَقَوْلِكَ فَرَضَ
اللَّهُ الصَّدَقَاتِ لَهُؤُلَاءِ.

وقد بينا في أول الأنفال ما قيل في جميع الأموال، واستقصيناه^(١).

ويجوز فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَعْلَمُهُ قَرَأَ بِهِ^(٢).

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

وتفسير الآية أَنَّ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ كَانَ يَعِيبُ النَّبِيَّ ﷺ وَيَقُولُ: إِنَّ بَلْغَةَ
عَنِّي حَلَفْتُ لَهُ وَقِيلَ مِنِّي لِأَنَّهُ أُذُنٌ. فَأَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ.

أَيُّ مُسْتَمِعٍ خَيْرٌ لَّكُمْ، ثُمَّ بَيَّنَّ مِمَّنْ يَقْبَلُ فَقَالَ:

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أَيُّ هُوَ أُذُنٌ خَيْرٌ لَا أُذُنٌ شَرٌّ، يَسْمَعُ مَا يَنْزِلُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَصْدَقُ بِهِ،
وَيُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يُخْبِرُونَهُ بِهِ.

﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾.

أَيُّ هُوَ رَحْمَةٌ، لِأَنَّهُ كَانَ سَبَبَ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِيمَانِهِمْ. وَمَنْ قَرَأَ أُذُنٌ خَيْرٌ
لَّكُمْ، فَالْمَعْنَى فَإِنْ مَنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ وَيَكُونُ قَرِيباً مِنْكُمْ قَابِلاً لِلْعُذْرِ خَيْرٌ لَّكُمْ.

ويروى في هذه الآية أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَالَ: لَوْ كَانَ مَا أَتَى بِهِ
مُحَمَّدٌ حَقًّا فَتَحَنَّنْ حَمِيرٌ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أُمِّرَاتِهِ إِنَّ مَا أَتَى بِهِ لِحَقٌّ، وَإِنَّكَ لَشَرٌّ مِنْ
دَابَّتِكَ هَذِهِ^(٣) وبلغ ذلك النبي ﷺ فقال بعض من حضره نَعْتَذِرُ إِلَيْهِ
ونحلف له فإنه أُذُنٌ.

(١) ص ٤١٣ من هذا الجزء وما بعدها.

(٢) في الأصل: وَلَا أَعْلَمُهُ قَرَأَ بِهَا.

(٣) في الأصل هذا.

وقوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾:
قال بعض النحويين: إن هذه اللام بمعنى القسم، أي يحلفون بالله
لكم ليرضنكم وهذا خطأ لأنهم إنما حلفوا أنهم ما قالوا ما حكي عنهم
ليرضوكم^(١) باليمين، ولم يحلفوا أنهم يرضون فيما يستقبل.

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾.

وقوله: ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

أي إن كانوا على ما يظهرون فكان ينبغي ألا يعيىوا النبي ﷺ فيكونون
بتوليهم النبي ﷺ وترك عييه مؤمنين.

ويجوز في قوله ﴿وَرَحْمَةً﴾ الجر على العطف على ﴿خَيْرٍ﴾. فيكون المعنى
قل إذن خير لكم وأذن رحمة للمؤمنين.

وقوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾، ولم يقل يرضوهما، لأن المعنى يدل عليه
فحذف استخفافاً، المعنى والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه، كما
قال الشاعر: (٢)

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والأمر مختلف

المعنى نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

معناه من يعادي الله ورسوله، ومن يشاقق الله ورسوله.

واشتقاقه من اللغة كقولك من بجانب الله ورسوله، أي من يكون في
حدّ، والله ورسوله في حدّ.

(١) في الأصل ليرضوا، أي ليحدثوا رضا.. أي أقسموا لأجل رضاكم

(٢) تقدم ص ٤٤٥ من هذا الجزء.

﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

والقراءة بالفتح والكسر: «فَأَنَّ لَهُ»، فمن كسر فعلى الاستثناف بعد الفاء، كما تقول فله نار جهنم، ودخلت إن مؤكدة، وَمَنْ قَالَ فَأَنَّ لَهُ، فإنما أعاد «فَأَنَّ» تأكيداً، لأنه لما طال الكلام كان إعادتها أوكد.

وقوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾.

لفظ يَحْذَرُ لفظ الخبر، ومعناه الأمر، لأنه لَا لَبْسَ في الكلام في أنه أمر، فهو كقولك ليحذر المنافقون، وعلى هذا يجوز في كل ما يؤمر به أن تقول يُفَعَّلُ ذَلِكَ، فَيَنْبُؤُ عَنْ قَوْلِكَ لِيَفَعَلَ ذَلِكَ.

ويجوز أن يكون خبراً عنهم لأنهم كانوا يكفرون عناداً وحسداً.

ودليل هذا القول: ﴿قُلْ اسْتَهِزُّوا إِنَّا لِلَّهِ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾.

وذلك أنهم قالوا: إنما كنا نخوض كما يخوض الركب^(١).

وقوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

تأويله أنه قد ظهر كفركم بعد إظهاركم الإيمان.

﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾.

والقراءة: إِنْ نَعَفُ وَ[إِنْ يُعَفَّ، وَإِنْ يُعَفُّ] جِيْدَةً، ولا أعلم أحداً من

المشهورين قرأ بها.

ويروى أن هاتين الطائفتين إنما كانوا ثلاثة نفر فهزى اثنان وضحك

واحد، فجعل طائفة للواحد.

وكذلك قالوا في قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. يراؤ به

نَفْسٌ طَائِفَةٌ.

(١) نذهب هنا وهناك - أي كنا نذهب في الكلام هنا وهناك للتسلية والمتعة.

والطائفة في اللغة أصلها الجماعة، لأنها المقدار الذي يطيف بالشيء .
وقد يجوز أن يقال للواحد طائفة يراد بها نفس طائفة يراد به نفس طائفة .

وقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

هذا يتلو قوله تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمُنْكُمْ﴾

أي ليس المنافقون من المؤمنين، لأن المنافقين، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾: أي
يأْمُرُونَ بالكفر بالنبي ﷺ .

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾

أي ينهون عن الإيمان به .

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾

أي لا يصدقون ولا يزكون .

﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾

أي تركوا أمر الله فتركهم [الله] من رحمته وتوفيقه .

وقوله: ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾

أي كفاية ذنوبهم كما تقول: عذبتك حسب فعيلك، وحسب فلان ما نزل
به، أي ذلك على قدر فعله .

وقوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾

موضع الكاف نصب، أي وعدهم الله على الكفر به كما وعد الذين من
قبلهم .

وقوله: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخُلُقِهِمْ﴾: قيل فاستمتعوا بحظهم من الدنيا وقيل

فاستمعوا بدينهم، والخلق النصيب الذي هو عند صاحبه وافر الحظ .

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾

أَلَمْ يَأْتِهِمْ ^(١) خَيْرُ الَّذِينَ هَلَكُوا فِي الدُّنْيَا بِذُنُوبِهِمْ فَيَتَعَذَّوْا.
﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾.

جمع مؤتفكة، اتفتكت بهم الأرض، أي انقلبت، يقال إنهم قوم لوط،
ويقال إنهم جميعٌ مَنْ أَهْلِكَ، كما تقول للهالك انقلبت عليه الدنيا.
﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

أَعْلَمَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ تَعْذِيهِ ^(٢) إِيَّاهُمْ بِاسْتِحْقَاقِهِمْ، وَأَنْ ذَلِكَ عَدْلٌ
مِنْهُ.

وقوله: ﴿وَرِضْوَانُ﴾.

وتقرأ رُضْوَانٌ وَرِضْوَانٌ، وهما جميعاً عن عاصم.

ومعنى ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، أي أكبر مما هم فيه من النعيم.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾.

أمر بجهادهم، والمعنى جاهدكم بالقتل والحجة، فالحجة على
المنافقين جهاد لهم.

وقوله: ﴿وَهُمْ أَوْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾.

قيل إنهم كانوا همُّوا بقتل رسول الله ﷺ وأنهم كانوا اثني عشر رجلاً
عزموا على أن ينفقوا له بعقبة على طريقه، ويغتالوه، فأعلمه الله ذلك. فلما
بلغ إليهم أَمَرَ مَنْ نَحَاهُمْ عَنْ طَرِيقِهِ، وسماهم رَجُلًا رَجُلًا.

فهذه من أعظم آياته، لأن الأمر إنما عَلِمَ فِي قِصَّتِهِمْ بِالْوَحْيِ.

﴿وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

(١) في الأصل أَلَمْ يَأْتِ.

(٢) في الأصل تعذيبهم.

وإنما قيل أغناهم الله ورسوله، لأن أموالهم كثرت من الغنائم، فكان سبب ذلك رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.
معناه مؤلماً.

وإنما قال في الدنيا لأنهم أمرَ بقتلهم.
ويجوز: ﴿وَمَا تَقْمُوا﴾.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾.

الأصل لتصدقن، ولكن التاء أذغمت في الصاد لقربها منها.
وقوله: ﴿فَاعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

يجوز أن يكون «فلما آتاهم من فضله بخلو به»، قال:
﴿فَاعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ أي أضلهم الله بفعلهم.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

يَلْمِزُونَ، ويلمزون - بكسر الميم وضمها - ومعناه يعيبون وكانوا عابوا
أصحاب رسول الله ﷺ في صدقات أتوا بها النبي ﷺ.

يروى أن عبد الرحمن^(١) أتى بصرّة تملأ الكف، وأن رجلاً كان يقال له
أبو عقيل، أتى بصاع من تمر، فعابوه بذلك وقالوا: إن محمداً غني عن صاع
هذا وإنما أتى بهذا ليذكر بنفسه.

فهو معنى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ و«جهدهم»، بالفتح والضم.
﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾.

(١) هو عبد الرحمن بن عوف الصحابي الجليل أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين عينهم عمر ليختاروا خليفة منهم بعد موته.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾.

والسَّخِرِيُّ^(١) من الله المجازاة على فعلهم وقد بينا ذلك.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

فيروى أن النبي ﷺ قال: أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَتَزَلَتْ ﴿سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

وقوله: ﴿فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾.

بمعنى مخالفة رسول الله.

وهو منصوب لأنه مفعول له، المعنى بأن قعدوا لمخالفة رسول الله،
ويقراً خَلَفَ رسول الله، ويكون ههنا أنهم تأخروا عن الجهاد في سبيل الله.

﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾.

وهذا وعيد في ترك الجهاد. ويجوز لا تَنْفِرُوا بضم الفاء.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿جَزَاءً﴾ مفعول له، المعنى: وليبكوا جزاءً لهذا الفعل.

وقوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾.

يروى أنها نزلت في عبد الله بن أبي، وَكَانَ رَأْسَ الْمُنَافِقِينَ فلما حضرته
الوفاة بعث إلى رسول الله ﷺ يسأله أَحَدَ ثَوْبَيْهِ لِيُكْفَنَ بِهِ، فبعث إليه رسول
الله بأحدهما، فأرسل المنافق إلى رسول الله ﷺ الذي كان يلي جلدك من
ثِيَابِكَ، فوجه إليه رسول الله ﷺ بذلك. فقليل له فيه: لم وَجَّهَتْ إليه بقميصك
يكفن فيه وهو كافر، فقال: إِنْ قَمِصِي لَنْ يَغْنِي عَنْهُ شَيْئًا مِنَ اللَّهِ، وَإِنِّي أُوْمَلُ
مِنَ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِسْلَامِ خَلْقٌ كَثِيرٌ بِهَذَا السَّبَبِ، فيروى أنه أسلم من
الخرزج ألف لما رآه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله، وأراد الصلاة عليه.

(١) بكسر الراء وتشديد الياء.

فتزل الوحي عليه ﷺ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ .
ويروى أنه ﷺ صلى عليه وإنما مجاز الصلاة عليه أنه كان ظاهره ظاهر
الإسلام، فأعلمه الله جل وعز أنه إذا علم منه النفاق فلا صلاة عليه ﷺ ولا تقم
على قبره ﷺ .

كان رسول الله ﷺ إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له .

وقوله: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ .

المُعَذِّرُونَ - بتشديد الدال - وتُقرأ المُعَذِّرُونَ، فمن قرأ: المُعَذِّرُونَ،
فتأويله الذين أعذروا [أي] جاءوا بعذر، ومن قرأ: المُعَذِّرُونَ بتشديد الدال
فتأويله المُعَذِّرُونَ، إلا أن التاء أذغمت في الدال لقرب مخرجهما .

ومعنى المُعَذِّرِينَ الذين يعتذرون، كان لهم عذر أو لم يكن لهم .

وهو هنا أشبه بأن يكون لهم عذر، وأنشدوا: (١)

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن ييك حولاً كاملاً فقد اعتذر
المعنى فقد جاء بعذر، ويجوز المُعَذِّرُونَ - بكسر العين - لأن الأصل
المُعَذِّرُونَ، فأسكنت التاء وأذغمت في الدال ونقلت حركتها إلى العين فصار
الفتح أولى الأشياء، ومن كسر العين حرك لالتقاء الساكنين، ويجوز
المُعَذِّرُونَ، باتباع الضمة التي قبلها وهذان الوجهان - كسر العين وضمها - لم
يُقرأ بهما، وإنما يجوز في النحو، وهما جهتان يثقل اللفظ بهما، فالقراءة بهما
مطروحة . ويجوز أن يكون المُعَذِّرُونَ: الذين: يعتذرون، يُوهمون أن لهم
عذار ولا عذر لهم .

وقوله: ﴿أَسْتَأْذِنُكَ أَوَّلَ الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ .

(١) للبيد بن ربيعة العامري، يوصي ابنته بزيارة قبره حولاً بعد موته، ويقول ان هذا كاف . انظر
ديوان حاتم ح ٢١/٢، ومجاز أبي عبيدة ح ١٦/١، والقرطبي ٨٦/١ .

قيل ﴿أولو الطول﴾ [هم] أولو الغنى، وقيل أولو الفضل في المعنى والرأي والجاه.

والطَّوْلُ الفضل في القدرة على هذه الأشياء.

وقوله: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾.

الخوالف: النساء، وقد يجوز أن يكون جمع خالفة في الرجال. والخالف الذي هو غير مُنْجِب. ولم يأت في فاعل فواعل إلا في حرفين، فارس وفوارس، وهالك، وهوالك.

وقوله: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾.

هؤلاء أعراب كانوا حول المدينة، فكفرهم أشدُّ لأنهم أقسى وأجفى من أهل المدَر، وهم أيضاً أبعد من سماع التنزيل وإنذار الرسول.

وقوله: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾.

«أن» في موضع نصب، لأن الباء محذوفة من أن. المعنى أجدرُ بترك العلم، تقول: أنت جدير أن تفعل كذا، وبأن تفعل كذا، كما تقول أنت خليف أن تفعل، أي هذا الفعل ميسر فيك، فإذا حُذِفَتِ الباء، لم يصلح إلا بأن، وإن أتيت بالباء صلح بأن وغيره، تقول أنت جدير أن تقوم وجدير بالقيام، فإذا قلت، أنت جدير القيام، كان خطأ، وإنما صلح منع أن لأن أن تدل على الاستقبال، فكانها عوض من المحذوف.

وقوله: ﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَائِرُ﴾.

أي الموت والقتل.

وقوله: ﴿قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

فيها ثلاثة أوجه قُرْبَاتٍ بضم الرَّاء، وقُرْبَاتٌ^(١) بإسكانها وقُرْبَاتٍ بفتح الرَّاء.

(١) إسكان العين لا يجوز إلا في ضرورة الشعر.

﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾.

وكذلك: وَصَلَّ عَلَيْهِمْ. معناه دعاء الرسول، قَالَ الْأَعَشَى:
تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَبْتُ مُرَّ تَحَنُّلاً يَا رَبُّ جَنِّبْ أَبِي الْأَوْصَابَ وَالْوَجَعَا
عَلَيْكَ مِثْلَ الَّذِي صَلَّيْتُ فَاعْتَمِضِي عَيْناً فَإِنَّ لَجَنِبِ الْأَرْضِ مُضْطَجِعاً^(١)

إِنْ شِئْتَ قُلْتَ عَلَيْكَ مِثْلَ الَّذِي، وَمِثْلَ الَّذِي، فَمِنْ قَالَ:
«عَلَيْكَ مِثْلَ الَّذِي صَلَّيْتُ» فَقَدْ أَمَرَهَا بِالْدُعَاءِ، كَأَنَّهُ قَالَ ادْعِي مِثْلَ الَّذِي
دَعَوْتُ، وَمِنْ قَالَ مِثْلَ فَالْمَعْنَى عَلَيْكَ مِثْلَ هَذَا الدُّعَاءِ. أَيُ ثَبِتَ عَلَيْكَ مِثْلَ
هَذَا.

وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾.
ويَجُوزُ وَالْأَنْصَارُ، فَمِنْ قَالَ: «وَالْأَنْصَارِ» نَسَقَ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ.
الْمَعْنَى: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَمِنَ الْأَنْصَارِ، وَمِنْ قَالَ:
وَالْأَنْصَارُ نَسَقَ بِهِ عَلَى «وَالسَّابِقُونَ» كَأَنَّهُ قَالَ: «وَالسَّابِقُونَ وَالْأَنْصَارُ».

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾.
أَيُ مِنْ اتَّبَعَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.
﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.
تَأْوِيلُهُ: - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ اللَّهَ رَضِيَ أَعْمَالَهُمْ، وَأَنَّهُمْ رَضُوا مَا جَازَاهُمْ
اللَّهُ بِهِ.

وقوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ، وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا
عَلَى الْبَيْتِ﴾.

(١) تقدم البيت الثاني في الجزء الأول ويسرى الأول - وقد قربت راحلتي - أي عزمت
على السفر وأعددت ناقتي للسير وانظر ديوانه ص ٨٦.

مقدم ومؤخر، مردوا متصل بقوله منافقون.

﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾.

أي سنعذبهم بالإفناق وبالفعل، وقيل بالقتل وعذاب القبر.

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.

أي يُعَذَّبُونَ فِي الْآخِرَةِ.

وقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾.

يصلح أن تكون تطهرهم بها نعتاً للصدقة، كأنه قال: خذ من أموالهم

صدقة مطهرة، والأجود أن يكون تطهرهم للنبي ﷺ.

المعنى خذ من أموالهم صدقة فإنك تطهرهم بها، ويجوز «تطهرهم»

بالجزم على جواب الأمر. المعنى إن تأخذ من أموالهم تطهرهم وتزكهم. ولا

يجوز في القراءة إلا بإثبات الياء في تزكيمهم، اتباعاً للمصحف.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾.

أي ادع لهم. و«سكن».

(أي) يسكنون بها.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾.

تأويله ويقبل الصدقات، وكذلك ما يروى «إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ

جَلَّ وَعَزَّ تَأْوِيلُهُ أَنَّ الصَّدَقَةَ يَتَقَبَّلُهَا اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَيَضَاعَفُ عَلَيْهَا.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ ﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجَاوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾.

معنى مُرَجَاوْنَ - مؤخرون. يقال أَرْجَأْتُ الْأَمْرَ، إِذَا أَخَّرْتَهُ.

ويقرأ ﴿مُرَجَّوْنَ﴾ عَلَىٰ أَرْجَيْتُ. و﴿آخِرُونَ﴾ عطف على قوله: ﴿وَمِمَّنْ

حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ المعنى من أهل المدينة

منافقون ومنهم آخرون مُرَجَّوْنَ.

ويقال إنهم الثلاثة الذين خَلَفُوا
﴿إِمَّا يَعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾.

﴿إِمَّا﴾ لوقوع أحد الشيتين، والله عز وجل عالم بما يصير إليه أمرهم، إلا أن هذا للعباد، خوطبوا بما يَعْلَمُونَ، فالمعنى لكن أمرهم عندكم على هذا في الخوف والرجاء.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً﴾.
«الذين» في وضع رفع، المعنى ومنهم الذين اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً.

انتصب [ضراراً] مفعولاً له. المعنى اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والإرصاد. فلما حُدِثَ اللام أفضى الفعلُ فنصب، ويجوز أن يكون مصدرأً محمولاً على المعنى، لأن اتَّخَذَهُم المسجِدَ على غير التقوى معناه ضاروا به ضراراً.

وتفسير الآية أن قوماً من منافقي الأمصار أرادوا أن يفرقوا عن النبي ﷺ من يصلي معه من المؤمنين فاتخذوا مَسْجِداً يقطعون به المؤمنين والنبي ﷺ عن مَسْجِدِ قُبَاء.

﴿وإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

كان رجل يقال له: أبو عمرو^(١) الراهب حَارَبَ النبي ﷺ ومضى إلى هِرَقْل، وكان أحد المنافقين، فقالوا نبي هذا المسجد ومنتظر أبا عامر حتى يجيء، فيصلي فيه، فالإرصاد، الانتظار.

(١) في كتب التفسير أنه رجل يقال له أبو عامر. قال ابنو مسجداً واستمدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فلاني ذاهب إلى قيصر فأت بجند من الروم تخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا منه جاءوا إلى النبي يطلبون أن يصلي فيه وكان على جناح سفر لغزوة تبوك، فلما رجع من سفره أتاه خبر المسجد فأمر بهدمه. وسمي مسجد الضرار.

واتخذوا هذا المسجد مُضَارَّةً وَكُفْرًا، لَأَنَّ عِنَادَ النَّبِيِّ ﷺ كُفْرٌ وَأُطْلِعَ اللَّهُ
 نَبِيَهُ ﷺ عَلَى طَوَيْتِهِمْ، وَعَلَى أَنَّهُمْ سِيحْلِفُونَ كَاذِبِينَ، فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ:
 ﴿وَلْيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى، وَاللَّهُ يَشْهَدُوهُمْ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.
 وَكَانُوا دَعَا النَّبِيَّ ﷺ لِيَصَلِّيَ فِيهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ:
 ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾.
 ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَيُّ الْمَسْجِدِينَ أَحَقُّ بِالْقِيَامِ فِيهِ فَقَالَ:
 ﴿لِمَسْجِدِ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾.
 يَعْنِي بِهِ مَسْجِدَ قُبَاءَ.
 ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾.
 «وَأَنَّ» فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ، الْمَعْنَى: لِمَسْجِدِ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى أَحَقُّ بِأَنْ
 تَقُومَ فِيهِ.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾.
 يَرَوِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَفَ بِيَابَ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ
 الشَّاءَ فِي طَهُورِكُمْ فِيمَ تَطْهَرُونَ؟ فَقَالُوا نَغْسِلُ أَثَرَ الْغَائِطِ بِالْمَاءِ. وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ
 مِنَ الْأَنْصَارِ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَمَنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ﴾.
 وَيَجُوزُ أَفَمَنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ، وَيَجُوزُ أَفَمَنْ آسَأَسَ بُنْيَانُهُ وَيَجُوزُ أَفَمَنْ أُسُسُ
 بُنْيَانُهُ.

فَأَمَّا أُسَسَ بُنْيَانُهُ، وَأُسَسَ بُنْيَانُهُ، فَقَرَأَتَانِ جَيِّدَتَانِ، وَالَّذِي ذُكِرَ غَيْرُ
 هَاتَيْنِ جَائِزٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ، غَيْرُ جَائِزٍ فِي الْقِرَاءَةِ، إِلَّا أَنْ تَثَبَّتَ بِهِ رَوَايَةٌ.
 الْمَعْنَى أَنَّ مَنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى التَّقْوَى خَيْرٌ مِمَّنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى الْكُفْرِ
 فَقَالَ: ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾.

وشفا الشيء حَرْفَهُ وحْدَهُ، والشفا مقصور يكتب الألف ويشى شفوين،
ومعنى ﴿هَارٍ﴾ هَائِرٌ وهذا من المقلوب، كما قالوا في لاث الشيء إذا دار فهو لاثٍ
والأصل لَاثٌ وكما قالوا شاك السلاح وشائك، قال الشاعر: (١)

فتعرفوني إنني أناذاكم شاكٍ سلاحي في الحوادثِ مُعْلِمٌ
وكما قال العجاج:

لَاثٌ بِهِ الْأَشَاءُ وَالْعُبْرِيُّ (٢)
الأشياء النخل، والعُبْرِيُّ السدْرُ الذي على شاطئ الأنهار ومعنى لاثٍ
به مطيف به..

﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾.
وهذا مثل، المعنى أن بناء هذا المسجد الذي بني ضراراً وكفراً كبناء
على جَرَفِ جهنم يتهور بأهله فيها.

وقوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾.
قال بعضهم لا يزال كفراً، وقال بعضهم لا يزال شكاً. والريبة من
الريب، والريبُ: الشك.

فأعلم الله جلَّ وعزَّ أن بناءهم لا يزالون شاكين فيه، وجائز أن يكون الله
جلَّ ثناؤه جعل عقوبتهم أن ألزَمَهُمُ الضلال بركوبهم هذا الأمر الغليظ.
﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾.

(١) هو طريف بن تميم العنبري من الشعراء الفرسان الجاهليين والبيت في اللسان (علم) وانظر
الأصمعيات ١٢٨ وكتاب سيويه ١٢٩ (بولاق) اللسان (علم).

(٢) والعنبري شجر السدر ينبت على عبر النهر وسمي عبرياً نسبة إلى عبرة - وقيل هو ما لا ساق له
منه وإنما يكون ذلك فيما قارب العبر وقيل هو ما شرب الماء، وما لا يشرب هو الضال. والبيت
في القرطبي ٢٣٧/٨ ومجاز أبي عبيدة ١/ ٢١٩، واللسان (عبر - لث).

ويجوز: «إِلَّا أَنْ يَقْطَعَ قُلُوبُهُمْ» معناه إِلَّا أَنْ يَمُوتُوا، وقال بعضهم: إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا توبةً تَنْقُطُ بِهَا قُلُوبُهُمْ نَدماً وَأَسْفاً عَلَى تَفْرِيطِهِمْ.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾. يروى: أَنَّهُ تَاجَرَهُمْ فَأَعْلَى لَهُمُ الثَّمَنُ ^(١). وهذا كما قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ﴾ ^(٢).

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقٌّ﴾. بالمعنى ^(٣) لأن معنى قوله: ﴿بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾، وعدهم الجنة وعداً عليه حقاً.

ولو كانت في غير القرآن جاز الرفع على معنى ذلك وعد عليه حق.

وقوله: ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾. يَدُلُّ أَنَّ أَهْلَ كُلِّ مِلَّةٍ أُمِرُوا بِالْقِتَالِ وَأُوعِدُوا عَلَيْهِ الْجَنَّةُ ^(٤). وقوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾.

يصلح أن يكون رفعه على وجوه أحدها المدح كأنه قال هؤلاء التائبون، أو هم التائبون. ويجوز أن يكون على البدل. المعنى يقاتل التائبون، وهذا مذهب أهل اللغة.

قال أبو إسحاق: والذي عندي والله أعلم أن قوله: التائبون العابدون رفع بالابتداء، وخبره مضمّر، المعنى التائبون العابدون إلى آخر الآية لهم الجنة أيضاً، أي من لم يجاهده غير معانِدٍ ولا قاصِدٍ لترك الجهاد، لأن بعض

(١) أي يروى في شرح الآية وتفسيرها. (٢) سورة البقرة آية ١٦.

(٣) أي «وعدا» مفعول مطلق بالمعنى.

(٤) أي وعدوا الجنة من الله جزاء عليه، وأوعد تستعمل للتهديد لا لجزاء الخير.

المسلمين يجزى عن بعض في الجهاد. فمن كانت هذه صفته فَلَهُ الْجَنَّةُ
أَيْضاً.

التائبون الذين تابوا من الكُفْرِ، والعابدون: الذين عبدوا الله وحده،
والراكون السَّاجِدُونَ الذين أدَّوا ما افترض الله عليهم في الركوع والسُّجُود.

﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

الْأَمْرُونَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ.

﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: عن الكفر بالله.

ويجوز [الأمرون] بجميع المعروف، الناهون عن جميع المنكر.

﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾.

القائمون بما أمر الله به.

وقوله: ﴿السَّائِئُونَ﴾.

في قول أهل اللغة والتفسير جميعاً: الصائمُونَ. ومَذْهَبُ الْحَسَنِ أَنَّهُمْ
الَّذِينَ يَصُومُونَ الْفَرَضَ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمْ الَّذِينَ يَدِيمُونَ الصِّيَامَ، وَقَوْلُ الْحَسَنِ
فِي هَذَا أَتَيْنُ.

وكذلك ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ عند الحسن هم الذين يُؤَدُّونَ مَا افْتَرَضَ
عَلَيْهِمْ فِي رُكُوعِهِمْ وَسُجُودِهِمْ.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ كَانُوا
أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾.

يروى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَرَضَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ الْإِسْلَامَ عِنْدَ وَفَاتِهِ،
وَذَكَرَ لَهُ وَجُوبَ حَقِّهِ عَلَيْهِ، فَأَبَىٰ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ حَتَّى
أَنْتَهَىٰ عَنْ ذَلِكَ، وَيُرَوَّى أَنَّهُ اسْتَغْفَرَ لِأُمِّهِ، وَيُرَوَّى أَنَّهُ اسْتَغْفَرَ لِأَبِيهِ، وَأَنَّ

المؤمنين ذكروا محاسن آبائهم في الجاهلية وسألوا أن يستغفروا لأبائهم لما كان من محاسن كانت لهم^(١)، فأعلم الله عز وجل أن ذلك لا يجوز فقال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

أي من بعد ما تبين لهم أنهم ماتوا كافرين.

ثم أعلم جل وعز كيف كان استغفار إبراهيم لأبيه فقال:

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾.

فيروى أنه كان وعده أن يستغفر له أيام حياته، ويروى أن أبا إبراهيم كان وعد إبراهيم أن يسلم إن استغفر له، فلما تبين له إقامته على الكفر تبرأ منه. وقال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾^(٢).

أي تأسوا بإبراهيم في هذا القول.

وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.

يروى أن عمر سأل النبي ﷺ عن الأواه، فقال: الأواه الدُّعَاءُ، والأَوَّاهُ في أكثر الرواية الدُّعَاءُ ويروى أن الأواه الفقيه، ويروى أن الأواه المؤمن بلغة الحبشة، ويروى أن الأواه الرحيم الرفيق.

قال أبو عبيدة: ﴿الأواه﴾ المتأوه شفقاً ورفقاً المتضرع يقيناً، يريد أن يكون

(١) سألوا النبي الإذن لهم في ذلك. وهذا الوجه غير جيد، لأن الذين ماتوا قبل البعثة غير معذبين.

(٢) سورة الممتحنة من الآية - ٤.

تضرعه على يقين بالإجابة ولزوماً للطاعة، وقد انتظم قول أبي عبيدة أكثر ما روي في الأواه وأنشد أبو عبيدة^(١):

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بَلِيلَ تَأَوَّهَ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ
وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾.

يروي أنه لما نزل تحريم الخمر وقعت الحدود قال المسلمون فيمن مات قبل ذلك ولم يدرك التحريم أسألوا عن حالهم، فأعلم الله جلَّ وعزَّ أنه لا يؤاخذهم بما حَرَّمَ مما لم يحرم عليهم. وجائز أن يكون: إِذَا وَفَّقَ اللَّهُ للهداية فلا إضلال بعدها، لأن من يهد الله فلا مضلَّ له.

وقوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾.

معناها في وقت العُسْرَةِ، لأن السَّاعَةَ تَقَعُ على كل زمانٍ، وكان في ذلك الوقت حر شديد، وكان القوم في ضيقة شديدة، وكان الجمل بين جماعة يَعْتَقِبُونَ عليه، وكانوا من الشدَّة والفقر ربَّما اقتسم الثمرة اثنان وربما مصَّ الثمرة الجماعة ليشربوا عليها الماء، وربما تحرَّروا الإبل فشربوا من ماء كُرُوشِهَا^(٢) من الحرِّ.

فأعلم الله عزَّ وجلَّ أنه قد تاب عليهم من بعد ما كاد يزيغ قلوبَ فريق منهم، أي من بعد ما كادوا يَقْفِلُونَ مِنْ غَزَوَتِهِم للشدَّة، ليس أنه يزيغ عن الإيمان، إنما هو أن كادوا يرجعون فتاب الله عليهم بأن أقفلهم من غَزَوَتِهِم.

(١) للمثقب العبيدي يتحدث عن ناقته، والقصيدية في ديوانه - ٥ وانظر شرح المفصلية ٥٨٦ ومجاز أبي عبيدة ١ - ٢٤٧ - ويرحلها أي يضع عليها الرحل - فهي تشكو كثرة أسفاره.

(٢) من الماء الذي في أكراشها.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.
 على نسق الكلام يدل على أنهم أمروا بأن يكونوا مع النبي ﷺ في
 الشدة والرخاء، ويجوز - والله أعلم - على هذا قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ
 صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (١).

وقد رويت عن بعضهم «مِنَ الصَّادِقِينَ» والمعنى واحد، ويجوز أن يكون
 ممن يصدق ولا يكذب في قول ولا فعل.

وقوله: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾.
 الظمأ العطش، والنصب: التعب.

﴿وَلَا غَمَصَةٌ﴾: المغمصة: المجاعة، فأعلم الله أنه يجازيهم على جميع
 ذلك، وأنه يكتب لهم عملاً صالحاً.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾.

هذا لفظ خبر فيه معنى أمر كما كان ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ
 يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ والمعنى أنهم كانوا إذا كانت سرية نفروا فيها بأجمعهم،
 فأعلم الله جلّ وعزّ أنه ينبغي أن ينفر بعضهم ويبقى مع النبي ﷺ بعض لثلا
 يبقى وحده، ولثلا يخلو من خرج منهم من فائدة منه، فقال جلّ وعزّ:
 ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾.

المعنى أنهم إذا بقيت منهم بحضرة النبي ﷺ بقية فسمِعُوا منه وحيّاً
 أَعْلَمُوا الذين نفروا ما علموا فاستَوْوا في العلم، ولم يخلوا منه.

وجائز - والله أعلم - أن يكون هذا دليلاً على فرض الجهاد يجزى
 الجماعة فيه عن الجماعة.

(١) سورة الأحزاب من الآية: ٢٣.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾.

﴿غِلْظَةً﴾ فيها ثلاث لغات غِلْظَةً، وَغُلْظَةً، وَغُلْظَةً.

فهذا دليل أنه ينبغي أن يُقاتِلَ أَهْلُ كُلِّ ثَغْرِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ وقيل ان هذا يعنى به العرب، وقيل إن النبي ﷺ كَانَ رَبُّمَا تَخْطِي فِي حَرْبِهِ الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ ليكون ذلك أَهْيَبَ لَهُ فَأَمَرَ بِقِتَالِ مَنْ يَلِيهِ لِيُسْتَنَّ بِذَلِكَ.

وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

أَيَّ اللَّهُ أَمْرٌ مَنْ نَصَرَهُ بِالْحَرْبِ.

وقوله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾.

المعنى: وتاب على الثلاثة الذين خلفوا، ويقال إنهم هم المرجون لأمر

الله.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَكُنْمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾.

وأضاف الإيمان إلى السورة لأنه يزيد بسببها.

وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.

أَيَّ شَكٍّ وَنِفَاقٍ.

﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾.

أَيَّ زَادَتْهُمْ كُفْرًا إِلَى كُفْرِهِمْ، لَأَنَّهُمْ كَلَّمَا كَفَرُوا بِسُورَةٍ أَزَادَ كُفْرَهُمْ.

وقوله: ﴿أَوَّلًا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾: معناه

يُخْتَبَرُونَ فِي كُلِّ عَامٍ، وَقِيلَ يُخْتَبَرُونَ بِالْإِدْعَاءِ إِلَى الْجِهَادِ، وَقِيلَ يُخْتَبَرُونَ أَنَّهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالْمَكْرُوهُ.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾.

يقولون ذلك إيماء لأنهم منافقون لا يظهرون ذلك.

﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾.

يقولون ذلك استِسْراراً وَتَحْذِراً مَنْ أَنْ يُعْلِمَ بِهِمُ اللَّهُ - عَزَّوَجَلَّ - [وَهُوَ] أَعْلَمُ .
﴿ثُمَّ أَنْصِرْفُوا﴾ .

أَيُّ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَيَنْصِرِفُونَ ، فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ يَنْصِرِفُونَ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي اسْتَحَقُّوا فِيهِ ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ يَنْصِرِفُونَ عَنِ الْعَمَلِ بِشَيْءٍ مِمَّا يَسْتَمْعُونَ .

﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ .

أَيُّ أَضْلَهُمُ اللَّهُ مُجَازَةً عَلَى فَعْلِهِمْ .

وَقَوْلُهُ : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ .

أَيُّ هُوَ بَشَرٌ مِثْلَكُمْ . أَيُّ فَهُوَ أَوْكَدَ لِلْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ لِأَنَّكُمْ تَفْهَمُونَ عَمَّنْ هُوَ مِثْلَكُمْ .

وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عَنِى بِهِ أَنَّهُ عَرَبِيٌّ كَمَا أَنَّكُمْ عَرَبٌ ، فَأَنْتُمْ تَخْبُرُونَهُ وَقَدْ وَقَفْتُمْ عَلَى مَذْهَبِهِ .

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ .

أَيُّ عَزِيزٌ عَلَيْهِ عَنِتُّكُمْ ، وَالْعَنِتُ لِقَاءُ الشَّدَةِ .

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ .

أَيُّ حَرِيصٌ عَلَى إِيْمَانِكُمْ .

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ .

أَيُّ الَّذِي يَكْفِينِي اللَّهُ .

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ .

وَالْعَظِيمُ هَهُنَا جَائِزَانِ .

* * *

وَقَوْلُهُ : ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ ^(١) .

(١) رجوع إلى الآية ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾ .

دخلت «مِنْ» في الزمان، والأصل مُنْذُ وَمُنْذُ، هذا^(١) أَكْثَرُ الاستعمال في الزمان، و«من» جائز دخولها لأنها الأصل في ابتداء الغاية والتبعيض. ومثل هذا قول زهير: ^(٢)

لمن الديار بقنة الحجر أقوين مِنْ حَجَجٍ ومن شهر
وقيل إن معنى هذا مِنْ مَرَّ حَجَجٍ ومن مَرَّ شَهْرٍ.

(١) في الأصل هذه. أي وهذه العبارة.

(٢) القصيدة في ديوان زهير ص ٨٩. ويروى البيت:

أقوين مذحج ومذهر.



الفهارس

- ١ - بحوث لغوية ونحوية وتفسيرية .
- ٢ - الشواهد الشعرية .
- ٣ - أنصاف الأبيات .
- ٤ - تراجم .
- ٥ - فهرس الكتاب .



بحوث لغوية ونحوية وتفسيرية

- ٥ مادة بث، وتصريف «اتقوا»
- ٦ شرح «تساءلون به والأرحام» تفسيراً ولغة
- ٧ ولا تبدلوا الخبيث بالطيب
- ٨ معنى «الحوب» - انكحوا ما طاب لكم من النساء
- ٩ معنى «مثنى» و «ثلاث» و «رباع» لماذا منعت من الصرف
- ١٠ الرد على الرافضة - معنى ألا تعولوا
- ١١ معنى «صدقاتهن» ومادة «صداق»
- ١٢ معنى نحلة
- ١٣ - ١٢ مادة «هنيئاً» ومادة «مرأ»، فإن طبن لكم عن شيء منه
- ١٣ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم وشرح «سفه»
- ١٤ معنى الإسراف والبذر
- ١٥ الميراث قبل الإسلام
- ١٦ اللغات في كلمة «ذرية» حظ المساكين من التركة
- ١٧ نسخ الوصية للأقربين
- ١٨ إعراب «وإن كانت واحدة»
- ١٩ مسائل من الميراث
- ٢١ ثلث وربيع وسدس «واللغات فيها»
- ٢٤ الأقوال في مثل «كان علياً حكيماً»
- ٢٩ الذين يعملون السوء بجهالة

- ٣٠ إرث النساء كرهاً وعادات الجاهلية فيه
- ٣١ التحريم المبهم وشرحه
- ٣٣ إعراب من نسائكم اللاتي دخلتم بهن
- ٣٨ «فما استمتعتم به منهن» وشرح المادة
- ٣٩ المحصنات
- ٤١ كراهية الزوج بولد الأمة
- ٤٢ حد الحرة وحد الأمة
- ٤٣ ، ٤٢ يريد الله ليبين لكم . ومفعول الارادة
- ٤٣ دخول اللام على «كي»
- ٤٦ معنى «عقدت أيمانكم»
- ٤٦ الرجال قوامون على النساء ومعنى القيامة
- ٤٧ النشوز ومادة نشز
- ٤٨ «اهجروهن في المضاجع» ومادة هجر . معاملة الناشز
- ٤٩ ما يعمل به الحكماء
- ٥٠ ، ٤٩ «وبالوالدين إحساناً» إعراب إحسان
- ٥١ الاختيال - البخل
- ٥٢ مثقال - حذف النون من «وإن تك»
- ٥٣ «لدى» واللغات فيها
- ٥٤ معنى «ولا يكتُمون الله حديثاً»
- ٥٦ التيمم ومادة «يَمِّم»
- ٥٧ شرح «كفى به»
- ٥٩ معنى «راعتنا» ، ومعنى «الليُّ باللسان»
- ٥٩ معنى «من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها»
- ٦٠ غفران الكبائر

٦٠	معنى الفتيل و «لا يظلمون فتيلاً»
٦١	«الافتراء»
٦٢	عمل «إذن» والآراء فيها
٦٤	حسد اليهود للنبي ﷺ
٦٥	معنى بدلناهم جلوداً غيرها
٦٥	معنى بدلناهم
٧١، ٧٠	شرح : «ولو أنا...»
٧٤	معنى «انفروا ثباتاً»، واشتقاق كلمة «ثبة»
٧٥	شرح «وإن منكم لمن ليبطئن»
٧٧	وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين
٧٨	كلمة الطاغوت - «تذكيرها وتانيشها»
٨٢	أفلا يتدبرون القرآن ومعنى التدبر
٨٣	معنى «أذاعوا به»
٨٣	معنى «يستنبطون» واشتقاقها
٨٥	معنى «الكفل»
٨٦	وإذا حييتم بتحية
٨٨	معنى أركسهم بما كسبوا
٨٩	معنى «حصرت صدورهم»
٨٩	معنى «أركسوا»
٩٢	إعراب «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر»
٩٥	تأويل «وكان الله غفوراً رحيماً» - وانظر ص ٢٤
٩٦	معنى «يمجد في سبيل الله مراغماً»
٩٧	صلاة الخوف - واختلاف الناس فيها
١٠٣	تأويل «ومن يكسب خطيئة أو إثماً...» الخطأ والخطيئة
١٠٤	معنى البهتان - راجع ص ٣٣٩ ج ١

١٠٥	النجوى ومادة نجا
١٠٨	الإناث والاثن والاثنان
١٠٩	معنى «مفروض» ومادة فرض
١١٠	«إذ يدعون من دونه إلا إناثاً»
١١١	حاص وجاض
١١٢	معنى «اتخذ الله إبراهيم خليلاً» وشرح المادة
١١٦	«وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً»
١١٦	«إن» الشرطية قبل الأسماء
١١٦	مادة «قسط»
١٢١	مادة «عز»
١٢٣	تأنيث السلطان وتذكيره
١٢٤	كلمة «الدرك» شرحها وضبطها
١٢٦	شرح «لا يحب الله الجهر بالسوء»
١٢٧	زيادة «ما» بعد حرف الجر
١٢٩	معنى «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته» والأقوال فيها
١٣٠	إعراب «والمقيم الصلاة والمؤتون الزكاة»
١٣٤	إعراب «فآمنوا خيراً لكم»
١٣٦	يبين الله لكم أن تضلوا
١٣٩	العقود ومادة عقد
١٤١	إعراب غير محلي الصيد - رأي الأخفش
١٤٣	وإذا حللتم فاصطادوا - معنى الشنآن
١٤٥	الذكاة وتفسير المادة
١٤٦	الأزلام والاستقسام بها
١٤٩	معنى مكلب وكلاب
١٥٢	المسافحة واتخاذ الأخدان - «إذا قمتم إلى الصلاة»

١٥٣	وأرجلكم إلى الكعنين
١٥٤	وإن كنتم جنباً - شرح المادة
١٥٦	تأمر بني النضير على قتل النبي
١٥٧	النقيب ومادة «نقب»
١٦٠	معنى «خائنة منهم»، وتفسير فاعلة
١٦١	مادة غرى وأغرى
١٦٢	القدس، والمقدس
١٦٤	تفسير «لا أملك إلا نفسي وأخي» والأوجه فيها
١٦٧	مادة «عجز»
١٧٠	مادة «خزي»
	والسارق والسارقة، أوجه الإعراب في الآية - ووجه الجمع
١٧١	في «أيديهما»
١٧٥	قصة رجم الزناة
١٧٦	«من يرد الله فتنه» شرح المادة
١٧٧	مادة «سحت»
١٧٨	«وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس...» وأوجه الإعراب فيها
١٧٩	تفسير «المهيمن»
١٨٠	كلمة «الإنجيل»
١٨٢	«من يرتد منكم عن دينه» تصريف الفعل والأوجه فيه
١٨٦	«هل تنقمون منا» مادة «نقم»
١٨٧	«وعبد الطاغوت» القراءات في «عبد» وأغاريها
١٩٢	«إن الذين آمنوا والذين هادوا الصابثون... إعراب «الصابثون»
	عموا وصموا كثير منهم. وجه إعراب الآية «ثالث ثلاثة».
١٩٥	والأعاريب فيها
٢٠٠	معنى من «الشاهدين»

٢٠١	لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم :
٢٠٢	مادة «وسط» و «أوسط»
٢٠٣	كفارة الإيمان ومادة .. كفر
٢٠٤	الرجس وتفسير المادة
٢٠٦	صيد البر وصيد البحر وما تناله الأيدي والرماح
٢٠٦	جزاء قتل الصيد للمحرم
٢١٢	كلمة «أشياء» ورأي الكسائي
٢١٣	البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي
٢١٤	لا يضركم من ضل إذا اهتديتم
٢١٥	آية «شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت» والأوجه فيها
٢٢٢	شرح «تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك»
٢٢٣	معنى «إن تغفر لهم فإنهم عبادك»
٢٣٠	معنى «لقضي الأمر ثم لا ينظرون»
٢٣٢	«ليجمعنكم إلى يوم القيامة ... الذين خسروا»
٢٣٣	الانفطار والفقور
٢٣٥	«ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا»
٢٣٩	شرح «يا ليتنا نرد ولا نكذب»
٢٤١	حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة . وشرح البغت
٢٤٢	معنى «يحملون أوزارهم على ظهورهم»
٢٤٤	معنى «نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء»
٢٤٩	قل رأيتمكم
٢٥٣	السلام وتفسير مادته
٢٦١	وذكر به أن تبسل - مادة «بسل»
٢٦٣	تفسير «ويوم يقول كن فيكون»
٢٦٤	تفسير «الصور ، والنفخ فيه»

٢٦٥	زيادة التاء في المملوكوت والرهبوت ونحوه
٢٦٧	زيادة قال هذا ري، والأوجه فيها
٢٧٤	معنى «فمستقر ومستودع»
٢٧٩	«وليقولوا درست»
٢٨٢	«قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم... والأوجه فيها
		معنى «قبل» في «وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً» معنى «قبل» كلوا
٢٨٣	مما ذكر اسم الله
٢٨٧	ظاهر الإثم وباطنه
٢٨٨	«أو من كان ميتاً فأحييناه»
٢٨٨	«وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها»
٢٨٩	«سيسيب الذين أجرموا صغار عند الله - » وأوجه الاعراب فيها
٢٩٠	«يجعل صدره «ضيقاً حرجاً» وشرحها
٢٩٠	معنى «دار السلام»
٢٩١	معنى «خالدين فيها إلا ما شاء الله»
٢٩٥	«خالصة لذكورنا»
٢٩٦	الجنات المعروشات
٢٩٨	الحمولة والفرش
٢٩٨	خطوات الشيطان
٢٩٩	«قل آلذكرين حرم أم الأنثيين. الشرح والإعراب
٣٠٣	قل فله الحجة البالغة - هلم شهداءكم
٣٠٣	«قال تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم»
		«ما ظهر من الفواحش وما بطن» «ثم آتينا موسى الكتاب تماماً
٣٠٤	على الذي أحسن» وما فيها من أوجه الإعراب
٣٠٨	«الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً»
٣٠٩	«من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها... بيان ما بها من غموض

- ٣١٣ «المص» أوجه أخرى غير ما تقدم
- ٣١٥ «فلا يكن في صدرك حرج منه» وبيان معناها
- ٣١٧ معنى «أوهم قائلون» - معنى الآيات
- ٣١٩ «والوزن يومئذ الحق» - معنى الميزان
- ٣٢٠ وجعلنا لكم فيها معاش. شرح لم يسبق إليه
- ٣٢٢ ما منعك ألا تسجد، وحكم «لا»
- ٣٢٤ «عن أيمانهم وعن شمائلهم»
- ٣٣٠ معاني «جعل»
- ٣٣٥ منع إمالة حتى، وإلاً، وإما
- ٣٣٨ حتى يلج الجمل في سم الخياط
- ٣٣٩ «نودوا أن تلکم الجنة» تفسير «أن»
- ٣٤٠ تفسير «أن» في «أن قد وجدنا» - «أن لعنة الله»
- ٣٤١ هل ينظرون إلا تأويله، الذين نسوه - معنى هذا النسيان
- ٣٤٧ معنى أخوة الأنبياء لقومهم
- ٣٤٨ ما لكم من إله غيره - إعراب غير والرد على الفراء
- ٣٥٠ ناقة صالح والأقاول فيها
- ٣٥١ ولوطاً إذ قال لقومه. اشتقاق الكلمة ومناقشة الأخفش
- ٣٥٣ هل كان لشعيب آية؟. مادة بخس وبخص
- ٣٥٣ كيف طلب من شعيب قومه أن يكون في ملتهم؟
- ٣٥٤ «وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله» شرح
- ٣٥٧ ومناقشة آراء أخرى
- ٣٥٧ «ربنا افتح بيننا» - معنى الفتح
- ٣٥٨ غني بالمكان
- ٣٥٩ مادة أسي - القرية

٣٦٠	أفامن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهو نائمون
٣٦١	شرح الآية ومادة «نام»
٣٦٥	قالوا أرجه - ثلاث قراءات فيها
٣٦٩	مهملاتنا به - والأقوال في «مهملات»
٣٦٩	معنى الطوفان وآراء النحويين
٣٧٠	القمل - الدم . الرجز
٣٧٣	معنى أرني أنظر إليك
٣٧٥	وأمر قومك يأخذوا بأحسنها
٣٧٨	معنى سقط في أيديهم
٣٧٨	معنى عجلت الشيء
٣٧٩	معنى سكوت الغضب
٣٨١	معنى الأصر والأغلال التي كانت على اليهود
٣٨٣	معنى الأسباط
٣٨٦	معنى العذاب البئيس والقردة الخاسئين
	معنى وإذا تأذن ربك ليعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسوؤهم سوء
٣٨٧	العذاب - الخلف والخلف (بإسكان اللام وفتحها)
٣٨٩ - ٣٨٨	مسائل في رابط الخبر إذا كان جملة
٣٩٠	معنى «أشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم»
٣٩١	معنى أدخل إلى الأرض
٣٩٣	معنى أدخل حفي عنها . . وشرح المادة
٤٠٣	معنى «إذ يغشيكم النعاس أمنة . .» معنى تثبيت الأقدام
٤٠٥	معنى مشاققة الله ورسوله
٤٠٩	معنى «ان الله يحول بين المرء وقلبه»
٤١١	ضمير الفصل بمنزله «ما» المؤكدة
٤١٣	تسمية الأموال التي تصير إلى المسلمين

٤١٥	تقسيم الغنائم - وآراء الفقهاء فيها
٤١٧	«العدوة» معناها واللغات فيها
٤١٧	إعراب «والركب أسفل منكم» وشرح «ليهلك من هلك من بينة»
٤١٨	مناقشة القراءة في «يحيى من حي»
٤١٩	معنى «يريكهم الله في منامك»
٤٢١	معنى «ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا» شرحها والأوجه فيها
٤٢٣	تحريض المؤمنين ومادة حرض
٤٢٨	مادة «برأ»
٤٢٩	يوم الحج الأكبر
٤٣٣	الآل والذمة
٤٣٤	أثمة وتصاريف الهمزة
٤٤٢	«حي يعطوا الجزية عن عزيز» و«عزيز بن الله»
٤٤٣	«يضاهئون» وامرأة ضهياء
٤٤٥	«والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها» - حكم تأنيث الضمير فيها
٤٤٦	كلمة «كافة» - النسي
٤٤٨	النبي (ﷺ) وأبو بكر في الغار
٤٥٣	«ما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم» كسالى واللغات فيها
٤٥٤	الملجأ واللجأ - كلمة مدخل
٤٥٥	«الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات»
٤٦٣	عبد الله بن أبي ، وسؤاله ثوب رسول الله (ﷺ)
٤٦٤	المعذرون وتصريف الفعل
٤٦٧	وآخرون مرجون - ومرجأون
٤٦٨	مسجد الضرار
٤٦٩	«شفا جرف هار» - وتصريف «شفا» ومعنى الريية
٤٧٠	«إلا أن تقطع قلوبهم»

- ٤٧٢ «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين»
- ٤٧٣ استغفار إبراهيم لأبيه
- ٤٧٤ «وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم» توبة الله تعالى
- ٤٧٥ «ما كان المؤمنون لينفروا كافة»
- ٤٧٦ «وليجدوا فيكم غلظة» اللغات والأموال في الآية
- ٤٧٧ «أسس على التقوى من أول يوم» ودخول «من»



الشواهد الشعرية

أول البيت	آخره	قائله	الصفحة
راحوا	وأي	الأسعر الجعفي	٣٩٧
وقد	نشاء	زهير بن أبي سلمى	٧٥
ليس	الأحياء	عدي بن الرعلاء	١٤٤
يفضله	الذكاء	زهير	١٤٦
وبوئت	ميثها	ابن هرمة	٣٥٠
فاليوم	عجب	الأعشى	٧
فإن	يغضب	—	٢٦
فلا تحرمني	غريب	علقمة	٥٠
بها جيف	صليب	علقمة	٧٤
أذاع	بثقوب	أبو الأسود	٨٣
إلى بلد	المضطرب		٩٦
فقلت	غاربه	أبو الجراح	١٠٥
قوم	الكربا	الحطيثة	١٣٩
فقلت لها	ليب	للمضرب بن سعد	١٤٢
متبذلاً	النقب	دريد بن الصمة	١٥٤
أنا	الطلب		٢٠٥
بنى	أشهب		٢٥٩
وداع	محيب	كعب الغنوي	٤٠٩

أول البيت	آخره	قائله	الصفحة
وخبر ثمانى	قليب	كعب الغنوي	٤٣٣
ما نقموا	غضبوا	قيس بن الرقيات	١٨٦
إلى الفضل	مقيت	السموأل	٨٦
الحمد	فاستقرت	العجاج	٢١٩
ولكنهم	البغت	يزيد بن ضبة	٢٤١
لست	بكلتي		٣٦٦
فهن	حدائدها	(نصف بيت)	٤٤٠
أسيئي	تقلت	كثير	٤٥٣
ما هاج	شجا	رؤية	٢٠٤
وما الدهر	أكدح	تميم بن عقيل	٢٢٤ ، ٥٨
فمن	بقرواح	أوس بن حجر	١٠٥
ونظرن	صحاح	ابن ميادة	١١٤
يا ليت	رمحا	ابن الزبيري	١٥٤
والخيل	المراح	سعد بن مالك	٢٠١
إلا الفتى	الوقاح	سعد بن مالك	٢٠١
وما لدهر	أكدح	تميم بن عقيل	١٠٥
ولكننا	موحد	ساعدة بن حوثة	١٠
أردت	شهد	قيس بن سعد	٤٣٠
وقفت	أحد	النابعة	٧٢
إلا الأواري	الجلد		١٠٠
نجوت	عهد		١٠٥
علقتها	بارداً		١٥٤
ألا حبذا	البعد	الحطيئة	١٨٥

الصفحة	قائله	آخره	أول البيت
٢٠٩	طرفة (نصف بيت)	بلندد	عقيلة
٢٢٠	رؤبة (نصف بيت)	الممتاد	أني
٣٧٩	عمرو بن معد يكرب	شديد	يا ابن
٤٣٣	الحطيئة	قدوا	فكيف
٤٥١	الحطيئة	العضد	ابني
٦٧		حذراً	ادوت
٨١	عبيده بن همام	نكر	أتوني
١٠٥	عبد الرحمن بن حسان	الوتر	فتبازت
١٣٢	خرنق	الجزر	لا يبعدن
١٣٢		الأزر	النازلين
٣٥٣	العجاج	غبر	فما وفي
١٣٧	أبو النجم	القد نفرا	فما ألوم
١٥٠	امرؤ القيس	ثمره	فهو
٢٣٨	رؤبة	نصرا	إني
٢٣٨	الشماخ	أسطراً	كما حط
٢٧٥	كثير	الغمرا	سقى
٢٩٢	الأحوص	الصغار	ولولا
٣٠١		منقر	لعمرك
٣٥٨	حاتم	الدهر	غنينا
٣٦٦		الساحر	أنت
٣٨٧	زهير	يسار	تعلم
٤٣٠	الحطيئة	القدور	تعالى
٤٦٤	لبيد	اعتذر	إلى الحول

الصفحة	قائله	آخره	أول البيت
٤٧٨	زهير	دهر	لمن الـديا
٤٥٥		اللمزة	إذا لقيتك
١٢١	الخنساء	بزا	كان لم
٧٣	جران العود	العيس	وبلدة
١٠٩		عرضا	إذا
٤٧	الأحوص	اتبع	الله
١٢٠	عمرو بن معد يكرب	وجيع	وخيل
١٣٦		مدمع	فبانوا
١٦٠	لرجل من السواقط	الأصبع	حدثت
٢٠٤	دريد	أضع	يا لبي
٢٥٧	أبو ذؤيب	تبع	وعليها
٢٥٩		أشعنا	فدى
٢٧٦	الأحوص	ينعا	في قباب
٣٦٥		الطجع	لما رأى
٣٨٠	الفرزدق	الزعازع	ومنا
٤١٨		فتعي	وكانها
٤٦٦	الأعشى	الوجعا	تقول
٤٦٦	الأعشى	مضطجعا	عليك
٤٤٥	قيس بن الخطيم	مختلف	نحن
١٧٧	الفرزدق	مجلف	وعض
٤٣٢ ، ١١٧	عدي بن زيد	الساقى	فمتى
١٩٢	بشر بن أبي حازم	شقاق	ولا
٢٦١	عوف بن الأحوص	مراق	وإيسالي
٣٦	رجل من بني أسيد	يحمدونكا	يا أيها

أول البيت	آخره	قائله	الصفحة
من اللالة	المغفلا	العرجى	٢٨٠
أنا	الطيب	القطامي	٤٠٠
أردت	فيكمل	أبو ثروان	٤٢
فواعديه	أسهلا	عمر بن أبي ربيعة	١٣٥
أريد	سبيل	قيس، أو كثير	١٥٥
وأهل	آجله	خوات بن جبير	١٦٨
أبي	قاتله		٣٢٣
أبيض	إلا	الأعشى	٣٤٨
اليوم	أحله	أسماء بنت مخزومة	٣٣٢
لم يمنع	أوقال	أبو قبيس	٣٤٩
فقلت	قاتله	زهير	٣٨٧
في فتية	يتعل		٣٤٠
أن تقوى	عجل	لبيد	٣٤٠
لعمرك	أول	معن بن أوس	٤٠٠
وما يدري	بعيل		٤٤١
فكيف	كرام	الفرزدق	٣٣
لوقلت	ميسم	حكيم بن معية	١٢٩ ، ٥٨
وإن أتاه	حرم	زهير	١١٣
وشريت	هامة	يزيد بن مفرغ	٧٧
وكان	قمقم	عنترة	١٤٠
قالت	تنمي	الحارث بن ويلة	١٥٠
حيث	الهيم	عنترة	١٨٥
ألا يا نخلة	الظلام		٣٠٩
وإني	يقومها	الفرزدق	٣٢٠

الصفحة	قائله	آخره	أول البيت
٢٣٧	المنقب العبدى	صمم	وكلام
٣٢٨	لماما	فريشي
٤٧٠ ، ٤٠٢	طريف بن تميم	معلم	فتوسموني
٤٢٢	عمرو بن معد يكرب	فليبي	رأته
٤٥٥	أمية بن أبي الصلت	مسانا	الحمد لله
٤٧٤	المنقب العبدى	الحزين	إذا
٤٠٧	هيا	وقائلة
١٩٤	زهير	جائيا	بدالي



أنصاف الآيات

- ولت ودعواها ولت ودعواها كثير صخبه ٣١٩
فهن يعلكن حدائداتها ٤٤٠
ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا ٢٠٤
علقتها تبناً وماء بارداً ١٥٤
إني أمير المؤمنين الممتاد ٢٢٠
صبراً بني عبد الدار ٢٠٥
هوجاء ليس للجهها زبر ١٣٢
وكل رجاس يسوق الرجسا ٣٥٩
وانحلبت عيناه من فرط الأسى ٣٥٩
أو يخصف النعل ويلى أية صنعا ٣٢٧ - ٢٠٤
أصم عما ساءه سميع ٢٤٥
وهذا تحملين طليق ١٠٢
ورضت فذلت صعبة أي إذلال ٣٦
تعرض المهرة بالطول ٤٠
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ٣٣
وجيران لنا كانوا كرام ٣٣
في حلقكم عظم وقد سجيناً ٧٤
ظهراهما مثل ظهور الترسين ١٧٣
يجوزهن وله حوزى ١٢٢
لا ث به إلا شاء والعبرى ٤٧٠



تراجم

الخنساء	١٥٨
ساعدة بن جؤبة	٩
سراقه بن مالك	٤٢٠
عبد الله بن سلام	٢٣٥
عتاب بن أسيد	٤٢٧
العرجي	٢٨
نصيب بن رباح	٢٩٣
يزيد بن ضبة	٢٤١

فهرس الكتاب



٥	سورة النساء
١٣٩	سورة المائدة
٢٢٧	سورة الأنعام
٣١٣	سورة الأعراف
٣٩٩	سورة الأنفال
٤٢٧	سورة براءة

الفهارس :

٤٨١	بحوث لغوية ونحوية وتفسيرية
٤٩٢	الشواهد الشعرية
٤٩٨	أنصاف الآيات
٤٩٩	تراجم
٥٠٠	فهرس الكتاب